COLLEEN HOOVER

Regretting YOU

نَادِمَة عليك

مكتبة .. لا

كولين هوفر

KAYAN PUBLISHING

روايـــــــــة

ترجمة: نهلة كرم

إهداء لـ ..

من ذرف الدموع

في الرحلة الأولى

هذي رحلة أخرى

نادمة عليك

هوفر، كولين
نادمة عليك: رواية /كولين هوفر
ترجمة: نهلة كرم.
القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2023.
448 صفحة، 20 سم.
تدمك: 9-136-820-977-978
ا- القصص الأمريكية
أ- كرم، نهلة (مترجم)
ب- العنوان: 823
رقم الإيداع: 27083 / 2022
الطبعة الأولى: يناير 2023.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

مكتبة
t.me/soramnqraa

12 6 23

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الناشرين**

كولين هوفر

نادمة عليك

مكتبة | 1201

ترجمة

نهلة كرم

KAYAN PUBLISHING

إلى سكارليت رينولدز الرائعة،
أتوق إلى أن يشعر العالم كله بتأثيركِ.

الفصل الأول
(مورجان)

أتساءل عما إذا كان البشر هم الكائنات الحية الوحيدة التي تشعر بالخواء الداخلي.

لا أفهم كيف يمكن لجسدي أن يكون ممتلئًا بكل شيء تمتلئ به الأجساد، بالعظام، بالعضلات، بالدماء، بالأعضاء، ومع ذلك أشعر في بعض الأحيان أن صدري أجوف، كأنه إذا صرخ أحدهم في فمي، فسوف يتردد صدى صوته داخلي.

أشعر بذلك منذ بضعة أسابيع، تمنيتُ أن أتجاوز الأمر، لأنني بدأت أقلق حيال ما يُشعرني بهذا الخواء، فلديَّ حبيبٌ رائعٌ أواعده منذ عامين تقريبًا، وباستثناء تلك اللحظات التي يكون فيها كريس مراهقًا وغير ناضج (التي يكون أغلبها بتأثير تناوله الكحول)، لديه كل ما أريده في حَبيب، فهو مرح وجذاب ويحب والدته، ولديه أهداف، ولا أفهم كيف يمكّن أن يكون السبب فيما أشعر به.

لديَّ جيني أيضًا، أختي الصغيرة، وصديقتي المقرَّبة، لكني أعرف أنها ليست سببَ شعوري بالخواء، فهي مصدر سعادتي الأساسي، رغم أننا مختلفتان عن بعضنا تمامًا، فهي اجتماعية وعفوية وصاخبة، ولها ضحكة أتمنى لو أن لي مثلها، بينما أنا أهدأ منها، وفي معظم الأحيان تكون ضحكتي مصطنعة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لطالما مزحنا بسبب اختلافنا التام، وقلنا إننا لو لم نكن أختين، لكرهنا بعضنا، كانت جيني ستراني مملّةً، بينما كنت سأراها مزعجة، لكن لأننا أختان، ويفصل بيننا اثنا عشر شهرًا فقط، فإننا نتعامل مع الاختلافات بيننا بطريقة ما.

تحدث بيننا خلافات في بعض الأحيان، لكننا لا ندع خلافاتنا تنتهي أبدًا من دون حلّ، وكلما كبرنا، قلّت مشاجرتنا، وزاد الوقت الذي نمضيه معًا، خاصةً وأن جيني تواعد الآن جونا صديق كريس المقرَّب، وقد قضينا نحن الأربعة معظم ساعات يقظتنا تقريبًا معًا منذ تخرُّج كريس وجونا في المدرسة الثانوية الشهر الماضي.

ربما تكون والدتي السبب فيما أشعر به مؤخرًا، لكن هذا ليس منطقيًّا، فغيابها ليس بالشيء الجديد، في الحقيقة اعتدت ذلك الآن أكثر مما مضى، وبالعكس، أصبحت أكثر تقبُّلًا لحقيقة أني وجيني حظينا بأسوأ أم في سوق الأمهات.

لم يعُد لوالدتي وجود في حياتنا منذ وفاة والدنا منذ خمس سنوات، كنت حينها أشعر بالاستياء لاضطراري إلى تربية جيني أكثر مما أشعر الآن، لكن كلما كبرت قلَّ انزعاجي من أنها ليست من نوع الأمهات التي تتدخل في حياتنا، أو تحدد لنا ساعة معينة للعودة للمنزل، أو تعتني بنا، من الممتع بصراحة أن أكون في السابعة عشرة، وأحظى بالحرية التي يحلم بها معظم من في عمري.

ما من شيء تغيَّر في حياتي مؤخرًا ليفسر ذلك الخواء العميق الذي أشعر به، أو ربما تغير شيء، لكني فقط خائفة جدًّا من ملاحظة ذلك.

«خمِّنوا ماذا؟» قالت جيني، كانت تجلس في المقعد الأمامي، بينما كان جونا يقود السيارة، وكنت أنا وكريس نجلس في المقعد الخلفي، كنت أحدق خارج النافذة شاردة في أفكاري حينما قالت

جيني ذلك، أوقفت سيل أفكاري ونظرت إليها، استدارت في مقعدها، تحركت عيناها بحماس بيني وبين كريس، بدت جميلة جدًّا الليلة، ارتدت أحد فساتيني الطويلة، وحافظت على بساطة مظهرها بوضعها «مكياجًا» خفيفًا جدًّا، كان الاختلاف بين جيني البالغة من العمر 15 عامًا وتلك البالغة 16 عامًا مذهلًا.

«قال هانك إنه من الممكن أن يقابلنا الليلة» أردفت جيني، رفع كريس يده وضرب كفَّه بكفِّها، عاودت النظر خارج النافذة، لا أحب رغبتها في الانتشاء، فعلت ذلك بضع مرات - نتيجة أن لدينا أمًّا مثل والدتنا - لكن جيني تبلغ من العمر ستة عشر عامًا فقط، وتتناول كل ما تصل إليه يداها في كل حفلة نذهب إليها، وهذا سببٌ أساسي لاختياري عدم المشاركة في ذلك، لأنني طالما شعرتُ بالمسؤولية تجاهها، لكوني أكبر منها، ولأن والدتنا لا تضبط سلوكنا بأي شكلٍ من الأشكال.

أشعر أحيانًا أنني جليسة أطفال لكريس أيضًا، الشخص الوحيد في هذه السيارة الذي لستُ مضطرة إلى الاعتناء به هو جونا، ليس لأنه لا يثمل أو ينتشي، ولكن لأنه يحافظ على مستوى من النُضج بغض النظر عن أي مواد تسري في جسده، فجونا من أكثر الشخصيات انضباطًا التي قابلتها في حياتي، يظل هادئًا عندما يكون ثملًا، عندما ينتشي، عندما يكون سعيدًا، ويكون أكثر هدوءًا بطريقة ما عندما يغضب.

جونا هو صديق كريس المفضَّل منذ طفولتهما، هما بمثابة النسخة الذكورية لي وجيني، لكن بالعكس، فكريس وجيني مرحان ومفعمان بالحيوية، بينما أنا وجونا رفقاء غير مرئيين، وهذا أمرٌ جيدٌ بالنسبة إليَّ، أفضِّل الاختفاء في الخلفية والاستمتاع بمشاهدة الآخرين بهدوء، على أن أكون ذلك الشخص الواقف على طاولة وسط الغرفة، ويتفرج عليه الآخرون.

«كم يبعد هذا المكان؟» سأل جونا.

«نحو خمسة أميال» أجابه كريس مردفًا: «ليس بعيدًا».

قال جونا: «ربما ليس بعيدًا من هنا، لكنه بعيدٌ عن منازلنا، مَن الذي سيقود السيارة في طريق العودة؟».

«ليس أنا» قالت جيني وكريس في الوقت ذاته، نظر جونا إليَّ في المرآة، نظرت إليه وأومأنا إلى بعضنا، اتفقنا من دون كلامٍ على ألا نثمل اليوم.

لا أعرف كيف نفعل ذلك أنا وهو -نتواصل من دون كلام- لكن ذلك كان يحدث دومًا بيننا من دون عناء، ربما لأننا متشابهاًن جدًّا، لذا نفكر التفكير نفسه في أحيانٍ كثيرة، لا يلاحظ كريس وجيني ذلك، فهما لا يحتاجان إلى التواصل من دون كلام مع أي شخص، لأن أي وكل شيء يحتاجان إلى قوله يتدحرج على طَرفي لسانهما بسهولة سواء كان من اللائق قوله أو لا.

أمسك كريس بيدي ليجذب انتباهي، نظرت إليه فقبَّلني، وهو يهمس «تبدين جميلة الليلة»، ابتسمت له «شكرًا، أنت أيضًا تبدو بمظهرٍ جيدٍ»، سألني:

- هل تريدين المبيت في منزلي الليلة؟

فكرت في الأمر للحظة، لكن جيني استدارت في مقعدها ثانية، وأجابت نيابة عني: «لا يمكنها أن تتركني وحدي الليلة، أنا قاصرٌ على وشك أن تقضي الساعات الأربع المقبلة في شرب الكثير من الكحول وربما الممنوعات أيضًا، فمن سيمسك شعري عندما أتقيَّأ في الصباح إذا بقيت هي في منزلك؟».

هزَّ كريس كتفيه قائلًا: «جونا؟».

ضحكت جيني قائلة: «أنت تعرف أن جونا لديه والدان تقليديان يريدانه أن يعود إلى المنزل بحلول منتصف الليل»، «تخرَّج جونا في المدرسة الثانوية للتوِّ» قال كريس.

كان يتحدث عنه كأنه لا يجلس في المقعد الأمامي ويسمع كل كلمة، «يجب أن يتشجَّع ويسهر طوال الليل خارج المنزل ولو لمرة واحدة»، أوقف جونا السيارة في هذه اللحظة داخل محطة وقود.

«هل يحتاج أحدٌ إلى أي شيء؟» سأل جونا، متجاهلًا تلك المحادثة الدائرة حوله.

«نعم، سأحاول أن أشتري بعض البيرة» قال كريس وهو يفك حزام المقعد، أضحكني ذلك، قلتُ له: «تبدو في الثمانية عشرة، لن يبيعوا لك البيرة».

ابتسم لي، وأخذ كلامي تحديًا، وخرج من السيارة ليشتري البيرة، بينما ذهب جونا ليملأ خزان الوقود، مددتُ يدي إلى مسند ذراع السيارة، وأخذت واحدة من حلوى «الجولي رانشر» بنكهة البطيخ التي يتركها دائمًا، البطيخ هو أفضل نكهة، لا أفهم كيف يمكن لأي شخصٍ أن يكرهها، لكن يبدو أن جونا لا يحبها.

فكت جيني حزام المقعد، وانسلت من مقعدها لتجلس بجواري في المقعد الخلفي، ثنت ساقيها تحتها، وجلست في مواجهتي، قالت وفي عينيها نظرات شقية: «أعتقد أني سأنام مع جونا الليلة».

شعرت للمرة الأولى منذ مدة طويلة أن صدري ممتلئ، لكن ليس بطريقة جيدة، كأن مياهًا غزيرة تغمره، بل كأن طينًا يغمره.

- بلغتِ السادسة عشرة لتوِّك.
- كنتِ في العمر ذاته حين مارستِ الجنس مع كريس أول مرة.

«أجل، لكننا تواعدنا قبلها لأكثر من شهرين، وما زلت نادمة على ذلك، كان ذلك مؤلمًا جدًّا، ربما استغرق الأمر دقيقة واحدة، وكانت تنبعث منه رائحة التكيلا»، توقفتُ عن الحديث بعدما شعرت أنني قلَّلتُ من قدرات حبيبي، ثم أردفت: «صار أفضل الآن».

ضحكت جيني، ثم تراجعت إلى الخلف في مقعدها وتنهدت قائلة: «أستحق الثناء إذن لأنني صمدت شهرين»، وددت أن أضحك، لأن شهرين ليست بشيء يُذكر، أفضِل لو انتظرت سنة كاملة أو خمس سنوات، لا أعرف لِمَ أنا معترضة بشدة على هذا الأمر، هي محقة، كنت أصغر منها حين بدأت ممارسة الجنس، وإذا كانت ستفقد عذريتها مع أحد، فعلى الأقل سيحدث ذلك مع شخص أعرف أنه جيدٌ، فجونا لم يستغلها أبدًا، فقد عرفها في الحقيقة لمدة عام كامل، ولم يعبِّر عن مشاعره لها إلا حين بلغت السادسة عشرة، ورغم أن ذلك كان يضايقها، فإنه جعلني أحترمه.

تنهدت وقلتُ لها: «تفقدين عذريتك مرة واحدة فقط يا جيني، ولا أريد أن يحدث ذلك لكِ وأنتِ ثملة في منزل شخصٍ غريبٍ، بينما تمارسين الجنس على فراش شخص آخر».

هزَّت جيني رأسها من جانبٍ إلى آخر، كأنها تفكر فيما قلته: «إذن، ربما يمكننا أن نفعل ذلكً في سيارته»، ضحكت، ليس لأن ذلك مضحك، وإنما لأنها كانت تسخر مني، فهذه هي الطريقة التي فقدت عذريتي بها مع كريس، وأنا محشورة في المقعد الخلفي في سيارة والده الـ «أودي».

كان الأمر عاديًّا ومحرجًا تمامًا، ورغم أن الوضع أصبح أفضل الآن، لكني تمنيت لو كانت لنا ذكريات أجمل في المرة الأولى بيننا يمكننا استدعاؤها، لا أريد حتى التفكير في ذلك، أو التحدث عنه،

من الصعب أن أكون الصديقة المقربة لأختي الصغيرة لهذا السبب بالتحديد، أريد أن أفرح لها وأعرف كل شيء عنها، وفي الوقت نفسه أريد حمايتها من الوقوع في الأخطاء ذاتها التي ارتكبتها، أريد الأفضل لها دائمًا.

نظرتُ إليها بحبّ، محاولة بكل جهدي ألا أبدو مثل الأمهات: «إذا حدث ذلك الليلة، فعلى الأقل لا تثملي»، أدارت عينيها في ضيق، وعادت إلى المقعد الأمامي، في تلك اللحظة التي فتح فيها جوناً باب السيارة، وعاد كريس أيضًا، لكن من دون البيرة.

أغلق بابه بعنفٍ، وعقد ذراعيه على صدره قائلًا: «من السيئ جدًّا أن يكون لديك وجه طفولي»، ضحكت ومررت يدي على وجنته، لأجذب انتباهه نحوي: «أحب وجهك الطفولي».

جعله ذلك يبتسم، مال عليَّ وقبَّلني، لكنه ابتعد بمجرد أن تلامست شفتانا، ربت على مقعد جونا قائلًا: «جرِّب أنت»، أخرج كريس نقودًا من جيبه، ووضعها في المسند، سأله جونا «ألن يكون هناك مشروبات كثيرة؟».

- ذلك أكبر حفل تخرج هذا العام، كل دفعة التخرج ستكون هناك، وجميعنا دون السن القانونية، ونحتاج إلى كل الإمدادات التي يمكننا الحصول عليها».

أخذ جونا النقود على مضض، وخرج من السيارة، قبَّلني كريس ثانية، بلسانه هذه المرة، لكنه عادً للخلف بسرعة: «ماذا في فمك؟»، مضغتُ «الجولي رانشر» لأكسرها وأجبته: «حلوى».

«أريد بعضًا منها» قال، وعاود تقبيلي مرة أخرى.

تنهدت جيني بامتعاض: «توقف، يمكنني سماع صوت المضغ»، رجع كريس إلى الخلف مبتسمًا وفي فمه قطعة من حلوى الـ «جولي رانشر»، كان يمضغها وهو يربط حزام الأمان قائلًا:

- مضت ستة أسابيع على تخرجنا، من الذي يقيم حفلَ تخرج بعد ستة أسابيع من التخرج، لا أتذمر، لكن من المفترض أن نكونَ تجاوزنا احتفالات التخرج الآن.

قلت: «لم تمر ستة أسابيع، بل أربعة فقط».

صحَّح لي قائلًا: «بل ستة»، ثم أردف: «اليوم الحادي عشر من تموز».

ستة أسابيع؟ حاولت ألا أبيِّن ذلك التوتر المفاجئ الذي شعرت به في كل عضلة من جسدي أمام كريس، لكني لم أستطع كبح رد فعلي على ما قاله، كل جزء بي تشنج، لم تمر ستة أسابيع.. هل مرَّ ذلك الوقت فعلًا؟ إذا مرَّت ستة أسابيع.. فهذا يعني أن دورتي الشهرية متأخرة أسبوعين عن موعدها، تبًّا، تبًّا، تبًّا، تبًّا.

انفتح صندوق السيارة، استدرنا أنا وكريس إلى الخلف، أغلق جونا الصندوق، وسار نحو باب مقعد السائق، ركب السيارة، وعلى وجهه ابتسامة مليئة بالثقة، تمتم كريس: «اللعنة»، ثم هزَّ رأسه قائلًا: «هي لم تتحقق من هويتك حتى؟».

أدار جونا محرك السيارة وانطلق وهو يقول: «الأمر كله يتعلق بالثقة يا صديقي».

راقبت جونا وهو يمد يده ليمسك يد جيني، نظرت خارج النافذة، شعرت بتقلُّص في معدتي، تعرَّقت راحتي يدي، وخفق قلبي، وأنا أعد على أصابعي بهدوء الأيام منذ أن جاءتني الدورة الشهرية آخر

مرة، لم أفكر في ذلك على الإطلاق، كنت أعرف أنها جاءتني يوم التخرج، لأن كريس كان متضايقًا أننا لن نستطيع ممارسة الجنس، لكني كنت أنتظر مجيئها في أي يوم هذه الأيام، ظانة أنه مرَّ شهرٌ فقط على تخرجهما، وكنَّا مشغولين نحن الأربعة للغاية في القيام بالكثير من الأشياء خلال العطلة الصيفية لدرجة أنني لم أفكر في الأمر حتى.. اثنا عشر يومًا، دورتي الشهرية متأخرة اثني عشر يومًا!

***

ذلك كل ما كنت أفكر فيه طوال الليل أثناء حفل التخرج، أردت أن أستعير مفاتيح سيارة جونا، وأقودها إلى أي صيدلية تعمل على مدار اليوم، لأشتري اختبارَ حملٍ، لكن هذا سيجعله يطرح عليَّ أسئلة، وستلاحظ جيني وكريس غيابيً، لذا اضطررت بدلًا من ذلك إلى أن أقضي المساء كله محاطة بالموسيقى الصاخبة جدًّا لدرجة أنني شعرت كما لو أنها ستكسر عظامي.

كانت هناك أجسادٌ تفوح منها رائحة العرق في كل ركنٍ في المنزل، ولم يكن ثمة مكان يمكنني الهروب إليه، كنت خائفة جدًّا أن أشرب، لأنني لو كنت حاملًا، فليس لديَّ أي فكرة عن نتيجة ذلك، فأنا لم أفكر مطلقًا في الحمل، لذلك لا أعرف بالضبط مقدار الكحول الذي من الممكن أن يؤذي الجنين، لا أريد أن أجازف حتى.. لا يمكنني أن أصدق ذلك.

«مورجان» صاح كريس في جميع أنحاء الغرفة، كان يقف على طاولة، ووقف شاب آخر على طاولة بجانبه، كانوا يلعبون لعبة، حيث يقف كل منهما على ساق واحدة، ويتناوبان على شرب الكؤوس حتى يسقط أحدهما، كانت هذه لعبة الشرب المفضلة لكريس، وأقل الأوقات المفضَّلة بالنسبة إليَّ لأكون بجواره، لكنه كان يلوِّح لي،

وقبل أن أصل إليه، سقط الشاب الواقف على الطاولة الأخرى، ورفع كريس قبضته المنتصرة في الهواء، ثم قفز على الأرض بمجرد أن وصلت إليه، ولفَّ ذراعه حولي وجذبني إليه.

«أنتِ مملة» قال كريس وهو يضع كأسه على فمي: «اشربي، امرحي»، دفعت الكأس بعيدًا عني، وقلت له: «سأقود السيارة الليلة، لا أريد أن أشرب»، «لا، جونا من سيقود الليلة» قال محاولًا ثانية أن يعطيني مشروبًا آخر، لكني أبعدته مجددًا، كذبت عليه قائلة: «جونا يريد أن يشرب، لذلك أخبرته أنني أنا من سيقود الليلة».

نظر كريس حوله، راصدًا شخصًا قريبًا، تتبعت نظراته، فرأيت جونا جالسًا على الأريكة بجوار جيني، كانت واضعة ساقيها على حجره، قال كريس له: «أنت ستكون سائقنا الليلة.. أليس كذلك؟».

نظر جونا إليَّ قبل أن يجيب كريس، استغرقت المحادثة الصامتة بيننا ثانيتين، فهم جونا من تعبير وجهي المتوسل أنني أريده أن يخبر كريس أنه لن يقود السيارة الليلة، مال جونا برأسه في فضولٍ، قبل أن ينظر إلى كريس، ويقول: «لا، سأثمل اليوم».

تهدل كتفي كريس، ونظر إليَّ قائلًا: «حسنًا، أعتقد أنني سأضطر إلى الاستمتاع بمفردي»، حاولت ألا آخذ كلماته على محمل الإهانة، لكن لم أستطع عدم الشعور بالإهانة، فقلت له:

- هل تقصد أنني أكون مملة عندما لا أكون ثملة؟

أنتِ مرحة، لكن مورجان الثملة هي المفضَّلة لي.

أحزنني ذلك نوعًا ما، لكنه كان ثملًا، لذلك سأعذره على إهانته الآن، حتى ولو كان ذلك لأتجنب الشجار معه فقط، فأنا لست في مزاجٍ جيدٍ، وهناك أشياء أكثر أهمية تشغل تفكيري.

ربتُّ على صدر كريس بكلتا يديّ قائلة: «حسنًا، مورجان الثملة لن تكون هنا الليلة، أذهب وأبحث عن أشخاص يمكنك الاستمتاع معهم».

بمجرد أن قلت ذلك حتى أمسك أحدهم بذراع كريس وجذبه مرة أخرى ناحية الطاولات قائلًا: «مباراة العودة».

في تلك اللحظة لم يعُد مستوى وعيي يشغل كريس، وجدت ذلك فرصة للهروب منه، ومن هذه الضوضاء، ومن هؤلاء الأشخاص، خرجت من الباب الخلفي، لأحظى بنسخة أكثر هدوءًا من الحفل، ونسمات من الهواء النقي، كان هناك مقعدٌ شاغرٌ بجوار حمام السباحة، ورغم وجود حبيبين في الماء، ويقيني أنهما يقومان بأشياء تعتبر غير صحية في حمام السباحة، إلا أن ذلك كان أقل إزعاجًا من التواجد داخل ذلك المنزل.

وضعت مقعدي بطريقة تمكِّنني من عدم رؤيتهما، ملتُ نحو الخلف، وأغلقت عينيَّ، وقضيت الدقائق القليلة التالية محاولة ألا أشغل ذهني أكثر من اللازم بأي أعراض قد أكون عانيت أو لم أعانِ منها خلال الشهر الماضي.

لم يكن لديَّ وقتٌ حتى للتفكير فيما قد يعنيه كل هذا بالنسبة إلى مستقبلي، إذ سمعت صوت جرِّ كرسي بجانب العمود الخرساني من خلفي، لم أرغب حتى في فتح عيني لأرى من يكون هذا، لا أستطيع تحمُّل كريس وثمالته الآن، ولا أستطيع حتى تحمل جيني، ومزجها بين النبيذ والحشيش.

- هل أنتِ بخير؟

تنفست الصعداء عندما سمعت صوت جونا، ملت برأسي وفتحت عيني، وابتسمت له قائلة: «نعم، أنا بخيرٍ».

عرفت من تعبير وجهه أنه لا يصدقني، لكن حتى وإن كان كذلك، فمستحيل أن أخبره أن دورتي الشهرية تأخرت، أولًا لأن هذا ليس من شأنه، وثانيًا لأنني لا أعرف حتى ما إذا كنت حاملًا، وثالثًا لأن كريس هو أول شخص سأقوم بإخباره إذا كنت حاملًا، قلت له:

- شكرًا لأنك كذبت على كريس، أنا فقط لا أشعر بالرغبة فعلًا في أن أشرب الليلة.

أومأ جونا برأسه متفهمًا، وقدَّم لي كوبًا بلاستيكيًّا، لاحظت أنه يحمل كوبين، فأخذت واحدًا منه، قال: «هذا صودا، وجدت علبة في إحدى الثلاجات».

أخذت رشفة وأملت رأسي إلى الخلف، على أي حالٍ كان طعم الصودا أفضل بكثيرٍ من الكحول، سألته: «أين جيني؟»، وجَّه جونا رأسه نحو المنزل قائلًا: «تلعب هذه اللعبة، لم أحتمل البقاء لمشاهدتها على هذا النحو».

تنهدت قائلة: «أكره هذه اللعبة جدًّا».

ضحك جونا قائلًا: «كيف انتهى بنا الحال مع أشخاص عكسنا تمامًا؟».

- تعلم ما يقولون، الأضداد تتجاذب.

هزَّ جونا كتفيه، اندهشت من ردة فعله، حدَّق إليَّ للحظة، ثم أشاح ببصره بعيدًا قائلًا: «سمعت ما قاله كريس لكِ، لا أعرف إذا كان هذا سبب وجودك هنا، لكن أتمنى أن تعرفي أنه لم يقصد ذلك، هو ثمل، وأنتِ تعرفين كيف يكون في هذه الحفلات».

أعجبني أن جونا يدافع عن كريس، فرغم أن كريس يكون عديم الإحساس بعض الشيء أحيانًا، فإن جونا وأنا نعلم أن قلبه أكبر من قلبينا معًا، قلت له:

- قد أغضب إذا كان يفعل ذلك طوال الوقت، لكن هذا حفل التخرج، أتفهم الأمر، هو يستمتع، ويريدني أن أستمتع معه، بشكلٍ ما هو محقٌّ، فمورجان الثملة أفضل بكثيرٍ من مورجان اليقظة.

نظر إليَّ جونا بحدة: «لا أوافق علىً ذلك بتاتًا».

أبعدت عيني عن عينيه حينما قال ذلك، خفضت بصري نحو مشروبي، فعلت ذلك لأنني كنت خائفة مما يحدث في تلك اللحظة، بدأ صدري يمتلئ ثانية، لكن بطريقة جيدة هذه المرة، حلَّ محلَّ ذلك الفراغ حرارة وخفقان ودقات قلب، كرهت ذلك الشعور، لأنني على ما يبدو حددتُ للتوِ ما جعلني أشعر بالفراغ الشديد على مدى الأسابيع القليلة الماضية.. إنه جونا.

أحيانًا حين نكون معًا وحدنا، ينظر إليَّ بطريقة تجعلني أشعر بالفراغ حين يشيح بنظره بعيدًا عني، أنه شعورٌ لم أحسه أبدًا عندما ينظر كريس إليَّ، إدراك ذلك يخيفني حد الموت، فحتى وقت قريب، بدا أنني أمضيت حياتي كلها من دون أن ينتابني ذلك الشعور، لكن الآن بعد أن أحسست به، أشعر كأن جزءًا مني يختفي عندما يختفي ذلك الإحساس.

غطيت وجهي بيديَّ، كان شعورًا في غاية البشاعة أن أدرك أن من بين كل الأشخاص في العالم الذين أود التواجد بالقرب منهم، كان جونا سوليفان يأتي في الصدارة، كأن صدري كان يبحث دومًا عن قطعته المفقودة، بينما جونا يمسك بها في قبضته.

وقفت، كنت في حاجة إلى الابتعاد عنه، أنا مغرمة بكريس، لذلك كنت أشعر بعدم الارتياح والضيق عندما أكون وحدي مع صديقه المقرب، وبداخلي هذه المشاعر تجاهه، ربما مشروب الصودا هو الذي يجعلني أشعر بذلك، أو الخوف من أنني قد أكون حاملًا، ربما ليس لجونا علاقة بالأمر.

وقفت لمدة خمس ثوانٍ حينما ظهر كريس من العدم، لفَّ ذراعيه حولي بإحكام، قبل أن يدفعنا في حمام السباحة، شعرت بالغضب والارتياح فيً الوقت نفسه، لأنني كنت في حاجة إلى الابتعاد عن جونا، لكنني الآن أغوص في أعماق حمام السباحة، ولم أكن أنوي النزول إليه بكامل ملابسي.

طفوت إلى السطح في الوقت ذاته الذي طفا فيه كريس، لكن قبل أن أصرخ في وجهه، جذبني إليه وقبَّلني، قبَّلته لأن ذلك كان بالنسبة إليَّ إلهاءً كنت في أمسِّ الحاجة إليه.

- أين جيني؟

نظرنا أنا وكريس إلى أعلى، بينما كان جونا يطل من فوقنا، وينظر إلى كريس بغضبٍ، قال كريس:

- لا أعرف.

أدار جونا عينيه في ضيقٍ قائلًا: «طلبت منك أن تُبقي عينيك عليها، فهي ثملة»، ثم سار نحو المنزل ليبحث عن جيني.

قال كريس: «وأنا أيضًا، لا تطلب أبدًا من شخصٍ ثملٍ أن يرعى شخصًا آخر ثملًا».

تحرك كريس بضعة أقدام حتى تمكَّن من لمسي، ثم شدني معه، أسند ظهره إلى جدار حمام السباحة، عدَّل وضعيتي، بحيث لففت ذراعيَّ حول رقبته، وصرت في مواجهته.

- آسف على ما قلته، لا أعتقد أن أي نسخة منك مملة.

زممت شفتيَّ، شعرت بالارتياح لأنه أدرك أنه كان أحمق.

- أردتُ فقط أن تستمعي الليلة، لا أشعر أنكِ مستمتعة.

«أنا مستمتعة الآن» قلت له، وأرغمت نفسي على الابتسام لأنني لم أرغب في أن يلاحظ ذلك الاضطراب الذي يعتمل داخلي، لكنني لم أستطع التوقف عن الشعور بالقلق، فرغم أني حاولت بشدة إرجاء ذلك الشعور حتى أتيقن من الأمر، فإني كنت قلقة على نفسي، وعليه، وعلينا، وعلى ذلك الطفل الذي قد نجلبه لذلك العالم قبل أن يكون أي منَّا مستعدًّا، لا يمكننا تحمُّل ذلك، لسنا مستعدين، لا أعرف حتى ما إذا كان كريس هو الشخص الذي أود قضاء باقي حياتي معه، هذا بالتأكيد شيء يجب أن يكون الأشخاص متيقنين منه قبل أن يجلبوا طفلًا معًا إلى العالم.

- هل تريدين أن تعرفي أكثر ما أحبه بكِ؟

سألني كريس، ظل قميصي يطفو على سطح الماء، لذلك قام كريس بإدخاله في سروالي الجينز، ثم قال: «أنكِ مُضحية، أنتِ تفعلين أشياءَ لا تريدين القيام بها لتجعلي حياة من حولكِ أفضل، مثل عدم شرب الكحول حتى تكوني يقظة أثناء القيادة، فهذا لا يجعلكِ مملة، بل بطلة».

ضحكت، يصبح كريس مجاملًا عندما يكون ثملًا، كنت أسخر منه في بعض الأحيان بسبب ذلك، لكني كنت أحب ذلك سرًّا، قال كريس:

- يجب أن تقولي شيئًا تحبينه بي الآن.

نظرت إلى أعلى وإلى اليسار، كأني أحتاج إلى التفكير مليًّا، ضغط جانبي ممازحًا، فقلت له: «أحب بك أنك مرحٌ جدًّا»، ثم أردفت: «تجعلني أضحك، حتى عندما تغضبني».

ابتسم كريس، فظهر طابع الحسن في منتصف ذقنه، لديه ابتسامة رائعة، إذا كنت حاملًا، وانتهى بنا الحال بأن ننجب طفلًا معًا، فأتمنى على الأقل أن تكون له ابتسامة كريس، فهذا هو الشيء الوحيد الإيجابي الذي قد أفكر به في هذا الوضع.

«ماذا أيضًا؟» سألني كريس، رفعت يدي ولمست طابع الحسن، كنت على وشك أن أخبره أنني أحب ابتسامته، لكنني قلت بدلًا من ذلك: «أعتقد أنك ستكون أبًا رائعًا يومًا ما».

لا أعرف لِمَ قلت ذلك، ربما كنت أجس النبض، لأرى رد فعله، ضحك كريس: «طبعًا سأكون أبًا رائعًا، ستحبني كلارا».

أملت رأسي قائلة: «كلارا؟».

- ابنتي المستقبلية، اخترت لها اسمًا بالفعل، لكني ما زلت أفكر في اسم لصبي.

أدرتُ عيني قائلة: «ماذا لو كرهت زوجتك المستقبلية هذا الاسم؟»، مرَّر يديه على رقبتي، ثم أمسك خديَّ قائلًا: «لن تكرهيه»، قبَّلني، ورغم أن قبلته لم تملأ صدري مثلما تفعل نظرات جونا أحيانًا، فإنني شعرت باطمئنان في هذه اللحظة، بسبب كلماته وحبه لي، وبغض

النظر عما سيحدث، عندما أقوم باختبار الحمل غدًا، فأنا واثقة بأنه سيدعمني، فهذا هو كريس.

«يا رفاق، يجب أن نذهب» قال جونا.

ابتعدنا أنا وكريس عن بعضنا، ونظرنا إلى أعلى نحو جونا، كان يحمل جيني، كانت ذراعاها ملتفتين حول رقبته، ووجهها على صدره، كانت تتأوَّه.

تمتم كريس قائلًا: «قلت لها ألا تصعد إلى تلك الطاولة»، خرج من حمام السباحة، وساعدني على الخروج، عصرنا أكبر قدر من الماء من ثيابنا قبل أن نمضي نحو سيارة جونا، من حسن الحظ أن مقاعدها جلدية، جلست في مقعد السائق لأن من المفترض أن جونا شرب، وجلس جونا في المقعد الخلفي مع جيني.

أخذ كريس يقلِّب بين الأغاني في المذياع بعدما غادرنا الحفل، دارت أغنية «بوهيميان رابسودي» في إحدى المحطات، رفع كريس صوت المذياع وبدأ يغني، وبعد ثوانٍ، غنى جونا معه.

من المثير للدهشة أنني غنيت معهما بصوتٍ خافتٍ، فمن المستحيل أن يسمع أي شخص هذه الأغنية أثناء القيادة ولا يغني معها، حتى ولو كان ذلك الشخص يشعر بالخوف من الحمل في عمر السابعة عشرة، وبداخله مشاعر نحو شخص ما يجلس في المقعد الخلفي للسيارة، مشاعر يجب أن يحس بها فقط تجاه الشخص الجالس في مقعد الراكب الأمامي!

الفصل الثاني
كلارا

بعد مرور سبعة عشر عامًا.

تقززت حين نظرت إلى مقعد الراكب، كالعادة كانت هناك فتاتٌ من مصدرٍ غير معروف متكتلة بين شقوق الجلد، التقطت حقيبة ظهري، وألقيت بها في المقعد الخلفي، بجانب كيس قديم لوجبة سريعة، وزجاجتي ماء فارغتين، حاولت نفض الفتات، أعتقد أنها فتات خبز الموز التي كانت تأكله ليكسي الأسبوع الماضي، أو ربما تكون فتات خبز البيجل الذي كانت تتناوله في طريقنا إلى المدرسة هذا الصباح.

كانت هناك عدة أوراق امتحانات مُصححة مُلقاة على أرضية السيارة، مددت يدي لأرفعها من الأرضية، انحرفت السيارة نحو حفرة، لكني ضبطت مسارها، وقررت ترك الأوراق في مكانها، فتلك السيارة الأنيقة لا تستحق أن تتعطل بسبب تلك الأوراق.

عندما وصلت إلى إشارة الوقوف، توقفت وفكرت مليًا في ذلك القرار، أن أواصل القيادة باتجاه منزلي، حيث تستعد عائلتنا كلها لإحدى حفلات عشاء أعياد ميلادنا التقليدية، أو أن أستدير وأمضي في الاتجاه المعاكس نحو قمة التل، حيث لمحت للتوِ ميلر آدامز واقفًا على جانب الطريق.

تجنَّبني طوال العام الماضي، لكن لا يمكنني ترك شخص أعرفه واقفًا في هذا الجو الحار حتى ولو كان بيننا ذلك الشعور المُربك،

فدرجة الحرارة في الخارج مائة درجة تقريبًا، ورغم أن لديَّ مكيف هواء في السيارة، فإن قطرات العرق تنزلق على ظهري مبللة حمالة صدري.

ترتدي ليكسي حمالة صدرها لمدة أسبوع كامل قبل أن تغسلها، تقول إنها ترش عليها مزيل العرق كل صباح، بالنسبة إليَّ ارتداء حمالة الصدر مرتين من دون غسلها بدرجة سوء ارتداء السراويل الداخلية نفسها يومين على التوالي.

من المؤسف أنني لا أطبق على سيارتي فلسفة النظافة ذاتها التي أطبقها على حمالات صدري، تشممت رائحة السيارة، كانت هناك رائحة عفن تنبعث منها، فكرت أن أرش بعضًا من مزيل العرق الذي أضعه داخل مسند الذراع، لكني إذا لففت بالسيارة، لأعرض على ميلر أن أوصله، سيبدو كأني رششت مزيل العرق للتوّ، لست متأكدة أي الأمرين أسوأ، سيارة تنبعث منها رائحة العفن، أَم سيارة تنبعث منها رائحة مزيل عرق رُش عمدًا ليُغطي على رائحة العفن.

لا يعني ذلك أنني أحاول إثارة إعجاب ميلر آدامز، يصعب عليَّ أن أنشغل برأي رجل يبدو أنه يبذل جهدًا كبيرًا ليتجنَّبني، لكني أنشغل برأيه لسببٍ ما.

لم أُخبر ليكسي بذلك الموقف أبدًا، لأنه يسبِّب لي الحرج، لكن في بداية العام خُصِّصت لنا أنا وميلر خزانتان متجاورتان، دام هذا لساعتين قبل أن يبدأ تشارلي بانكر باستخدام خزانة ميلر، سألت تشارلي ما إذا كانت خزانته خُصصت لشخصٍ آخر، فأخبرني أن ميلر عرض عليه عشرين دولارًا لتبديل خزانتيهما.

ربما لم يكن للأمر علاقة بي، لكنني شعرت أن الأمر شخصي، لا أعرف ما الذي فعلته حتى لا يحبني، حاولت ألا أهتم بالتفكير في

حقيقة مشاعره التي تدفعه إلى تجنُّبي، لكني لا أحب كونه يكرهني، لذا أفضِّل الموت على أن أفوت هذه الفرصة، وأؤكد له صحة شعوره نحوي، لأنني لطيفة، تبًّا، أنا لست ذلك الشخص البشع الذي يراني عليه، استدرت بالسيارة، أردته أن يغيِّر انطباعه عني، حتى ولو كان ذلك فقط لأسبابٍ أنانية.

عندما دنوت من قمة التل، كان ميلر واقفًا بجوار لافتة الطريق، كان يمسك بهاتفه، لا أعلم أين سيارته، وهو بالتأكيد لم يأتِ إلى هذا الطريق من أجل أن يركض، كان يرتدي بنطلون جينز أزرق باهتًا وقميصًا أسود، وكلاهما لا يناسب هذه الحرارة الشديدة، فكيف يرتدي الاثنين معًا؟ من الغريب أن يرغب أحد في الخروج في هذا الجو معرضًا نفسه للإصابة بضربة شمس، لكن كل شخص حرٌّ فيما يحب.

راقبني وأنا ألفُّ بسيارتي وأوقفها خلفه، كان يقف على بُعد نحو خمسة أميال منها، فرأيت تلك الابتسامة الصفراء التي ارتسمت على وجهه حينما أدخل هاتفه في جيب سرواله الخلفي، ونظر إليَّ.

لا أعرف ما إذا كان ميلر يدرك ما يفعله اهتمامه (أو بالأحرى تجاهله) بشخص ما، فعندما ينظر إليك، يفعل ذلك بطريقة تُشعرك بأنك أكثر الأشياء إثارة للاهتمام التي رآها على الإطلاق، فهو ينظر إليك بكامل جسده، إذ يميل إلى الأمام، يقطب حاجبيه في فضولٍ، يومئ برأسه، ينصت، يضحك، ويعبس، تعابير وجهه وهو يستمع إلى الآخرين آسرة.

أحيانًا أراقبه من بعيدٍ وهو يتحدث مع الناس، أحسدهم سرًّا لجذبهم اهتمامه، لطالما تساءلت كيف سيكون الحديث معه، فلم نتحدث أنا وميلر وجهًا إلى وجه من قبل، لكني لمحته في بعض

الأوقات فيما مضى وهو يلقي نظرة خاطفة عليَّ، فانتباهه لي ولو حتى لثانية واحدة يمكن أن يثير القشعريرة في جسدي.

بدأت أفكر أنه لم يكن عليَّ الالتفاف بالسيارة، لكني فعلت، وأنا هنا الآن، لذلك سأفتح نافذتي، وأبتلع توتري: «لن تصل حافلة جريهاوند (حافلة أمريكية للسفر للمسافات البعيدة) التالية قبل ثلاثة عشر يومًا على الأقل، هل تحتاج إلى توصيلة؟».

حدَّق ميلر إلى وجهي للحظة، ثم نظر خلفه نحو الطريق الفارغ، كأنه ينتظر خيارًا أفضل، مسح العرق عن جبينه، ثم نظر إلى اللافتة التي كان يمسك بها، تلك اللحظات من الترقب والقلق كانت دلالة واضحة أنني أهتم كثيرًا برأي ميلر آدامز، رغم محاولتي إقناع نفسي بعكس ذلك.

تضايقني الطريقة الغريبة التي نتعامل بها معًا، فرغم عدم حدوث أي شيء يستدعي ذلك على حد علمي، فإنه يتجنَّبني بشكل غريب كما لو كانت بيننا مشاكل فيما مضى، في حين أننا فعليًا لم نتحدث مع بعضنا من قبل، كأننا كنا مرتبطين مثلًا وانفصلنا، ولا أعرف الآن كيف أتعامل معه كصديق بعد الانفصال.

ورغم أني تمنيت ألا أهتم بمعرفة أي شيء عنه، فإن من الصعب عليَّ ألا أرغب في جذب انتباهه، لأنه مختلفٌ ولطيفٌ، خاصة الآن، وهو يضع قبعة « رينجرز» للخلف، وتظهر من تحتها خصلات من شعره الداكن، يبدو أنه فوَّت موعد قص شعره منذ مدة طويلة، فعادة ما يُبقي شعره أقصر، لكني لاحظت عندما عدنا للمدرسة أنه أصبح أطول كثيرًا خلال الصيف، أحب شكل شعره بهذا الطول، وأحبه قصيرًا أيضًا. اللعنة، هل كنت منتبهة لهذه الدرجة إلى قصة شعره؟ أشعر أني كنت أخدع نفسي بالتظاهر بعدم الاهتمام به.

كان يضع مصاصة فيٍ فمه، لم يكن ذلك غريبًا عليه، كنت أرى إدمانه للمصاصات مضحكًا، لكنه كان يعطي انطباعًا عنه أيضًا بأنه مغرورٌ، لا أعتقد أن الرجال غير الواثقين من أنفسهم قد يتجولون وهم يأكلون الحلوى مثلما يفعل، فدائمًا ما تكون في فمه مصاصة حين يأتي إلى المدرسة، وعادة ما يأكل واحدة أخرى في نهاية الغداء.

أخرج المصاصة من فمه، ولعق شفتيه، سرت القشعريرة في كل جزء من جسدي المتعرق البالغ من العمر ستة عشر عامًا الآن.

«هل يمكنكِ أن تأتي إلى هنا لحظة؟» سألني.

كنتُ على استعدادٍ لتوصيله، لكن الخروج من السيارة في هذا الجو الحار لم يكن جزءًا من خطتي، قلت له:

- لا، الجو حار.

لوَّح لي قائلًا: «سيستغرق الأمر بضع دقائق فقط، أسرعي قبل أن يتم القبض عليَّ».

لم أرغب حقًّا في الخروج من سيارتي، ندمت أنني لففت بالسيارة وعدت إليه، حتى لو أنني أجريت معه أخيرًا المحادثة التي طالما تمنيتُها، لكن يتساوى الأمران، فإجراء محادثة مع ميلر يكاد يماثل النسمات الباردة التي تأتيني من مكيف الهواء في سيارتي، لكني رغم ذلك أدرت عيني في ضيق بشكلٍ ملحوظٍ قبل أن أخرج من سيارتي، لأشعره بالتضحية الكبيرة التي قمت بها.

التصق القار المطلي به الرصيف حديثًا بنعل شبشبي، كان هذا الطريق قيد الإنشاء لعدة أشهر، وأنا متأكدة تمامًا أن حذائي تلف الآن بسببه، رفعت إحدى قدميّ، ونظرت إلى نعل حذائي المتسخ بالقار، وقلت بامتعاضٍ: «سأرسل إليكَ فاتورة شراء حذاءٍ جديدٍ».

نظر إلى شبشبي بتشكك قائلًا: «هذا ليس حذاءً».

نظرت إلى اللافتة التي كان يمسكها، كانت لافتة حدود المدينة، كانت مثبتة على قاعدة خشبية مؤقتة، وكانت القاعدة الخشبية مُثبتة بواسطة كيسين كبيرين من الرمال، فلم يتم تثبيت أي من اللافتات على هذا الطريق السريع بالأسمنت في الأرض بعد بسبب أعمال الإنشاء.

مسح ميلر قطرات العرق من جبينه، ثم رفع أحد أكياس الرمل وناوله لي قائلًا: «احملي هذا واتبعيني»، قلتُ بامتعاضٍ حين ألقى بكيس الرمل بين ذراعيَّ: «أتبعك إلى أين؟».

أشار برأسه ناحية الاتجاه الذي جئت منه قائلًا: «نحو عشرين قدمًا»، أعاد المصاصة إلى فمه، والتقط كيس الرمل الآخر ووضعه على كتفه من دون جهد، ثم بدأ يجر اللافتة خلفه، كانت القاعدة الخشبية تحك الرصيف، فتشققت أجزاء منها.

- هل تسرق لافتة حدود المدينة؟

- لا، أنا أنقلها فقط.

واصل السير، بينما وقفت في مكاني أحدق إليه وهو يجر اللافتة، كانت عضلات ساعديه بارزة، مما جعلني أتساءل كيف تبدو بقية عضلاته الآن، توقفي عن ذلك يا كلارا!، كان كيس الرمل يؤلم ذراعيَّ، والشهوة تُضعف كبريائي، لذا بدأت أتبعه على مضض لمسافة عشرين قدمًا، قلت له:

- أردت توصيلك فقط، لم تكن في نيتي أبدًا أن أكون متواطئة معك في أي من هذا.

أسند ميلر اللافتة في وضع عمودي، وألقى كيس الرمل على الألواح الخشبية، وأخذ كيس الرمل الآخر من بين ذراعيَّ، وأسقطه

في مكانه، وضبط اللافتة بحيث تكون في الاتجاه الصحيح، ثم أخرج المصاصة من فمه وابتسم قائلًا: «ممتاز، شكرًا لكِ».

مسح يديه في سرواله الجينز قائلًا: «هل يمكنكِ توصيلي إلى المنزل؟، أقسم أن درجة الحرارة ارتفعت عشر درجات في أثناء سيري إلى هنا، كان يجب أن أحضر شاحنتي».

أشرت إلى اللافتة وسألته: «لماذا قمنا بنقلها؟».

أدار قبعته، أنزل حافتها إلى أسفل لتحجب ضوء الشمس أكثر: «أعيش على بعد نحو ميل من هذا الطريق» قال واضعًا إبهامه على كتفه، ثم أردف: «مطعم البيتزا المفضل لي لا يوصِّل الطلبات خارج حدود المدينة، لذلك كنت أقوم بتحريك اللافتة قليلًا كل أسبوع، أحاول نقلها إلى الجانب الآخر من طريقنا قبل أن ينتهوا من البناء، ويعيدوا تثبيتها بالأسمنت في الأرض».

- هل تنقل حدود المدينة من أجل البيتزا؟

بدأ ميلر في السير باتجاه سيارتي قائلًا: «هذا مجرد ميلٍ».

- أليس العبث بلافتات الطرق غير قانوني؟

ربما، لا أعرف.

تبعته قائلة: «لماذا تقوم بتحريكها قليلًا كل مرة، لماذا لا تنقلها الآن مرة واحدة إلى الجانب الآخر من الطريق؟».

فتح باب السيارة قائلًا: «إذا حركتها بمقدارٍ ضئيلٍ، فلن يلاحظ أحد ذلك». أعجبتني الفكرة.

خلعت شبشبي الملطخ بالقار بمجرد أن دخلنا السيارة، ورفعت درجة حرارة المكيف، تجعدت أوراق اختباراتي تحت قدمي ميلر وهو يربط حزام مقعده، انحنى والتقطها، وبدأ يقلِّب بها ويطلع على درجاتي.

قال: «جميع درجاتك جيدة»، وضع الأوراق على المقعد الخلفي، وأردف قائلًا: «هل هذا سهل عليكِ، أم أنكِ تذاكرين كثيرًا؟».

- واو، أنت متطفلٌ، قليلٌ من كليهما.

كنت قد بدأت في قيادة السيارة عندما فتح ميلر مسند الذراع، واسترق النظر بداخله، بدا مثل جرو فضولي، سألته: «ماذا تفعل؟».

أخذ علبة مزيل العرق، وابتسم قائلًا «لحالات الطوارئ؟»، أزال الغطاء وشمَّها: «رائحته جيدة»، ألقاها مرة أخرى داخل المسند، ثم سحب علبة علك، وأخذ واحدة، وعزم عليَّ بواحدة، عزم عليَّ بواحدة من علكي!

هززت رأسي وأنا أراقبه وهو يتفقد سيارتي بتطفلٍ وقحٍ، لم يأكل العلكة، لأن المصاصة كانت لا تزال في فمه، لذلك وضعها في جيبه، وبدأ يقلِّب بين الأغاني في مشغل الموسيقى في سيارتي.

- هل أنت متطفل دومًا هكذا؟

«أنا طفل فقط» قال ذلك كأنه عذرٌ.

- ماذا تسمعين؟

قائمة الأغاني لديَّ عشوائية، لكن هذه الأغنية لـ «جريتا فان فليت».

رفع الصوت بعد انتهاء الأغنية، لذلك لم يكن هناك أي صوت، سألني: «هل هي مغنية جيدة؟».

- ليست مغنية، بل فرقة روك.

دوت مقطوعة الجيتار الافتتاحية للأغنية التالية عبر مكبِّر الصوت، ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه، صاح قائلًا: «كنت أتوقع شيئًا أكثر هدوءًا».

عاودت النظر إلى الطريق، متسائلة عما إذا كان ميلر آدامز هكذا طوال الوقت، عشوائيًّا، متطفلًا، وربما مفرط النشاط.

رغم أن مدرستنا ليست كبيرة، فإنه كان في سنة التخرج، لذلك لم يكن لديَّ أي حصص مشتركة معه، كنت أعرفه بما يكفي لأوقن أنه كان يتجنَّبني، لكني لم أمرّ بمثل هذا الموقف معه أبدًا، لم أتعامل معه عن قرب ووجهًا إلى وجه من قبل، لا أعرف ماذا كنت أتوقع أن يكون، لكنيّ بالتأكيد لم أتوقع هذا.

مدَّ يده ليأخذ شيئًا موضوعًا بين علبة مسند الذراع ومقعده، وقبل أن أدرك ما كان ذلك، قام بفتحه بالفعل، انتزعته منه وألقيته في المقعد الخلفي، سألني: «ما هذا؟».

كان ملفًّا يحوي جميع استمارات الالتحاق بالجامعة، لكني لم أرغب في مناقشة الأمر، لأن ذلك كان نقطة خلاف كبيرة بيني وبين والديَّ، لذا أجبته: «لا شيء».

- يبدو مثل استمارة التحاق بقسم المسرح في الجامعة، هل بدأتِ بالفعل في إرسال استمارات الالتحاق بالجامعة؟

«أنت فعلًا أكثر شخص متطفل قابلته في حياتي، والإجابة لا، أنا فقط أجمع هذه الاستمارات لأنَّي أريد أن أكون مستعدة» قلت له ذلك، ثم استطردت بيني وبين نفسي: «وأخفيهم في سيارتي لأن والديَّ قد يغضبان إذا علما مدى جديتي بشأن التمثيل»، سألته: «ألم تقدِّم طلبًا للالتحاق بأي مكان حتى الآن؟.

«بلى، قدمت في مدرسة السينما» أفتر ثغره عن ابتسامة وهو يقول ذلك، بدا لطيفًا حينها.

بدأ ينقر بيديه على لوحة عداد السيارة مع إيقاع الموسيقى، حاولت إبقاء عيني على الطريق، لكني شعرت أني منجذبة نحوه، أحسست بذلك ليس فقط لأنه آسر، ولكن أيضًا لأنني شعرت أنه في حاجة إلى من يعتني به، إلى جليسة أطفال!

جلس منتصبًا فجأة، أشعرني ذلك بالتوتر، لأني لم أعرف ما جعله يجفل هكذا، التقط هاتفه من جيبه الخلفي، ليرد على اتصالٍ لم أسمعه من الموسيقى، ضغط على زر الإيقاف في «الاستيريو»، وأخرج المصاصة من فمه، لم يتبقَّ منها شيء سوى قطعة صغيرة حمراء، قال مجيبًا هاتفه:

- هاي حبيبتي.

حبيبتي!، حاولت ألا أدير عيني شذرًا، حتمًا تلك هي شيلبي فيليبس حبيبته، فهما يتواعدان منذ نحو عام، وكانت تدرس في مدرستنا، لكنها تخرجت العام الماضي، والتحقَت بكلية على بُعد نحو خمس وأربعين دقيقة من هنا، ليس لديَّ مشكلة معها، لكني لم أتواصل معها أيضًا من قبل، فهي أكبر مني بعامين، ورغم أن العامين ليسا شيئًا يُذكر في حياة البالغين، فإنهما يعنيان الكثير في المرحلة الثانوية.

غصتُ في المقعد قليلًا حين عرفت أن ميلر يواعد فتاة جامعية، لا أعرف لِمَ أشعرني ذلك بالنقص، كما لو أن الالتحاق بالجامعة يجعل الشخص تلقائيًّا أكثر ذكاءً وإثارة للاهتمام من طالب في المدرسة الثانوية، أبقيت عيني على الطريق، رغم أنني أردت رؤية كل تعبير يرتسم على وجهه في أثناء المكالمة، لا أعرف لِمَ رغبت في ذلك.

قال: «في الطريق إلى المنزل»، صمت في انتظار ردها، ثم استطرد قائلًا: «ظننت أن ذلك في ليلة الغد»، صمت مرة أخرى، ثم قال: «تجاوزتِ ممر منزلي للتوِّ».

استغرق الأمر مني ثانية لأدرك أنه كان يحدثني أنا، نظرت إليه، وضع يده على هاتفه: «ممر منزلي في الخلف هناك»، ضغطت المكابح بسرعة، أمسك لوحة عداد السيارة بيده اليسرى، وهو يتمتم ضاحكا «تبًّا».

كنت منشغلة بالتنصت على محادثته لدرجة أنني نسيت ما كنت أفعله.

- لا، ذهبتُ لأتمشى، وأصبح الجو حارًّا جدًّا، فأوصلني أحدهم.

كان في إمكاني سماع شيلبي على الجانب الآخر، وهي تسأله: «من أوصلك؟».

نظر إليَّ لبرهة، ثم قال «شخصٌ ما لا أعرفه، سأتصل بكِ لاحقًا».

شخص ما؟ لدى أحدهم مشكلة ثقة.

أنهى ميلر المكالمة وأنا أدخل إلى ممر منزله، كانت المرة الأولى التي أرى فيها بيته، كنت أعرف المكان الذي يقطن به، لكني لم أستطع رؤية منزله بسبب صف الأشجار المتراصة في الممر، التي تخفي ما وراء ذلك الممر المرصوف بالحصى.

لم يكن المنزل مثلما توقعته، كان قديمًا وصغيرًا جدًّا، ومؤطرًا بالخشب، وفي حاجة ماسة إلى الطلاء، كانت هناك أرجوحة ومقعدان هزازان في الشرفة الأمامية، وهي الأشياء الوحيدة الجذابة في هذا المكان.

في الممر كانت هناك شاحنة زرقاء قديمة وسيارة أخرى -التي لم تكن قديمة بالقدر ذاته، ولكنها كانت بحالة أسوأ من المنزل- كانت مركونة في الجانب الأيمن من المنزل فوق قوالب طوب، وقد نمت الحشائش على جانبيها، مغطية هيكلها.

تفاجأت بذلك نوعًا ما، لا أعرف لِمَ، أعتقد أنني تصورت فقط أنه يعيش في منزلٍ فخمٍ به بركة في الفناء الخلفي، ومرآب يتسع لأربع سيارات، فالطلابُ في مدرستنا قاسون، ويحكمون على شعبية الشخص بناءً على مظهره ومدى ثرائه، لكن ربما تعوض شخصية ميلر افتقاره إلى الأموال، لأنه يبدو أنه يحظى بشعبية، ولم أسمع أحدًا من قبل تحدَّث عنه بشكلٍ سلبي.

- ليس كما توقعتِ؟

صدمتني جملته، أوقفت السيارة في نهاية الممر، وأنا أبذل قصارى جهدي للتظاهر بأن ما من شيء صدمني في منزله، غيَّرت الموضوع تمامًا، نظرت إليه مضيقة عينيَّ، وأنا أسأله: «شخص ما؟»، مكررة كلمته التي أشار بها إليَّ في أثناء مكالمته الهاتفية.

قال: «لن أخبر حبيبتي حتمًا أنكِ من أوصلتني»، ثم أردف: «فالأمر سيتحوَّل إلى تحقيقٍ لمدة ثلاث ساعات».

- تبدو علاقتكما مرحة وصحية.

- تكون كذلك عندما لا يتم استجوابي.

- إذا كنت تكره أن يتم استجوابك لهذه الدرجة، فربما لا يجب أن تعبث بحدود المدينة.

كان قد خرج من السيارة عندما قلت ذلك، لكنه انحنى لينظر إليَّ قبل أن يغلق الباب: «لن أذكر أنكِ كنتِ شريكتي، إذا وعدتني ألا تذكري أنني أقوم بتغيير حدود المدينة».

- اشترِ لي «شبشبًا» جديدًا، وسأنسى هذا اليوم تمامًا، كأنه لم يكن.

ابتسم قائلًا: «محفظتي بالداخل، اتبعيني».

كنت أمزح فقط، بالنظر إلى حالة المنزل الذي يعيش فيه، لم أكن أنوي أن آخذ نقودًا منه، لكن يبدو من ناحية أخرى أننا أسسنا بيننا علاقة تهكمية قوية، وبالتالي إذا أصبحت فجأة متعاطفة معه ورفضت أمواله، فربما يُشعره ذلك بالإهانة، ليس لديَّ مشكلة أن أهينه بطريقة مازحة، لكني لا أريد أن أجرح مشاعره فعلًا، بالإضافة إلى أنه لم يعُد في إمكاني الاعتراض لأنه مضى نحو منزله بالفعل.

تركت شبشبي في السيارة، فلم أرد تلطيخ منزله بالقار، تبعته حافية القدمين على السلالم القديمة، لاحظت تعفن خشب الدرجة الثانية، فتجاوزتها، لاحظ ذلك.

حين دخلنا غرفة المعيشة، خلع ميلر حذاءه الملطَّخ بالقار بجوار الباب الأمامي، شعرت بالارتياح حين وجدت أن وضع المنزل من الداخل أفضل بكثيرٍ من الخارج، كان نظيفًا ومرتبًا، لكن ديكوره بدا عالقًا في مرحلة الستينيات.

كان الأثاث قديمًا، كانت هناك أريكة برتقالية من اللباد بمواجهة أحد الجدران -وُضع غطاء أفغاني تقليدي مُحاك يدويًا على ظهرها- بينما كان هناك مقعدان لونهما أخضر شكلهما غير مريح تمامًا بمواجهة الجدار الآخر، بدا من شكلهما أنهما من منتصفً القرن، ولا أعني بذلك أنه أثاث ذو تصميم عصري، بل على العكس تمامًا، فقد شعرت أن الأثاث لم يتغيَّر منذً شرائه، من قبل حتى أن يُولد ميلر بفترة طويلة.

الشيء الوحيد الذي بدا جديدًا إلى حدٍ ما هو المقعد القابل للانحناء المواجه للتلفزيون، لكن الجالس فوقه يبدو أكبر عمرًا من الأثاث، لا أرى منه سوى جزءٍ من جانب وجهه، وأعلى رأسه الأصلع

المتغضن، لكن ما بقي في رأسه من شعرٍ قليلٍ كان لونه فضي لامع، كان نائمًا ويشخر.

كان الجو حارًّا داخل المنزل، أكثر حرارة من الخارج، كان الهواء الذي أتنفَّسه ساخنًا، وبه رائحة لحم خنزير مقدد، كانت نافذة غرفة المعيشة مرتفعة، وعلى جانبيها مروحتان موجهتان نحو الرجل، قد يكون جد ميلر، إذ يبدو أكبر عمرًا بكثيرٍ من أن يكون والده.

اجتاز ميلر غرفة المعيشة متجهًا ناحية الردهة، باتت فكرة أنني أتبعه لآخذ أموالًا منه تضايقني، كان الأمر مجرد مزحة، لكنه الآن يُسبِّب لي حرجًا شديدًا.

حين وصلنا غرفة نومه، فتح بابها ودخل، بينما بقيت أنا في الردهة، هبَّت نسمة هواء من غرفته، تطاير شعري من فوق كتفي، ورغم أنها كانت ساخنة، فإنها أشعرتني بالراحة.

جلت ببصري داخل غرفة ميلر، كانت أيضًا بحالة مختلفة تمامًا عن شكل المنزل من الخارج، كان بها فراشٌ كبير الحجم مواجهًا للجدار، ميلر ينام هناك، هناك بالضبط، على ذلك الفراش، يتقلب على تلك الملاءات البيضاء في الليل، أجبرت نفسي على النظر بعيدًا عن فراشه، نظرت إلى أعلى نحو ملصقٍ ضخم لفرقة البيتلز كان معلقًا في المكان الذي يوجد به ظهر السرير عادةً.

تساءلت عمَّا إذا كان ميلر من هواة الموسيقى القديمة، أم أن هذا الملصق موجود هنا منذ الستينيات، مثل أثاث غرفة المعيشة، فالمنزل قديمٌ للغاية، وليس لديَّ شكٌّ أن هذه الغرفة كانت غرفة جده حينما كان مراهقًا.

أكثر ما لفت انتباهي كانت تلك الكاميرا الموضوعة فوق الخزانة، فهي ليست كاميرا رخيصة، كما توجد بجوارها عدة عدسات بأحجامٍ مختلفة، فهذه المعدات قد تُثير حقد أي مصورٍ هاوٍ.

- هل تحب التصوير؟

تبع نظراتي المتركزة على الكاميرا، ثم أجابني: «نعم أحبه».

فتح الدرج العلوي لخزانته، ثم قال: «لكن الأفلام هي شغفي، أريد أن أكون مخرجًا»، نظر إليَّ واستطرد قائلًا: «أرغب بشدة في الالتحاق بجامعة تكساس، لكني أشك أن في إمكاني الحصول على منحة دراسية بها، وبالتالي ليس أمامي سوى كليات المجتمع».

ظننت أنه كان يمزح معي في السيارة، لكني أعرف الآن بعد أن رأيت غرفته أن ما أخبرني به كان حقيقيًّا، كانت هناك كومة من الكتب بجانب فراشه، كان أحدها يحمل عنوان «صناعة الأفلام» لـسيدني لوميت، دخلت الغرفة والتقطت الكتاب، وبدأت أقلِّب صفحاته، قال يقلدني:

- أنتِ فضولية جدًّا.

أدرت عيني بضيقٍ، ووضعت الكتاب جانبًا، سألته:

- هل كليات المجتمع بها قسمٌ مخصصٌ للسينما؟

هزَّ رأسه بالنفي: «لا، لكنها يمكن أن تكون خطوة تأخذني إلى مكان آخر به قسم للأفلام».

اقترب مني، ممسكًا بورقة نقدية من فئة العشرة دولارات بين أصابعه وهو يقول: «ذلك الحذاء ثمنه خمسة دولارات في وول مارت، اشتري ما تشائين».

ترددت في ذلك، لم أعد أريد أن آخذ تلك النقود منه، لاحظ ترددي، مما أثار استياؤه، أدار عينه في ضيقٍ، ودسَّ الورقة النقدية في الجيب الأمامي الأيسر لسروالي الجينز، وهو يقول بامتعاضٍ: «المنزل في حالة مزرية، لكنني لست مفلسًا، خذي الأموال».

ابتلعت ريقي بصعوبة، لقد وضع أصابعه للتوِّ في جيبي، وما زلت أشعر بها، رغم أنها لم تعد هناك، تنحنحت، وأجبرت نفسي على الابتسام. قائلة: «سعدت بالعمل معك».

أمال رأسه قائلًا: «فعلًا؟ يبدو عليكِ أنكِ تشعرين بالذنب بشدة لأنكِ أخذت أموالي».

أقوم بالتمثيل عادة بشكلٍ أفضل مما أفعله الآن، أحسست بخيبة أمل في نفسي.

مشيت نحو الباب، رغم أنني أردت إلقاء نظرة أفضل على غرفة نومه، قلت له:

- لا أشعر بالذنب، لقد خربت حذائي، أنت مدين لي.

خرجت من غرفته، ومشيت في الردهة، لم أتوقع أن يتبعني، لكنه تبعني، حين وصلت إلى غرفة المعيشة، توقفت، لم يعد الرجل العجوز جالسًا على المقعد، بل كان واقفًا في المطبخ بجوار الثلاجة، كان يفتح غطاء زجاجة الماء، نظر إليَّ بفضولٍ وهو يأخذ رشفة منها، خطا ميلر بجانبي، وسأله:

- هل أخذت أدويتك يا جرامبس؟

ناداه بـ «جرامبس»، كان ذلك لطيفًا جدًّا.

أدار جرامبس عينيه في ضيق وهو ينظر إلى ميلر، وقال: «آخذهم كل يومٍ لعين منذ أن هربت جدتك، وأنا لست مريضًا».

- لكن جدتي لم تهرب، بل ماتت بنوبة قلبية.

- في كلتا الحالتين تركتني.

نظر إليَّ ميلر بتوترٍ وغمز، لم أفهم ما قصده بغمزته، ربما للتخفيف من حقيقة أن جرامبس يبدو قليلًا مثل مستر نيبر كراكر (شخصية رئيسية في فيلم منزل الوحش)، وحتى يطمئنني أنه ليس مؤذيًا، فكرت أن ميلر تعلم السخرية من جرامبس.

«أنت مزعج» غمغم جرامبس مضيفًا: «أراهنك بعشرين دولارًا أنني سأعيش أكثر منك ومن كل جيلك الحائزين على جائزة داروين».

ضحك ميلر قائلًا: «انتبه يا جرامبس، أنت تظهر جانبك الدنيء».

نظر إليَّ جرامبس للحظة، ثم عاود النظر إلى ميلر قائلًا: «احذر يا ميلر، خيانتك لي تنكشف».

ضحك ميلر على هذا التلميح، لكني شعرت بالحرج.

- احذر يا جرامبس، الدوالي لديك بارزة.

قذف جرامبس غطاء زجاجة المياه في وجه ميلر: «سأحرمك من الميراث في وصيتي».

- أفعل ذلك، فدائمًا ما تقول إن الهواء هو الشيء الوحيد الذي تمتلكه.

هزَّ جرامبس كتفيه: «لن ترث الهواء إذن».

ضحكت أخيرًا، فلم أكن واثقة أنهما يمزحان معًا حتى ألقى جرامبس بالغطاء في وجه ميلر.

التقط ميلر الغطاء، واتجه نحوي قائلًا: «هذه كلارا جرانت، صديقتي من المدرسة».

- صديقة؟ حسنًا.

لوحت له قائلة: «سعيدة بمقابلتك».

أمال جرامبس رأسه قليلًا، ونظر إليَّ بجدية شديدة: «كلارا جرانت؟»، أومأت فقال: «عندما كان ميلر في السادسة من عمره، كان يتغوط في سرواله الداخلي في متجر البقالة، لأن صوت السيفون الآلي في المراحيض العامة كان يخيفه».

تنهد ميلر بامتعاض، وفتح الباب الأمامي، ونظر إليَّ قائلًا: «أخطأت حين أدخلتكِ المنزل».

أشار إليَّ لأخرج، لكني لم أغادر، قلت له ضاحكة: «لا أريد أن أغادر، أود سماع المزيد من الحكايات من جرامبس».

قال جرامبس: «لديَّ الكثير»، مضيفًا: «ستحبين هذه الحكاية، لديَّ مقطع فيديو له حين كان في الخامسة عشرة من عمره، وكنا في المدرسة..».

«جرامبس» قاطعه ميلر بسرعة: «خُذ قيلولة، مضى خمس دقائق على قيلولتك الأخيرة».

أمسك ميلر بمعصمي، ودفعني خارج المنزل، وأغلق الباب خلفه.

تمنيت لو يكمل القصة، أردت معرفة ماذا حدث، فقلت له: «انتظر، ماذا حدث عندما كنت في الخامسة عشرة؟».

هزَّ ميلر رأسه، بدا محرجًا: «لا شيء، أنه يختلق الهراء».

ابتسمت قائلة: «لا، أعتقد أنك من تختلق الهراء، أريد سماع هذه القصة».

وضع ميلر يده على كتفي، ودفعني تجاه سلالم الشرفة: «لن تعرفيها أبدًا، أبدًا».

قلت مغيظة له: «أنت لا تعرف مدى مثابرتي، أحببت جدك، وربما آتي لزيارته»، أردفت قائلة: «بمجرد أن تتغيَّر حدود المدينة، سأطلب بيتزا بالبيبروني والأناناس، وأستمع إلى جرامبس وهو يروي حكايات محرجة عنك».

«أناناس على البيتزا؟» هزَّ ميلر رأسه في خيبة أملٍ، ثم قال: «أنتِ غير مرحب بكِ هنا بعد الآن».

نزلت على السلالم، متخطية الدرجة المتعفنة ثانية، حين حطت قدميَّ على الأرضية العشبية بأمان، التفتُّ إليه قائلة: «لا يمكنك أن تملي عليَّ صداقاتي، كما أن الأناناس يكون لذيذًا على البيتزا، فهو المزيج المثالي بين الحلو والمالح».

أخرجت هاتفي: «هل لدى جرامبس حساب على إنستجرام؟».

أدار ميلر عينيه لكنه كان مبتسمًا: «أراكِ في المدرسة يا كلارا، لا تعودي إلى منزلي مرة أخرى أبدًا».

كنت أضحك وأنا أسير نحو سيارتي، حين فتحت بابها، استدرت، فوجدت ميلر يفحص هاتفه، لم ينظر إليَّ مرة أخرى، حين اختفى داخل منزله، رنَّ هاتفي بإشعارٍ من إنستجرام يقول: «بدأ ميلر آدامز بمتابعتك»، فابتسمت.

ربما أعطي الأمر أكبر من حجمه، ربما لا يكون ما أشعر به حقيقيًّا، اتصلت بخالتي جيني قبل أن أغادر ممر السيارات حتى.

الفصل الثالث
مورجان

«توقفي يا مورجان» شدَّت جيني السكين من يدي، ودفعتني بعيدًا عن لوح التقطيع قائلة: «اليوم عيد ميلادك، ولا يجب أن تقومي بأي شيء».

أسندت أردافي إلى المنضدة، وراقبتها وهي تُقطِّع الطماطم، جززت على أسناني وأنا أراها تُقطِّع الطماطم إلى شرائح سميكة جدًّا، لا تزال الأخت الكبيرة داخلي تود تولي زمام الأمور، وتصحيح ما تقوم به، حتى ونحن في مرحلة الثلاثينيات، لكن يمكنني فعلًا أن أُقطع شريحة واحدة من شرائحها إلى ثلاث شرائح طماطم.

- توقفي عن الحكم عليَّ.

- لا أحكم عليكِ.

- بلى، تفعلين، أنتِ تعرفين أنني لا أجيد الطهي.

- لهذا بادرت بتقطيع الطماطم.

رفعت جيني السكين كأنها ستطعنني، رفعتُ يديَّ بطريقة دفاعية، ثم اعتليت المنضدة.

«إذن» قالت جيني، وهي تنظر إليَّ بطرف عينيها، خمَّنتُ من نبرة صوتها ما كانت ستقوله، أمرٌ ما تعرف أنني لن أوافق عليه: «أنا وجونا قررنا أن نتزوج».

من المثير للدهشة أنني لم أبدِ أيَّ رد فعل ظاهري على كلامها، لكن جملتها كانت كمخالب تجوِّف معدتي من الداخل.

- هل طلب يدكِ للزواج؟

خفضت صوتها إلى حد الهمس لأن جونا كان جالسًا في غرفة المعيشة: «ليس بعد، ما زلنا نناقش الأمر، لكن من المنطقي أن تكون تلك خطوتنا التالية».

- يا للرومانسية!

ضيَّقت جيني عينيها: «هل كان طلب عرض زواجكِ مختلفًا؟».

- معكِ حق.

أكره حين تجيبني بمنطقية، لكنها محقة، لم أحظَ بعرض زواج خيالي أو حتى عادي، فحين أخبرت كريس أني حاملٌ، قال لي في اليوم التالي: «حسنًا، أعتقد أننا يجب أن نتزوج»، قلت له: «أعتقد ذلك»، وهكذا تم الأمر.

لقد مضى على زواجنا السعيد سبعة عشر عامًا حتى الآن، لذلك لا أعرف لِمَ أحكم على جيني بسبب الوضع الذي أدخلت نفسها به، لكن الأمر مختلفٌ، فجونا وكريس مختلفان تمامًا، كما أني كنت على الأقل على علاقة بكريس عندما حملت، لكني لست متأكدة حتى مما بين جونا وجيني، فهما لم يتحدثا معًا منذ الصيف الذي أعقب تخرجه، والآن يعود فجأة هكذا إلى حياتنا، وربما إلى عائلتنا!

مات والد جونا العام الماضي، ورغم أن أيًّا منَّا لم يره أو يتحدث إليه منذ سنواتٍ، فإن جيني قررت الذهاب إلى جنازته، وانتهى الأمر بقضائهما ليلةً عابرة معًا، لكنه عاد إلى منزله في مينيسوتا في اليوم التالي، وبعد مرور شهرٍ، اكتشفت جيني أنها حامل.مكتبة سُرمَن قرأ

احترمت جونا بسبب ما قام به حينها، فقد ترك حياته في مينيسوتا، وانتقل إلى هنا قبل شهر من موعد ولادة جيني، أي منذ ثلاثة أشهر فقط، لذا أعتقد أن ترددي نابعٌ من أني لا أعرف حقًّا من هو جونا في هذه المرحلة من حياته.

لقد تواعدا لمدة شهرين عندما كانت جيني في المدرسة الثانوية، والآن ينتقل كل هذه المسافة ليربي طفلًا معها، «كم مرة مارستما الجنس معًا؟» سألتها.

نظرت إليَّ جيني في صدمة، كأن سؤالي تطفلي جدًّا.

أدرت عيني بضيقٍ: «أوه، توقفي عن التصرف بتحفظٍ، أنا جادة، قضيتما ليلة واحدة عابرة معًا، ولم تريه بعدها حتى أصبحتِ حاملًا في الشهر التاسع، هل سمح لكِ طبيبكِ بذلك؟».

أومأت جيني برأسها قائلة: «الأسبوع الماضي».

«إذن؟» سألتها منتظرة أن تجيب عن سؤالي.

ثلاث مرات.

- بما فيهم تلك الليلة العابرة؟

هزَّت رأسها: «أعتقد أربعة، أو.. حسنًا، خمسة، تلك الليلة تحسب مرتين».

رائع، هما عمليًّا غريبان عن بعضهما، قلت لها:

- خمس مرات؟ والآن ستتزوجينه؟

انتهت جيني من تقطيع الطماطم، ووضعتها في طبقٍ، ثم بدأت تُقطع البصل، قالت:

- لم نلتقِ بالأمس، ثم أنكِ كنتِ تحبين جونا عندما كنت أواعده في المدرسة الثانوية، ولا أفهم ما مشكلتك معه الآن.

- فعلًا؟ لقد هجرك، وانتقل إلى مينيسوتا في اليوم التالي، واختفى لمدة سبعة عشر عامًا، ويريد فجأة الآن أن يدخل في علاقة جادة معكِ لبقية حياتكِ؟ أعتقد أن من الغريب أن تري رد فعلي غريبًا.

- لدينا طفلٌ يا مورجان، أليس ذلك سبب زواجك ذاته من كريس لمدة سبعة عشر عام؟

ها هي تجيبني بمنطقية مرة أخرى، رنَّ هاتفها، مسحت يديها وأخرجته من جيبها قائلة: «جبنا سيرة القط».

«هاي كلارا»، كان مكبر الصوت مفتوحًا، لذلك تضايقت حين سمعت كلارا وهي تقول: «أنتِ لستِ مع أمي، أليس كذلك؟»، اتسعت عينا جيني وهي تنظر إليَّ، مضت باتجاه باب المطبخ، وهي تقول: «لا»، ثم أغلقت مكبر الصوت، واختفت داخل غرفة المعيشة.

لا يضايقني أن كلارا تتصل دائمًا بأختي طلبًا لنصيحتها بدلًا من أن تسألني، لكن المشكلة أن جيني لا تعرف كيف تقدم النصائح لكلارا، فقد أمضت فترة العشرينيات من عمرها في الحفلات، وكانت تواجه صعوبات كبيرة في كلية التمريض، وجاءتني حين احتاجت إلى مكانٍ تقيم به.

وحين تتصل كلارا بجيني عادة لتخبرها بشيء مهمّ، ولا تعرف جيني بما تجيبها، فإنها تختلق عذرًا لتنهي المكالمة، ثم تتصل بي وتحكي لي كل شيء، فأخبرها بما تقوله لكلارا، وبعدها تعاود الاتصال بكلارا، وتقدم لها النصيحة كما لو كانت نصيحتها.

تعجبني هذه الخدعة، رغم أنني أفضِّل أكثر لو تسألني كلارا مباشرة عما تريد، لكني أتفهم الأمر، فأنا والدتها، بينما جيني هي خالتها اللطيفة، من الطبيعي ألا تريدني أن أعرف أشياءَ معينة، أتفهم

ذلك، ستموت لو علمت أنني أعرف بعض أسرارها، مثل أنها طلبت من جيني منذ بضعة أشهر أن تحجز لها موعدًا مع الطبيب ليعطيها وسيلة لمنع الحمل، تحسبًا لذلك.

نزلت من فوق المنضدة، وأكملت تقطيع البصل، فُتح باب المطبخ، ودخل جونا، نظر نحو لوح التقطيع: «طلبت مني جيني أن أقوم بذلك، لأنه ليس مسموحًا لكِ بفعل أي شيء».

أدرتُ عيني بضيقٍ، وألقيتُ السكين، مبتعدة عن طريقه، حدقت إلى يده اليسرى، متسائلة كيف سيبدو خاتم الزواج في إصبعه، يصعب عليَّ تخيُّل جونا سوليفان زوجًا، ما زلت لا أصدق ذلك.

لقد عاد إلى حياتنا، وها هو الآن في مطبخي، يقطع البصل على لوح التقطيع الذي أُهدي إلينا أنا وكريس في حفل زفافنا الذي لم يحضره جونا حتى.

- هل أنتِ بخيرٍ؟

نظرت إلى جونا، مال برأسه، وامتلأت عيناه الزرقاوان بالفضول وهو ينتظرني أن أجيبه، شعرت أن كل شيء داخلي يزداد سماكة، دمائي، لعابي، استيائي.

«نعم» ابتسمت ابتسامة خاطفة مؤكدة: «أنا بخيرٍ».

كنت في حاجة إلى التركيز في شيء آخر، أي شيءٍ آخر، سرت نحو الثلاجة وفتحتها، متظاهرة بالبحث عن شيء ما، تجنَّبت بنجاحٍ إجراء محادثة فردية معه منذ عودته، ولا أشعر بالرغبة في ذلك الآنً خاصة في عيد ميلادي.

فُتح باب المطبخ، ودخل كريس حاملًا مقلاة بها برجر طازج، أغلقت الثلاجة، وحدقت إلى باب المطبخ بينما يواصل التأرجح إلى الخلف والأمام بعد دخول كريس.

أكره هذا الباب أكثر من أي جزء آخر في المنزل، لا أقصد شيئًا سيئًا، فأنا ممتنة لوجود هذا المنزل، فقد منحه لنا والدا كريس هدية لزواجنا حين انتقلنا إلى فلوريدا، لكنه المنزل نفسه الذي نشأ فيه كريس ووالده وجده، فهو بمنزلة معلم تاريخي، خاصة مع وجود تلك اللافتة البيضاء الصغيرة في الخارجً التي كُتب عليها «شُيِّد عام 1918»، التي تذكِّرني كل يوم أن عمره يتجاوز القرن.

كل شيء به يذكِرني بمدى قدمه، ألواح أرضيته المتصدعة، وسباكته التي تحتاج إلى الإصلاح دومًا، حتى بعد أن قمنا بتجديده منذ ست سنوات.

أراد كريس الاحتفاظ بالتصميم الأصلي للمنزل بعد تجديده، لذلك وعلى الرغم من أننا جددنا الكثير من الأشياء به، فإن هذا لم يجدِ مع بقاء كل غرفة في المنزل بمعزلٍ عن باقي الغرف، كنت أريد فتح الغرف على بعضها، أشعر أحيانًا أنني لا أستطيع التنفس داخل هذا المنزل وحولي كل هذه الجدران.

لم أتمكَّن بالتأكيد من التنصت على المحادثة بين جيني وكلارا مثلما رغبت. وضع كريس مقلاة البرجر على الموقد: «سأحضر الباقي، وبعدها سيكون الطعام جاهزًا، هل أوشكت كلارا على العودة إلى المنزل؟».

- لا أعرف، اسأل جيني.

رفع كريس حاجبيه شاعرًا بغيرتي، خرج من المطبخ، واصل الباب تأرجحه، أوقفه جونا بقدمه ثم عاد ليقطّع الخضروات.

رغم أننا نحن الأربعة كنَّا أصدقاء مقربين بعضنا من بعض، فإن جونا يبدو أحيانًا كأنه غريبٌ عني، يبدو عادة الشخص نفسه، لكن باختلافات غير ملحوظة، حين كنَّا مراهقين، كان شعره أطول، كان طويلًا جدًّا، وكان يعقده أحيانًا على شكل ذيل حصان.

أصبح شعره الآن أقصر وذا لون بني غامقٍ، فَقَدَ بعض الخصلات العسلية التي كانت تظهر بشعره بنهاية كل صيفٍ، لكن لون شعره الغامق يُبرز زرقة عينيه أكثر، تبدو عيناه ودودتين دائمًا، حتى حين يكون غاضبًا، الشيء الوحيد الذي يبيِّن استيائه هو فكه النحيل حين يتشنج.

كريس نقيضه في كل شيء، فلديه شعرٌ أشقر وعينان لونهما أخضر زمردي، وفك لا تخفيه اللحية، إذ يتطلب عمله أن يحلق ذقنه، فيبدو ببشرته الناعمة أصغر بسنواتٍ من عمره، كما أن لديه غمازة ساحرة تظهر في منتصف ذقنه عندما يبتسم، أحب رؤيته وهو يبتسم، حتى بعد كل هذه السنوات من زواجنا.

عندما أقارن بين الاثنين، يصعب عليَّ تصديق أن كليهما في الخامسة والثلاثين، فلا يزال لدى كريس وجه طفولي يجعله يبدو في العشرينيات، بينما يبدو جونا في الخامسة والثلاثين، وقد زاد طوله بضع بوصات عما كان عليه في المدرسة الثانوية.

يجعلني ذلك أتساءل إلى أي مدى يبدو شكلي مختلفًا عما كنت عليه حين كنت مراهقة، أتمنى لو أني ما زلت أبدو شابة مثل كريس، لكني أشعر فعلًا أنني أكبر بكثيرٍ من ثلاثة وثلاثين عامًا، في الحقيقة أنا في الرابعة والثلاثين الآن.

مضى جونا ليجلب طبقًا من الخزانة، نظر إليَّ وظل محدقًا إليَّ، عرفت من نظرته أن لديه ما يود قوله، لكنه لن يقول شيئًا على الأرجح لأنه كتوم بطبيعته، فهو يفكر أكثر مما يتكلم.

«ماذا؟» قلت محدقة إليه منتظرة رده، لكنه هزَّ رأسه واستدار قائلًا: «لا شيء، لا تبالي».

- لا يمكنك أن تنظر إليَّ هكذا، ولا تخبرني بما كنت تريد قوله.

تنهد، كان يعطيني ظهره، وهو يمسك برأس الخس ويغرز السكين بها.

هذا عيد ميلادك، لا أريد فتح هذا الموضوع اليوم.

- فات أوان ذلك.

استدار مواجهًا لي مرة أخرى، بدا التردد في عينيه، لكنه استسلم وأخبرني بما يفكر به:

- منذ أن عدت وأنتِ تتجنَّبين التحدث معي.

واو! دخل في الموضوع مباشرة، شعرتُ بسخونة في صدري ورقبتي من شدة حرجي مما قاله، تنحنحت: «أتحدث معك الآن».

زم شفتيه كأنه يحاول أن يبقى صبورًا معي: «الأمر مختلف، الأشياء تبدو مختلفة».

ترددت كلماته في أرجاء المطبخ، وددت أن أتفاديها، لكن المطبخ صغير للغاية، قلت:

- مختلفة عن ماذا؟

مسح يديه في منشفة الصحون قائلًا: «مختلفة عما كانت عليه قبل أن أغادر، كنا نتحدث طوال الوقت».

كدت أسخر من جملته المُضحكة، اختلفت الأمور بالطبع، نحن بالغون الآن، لدينا حياة، وأولاد، ومسؤوليات، لا يمكننا العودة إلى أيام الصداقة الهانئة التي كنا نحظى بها وقتها.

- مضى أكثر من سبعة عشر عامًا، أظننتَ أنك بمجرد أن ترجع، ستعود الأوضاع بيننا نحن الأربعة كما كانت على الفور؟

هزَّ كتفيه: «عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه بيني وبين كريس، وبيني وبين جيني، أنتِ الوحيدة التي لم تعد الأمور بيننا كما كانت».

ترددت بين مغادرة المطبخ، والصراخ بكل الأشياء التي وددت قولها له منذ أن تركنا بهذه الطريقة الأنانية، أخذت رشفة من النبيذ لأمنع نفسي من التفوه بما أردت قوله، حدق إليَّ بعينين ممتلئتين بخيبة الأمل، وأنا أفكر فيما أقوله له، أو ربما كان يحدق إليَّ بازدراء، بغض النظر عما كان يشعر به، فتلك كانت النظرة ذاتها التي نظر إليَّ بها قبل ثوانٍ من رحيله واختفائه طوال كل السنوات الماضية، لم أعرف ما إذا كان يشعر بخيبة أمل في نفسه أم بي، مثلما لم أعرف إجابة ذلك السؤال وقتها أيضًا، تنهد، أحسست بثقل أفكاره غير المرتبة.

- آسف لأني رحلت بتلك الطريقة، لكن لا يمكنك أن تظلي غاضبة مني للأبد يا مورجان.

قال كلماته بهدوء، كأنه لا يريد أن يسمع أي شخص آخر حديثنا، ثم خرج من المطبخ.

تذكرت في هذه اللحظة الثقل الذي كنت أشعر به حين يكون بجواري، كان تقاسم الهواء نفسه معه يخنقني أحيانًا فيما مضى، كأنه كان يسحب بأنانية هواءً أكثر مما يحتاج إليه، ولا يُبقي لي أي هواء على الإطلاق.

عاد لي شعوري ذاته بالضيق ثانية، وها هو يحاوطني في مطبخي، رغم أنه خرج تاركًا الباب خلفه يتأرجح إلى الأمام والخلف، فإنني ما زلت أشعر بالثقل يكتم على صدري.

بمجرد أن أوقفت بقدمي باب المطبخ عن التأرجح، حتى دفعته جيني ثانية، أجلت التفكير في المحادثة التي رفضت المشاركة بها مع جونا لِمَا بعد، لأنني كنت في حاجة إلى أن أعرف كل ما قالته كلارا لأختي.

«لا شيء» قالت جيني باستخفافٍ مستطردة: «قامت بتوصيل شاب من مدرستها، وبدأ يتابعها على إنستجرام، وليست متأكدة مما إذا كان يغازلها أم لا».

- من هذا الشاب؟

هزَّت جيني كتفيها: «موريس؟ ميلر؟ لا أتذكر، اسمه الأخير آدامز».

دخل كريس المطبخ، وضع مقلاة أخرى على الموقد، قائلًا:

- ميلر آدامز؟ لماذا تتحدثان عن ميلر آدامز؟

سألته: هل تعرفه؟

رمقني بنظرة تعني أنني أعرفه، لكن اسمه لم يكن مألوفًا لي.

- ابن هانك.

- هانك؟ ألا يزال هناك أشخاص يدعون هانك في هذا العالم؟

أدار كريس عينيه: «بربك يا مورجان، هانك آدامز؟ كان معنا في المدرسة».

أتذكر الاسم إلى حدٍّ ما.

هزَّ كريس رأسه: «هو ذلك الولد الذي كان يبيع الحشيش لي، انتهى به الحال بأن ترك المدرسة في السنة الثالثة، وقُبض عليه لأنه قام بسرقة سيارة مدرس العلوم، والكثير من الأشياء الأخرى، من المؤكد أنه في السجن منذ بضع سنوات».

نظر كريس إلى جيني قائلًا: بسبب القيادة تحت تأثير الكحول، أو شيء من هذا القبيل، لِمَ تتحدثان عن ابنه؟ كلارا لا تواعده، أليس كذلك؟

أخرجت جيني إبريق الشاي المثلج من الثلاجة، وأغلقت الباب بفخذها قائلة: «لا، نحن نتحدث عن أحد المشاهير يدعى ميلر آدامز، بينما أنت تتحدث عن شخص محلي، نتحدث عن اثنين مختلفين».

تنفَّس كريس الصعداء: «الحمد لله، هذه آخر عائلة في العالم أود أن تكون على علاقة بها».

لا يأخذ كريس أي شيء يتعلق بابنته وشاب آخر ببساطة أبدًا، أخذ الشاي من جيني وخرج من المطبخ ليضعه على طاولة غرفة الطعام، ضحكت عندما تأكدت أن كريس لا يسمعني: «مشهور؟».

هزَّت جيني كتفيها: «لا أريد أن أسبِّب لها مشكلة».

لطالما كانت جيني سريعة البديهة، إنها بارعة في الارتجال لدرجة مرعبة، ألقيت نظرة على الباب لأتأكد أنه مغلق، وقلتُ:

- يظن جونا أنني أكرهه.

هزَّت جيني كتفيها: «أشعر بذلك أحيانًا».

- لم أكرهه أبدًا، أنتِ تعرفين ذلك، كل ما في الأمر أنكِ بالكاد تعرفينه.

- لدينا طفل.

إنجاب طفل يستغرق ثلاثين ثانية.

ضحكت جيني: «استغرق الأمر نحو ثلاث ساعات، إذا كنتِ ترغبين في معرفة ذلك».

أدرت عيني بضيقٍ: «لا أريد أن أعرف».

صاح كريس من غرفة الطعام ليخبرنا أن العشاء جاهزٌ، خرجت جيني من المطبخ حاملة البرجر، بينما وضعت باقي الخضراوات في طبقٍ، وحملته إلى المائدة، جلس كريس مقابل جيني، بينما جلستُ بجانب كريس، وجلس جونا قبالتي مباشرة.

نجحنا في تجنُّب التواصل البصري فيما بيننا ونحن نضع الطعام في أطباقنا، آمل أن يمضي باقي وقت العشاء بالطريقة ذاتها، هذا كل ما أريده فعلًا في عيد ميلادي، قليلًا من (أو من دون) التواصل البصري مع جونا سوليفان.

«هل أنتِ متحمسة للغد؟»، سأل كريس جيني، أومأت برأسها بشدة: «لا يمكنك تخيُّل مدى حماسي».

تعمل جيني ممرضة في المستشفى نفسها التي يرأس فيها كريس قسم مراقبة الجودة، وقد كانت في إجازة أمومة منذ ولادة إيليا قبل ستة أسابيع، وغدًا هو أول يوم عمل لها بعد الإجازة.

انفتح الباب الأمامي فجأة، ودخلت ليكسي صديقة كلارا المقربة، قالت:

بدأتم الأكل من دوني؟

- أنتِ متأخرة دومًا، نحن نبدأ من دونك دائمًا، أين كلارا؟».

- أعتقد أنها في الطريق إلى هنا، كنت سأركب معها، لكن أمي سمحت لي باستخدام السيارة.

ألقت ليكسي نظرة على الطاولة، أومأت برأسها تجاه جونا قائلة: «مرحبًا عمو المعلم».

«مرحبًا ليكسي» قال وقد بدا عليه الانزعاج من اللقب الذي نادته به.

حصل جونا على وظيفة مدرس تاريخ في مدرسة كلارا بعد عودته إلى هنا، ما زلت لا أصدق أنه يعمل معلمًا، لا أتذكر أبدًا أنه تحدث عن رغبته في أن يصبح معلمًا، لكني أعتقد أنه لم تكن أمامه الكثير من الخيارات في مدينتنا الصغيرة شرق تكساس حين قرر العودة ومساعدة جيني في تربية إيليا، لقد جاء من عالم الأعمال، لكن بالنهاية كل ما تحتاج إليه لتصبح معلمًا هنا هو درجة البكالوريوس وطلب توظيف، فهناك نقص في المعلمين لدينا، بسبب نطاق الأجور السيئ.

«أواثقة أنكِ ليس لديكِ مشكلة في جلوس إيليا معكِ هذا الأسبوع؟» سألتني جيني.

- أبدًا، يسعدني ذلك.

كنت سعيدة فعلًا، فسوف يكون في الحضانة بدءًا من الأسبوع المقبل، لذلك وافقت أن يبقى معي طوال الأربعة أيام التي ستعمل بها جيني هذا الأسبوع.

أندهش أحيانًا أننا لم ننجب طفلًا آخر بعد كلارا، تحدثنا في ذلك أنا وكريس، لكننا لم نكن على الموجة نفسها أبدًا في الوقت نفسه، كان هناك وقت أردت به طفلًا آخر، لكنه كان يعمل كثيرًا، ولم يكن مستعدًّا لذلك، وعندما أصبحت كلارا في الثالثة عشرة، طرح كريس فكرة إنجاب طفل آخر، لكن بدت فكرة أن يكون لديَّ طفل رضيع وفتاة مراهقة في الوقت نفسه مرعبة، لم نتحدث في الموضوع منذ ذلك

الحين، والآن بعد أن بلغت الرابعة والثلاثين، لست واثقة أنني أريد البدء من جديدٍ.

إيليا هو الحل الأمثل بالنسبة إليَّ، طفل بدوام جزئي، ألعب معه، ثم أعيده إلى منزله.

- من المؤسف جدًّا أنني ما زلت في المدرسة الثانوية، سأكون جليسة أطفال رائعة.

قالت ليكسي، فأدارت جيني عينيها: «ألستِ أنتِ من وضع كلبًا غريبًا في حديقتي الخلفية لأنكِ ظننتِ أنه كلبي؟».

- كان يشبه كلبكِ.

- ليس لديَّ كلب أصلًا.

هزَّت ليكسي كتفيها: «ظننتُ أن لديك واحدًا، اعذريني لأنني استباقية».

جلست ليكسي على مقعدها بعد أن أعدت طبقها قائلة: «لا يمكنني البقاء طويلًا، لديَّ موعد من تندر».

تمتمت جيني: «ما زلت لا أصدق أنكِ على تندر، أنتِ في السادسة عشرة، ألا يجب أن تكوني في الثامنة عشرة حتى تفتحي حسابًا عليه؟

ابتسمت ليكسي: «أنا في الثامنة عشرة على تندر، وعلى سيرة الأشياء التي تدهشنا، لا أزال مصدومة من فكرة أن لديكِ الحبيب ذاته لأكثر من ليلة، ذلك ليس من عادتك أبدًا»، نظرت ليكسي إلى جونا: «لا أقصد الإساءة».

«لا بأس» قال جونا.

دائمًا ما كانت ليكسي وجيني تتمازحان بهذه الطريقة، كانت طريقتهما معًا تُضحكني، ربما لأنهما تشبهان بعضهما جدًّا، فجيني

كان لديها صفوفٌ من الأحباء خلال العشرينيات من عمرها، ولو كان تطبيق «تندر» موجودًا وقتها، لكانت جيني «ملكة تندر».

لم يكن الأمر كذلك بالنسبة إليَّ، فكريس هو الرجل الوحيد الذي واعدته، والرجل الوحيد الذي قبَّلته، يحدث هذا عندما تقابلين الرجل الذي ستتزوجينه في سن مبكرة، اللعنة، لقد قابلت كريس قبل أن أعرف حتى ما أريد أن أدرسه في الكلية.

أعتقد أن هذا لا يهم، لأنني لم أبقَ في الكلية طويلًا، فحملي بكلارا في سن صغير أجَّل كل أحلامي، أفكر كثيرًا في هذا الأمر مؤخرًا، فبينما تكبر كلارا، يزداد شعوري بذلك الخواء العميق داخلي، الخواء الذي يمتص حياتي يومًا بعد يوم، بينما لا أفعل شيئًا سوى العيش من أجل كريس وكلارا.

وصلت كلارا أخيرًا أثناء جلدي لذاتي، وقفت على بُعد نحو خمسة أقدام من الطاولة، متجاهلة كل شخص وشيء حولها، بينما تمرر إصبعها على شاشة هاتفها.

«أين كنتِ؟» سألها كريس.

كانت متأخرة بنحو ثلاثين دقيقة فقط عن المعتاد، لكنه لاحظ تأخرها.

«آسفة» قالت وهي تضع هاتفها على الطاولة بجوار هاتف ليكسي، مدَّت يدها فوق كتف جونا لتأخذ طبقها، وأردفت قائلة: «كان لديَّ اجتماع خاص بالمسرح بعد المدرسة، ثم قمت بتوصيل أحد زملائي في المدرسة». ابتسمت لي قائلة: «كل سنة وأنتِ طيبة يا ماما».

- شكرًا لكِ.

«من الذي أوصلته؟» سألها كريس.

نظرنا أنا وجيني إحدانا إلى الأخرى عندما قالت كلارا: «ميلر آدامز»، اللعنة، أسقط كريس شوكته في طبقه، بينما قالت ليكسي: «ماذا؟ لماذا لم تتصلي بي لتخبريني بذلك؟».

نظر كريس إلى جيني ثم إليّ، كأنه كان سيؤنبنا لأننا كذبنا عليه، أمسكت بساقه من تحت الطاولة، لأنبِّهه أنني لا أريده أن يذكر أننا كنَّا نتحدث عن ذلك، هو يعرف جيدًا مثلي أن جيني مصدر جيد لمعرفة ما يحدث في حياة ابنتنا، وإذا كشف أنها كانت تخبرني بما دار بينهما في المكالمة، فسوف ندفع جميعًا الثمن.

سألها كريس: «ولماذا توصلين ميلر آدامز؟».

«أجل» قالت ليكسي مضيفة: «لماذا قمتِ بتوصيل ميلر آدامز، لا تفوتي تفصيلة واحدة».

تجاهلت كلارا ليكسي، وأجابت فقط عن سؤال والدها: «أوصلته مسافة ميل واحد، لماذا يضايقك ذلك إلى تلك الدرجة؟».

«لا تفعلي ذلك ثانية» قال كريس.

«أصوِّت لصالح أن تفعلي ذلك مرة أخرى» قالت ليكسي.

نظرت كلارا إلى كريس بدهشة: «كان الجو حارًّا في الخارج، لم أكن سأتركه يمشي».

رفع كريس حاجبه، وهو أمر لا يفعله كثيرًا: «لا أريد أن تكون لكِ صلة به، كما لا يجب أن توصلي الرجال، هذا ليس آمنًا».

«والدكِ محقٌّ» قالت ليكسي مضيفة: «قومي بتوصيل الرجال الجذابين عندما أكون معكِ فقط».

غاصت كلارا في مقعدها مديرة عينيها في ضيقٍ: «يا إلهي، هو ليس غريبًا يا أبي، وأنا لا أواعده، يواعد فتاة منذ عامٍ».

«أجل، لكن حبيبته في الكلية، وبالتالي لن تقف في طريقك» قالت ليكسي.

«ليكسي» نطق كريس اسمها بنبرة تحذيرية.

أومأت ليكسي برأسها، ومررت أصابعها على فمها بتلك الحركة كأن شفتيها سحاب تُغلقه.

كنت مصدومة قليلًا من أن كلارا تجلس هنا وتتعامل كأنها لم تتصل بجيني منذ قليلٍ، كأنها لم تكن متوترة من مغازلة هذا الفتى لها، كانت تتظاهر أمام كريس وليكسي أنها غير مهتمة بالأمر، لكني أعرف من جيني أن الأمر يهمها.

حدقت إلى كلارا بإعجابٍ لقدرتها على التظاهر بعكس ما تشعر به، لكن هذا الإعجاب كان يشوبه بعض الضيق، كنت معجبة بقدرتها على الكذب بقدر إعجابي بقدرة جيني على الكذب، لكن ذلك أمرٌ مرعبٌ، لا أستطيع أن أكذب حتى لو كانت حياتي متوقفة على ذلك، أشعر بالتوتر، ويحمر خدَّاي، وأفعل كل ما بوسعي لأتجنب المواجهة.

- لا يهمني إذا كان أعزب أو متزوجًا أو مليارديرًا، سأكون شاكرًا إذا لم تقومي بتوصيله مرة أخرى.

مررت ليكسي أصابعها على فمها كأنها تفتح السحاب الخيالي على شفتيها: «أنت والدها، لا يجب أن تقول ذلك بهذه الطريقة، إذا منعت شابًّا عن فتاة مراهقة، فهذا سيزيد رغبتها فيه».

أشار كريس بشوكته نحو ليكسي، وأشاح بنظره بعيدًا قائلًا: «من الذي يدعوها؟».

ضحكت، لكني كنت أعلم أن ليكسي محقة، لن ينتهي الأمر بشكلٍ جيدٍ إذا واصل كريس التحدث في هذا الموضوع، فكلارا

معجبة بهذا الشاب، والآن والدها يمنعها عنه، يجب أن أنبّه كريس لاحقًا ألا يثير هذا الموضوع مرة أخرى، إذا كان لا يريد أَن يصبح هانك آدامز حمى كلارا في المستقبل.

«أشعر أن هناك شيئًا لا أفهمه» قال جونا مضيفًا: «ما السيئ جدًّا في ميلر آدامز؟».

«لا شيء، وليس هناك ما هو سيئ به» قالت كلارا مؤكدة: «كل ما في الأمر أن والديَّ يبالغان في حمايتي كالمعتاد».

كانت محقة، لم تحمني أمي عندما كنت طفلة بأي شكلٍ من الأشكال، وهذا أحد أسباب حملي في كلارا في السابعة عشرة، لهذا نبالغ أنا وكريس في حماية كلارا في بعض الأحيان، نحن معترفون بذلك، لكن كلارا ابنتنا الوحيدة، ولا نريد أن ينتهي بها الحال مثلنا.

«ميلر ولدٌ جيدٌ» قال جونا مضيفًا: «هو طالب لديَّ في الفصل، لا يشبه هانك في أي شيء حين كان في مثل عمره».

- تقابله في الفصل لمدة أربعين دقيقة في اليوم، لا يمكنك أن تعرفه جيدًا، من شابه أباه فما ظلم.

حدق جونا إلى كريس بعد قوله هذا، لكنه قرر عدم مواصلة الحديث، فأحيانًا عندما يريد كريس إثبات وجهة نظره لا يتوقف إلا إذا استسلم الشخص الذي يجادله، أتذكر أنهما كانا دومًا «ناقرًا ونقيرًا» عندما كنا أصغر عمرًا، كان جونا الشخص الوحيد الذي لا يستسلم ويدع كريس ينتصر، لكن شيئًا ما تغيَّر به منذ عودته، أصبح أكثر هدوءًا مع كريس، ويترك له الكلمة الأخيرة دائمًا، لا أرى ذلك ضعفًا، بل يعجبني ذلك في الحقيقة.

يتعامل كريس في بعض الأحيان كأنه المراهق سريع الغضب الذي كانه عندما التقيته، بينما يبدو أن جونا تخطى تلك المرحلة، كأن محاولة إثبات أن كريس على خطأ باتت تمثِّل له إهدارًا للوقت، قد يكون هذا سببًا آخر أنني لم أحب عودة جونا، فأنا لا أحب رؤية كريس بعينيه.

«ما الذي يجعلك تقول عنه ذلك؟ من شابه أباه فما ظلم» سألته كلارا مستطردة: «ما خطب والدي ميلر؟».

هزَّ كريس رأسه: «لا تشغلي بالك بذلك».

هزَّت كلارا كتفيها، وأخذت قضمة من البرجر، فرحت لأنها تجاهلت الأمر، فهي تشبه كريس كثيرًا في هذا، ويمكن أن تكون تنافسية في بعض الأحيان، ولا يمكنك أن تعرف أبدًا الطريقة التي ستسير بها الأمور معها.

أنا على الجانب الآخر لست تنافسية على الإطلاق، يزعج ذلك كريس أحيانًا، فهو يحب أن يثبت أنه على صواب، لذلك حين أستسلم ولا أعطيه الفرصة لذلك، يشعر كأنني انتصرت عليه، ففي بعض الأحيان عليك أن تنسحب من المعركة حتى تنتصر بها، هذا أول شيء تعلَّمته بعد زواجي منه.

بدا جونا مستعدًّا لتجاوز هذه المحادثة مثلنا جميعًا: «لم تسلمي استمارة التقديم لمشروع فيلم (UIL)».[1]

«أعلم» قالت كلارا.

غدًا الموعد النهائي.

---

(1) UIL هي منظمة تدير جميع المسابقات الرياضية والموسيقية والأكاديمية للمدارس العامة الابتدائية والثانوية في ولاية تكساس.

«لا أجد أحدًا ليسجل معي في المشروع، ومن الصعب جدًّا أن أنفذه بمفردي».

يضايقني تشجيع جونا لها في ذلك، فكلارا تريد الالتحاق بالجامعة ودراسة التمثيل، ليس لديَّ شك أنها ستكون جيدة في هذا، لأنها رائعة على خشبة المسرح، لكني أعرف أيضًا احتمالات النجاح في مثل هذه الصناعة التنافسية، فحتى لو كنت واحدًا من القلائل الذين سيحالفهم النجاح بها، سيكون هناك ثمن للشهرة، وليس هذا ما أريده لابنتي، نود أنا وكريس أن يكون التمثيل شيئًا جانبيًّا لعملٍ يحقق لها الاستقرار المالي.

«ألا تريدين مساعدتها في ذلك؟» سأل جونا ليكسي.

- أنا لا، أعمل كثيرًا جدًّا.

عاود جونا النظر إلى كلارا قائلًا: «قابليني غدًا قبل الحصة الأولى، هناك طالبٌ آخر يبحث عن شريكٍ، سأرى ما إذا كان مهتمًّا».

أومأت كلارا برأسها، بينما كانت ليكسي تلف باقي طعامها من البرجر، سألتها كلارا:

- أين ستذهبين؟

«لديها موعدٌ من تندر» أجابت جيني نيابة عنها.

ضحكت كلارا: «هل هو في مثل عمرنا على الأقل؟».

«طبعًا، تعرفين أني أكره طلاب الكلية، تنبعث منهم جميعًا رائحة البيرة»، مالت ليكسي وهمست بشيء في أذن كلارا، ضحكت كلارا، ثم غادرت ليكسي.

بدأت كلارا بطرح أسئلة على جونا حول متطلبات مشروع الفيلم، وأخذت جيني تتحدث مع كريس حول كل ما فاتها في المستشفى في أثناء إجازة الأمومة، بينما لم أجد من أتحدث إليه، تناولت طعامي بلا شهية.

هذا عيد ميلادي، وحولي كل الأشخاص المهمّين لي، لكن لسببٍ ما أشعر بالوحدة أكثر من أي وقت مضى، من المفترض أن أكونَ سعيدة الآن، لكن هناك شيئًا خاطئًا، ولا أستطيع أن أعرف ما هو، ربما أشعر بالملل، أو الأسوأ من ذلك، ربما أكون مملَّة.

يمكن أن تفعل بنا ذلك أعياد الميلاد، فطوال اليوم وأنا أفكر في حياتي، وأفكر أنني أحتاج إلى شيء خاص بي، فبعد أن حملت بكلارا في عمر صغير جدًّا، تزوجنا أنا وكريس، ومنذ تخرجه من الكلية وهو يتولى أمورنا المالية، بينما توليت أنا مسؤوليات المنزل، لكن كلارا ستتم السابعة عشرة خلال شهرين، وجيني لديها وظيفة وطفلٌ جديدٌ، وعلى وشك أن يكون لديها زوجٌ أيضًا، كما حصل كريس على ترقية منذ ثلاثة أشهر، وأصبح يقضي وقتًا أطول في المكتب الآن، فماذا سأفعل أنا عندما تكون كلارا في الكلية؟

ظللت أفكر في شكل حياتي لمدة ساعة بعد العشاء، دخل جونا المطبخ بينما كنت أملأ غسالة الصحون، أوقف الباب قبل أن يبدأ حتى في التأرجح، كنت أقدِّر أمرين به، أنه أب جيد، وأنه يكره باب مطبخي، ربما لا يزال هناك أمل في عودة صداقتنا.

كان يحمل إيليا على صدره: «أعطيني قماشة مبلَّلة من فضلك».

رأيت «قشطًا» على قميصه، بلَّلت قماشة وأعطيتها إياه، وأخذت إيليا منه حتى ينظف قميصه، نظرت إلى إيليا وابتسمت له، كان يشبه كلارا قليلًا عندما كانت في هذا العمر، لديه شعر أشقر ناعم، وأعين زرقاء داكنة، ورأس مستدير صغير.

أخذت أهدهده، يا له من طفل جميل، أهدأ من كلارا، كانت تعاني من مغص وتبكي طوال الوقت، لكن إيليا ينام ويأكل ويبكي قليلًا جدًّا، لدرجة أن جيني تتصل بي أحيانًا حين يبكي، لتُسمعني صوته اللطيف حين يكون منزعجًا.

رفعت بصري، فوجدت جونا ينظر إلينا، أشاح ببصره بعيدًا، أمسك حقيبة الحفاضات قائلًا: «أحضرت لكِ هدية».

شعرتُ بالحيرة، فقبل العشاء بدا متوترًا جدًّا معي، وها هو الآن يقدم لي هدية عيد ميلادي، أعطاني هدية غير مغلفة، كيس «زيبلوك» كبيرًا مليئًا بـ...الحلوى! كم عمرنا، اثنا عشر عامًا؟

استغرق الأمر مني لحظة حتى أدركت ما بداخل الكيس، كانت حلوى «جولي رانشر» بنكهة البطيخ، أردت أن أبتسم، لكني عبست بدلًا من ذلك، أنه يتذكر ذلك.

تنحنح جونا، رمى القماشة في الحوض، وأخذ إيليا مني قائلًا: «نوشك أن نعود للمنزل، كل سنة وأنتِ طيبة يا مورجان»، ابتسمت، ربما كانت تلك هي الابتسامة الحقيقية الوحيدة التي ابتسمتها له منذ عودته، نظرنا إلى بعضنا لخمس ثوانٍ، ابتسم لي، وأومأت برأسي، ثم غادر.

لا أعرف بالضبط ما تعنيه تلك الثواني الخمس، لكن ربما توصلنا إلى نوع من الهدنة بيننا، إنه يحاول فعلًا، فهو رائع مع جيني ومع إيليا، كما أنه أحد معلمي كلارا المفضَّلين، فلماذا- رغم أنه رائعٌ جدًّا مع كل من أحبهم- تمنيت ألا يكون في حياتنا؟ بمجرد أن غادرت جيني وجونا وإيليا، دخلت كلارا غرفتها، حيث تقضي أغلب أمسياتها، كانت فيما مضى ترغب في قضاء أمسياتها معي، لكن ذلك تغيَّر بعدما بلغت نحو الرابعة عشرة.

يقضي كريس أمسياته أمام الآيباد، يشاهد نتفليكس أو المباريات، بينما أضيع وقتي في مشاهدة التلفزيون مرارًا وتكرارًا، المسلسلات ذاتها كل ليلة، أيامي مكررة جدًّا، أذهب إلى الفراش في الوقت نفسه كل ليلة، أستيقظ في الوقت ذاته كل صباح، أذهب إلى صالة الألعاب الرياضية نفسها، أقوم بالتمارين المعتادة ذاتها، أؤدي المهام المتكررة، وأطهو الوجبات نفسها.

ربما تنتابني هذه الأفكار لأن اليوم عيد ميلادي الرابع والثلاثين، فمنذ أن استيقظت في الصباح وأنا أشعر كأن هناك سحابة معلقة فوقي، كل من حولي لديه هدف، في حين أني بلغت الرابعة والثلاثين، وليس لديَّ حياة على الإطلاق بعيدًا عن كلارا وكريس، لم يكن عليَّ أن أكون مملة في حياتي إلى هذه الدرجة، فبعض أصدقائي من المدرسة الثانوية لم يكوِّنوا أسرًا بعد، في حين ستغادر ابنتي المنزل في غضون واحد وعشرين شهرًا.

دخل كريس المطبخ، وأخذ زجاجة مياه من الثلاجة، التقط كيس الـ «جولي رانشر» فاحصًا إياه، قال:

- لماذا اشتريتِ كيسًا كاملًا بأسوأ نكهة؟

هذا هدية من جونا.

ضحك وألقى الكيس على المنضدة: «يا لها من هدية بشعة».

حاولت ألا أفكر كثيرًا في حقيقة أنه لا يتذكر أن البطيخ نكهتي المفضلة، فأنا لا أتذكر بالضرورة كل الأشياء التي أحبها عندما التقينا أول مرة.

- سأتأخر غدًا، لا تتعبي نفسك في تحضير العشاء.

أومأت برأسي، لكني كنت أعددته بالفعل، كان في الموقد، لكني لم أخبره بذلك، مضى نحو باب المطبخ، «كريس»، توقف ونظر إليَّ، فقلت:

أفكر في العودة إلى الكلية.

- لِمَ؟

هززت كتفي: «لا أعرف حتى الآن».

أمال رأسه: « لكن لماذا الآن؟ أنتِ في الرابعة والثلاثين من عمرك».

شعر كريس على الفور بالندم على ما قاله، بعدما رأى كم آذتني كلماته، جذبني ناحيته ليحتضنني: «أخطأت فيما قلته، أنا آسف»، قبَّلني على جانب رأسي، واستطرد: «لم أكن أعرف فقط أنكِ ما زلتِ مهتمة بذلك، لأنني أكسب الكثير من الأموال التي تكفينا، لكن إذا كنتِ تودين الحصول على شهادة-قبَّلني على جبهتي- فاذهبي إلى الكلية، سآخذ حمامًا».

خرج من المطبخ، بينما ظللت محدقة إلى باب المطبخ وهو يتأرجح إلى الأمام والخلف، أنا حقًّا أكره هذا الباب.

أريد أن أبيع هذا المنزل وأبدأ من جديدٍ، لكن كريس لن يقبل أبدًا، رغم أن ذلك قد يساعدني على إيجاد شيء أفرغ طاقتي به، فبداخلي الآن طاقة غضب مكبوتة، ولا أفكر في شيء سوى أنني أريد باب مطبخ جديدًا.

ربما أخلع الباب غدًا، أفضِل ألَّا يكون لديَّ باب على الإطلاق على أن يكون لديَّ باب لا يُشبه الأبواب في شيء، فالأبواب يجب أن تُصفق عندما تكون غاضبًا.

فتحت واحدة من حلوى الـ «جولي رانشر»، ودسستها في فمي، أشعرني مذاقها بالحنين، تذكرت عندما كنًّا مراهقين، اشتقت إلى تلك الليالي التي كنًّا نذهب فيها نحن الأربعة في جولة بسيارة جونا، أنا وكريس في المقعد الخلفي، وجيني في المقعد الأمامي، كان جونا يحب الـ«جولي رانشر»، لذلك كان يحتفظ دائمًا بكيسٍ منه في علبة مسند ذراع السيارة.

لم يأكل واحدة بنكهة البطيخ قطُّ، كانت أقل النكهات تفضيلًا لديه، بينما كانت نكهتي المفضلة، لذلك كان يتركها دومًا لي.

لا أصدق أنه مضى كل هذا الوقت منذ أن كانت لديَّ نكهة مفضَّلة، أقسم أنني أنسى أحيانًا من كنت، أو ما كنت أحبه قبل أن أحمل بكلارا، كأنني أصبحت شخصًا آخر في ذلك اليوم الذي اكتشفت فيه أنني حامل، لكني أعتقد أن هذا يحدث لكل الأمهات، فلا يعد تركيزك منصبًّا على ذاتك، بل تصبح حياتكِ كلها ملكًا لهذا المخلوق الصغير الجميل الذي أنجبته.

دخلت كلارا المطبخ، لم تعُد ذلك الكائن الصغير الجميل، صارت فتاة كبيرة وجميلة، أشتاق أحيانًا إلى أيام طفولتها، عندما كانت تجلس على حجري، أو حينما كنت أهدهدها في الفراش حتى تنام.

أمسكت كلارا بكيس الحلوى قائلة: «الله، جولي رانشرز»، أخذت واحدة منه، مضت نحو الثلاجة، فتحتها وسألتني: «هل يمكن أن أشرب صودا؟».

الوقت متأخر، لا داعي للكافيين.

استدارت كلارا ونظرت إليَّ: «لكن اليوم عيد ميلادك، ولم نُعد بعد لوحة عيد الميلاد».

نسيت لوحة عيد الميلاد، فرحت للمرة الأولى اليوم: «أنتِ محقة، اجلبي لي صودا أيضًا»، ابتسمت كلارا، مضيت نحو الخزانة، وأخرجت لوحة عيد ميلادي، قد تكون كلارا قد كبرت الآن على أن أهدهدها حتى تنام، لكنها لا تزال تشعر بالحماس لعاداتنا مثلي على الأقل.

بدأنا هذه العادة عندما كانت كلارا في الثامنة من عمرها، لا يشاركنا كريس بها، لذلك نقومٍ بها أنا وكلارا مرتين في السنة، هي مثل لوحة الأحلام[1]، لكن بدلًا من صنعٍ لوحة جديدة كل عام، نقوم بإضافة ما نريد إلى اللوحة نفسها، كلٌّ منَّا لديه لوحته، ونضيفً إليها ما نريد في أعياد ميلادنا فقط، عيد ميلاد كلارا لا يزال أمامه شهرين، لذا أخرجت لوحتي، وتركت لوحتها في الخزانة.

جلست كلارا بجواري إلى طاولة المطبخ، اختارت القلم الأرجواني، قبل أن تبدأ في الكتابة ألقت نظرة على الأشياء التي وضعناها على اللوحة على مرِّ السنين، مرَّرت أصابعها على شيء كتبته على لوحتي عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها (آمل أن تحمل أمي هذا العام)، كانت قد قصت صورة صغيرة لخشخيشة، ولصقتها بجانب أمنيتها.

- لم يفت الأوان بعد لتجعليني أختًا كبيرة، أنتِ في الرابعة والثلاثين فحسب.

- لن يحدث ذلك.

ضحكت، ألقيت نظرة على اللوحة، كنت أبحث عن أحد الأهداف التي كتبتها لنفسي العام الماضي، وجدتُ الصورة التي ألصقتها

---

(1) لوحة الأحلام هي كولاج أو مجموعة من الصور والرسومات والكلمات التي تعبِّر عن أهداف الشخص وأحلامه وطموحاته، من أجل إلهامه لتحقيقها.

لحديقة زهورٍ في الجزء العلوي الأيسر من اللوحة، كان هدفي أن أقتلع الشجيرات في الفناء الخلفي، وأن أعيد زراعته بالزهور، حققت هذا الهدف في الربيع، وقعت عيناي على هدفٍ آخر، وجمت حين قرأته (جدي شيئًا يملأ كل الأركان الفارغة).

أنا واثقة أن كلارا فهمت ذلك حرفيًا عندما كتبته العام الماضي، لكني لم أرغب في الحقيقة في ملء كل ركن من أركان منزلي، وإنما قصدت بذلك ملء ما بداخلي، حتى العام الماضي كنت أشعر بعدم الرضا، أنا فخورة بزوجي وابنتي، لكن عندما أنظر إلى ذاتي وإلى حياتي المنفصلة عن حياتهما، لا أجد سوى أشياء قليلة جدًا لأفخر بها، أشعر أن لديَّ إمكانات كثيرة غير مستغلة، في بعض الأحيان أشعر أن صدري أجوف، كأنني عشت حياة ليس بها شيء مهمًّا كفاية ليملأ الخواء داخلي، قلبي ممتلئ، لكن هذا هو الجزء الوحيد المثقل بداخلي.

شرعت كلارا في كتابة هدفها لي، مِلتَ نحوها لأقرأه: (تقبَّلي فكرة أن ابنتك تريد أن تكون ممثلة)، أغلقت القلم، ووضعته في العلبة.

أشعرني هدفها بالذنب، ليس الأمر أنني لا أريدها أن تتبع أحلامها، أريدها فقط أن تكون واقعية، قلت لها:

- ماذا ستفعلين بشهادة غير مفيدة إذا لم تنجحي في التمثيل؟

هزَّت كتفيها قائلة: «لا تقدِري البلاء قبل وقوعه».

رفعت ساقها على الكرسي، ووضعت ذقنها على ركبتها «ماذا عنكِ، ماذا أردتِ أن تصبحي عندما كنتِ في عمري».

حدقت إلى لوحتي، وتساءلت عما إذا كنت أستطيع حتى الإجابة عن هذا السؤال، لكني لم أستطع: «لا أعرف، لم يكن لديَّ أي مواهب مميزة، ولم أكن ذكية جدًّا في مادة بعينها».

- هل كنتِ شغوفة بأي شيء مثلما أنا شغوفة بالتمثيل؟

فكرت في سؤالها للحظة، لكن لم يخطر شيء في ذهني، قلت لها:

- كنت أحب قضاء الوقت مع أصدقائي، ولم أكن أفكر في المستقبل، افترضت أنني سأكتشف شغفي في الكلية.

أومأت كلارا برأسها، ونظرت تجاه اللوحة: «أعتقد أن ذلك يجب أن يكون هدفك لهذا العام، أنتِ في حاجة إلى معرفة ما أنتِ شغوفة به، فلا يمكن أن تكوني ربة منزل فقط».

«بل يمكن أن أكون ربة منزل فقط»، قلت مضيفة: «بعض الأشخاص يرضيهم هذا الدور تمامًا»، كنت من هؤلاء الأشخاص فيما مضى، لكني لم أعد كذلك بعد الآن.

أخذت كلارا رشفة أخرى من مشروب الصودا، بينما كتبت اقتراحها (إيجاد شغفي).

قد لا تود كلارا معرفة ذلك، لكنها تذكِّرني بنفسي عندما كنتُ في عمرها، كنت واثقة في نفسي، وأظن أنني أعرف كل شيء، لو أني سأصفها بكلمة واحدة ستكون واثقة بنفسها، لطالما كنت واثقة بنفسي، لكني الآن.. لا أعرف حتى، لو أني سأصف نفسي بكلمة واحدة بناءً على سلوكي اليوم، ستكون متذمرة.

- ما الكلمة التي تخطر على بالك عندما تفكرين بي؟

«أمي» قالت على الفور، مضيفة: «ربة منزل، مفرطة في الحماية» ضحكت حين قالت ذلك.

- أتكلم بجدية، ما الكلمة التي تصفين بها شخصيتي؟

أمالت كلارا رأسها وحدقت إليَّ عدة ثوان، ثم قالت بنبرة صادقة وجادة جدًّا: «مُتوقعة».

شهقت مصدومة: «مُتوقعة؟».

- أقصد.. ليس بمعنى سيئ.

هل يمكن أن يحمل اختصار شخص في كلمة «مُتوقع» أي معنى جيدٍ؟، لا أظن أن هناك شخصًا واحدًا في العالم قد يرغب في أن يتم اختصاره في تلك الكلمة.

«قصدت أن أقول إنه يمكن الاعتماد عليكِ» قالت كلارا، ثم مالت عليَّ وعانقتني: «تصبحين على خير يا ماما، عيد ميلاد سعيد».

- تصبحين على خير».

ذهبت كلارا إلى غرفتها، من دون أن تدري أنها تركتني وحدي مع بركان من المشاعر المؤلمة، لا أظن أنها تعمَّدت الإساءة إليَّ، لكن لم أرغب في سماع تلك الكلمة، لأنها تُجسد ما أنا عليه فعلًا، وتُجسد كل ما خشيت يومًا أن أكبر وأكون عليه.

الفصل الرابع
كلارا

ربما ما كان يجب أن أصف أمي بالـ «المتوقعة» الليلة الماضية، فهذه أول مرة أستيقظ فيها منذ وقتٍ طويلٍ لأذهب إلى المدرسة، ولا أجدها في المطبخ تطهو الفطور، ربمًا عليًّ أن أعتذر لها، لأنني أتضور جوعًا.

وجدتها في غرفة المعيشة، كانت لا تزال ترتدي بيجامتها، وتشاهد حلقة من مسلسل «ربات البيوت الحقيقيات».

- ماذا سنتناول في الإفطار؟

- لم تكن لديَّ رغبة في الطهي، تناولي البوب تارت.*[1]

حتمًا ما كان يجب أن أصفها بالمُتوقعة.

دخل أبي غرفة المعيشة، كان يعدل ربطة عنقه، توقف عن المشي عندما رأى أمي مستلقية على الأريكة، وسألها: «هل أنتِ بخيرٍ؟».

أدارت أمي رأسها لتنظر إلينا من دون أن تغيِّر جلستها المسترخية على الأريكة: «أنا بخيرٍ، لكني لم أشعر فقط برغبةٍ في إعداد الفطور».

حين عاودت أمي النظر إلى التلفزيون، تبادلنا أنا وأبي النظرات، رفع حاجبه، ثم سار نحوها وطبع قبلة سريعة على جبهتها: «أراكِ الليلة، أحبكِ».

---

(1) *البوب تارت هي معجنات محمصة تنتجها شركة كلوقز الأمريكية منذ عام 1964.

أنا أيضًا أحبك.

تبعتُ والدي إلى المطبخ، أخذت قطعة من البوب تارت، ومنحته واحدة: «أعتقد أن ذلك خطئي».

- أنها لم تعد الإفطار؟

أومأت برأسي: «أخبرتها الليلة الماضية أنها مُتوقعة».

قَطَبَ أنفه قائلًا: «أووف، أجل، لم يكن ذلك لطيفًا».

- لم أقصد ذلك بمعنى سيئ يا بابا، هي طلبت مني أن أصفها بكلمة واحدة، وهذا أول شيء خطر ببالي.

سكب لنفسه فنجان قهوة، واتكأ على المنضدة مفكرًا: «أقصد.. لستِ مخطئة، هي فعلًا تحب الروتين».

- تستيقظ في السادسة كل صباح، ويكون الفطار جاهزًا في السابعة.

«العشاء في السابعة والنصف كل ليلة» قال أبي.

- قائمة طعام مكررة.

- تذهب إلى صالة الألعاب الرياضية في العاشرة كل صباحٍ.

- تشتري البقالة أيام الاثنين.

- تغسل الملاءات كل أربعاء.

«أترى؟» قلت بدفاعٍ مستطردة: «هي متوقعة، هذه حقيقة وليست إساءة».

«فعلًا» قال ثم أردف: «أتذكر تلك المرة عندما عدنا للمنزل، وتركت لنا ورقة قالت بها إنها ذهبت مع جيني إلى الكازينو».

- أتذكر ذلك، ظننا حينها أنها خُطفت.

ظننا ذلك فعلًا، لم تكن من عاداتها أبدًا أن تخرج ليلًا فجأة من دون تخطيط مسبق لمدة أشهر، لذلك اتصلنا بكليهما لنتأكد أنها هي التي كتبت الورقة.

ضحك أبي وعانقني، أحب حضنه، يرتدي قمصان بيضاء ناعمة جدًّا في العمل، أشعر أحيانًا عندما يضمني بين ذراعيه أنني ملتفة ببطانية مريحة، لكنها بطانية تنبعث منها رائحة الهواء الطلق، وتعاقبني في بعض الأحيان.

«يجب أن أذهب» أفلتني من بين يديه، ومسد شعري: «يومك جميل».

- وأنت أيضًا.

تبعته خارج المطبخ، لم تعد أمي مستلقية على الأريكة، بل كانت تقف أمام التلفزيون، كانت توجِّه «الريموت» نحو شاشة التلفزيون قائلة: «تعطل الكابل».

«ربما تكون المشكلة في الريموت» قال أبي.

«أو المشغل» قلت، وأخذت «الريموت» منها، فهي تضغط دائمًا الزر الخاطئ، ولا تتذكر الزر الذي يجب أن تضغطه لتُرجِع مسلسلها، ضغطت كل الأزرار، لكن لم يعمل أي منها، لذلك أطفأت كل شيء.

دخلت خالتي جيني إلى المنزل، بينما أحاول إعادة تشغيل التلفاز لأمي، ساعدها أبي في حمل مقعد السيارة الخاص بـ «إيليا» وبضعة أشياء أخرى، أعدت تشغيل التلفزيون، لكن لم يظهر على الشاشة أي شيء، قلت: «أعتقد أنه مُعطل».

«يا الله» قالت أمي بتذمُّر، كأن بقاءها في المنزل طوال اليوم مع طفل رضيع من دون تلفاز، هوَ أسوأ كوابيس حياتها.

أعطت خالتي جيني أمي حقيبة حفاضات إيليا متسائلة: «ألا يزال لديكم تلفزيون كابلي؟» لم يعُد أحد يمتلكه الآن؟».

رغم أن فرق العمر بين خالتي ووالدتي عام فقط، فإنني أشعر في بعض الأحيان أنها أم لنا نحن الاثنتين.

«نحاول أن نخبرها بذلك، لكنها مصممة على الاحتفاظ به» قلت.

قالت أمي بنبرة دفاعية: «لا أريد مشاهدة المسلسلات على الآيباد».

«لدينا نتفليكس على التلفزيون» قال والدي مضيفًا: «يمكنكِ أن تشاهديها على التلفزيون».

- مسلسل برافو ليس موجودًا على نتفليكس، سنحتفظ بالكابل.

صدعت هذه المحادثة رأسي، فأخرجت إيليا من مقعده لأحظى بدقيقة معه، قبل أن أذهب إلى المدرسة. فرحت جدًّا حين علمت بحمل خالتي، أردت دومًا أن يكون لي أخٌ، لكن والديَّ لم يرغبا أبدًا في إنجاب أطفال آخرين بعدما رُزقا بي، لذلك أعتبر إيليا أخي، وأريده أن يعتادني، وأن يحبني أكثر من أي شخص آخر.

«دعيني أحمله» قال أبي وأخذ إيليا مني.

أحب حب أبي له، يجعلني ذلك أتمنى لو ينجب هو وأمي طفلًا، لم يفت الأوان بعد، هي في الرابعة والثلاثين فقط، كان يجب أن أكتب هذه الأمنية مرة أخرى على لوحة عيد ميلادها الليلة الماضية.

أعطت جيني أمي قائمة بالتعليمات: «مكتوب هنا مواعيد رضعاته، وكيف تسخنين الحليب، وأعرف أن معكِ رقم هاتفي، لكني كتبته لك هنا ثانية، في حالة إذا فرغت بطارية هاتفك، كما كتبت رقم جونا أيضًا».

«ربيت إنسانًا من قبل» قالت والدتي.

«أجل، لكن ذلك كان منذ وقتٍ طويلٍ، ربما تغيروا منذ ذلك الحين» قالت جيني.

اتجهت خالتي نحو أبي، وقبَّلت رأس إيليا: «باي يا حبيبي، أمك تحبك».

همَّت بالمغادرة، فالتقطت حقيبة ظهري بسرعة، لأنني أردت أن أتحدث معها في أمرٍ، تبعتها نحو الخارج، لكنها لم تدرك أنني خلفها إلا حين اقتربت من سيارتها.

«ألغى ميلر متابعتي على إنستجرام الليلة الماضية»، استدارت جافلة من ظهوري المفاجئ.

«بهذه السرعة؟» قالت وهي تفتح باب السيارة: «هل قلتِ شيئًا أغضبه؟».

- لا، لم نتحدث منذ أن غادرت منزله، لم أنشر أي شيء، ولم أعلِّق حتى على أي من صوره، لا أفهم فعلًا لِمَ يقوم بمتابعتي ثم يلغي متابعتي بعدها بساعاتٍ.

- مواقع التواصل الاجتماعي محيرة جدًّا.

- والرجال أيضًا محيرون.

«ليسوا محيرين مثلنا» قالت، ثم أمالت رأسها ونظرت في عينيَّ: «هل أنتِ معجبة به؟».

لم أستطع أن أكذب عليها: «لا أعرف، أحاول ألا أُعجب به، لكنه مختلفٌ تمامًا عن كل الأولاد الآخرين في مدرستي، يحاول بكل جهده أن يتجاهلني، يأكل المصاصات دائمًا، وعلاقته بجده غريبة بشكلٍ جميلٍ».

- إذن..هل أنتِ معجبة به لأنه يتجاهلكِ، ويأكل المصاصات، ولديه جدٌّ غريب؟

بدا على وجه خالتي القلق وهي تقول ذلك، أضافت: «هذه أسباب غريبة يا كلارا».

هزرت كتفي: «أقصد أنه لطيفٌ أيضًا، ويبدو أنه يريد أن يدرس السينما في الجامعة، لدينا أشياء مشتركة».

- هذا جيد، لكني أقصد أنكِ بالكاد تعرفينه، لذلك لا أخذ إلغاء متابعته لكِ على محمل شخصي.

«أفهمك»، تنهدت وعقدت ذراعيَّ فوق صدري: «الإعجاب شيء غبي جدًا، مجرد إلغائه متابعتي جعل مزاجي سيئًا، كل هذا وما زلنا في السابعة صباحًا».

- ربما علمت حبيبته أنه يتابعكِ ولم يعجبها ذلك؟

فكرت في هذا الاحتمال للحظة هذا الصباح، لكني لم أرد التفكير في أن ميلر وحبيبته تحدثا عني، خرج والدي من الباب الأمامي في تلك اللحظة، عانقتني خالتي جيني قبل أن تغادر لأن سيارتها كانت مركونة خلف سيارتينا، ركبت سيارتي وأرسلت رسالة إلى ليكسي، في أثناء انتظاري لجيني حتى تخرج بسيارتها من الممر من خلفي.

«أتمنى أن تكوني رأيتِ رسالتي بالأمس التي أخبركِ بها أنني سآتي لأصطحبك مبكرًا بنصف ساعة، لكنكِ لم تجيبيني».

لم أتلقَّ ردًا من ليكسي حتى وصلت إلى الممر أمام منزلها، حين أمسكت الهاتف لأتصل بها، رأيتها خارجة من بيتها، كانت حقيبة ظهرها تتدلى من مرفقها، وهي تحاول أن تُدخل قدمها في الحذاء، اضطرَّت إلى أن تتوقف، وتسند يدها إلى غطاء محرك السيارة، حتى تتمكن من ارتداء الحذاء.

تعثَّرت بالباب، كان شعرها هائشًا، وكان هناك بقايا «ماسكارا» أسفل عينيها من الليلة الماضية، بدت كأنها ثملة، ركبت السيارة وصفقت الباب، ثم ألقت حقيبتها على الأرضية، وأخرجت منها حقيبة «المكياج».

- هل استيقظتِ للتو؟

- أجل، استيقظت منذ أربع دقائق، حين أرسلتِ إليَّ الرسالة، أنا آسفة.

«كيف كان موعد تندر؟» قلتُ بسخرية.

ضحكت ليكسي: «لا أصدق أن عائلتك لا تزال تعتقد أن لديَّ حسابًا على تندر».

- تكذبين عليهم وتخبرينهم أن لديكِ حسابًا عليه كل مرة تأتين فيها إلينا، فكيف لا يصدقون ذلك؟

- أعمل كثيرًا جدًّا، وقتي كله بين المدرسة والعمل، وربما الاستحمام لو كنت محظوظة.

فتحت حقيبة «مكياجها» قائلة: «بالمناسبة، هل عرفتِ بما حدث بين ميلر وشيلبي؟».

نظرت إليها: «لا، ماذا حدث؟».

فتحت أنبوبة «الماسكارا»، وأنا أوقف السيارة عند إشارة الوقوف، قالت لي: «قفي هنا للحظة»، ثم بدأت تضع «الماسكارا»، كنت أنتظر على أحرِّ من الجمر أن تخبرني بما كانت ستقوله عن ميلر آدامز وحبيبته.

يا لها من مصادفة غريبة أن يكون أول ما تتحدث به ليكسي، هو الشيء نفسه الذي لم أفكر في سواه منذ أن أوصلته بالأمس.

ماذا حدث بين ميلر وشيلبي؟

نقلت ليكسي فرشاة «الماسكارا» إلى عينيها الأخرى، دون أن تجيبني، لذلك كررت سؤالي ثانية: «ليكسي، ماذا حدث؟».

«يا الله» قالت وهي تضع فرشاة «الماسكارا» داخل الأنبوب: «ثانية واحدة»، أشارت إليَّ لأواصل القيادة وهي تُخرج أحمر شفاهها: «انفصلا الليلة الماضية»، كانت تلك أجمل جملة قالتها.

- كيف عرفتِ؟
- من إيميلي، اتصلت بها شيلبي.
- «لماذا انفصلا؟» حاولت ألا أظهر اهتمامي، حاولت فعلًا. بسببك على ما يبدو.
«أنا» قلتُ متفاجئة، عاودت النظر إلى الطريق: «ذلك غير معقولٍ، أوصلته إلى منزله، ولم يجلس في سيارتي أكثر من ثلاث دقائق».
- شيلبي تظن أنه خانها معكِ.
- يبدو أن شيلبي لديها أزمة ثقة.
«هل هذا كل ما حدث فعلًا؟» سألتني ليكسي: «مجرد توصيلة؟».
- أجل، ما حدث كان غير مهمٍ على الإطلاق.
- هل أنتِ معجبة به؟
- لا، طبعًا لا، إنه وغد.
- هو ليس وغدًا، بل لطيفًا جدًّا، لطيفًا بشكلٍ مزعج.
كانت محقة، هو لطيف فعلًا، لكنه وغدٌ معي فقط، سألتها: «أليس غريبًا أن يراه أبي شخصًا سيئًا؟».
هزَّت كتفيها: «ليس غريبًا، والدكِ لا يحبني، مع أني رائعة».
- هو يحبك، أبي يغيظ فقط الأشخاص الذين يحبهم.
- ربما يتعامل ميلر بالطريقة ذاتها، ربما يتجاهل فقط الأشخاص الذين يحبهم.
تجاهلت تعليقها، ركزت ليكسي في وضع مكياجها، بينما لم يتوقف ذهني عن التفكير، هل كان شجارهما له علاقة فعلًا بتوصيلة تافهة؟ ربما تشاجرا بسبب التوصيلة بالإضافة إلى متابعته لي على إنستجرام، ذلك يفسر سبب إلغائه متابعتي الليلة الماضية، وهذا يعني أنه يحاول الرجوع إليها.

- هل تعتقدين أن انفصالهما سيستمر؟

نظرت ليكسي إليَّ مبتسمة: «وما يهمك في ذلك، فعلًا ما حدث كان غير مهم على الإطلاق».

يجعلني جونا أناديه بالسيد سوليفان في المدرسة، أنا متأكدة أنه يود لو أناديه بالعم جونا خارج المدرسة، لكنه بالنسبة إليَّ جونا فقط، لم أعرفه لفترة طويلة كفاية لأشعر أنه عمي بعد، رغم أنه أنجب طفلًا من خالتي جيني، ربما أضيف إلى اسمه هذا اللقب بعد أن يتزوجا، لكن الآن كل ما أعرفه عنه حقًا هو ما سمعت والداي يقولانه، إنه حطم قلب خالتي جيني في المدرسة الثانوية، ورحل من دون سابق إنذار، لم أسأل أبدًا أيًّا منهما عن سبب انفصاله عنها، أعتقد أنني لم أكن مهتمة بذلك، لكن لسبب ما أشعر بالفضول لمعرفة السبب اليوم.

كان جونا جالسًا على مكتبه يصحح أوراق الامتحانات عندما دخلت الفصل: «صباح الخير».

- صباح النور.

كان سيدرسنا الحصة الأولى، لذلك ألقيت حقيبة الظهر على مقعدي، وذهبت لأجلس في المقعد المقابل لمكتبه، سألني:

- هل أوصلت جيني إيليا إلى والدتكِ؟

- أجل، إنه لطيفٌ جدًا.

- يشبه والده تمامًا.

- ماذا! لا، بل يشبهني أنا تمامًا.

جمع جونا الأوراق معًا ووضعها جانبًا، ليتحدث معي بشأن مشروع الفيلم، لكن الفضول كان يقتلني فسألته: «لماذا انفصلت عن خالتي جيني في المدرسة الثانوية؟».

نظر إليَّ بدهشة رافعًا حاجبيه، ضحك بتوتر، كأنه لا يريد أن يتحدث في هذا الموضوع معي أو مع أي شخصٍ آخر: «كنَّا صغارًا، لست متأكدًا حتى أنني أتذكر سبب ذلك».

- ماما لم تكن سعيدة عندما حملت خالتي منك العام الماضي.

- أعرف أن ذلك لم يسعدها، لم يكن الأمر مدروسًا جيدًا.

- أليس في هذا تناقض منها!، فقد أنجبتني وهي في السابعة عشرة.

هزَّ جونا كتفيه: «هذا ليس تناقضًا، ما دامت لم تقم بالتصرف الذي اعترضت عليه، بعد اعتراضها عليه».

لا أفهم.

- أقصد أن الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء عادة ما يتعلمون منها، وذلك لا يجعلهم متناقضين، بل خبراء.

- ألم يعلِّموك في الكلية ألا توزع دروس الحياة قبل أن يرن جرس الصباح؟

أرجع جونا ظهره إلى الخلف وفي عينيه ابتسامة: «تذكِّرينني بوالدتكِ عندما كانت في عمركِ».

- يا إلهي.

- هذا إطراء.

- كيف؟

ضحك جونا: «يجب أن تتفاجئي فعلًا».

- توقف عن إهانتي.

ضحك جونا ثانية، لكني لم أكن أمزح، أحب أمي، لكني لا أطمح أن أكون مثلها.

التقط جونا أحد الملفين اللذين كانا على مكتبه، وأعطاني إياه: «املئي هذا من فضلك، حتى لو لم تنفذي المشروع في النهاية، فإذا حصلتِ على المركز الأول، سيكون من الرائع أن تضيفي ذلك إلى طلبات التقدم لكليات السينما، ناهيكِ عن أنه سيكون لديكِ مشاهد لكِ وأنتِ تمثِّلين».

فتحت الملف وألقيت نظرة بداخله: «إذن، من الذي يبحث عن شريك؟».

- ميلر آدامز.

بُغت، نظرت إليه بدهشة عندما نطق جونا اسمه، وواصل حديثه: «عندما كنتم تتحدثون عنه أمس، تذكرت أنني قرأت في ملاحظات الأستاذ الذي أشرف على هذا البرنامج العام الماضي أن ميلر كان ضمن الفريق الذي كوَّنه، وهذا يعني أن لديه خبرة، طلبت منه أن يسجل اسمه هذا العام، لكنه رفض، قال إن لديه الكثير من الأمور التي يقوم بها، وإن المشروع يتطلب التزامًا كبيرًا، لكن إذا قمتما بذلك معًا، فقد يتحمس للأمر».

لن أكذب، كنت آمل سرًّا أن يكون ميلر آدامز هو من يبحث عن شريك، خاصة أنه أخبرني أنه يحب السينما، لكن ألم يكن جونا جالسًا في العشاء نفسه الذي كنت جالسة به الليلة الماضية.

- لماذا تحاول أن تجمعني معه في مشروعٍ واحدٍ بعد ما قاله أبي؟

- أنا معلم، ولست وسيط زواج، وميلر هو الشريك المثالي لهذا المشروع، وهو شاب جيد، لدى والدكِ انطباع خاطئ عنه.

- في كلتا الحالتين، وضع أبي تعليمات صارمة بشأنه.

والتي كنت أعلم تمامًا أنني لن أتبعها، حدق إليَّ جونا مفكرًا لبرهة، ثم عقد ذراعيه على المكتب قائلًا: «أعرف ذلك، اسمعي، هذا

مجرد اقتراح، أعتقد أن هذا المشروع سيكون جيدًا لكِ، لكن إذا كان والدك لا يريدك أن تقومي بذلك، فليس بوسعي أن أفعل شيئًا، لكن... أنتِ أَيضًا لا تحتاجين إلى موافقة والديكِ للتسجيل، ليس عليكِ سوى تقديم الطلب، ولا يزال أمامكِ عدة أشهر».

أحببت أن جونا يشجعني على عصيان أبي، ربما يكون هو وخالتي جيني مثاليين لبعضهما، انفتح الباب، ودخل ميلر آدامز الغرفة.

أول شيء لاحظته به هو عينيه القرمزية المنتفخة، يبدو أنه لم ينم، كان قميصه مجعدًا، وشعره مبعثرًا، أخذ ميلر يوزع نظراته بيني وبين جونا، ظل واقفًا بجوار الباب، أشار بيده تجاهي وهو ينظر إلى جونا: «هل هذه هي من تريدني أن أسجل في المشروع معها؟».

أومأ جونا برأسه مرتبكًا من رد فعل ميلر، لكن لم يفاجئني ذلك، تعودت على أنه لا يريد أن يفعل أي شيء معي.

«آسف، لن هذا لن ينجح» قال ميلر وهو ينظر إليَّ، ثم استطرد: «لا أقصد إهانتكِ يا كلارا، لكنني متأكدٌ أنكِ تعرفين السبب».

خمَّنتُ حينها أن حبيبته السبب فعلًا، فقلت له:

- استنتجت الأمر عندما ألغيت متابعتي على إنستجرام، بعد خمس ساعات من قيامك بمتابعتي.

خطا ميلر داخل الغرفة، ألقى حقيبته على المكتب، وجلس على المقعد: «ترى شيلبي أنه ما كان يجب أن أقوم بمتابعتك من البداية».

ضحكت: «انفصلت حبيبتك عنك لأنني أوصلتك في طقس تبلغ حرارته مائة واثنتين درجة، هناك شيء خاطىء».

- انفصلت عني لأنني كذبت عليها في ذلك.

- أجل، وأنت كذبت عليها لأنك كنت تعرف أنها ستنفصل عنك إذا اكتشفت ذلك، وهنا تكمن المشكلة.

انحنى جونا إلى الأمام، وأخذ يوزع نظراته بيننا، ثم أرجع كرسيه إلى الخلف ووقف: «أحتاج إلى قهوة»، وضع الملف الآخر على مكتب ميلر، ومشى نحو باب الفصل: «قوما بحل هذا الأمر، وأعلماني بقراركما في نهاية اليوم».

غادر جونا، ولم يتبقَّ في الغرفة غيري أنا وميلر، يحدِّق أحدنا إلى الآخر، أشاح بوجهه، وبدأ يتصفح محتوى الملف، كان من الممكن أن يستغل هذه الدقائق الإضافية في النوم، أشعر بالذنب لأن جونا اتصل به مبكرًا من أجل هذا، يبدو كأن شاحنة دهسته خلال الفترة التي أوصلته فيها إلى منزله بالأمس وحتى لحظة استيقاظه هذا الصباح، يمكنني تخيل شكل الشجار الذي دار بينه وبين شيلبي، يبدو أثره واضحًا عليه.

- تبدو محطم القلب تمامًا.

«أنا فعلًا كذلك» قال بفتورٍ.

- حسنًا، أنظر إلى الجانب المشرق، فالأحزان تبني الشخصية.

ضحك ميلر بسخرية، أغلق الملف ونظر إليَّ: «إذا اكتشفت شيلبي أنني سأعمل معكِ في هذا الفيلم، لن تسامحني أبدًا».

- إذن، هل هذا يعني أنك موافقٌ؟

لم يضحك ميلر على ذلك، بل بدا منزعجًا أني لا أراعي مشاعره، كان من الواضح أنه ليس في مزاج جيدٍ، وبصراحة لا ألوم شيلبي على هجره، فإذا كذب حبيبي عليَّ بشأن تواجده في سيارة مع فتاة أخرى، ثم قام بمتابعة هذه الفتاة على إنستجرام، فسوف يصبح حبيبي السابق أيضًا.

- آسفة يا ميلر، أنا متأكدة أنها رائعة، قل لي لو يمكن أن أساعدك بأي طريقة، ربما أدعم كلامك لديها.

ابتسم ميلر لي بامتنانٍ، ثم وقف، ومشى نحو باب الفصل، تاركًا الملف على مكتبه: «يجب أن تقومي بهذا المشروع على أي حالٍ».

أومأت برأسي، لكنني لم أكن مهتمة حقًّا بالتسجيل في المشروع بمفردي، تحمست لبضع ثوانٍ مفعمة بالأمل لأنني قد أعمل معه على هذا المشروع، والآن بعد أن تذوقت حلاوة هذا الأمل، أصبح مذاق كل خيارٍ آخر مُرًّا.

بعد ثوانٍ خرج ميلر، نظرت إلى الملف الموضوع على مكتبه، ثم التقطته وملأْت النموذج، فلا أحد يعرف ما سيحدث، فقد لا يرجع ميلر وشيلبي إلى بعض ثانية، وسيكون من المؤسف ألا يسجل في المشروع لمجرد أن حبيبته لديها مشاكل متعلقة بالغيرة.

عاد جونا وبيديه كوبين من القهوة، بمجرد أن انتهيت من ملء النموذجين، أعطاني أحد الكوبين، واتكأ على مكتبه، مضى على انتقاله إلى هنا عدة أشهر، وما زال لا يعرف مدى كراهيتي للقهوة، لهذا السبب لا أدعوه عمي جونا حتى الآن.

«لماذا كان كل هذا؟» سألني.

- حبيبته تكرهني، أقصد حبيبته السابقة.

أخذت رشفة من القهوة حتى أكون لطيفة، كان طعمها بشعًا.

- لم تعد هناك مشكلة إذن، أليس كذلك؟

ضحكت: «من المفترض ذلك»، ثم أعطيته كلا الملفين.

- لقد ملأتهما على أي حالٍ، لا تخبر ميلر، إذا غيَّر رأيه سنكون حينها قد سجلنا قبل الموعد النهائي على الأقل.

«تعجبني طريقتك في التفكير» قال جونا، ثم وضع قهوته على المكتب، أمسك بقطعة طباشير، وبدأ يكتب التاريخ على السبورة، دخل اثنان من زملائي الفصل، فعدت إلى مقعدي.

حين امتلأ الفصل بالطلاب، استدار جونا، نظر إلى القهوة على مكتبي قائلًا: «كلارا، ليس مسموحًا للطلاب بتناول المشروبات في الفصل، افعلي ذلك ثانية وسأقوم باحتجازك».

أدرتُ عيني في غيظٍ، لكني أردت أن أضحك من قدرته على التحول إلى شخصية المعلم بكل هذه السهولة، حتى ولو كان يمزح معي فقط، قلت بسخرية:

- حاضر يا مستر سوليفان.

رميت القهوة في صندوق القمامة، ثم أخرجت هاتفي وأرسلت رسالة إلى خالتي جيني وأنا عائدة إلى مقعدي.

- هل أنتِ مشغولة؟

- في طريقي إلى العمل.

- سآخذ من وقتك ثانية، أود إخبارك بأمرين، أولًا أن والد طفلك مغرورٌ، وثانيًا أن ميلر وشيلبي انفصلا، ولا أعرف إلى متى يدوم انفصالهما.

- لماذا انفصلا؟ لأنكِ أوصلته؟

- يبدو ذلك بسبب متابعته لي على إنستجرام.

- هذه أخبار جيدة، الآن يمكنكِ مواعدة الشاب ذي الجد الغريب.

- لم أقل أن جده غريب، بل قلت إن علاقتهما غريبة بشكل جميل، كما أنه يحاول استعادة حبيبته، لذلك لا أعرف ما إذا كانتْ هناكً فرصة أم لا.

- أوه، هذا أمر سيئ، لا تطارديه إذن، صدقيني لن تحبي أن تكوني رقم اثنين في حياته.

- هل كنتِ رقم اثنين ذات يوم؟ أحتاج أن أعرف هذه القصة، أكان ذلك سبب انفصالك أنتِ وجونًا في المدرسة الثانوية.

كنت أراقب النقاط التي تُبين أن خالتي تكتب لي، في انتظار أن أعرف قصتها الدرامية المثيرة في أثناء المراهقة، لكن النقاط توقفت.

- أخبركِ بكل شيء، لا يمكنكِ أن تلمحي بأنكِ كنتِ على علاقة برجلٍ مرتبطٍ من دون أن تحكي ما حدث.

- جيني؟

- خالتي جيني؟

- كلارا، ضعي هاتفك جانبًا.

وضعت هاتفي في حقيبتي بسرعة، لا أعرف من هو الذي خانت خالتي جيني جونا معه، لكن إذا لم يكن جونا يعرف هذا الأمر، فأعتقد أنه لن يكون جيدًا لعلاقتهما إذا ما صادر هاتفي وقرأ رسائلي، سوف أتصل بها وقت الغداء، وألحُّ عليها حتى تخبرني، أريد أن أعرف ذلك، حتى لو كان الأمر متعلقًا بجونا.

الفصل الخامس
(مورجان)

سمعت مرة أحدهم يقول إن جميعنا معرضون في لحظة ما لسماع خبر يقلب حياتنا رأسًا على عقب، إنها الحقيقة المطلقة.

خرج صوتي مرتعشًا وأنا أسأل الممرضة: «هل هو بخيرٍ؟».

انتظرتُ أن تخبرني الممرضة على الجانب الآخر من الخط أن كريس سيكون على ما يرام، لكني لم أتلقَّ سوى لحظة صمت طويلة، شعرت كأن أحدهم يعصر عمودي الفقري مثل منشفة مبللة، أردت الانحناء إلى الأمام من شدة الألم، لكن ألمي لم يكن جسديًّا، بل هو ألم نفسي مميت.

قالت الممرضة: «لا أعرف تفاصيل، كل ما أعرفه أنه تم إحضاره منذ لحظات قليلة، لذا حاولي أن تكوني هنا في أقرب وقتٍ ممكنٍ».

«حسنًا» قلتُ بصوتٍ مختنقٍ قبل أن أنهي المكالمة، لكني كنت متأكدة أنها كانت ستخبرني بمعلومات أكثر لو كان الوضع أفضل.

لو كان الوضع أفضل، لكان كريس هاتفني بنفسه، كنت أحمل إيليا عندما رنَّ الهاتف، لكني الآن أحتضنه بقوة أكبر وأنا جاثية على ركبتيَّ، ظللت متجمدة في مكاني على أرضية غرفة المعيشة لدقيقة على الأقل، لكن تثاؤب إيليا أعادني إلى الواقع القاتم.

اتصلت بجيني أولًا، لكن جاءني صوت البريد الصوتي، كان ذلك أول يوم عمل لها بعد الإجازة، لن تحمل هاتفها معها حتى وقت

استراحة الغداء، لكن الخبر سينتشر بسرعة في المستشفى، وسوف تعلم به قريبًا.

كان عليَّ الاتصال بجونا حتى يأتي لأخذ إيليا، لكن رقمه لم يكن مسجلًا على هاتفي، هرعت تجاه الورقة التي تركتها جيني لي هذا الصباح، أدخلت الرقم الذي كتبته حتى أتصل به، تحوَّلت المكالمة مباشرة إلى البريد الصوتي، هو في الفصل الآن، وسأتصل بالمدرسة حتى أتواصل معه قريبًا، لكن كل ثانية أقضيها في محاولة للتواصل مع أحدهم، ستؤخرني ثانية عن الوصول إلى المستشفى، ربطت إيليا في مقعد السيارة، وأخذت حقيبة حفاضاته ومفاتيحي، وغادرت.

في طريقي إلى المستشفى كانت الرؤية مشوشة في عيني، أمضيت الوقت في الدعاء، واسترقاق النظر إلى هاتفي الموضوع على مقعد الراكب، في انتظار أن تعاود جيني الاتصال بي، لم أتصل بكلارا في المدرسة بعد، أريد أن أطمئن أن كريس بخير قبل أن أقلقها، وإذا لم يكونوا قد أبلغوا جيني بالفعل أن كريس تعرَّض لحادث، سأجعلهم يستدعونها عندما أصل إلى هناك، حتى تأخذ إيليا مني.

حين وصلت أخذت حقيبة حفاضاته ومقعده، وركضت نحو مدخل المستشفى، كنت أسرع من أبواب غرفة الطوارىء المنزلقة، اضطررت إلى التوقف عن الركض لبضع ثوان حتى ينفتح الباب على مصراعيه، لأتمكن من الدخول.

بمجرد أن دخلت، اتجهت مباشرة إلى مكتب الممرضة، كانت ممرضة لا أعرفها، كنت في السابق أعرف كل شخص تقريبًا في هذه المستشفى لأني ظننت أن معرفتي بكل شخص في مكتب كريس يجعل وضعه جيدًا، لكنهم كانوا يأتون ويرحلون كثيرًا، فلم أعد أحاول أن أتعرف عليهم حتى.

«أين زوجي؟» قلت بفزعٍ، كانت عيناها ممتلئة بالتعاطف، سألتني: «من هو زوجك؟».

«كريس» قلت وأنا ألهث: «كريس جرانت، إنه يعمل هنا، وتم إحضاره للتو»، تغيرت ملامح وجهها عندما نطقت اسمه، «دعيني أستدعي أحدًا يمكنه مساعدتكِ، لقد تسلَّمت ورديتي للتوِّ».

- هل يمكنكِ استدعاء أختي، إنها تعمل هنا أيضًا، جيني ديفيدسون.

أومأت الممرضة برأسها، لكنها هرعت خارج النافذة من دون أن تستدعي جيني، وضعت مقعد إيليا على أقرب كرسي، حاولت الاتصال بجيني مرة أخرى، ثم هاتفت جونا ثانية، لكن هاتفيهما كانا يحوِّلانني إلى البريد الصوتي مباشرة، لم يكن لديَّ وقت لأنتظر الممرضة، اتصلت بالمستشفى وطلبت إيصالي بقسم التوليد، أوصلوني بالقسم بعد أن مرَّت عليَّ أكثر من ثلاثين ثانية من الانتظار المؤلم في حياتي.

- معكِ قسم التوليد، من الذي تريدين التحدث إليه؟

- أود التحدث إلى جيني ديفيدسون، هي ممرضة لديكم، إنها حالة طارئة.

- انتظري من فضلك.

بدأ إيليا يبكي، لذلك فتحت مكبر الصوت في هاتفي، ووضعته على المقعد حتى أتمكن من إخراجه من مقعد السيارة، ذرعت المكان جيئة وذهابًا في انتظار أن تجيبني جيني، في انتظار الممرضة، في انتظار الطبيب، انتظار، انتظار، انتظار.

- سيدتي.

أمسكت الهاتف: «نعم».

- جيني ليست مدرجة في جدول العمل حتى الغد، لقد كانت في إجازة أمومة.

هززتُ رأسي في استياء، زاد تململ إيليا، كان جائعًا: «لا، لقد عادت إلى العمل هذا الصباح».

سادت لحظة ترددٍ من جانب المرأة على الجانب الآخر، قبل أن تكرر ما قالته: «هي ليست مدرجة في جدول العمل حتى الغد، لقد كنت موجودة طوال اليوم، وهي ليست هنا».

قبل أن أبدأ الجدال معها، انفتحت الأبواب، ودخل جونا، توقف للحظة كأنه لم يكن يتوقع رؤيتي هنا، أغلقت الخط، وألقيت الهاتف على المقعد.

«الحمد لله» قلت له وأنا أمنحه إيليا، أمسكت الحقيبة وأخرجت «اللهاية»، وضعتها في فم إيليا، ثم عدت إلى النافذة، وقرعت الجرس ثلاث مرات.

وقف جونا بجواري «ماذا عرفتِ؟»، قلتُ باستياء:

- لا شيء، كل ما أخبروني به على الهاتف أنه كان حادث سيارة.

نظرت إلى جونا أخيرًا، لم أره من قبل بهذه الحالة، كان وجهه شاحبًا، ويخلو من أي تعبير، شعرت للحظة بالقلق عليه أكثر من نفسي، لذا أخذت إيليا منه، سند إلى المقعد وجلس، طفى الغضب على سطح كل المشاعر الهستيرية التي كانت بداخلي، فكريس هو زوجي، يجب أن يقلق جونا عليَّ أكثر من قلقه على نفسه الآن.

كانت غرفة الانتظار فارغة بشكلٍ مقلقٍ، أصبح إيليا أكثر إزعاجًا، لذا جلست على بُعد ثلاثة مقاعدٍ من جونا، وأخرجت زجاجة من

حقيبة حفاضات إيليا، كانت باردة، لكنها ستفي بالغرض، بمجرد أن وضعتها في فمه، توقف عن البكاء، وبدأ في التهامها.

كانت تنبعث منه رائحة بودرة الأطفال، أغمضت عيني، ووضعت خدي أعلى رأسه الدافئ، آملة أن يمنعني الإلهاء من الانهيار، أشعر أن الوضع ليس جيدًا، إذا لم يسمحوا لنا بالدخول لرؤية كريس، فربما يعني ذلك أنه في غرفة العمليات، آمل أن يكون الأمر بسيطًا.

أريد أختي، جونا ليس الشخص الذي يواسيني في مثل هذا الوقت، أفضِّل في الحقيقة عدم وجوده هنا، لكن إذا تمكنت من التواصل مع جيني، ستجعل الوضع أفضل، وقد تتمكن من معرفة معلومات أكثر عن حالة كريس، وربما يكون جونا قد تحدث معها بالفعل.

«هل جيني في طريقها إلى هنا؟» رفعت رأسي فوجدت جونا ناظرًا إليَّ، لم يجِب عن سؤالي، كان محدقًا إليَّ فقط وحاجباه مقطبان، لذلك واصلت كلامي: «حاولت الاتصال بها، لكن من ردت عليَّ في قسم الولادة ظلَّت تخبرني أنها ليست مدرجة في جدول العمل اليوم».

ضيَّق جونا عينيه وهزَّ رأسه قائلًا: «أنا مشوش».

- أعلم، أخبرتها أنها عادت للعمل اليوم، لكن المرأة جادلتني.

- لماذا تحاولين الاتصال بجيني؟

وقف جونا، ضاعف الارتباك الذي بدا عليه شعوري بالقلق.

- جيني أختي، من الطبيعي أن أتصل بها وأخبرها بما حدث لكريس.

هزَّ جونا رأسه «ماذا حدث لكريس؟».

ماذا حدث لكريس؟ صرت مشوشة للغاية.

- ماذا تقصد؟ اتصلوا بي وأخبروني أن كريس تعرض لحادث، ما الذي سيجعلني آتي إلى هنا غير ذلك؟

بلع جونا ريقه، وضع يديه على وجهه، امتلأت عينيه بمزيدٍ من القلق، «مورجان» قال وهو يمشي نحوي:

- أنا هنا لأن جيني تعرضت لحادثٍ.

لو لم أكن جالسة لكنت سقطت على الأرض، لم أحدث أي جلبة، حدقت إليه فقط محاولة فهم ما حدث، هززت رأسي وحاولت أن أتكلم، لكن صوتي كان مكتومًا: «لا بد وأنك فهمت الأمر بشكلٍ خاطئ، لا يمكن أن يكون كلاهما..».

«انتظري هنا» قال جونا، واتجه نحو النافذة، قرع الجرس، بينما أخرجت هاتفي من حقيبتي واتصلت بجيني، جاءني البريد الصوتي ثانية، اتصلت بكريس، ربما هناك خطأ في الكمبيوتر، جاءني البريد الصوتي على هاتفه أيضًا، حتمًا هناك خطأ ما في الأمر.

مرَّت بضع ثوانٍ ولم يأتِ أي أحد، اتجه جونا ناحية الأبواب المؤدية إلى غرفة الطوارئ، ظل يطرق حتى ظهر أحدهم أخيرًا من النافذة، عرفت هذه الممرضة على الفور، تُدعى سييرا، ولديها ابنة في الفصل مع كلارا، نظرت إليَّ، ثم ركزت نظراتها على جونا.

«أعتقد أن هناك خطأ ما» قال جونا.

وقفت بجواره عند النافذة، كنت أحمل إيليا، ولا أشعر بقدمي، لا أعرف حتى كيف مشيت من المقعد إلى هنا، «من الذي تعرَّض لحادثٍ؟، من الذي تم إحضاره إلى هنا؟» لم أستطع التوقف عن طرح الأسئلة: «زوجي أم أختي؟».

وجَّهت سييرا نظراتها إليَّ ثم إلى جونا، قبل أن تخفض بصرها تجاه المكتب أمامها وتقول: «دعيني أستدعي شخصًا يمكنه مساعدتكِ يا مورجان».

أمسك جونا بشعره عندما تركتنا الممرضة قائلًا «اللعنة»، لم يخف عليَّ أن ما من أحد يريد أن يبقى معنا، جميعهم يتجنَّبوننا، وذلك يرعبني، لا أحد يريد أن يكون ناقل الأخبار السيئة إلينا.

همست قائلة: «لا يمكن أن يكون الاثنان أصيبا»، أردفت «لا يمكن ذلك».

«لم يحدث لهما شيء» قال جونا، بصوتٍ تملؤه الثقة حتى كدت أصدقه، لكنه قام بعدها بفرك جبينه، ثم اتكأً على الجدار حتى يقوى على الوقوف، وسألني:

من الذي اتصل بكِ؟ ماذا قالوا لكِ؟

- اتصلت بي المستشفى منذ نحو عشرين دقيقة، أخبروني بما حدث لكريس، ولم يذكروا شيئًا عن جيني.

في تلك اللحظة جاءت سييرا ثانية، لكن من الباب هذه المرة: «تعالا معي»، لم تصطحبنا إلى إحدى غرف المستشفى، لكنها أخذتنا إلى غرفة انتظار أخرى داخل عرفة الطوارئ.

كان جونا يحمل إيليا، لم أنتبه حتى إنه أخذه مني، طلبت منا سييرا أن نجلس، لكننا لم نجلس، «ليس لديَّ أي معلومات عن حالتهما حتى الآن».

«هل أصيب كلاهما؟» سأل جونا مردفًا «جيني وكريس؟»، أومأت برأسها، «يا إلهي» قلت هامسة، ألقيت برأسي بين يديَّ، وانهمرت دموعي.

«أنا آسفة جدًّا يا مورجان» قالت مضيفة: «يمكنكما الانتظار هنا، وبمجرد أن أعرف أي شيء سأعود لكما»، غادرت سييرا الغرفة، وأغلقت الباب، جلس جونا بجواري.

رغم أنه لم يمضِ على وجودنا في غرفة الطوارئ سوى أقل من عشر دقائق، فإن عدم معرفتنا أي شيء عما حدث جعل الدقائق تبدو كأنها ساعات.

«ربما تعطلت إحدى سيارتهما» غمغم جونا، ثم أردف «هذا على الأرجح سبب وجودهما معًا»، أومأتُ برأسي، لكن عقلي لم يستطع استيعاب جملته حتى، لا أعرف لماذا كانا معًا في السيارة نفسها، لا أعرف لِمَ كذبت جيني علينا وقالت إن لديها عملًا اليوم، لا يهمني ذلك حتى، أريد فقط أن أعرف أنهما بخير.

ربط جونا إيليا بعدما نام في مقعد السيارة، ثم وقف وبدأ يجول في الغرفة، نظرت إلى الساعة في هاتفي، كان عليَّ أن أتصل بأحدٍ ليقل كلارا، صديقة لي، أو ليكسي، أردت أن أصل إلى كلارا قبل أن تعرف بشأن الحادث من شخص آخر، يجب أن أتصل بوالدي كريس أيضًا، لا، سأنتظر حتى أتأكد أنه بخير أولًا، فهما يعيشان في فلوريدا، وليس بيديهما شيء ليفعلاه، سيقلقهما ذلك فقط دون داعٍ.

اتصل جونا بوالدته وسألها عمَّا إذا كان في إمكانها أن تأتي لتأخذ إيليا، وقبل أن ينهي المكالمة نبَّهته قائلة: «هل لديها مانع في اصطحاب كلارا؟»، أومأ جونا برأسه متفهمًا، ثم طلب من والدته أن تقل كلارا من المدرسة، اتصل بعدها بالمدرسة ومنحني هاتفه، أخبرتهم أن والدته ستأخذ كلارا.

قابلت كلارا والدة جونا عدة مرات، لكن ذلك سيربكها حتمًا، فوالدة جونا ليست من بين الأسماء المدرجة في قائمة من يمكنهم

توصيل كلارا، لكني لا أريد أن تأتي كلارا هنا بمفردها، ستكون قلقة ومرعوبة للغاية، كما أنها لم تحصل على رخصة بعد.

مضت بضع دقائق أخرى، أمضاها جونا في الاتصال بمركز الشرطة، محاولاً معرفة أي معلومات عن حادث السيارة، لم يخبروه بالكثير، سألهم عن نوع السيارة التي تعرضت لحادث، كانت سيارة جيني، «تويوتا هايلاندر»، وكان يقودها رجلٌ، هذا كل ما أخبروه به.

«لماذا كان كريس يقود سيارتها؟» سأل جونا، لكني تعاملت مع سؤاله باعتباره سؤالًا استنكاريًا، لكنه تمتم بسؤال آخر: «لماذا كذبت بخصوص عملها اليوم؟».

واصلت النظر إلى هاتفي كما لو أن جيني أو كريس سيتصلان بي ويخبرانني أنهما بخير.

«مورجان» ناداني جونا، لكني لم أنظر إليه، أردف قائلًا: «هل تظنين.... أن بينهما علا..».

قاطعته: «لا تتفوَّه بذلك»، لا أريد سماع ذلك، أو التفكير فيه حتى، هذا أمرٌ مستحيلٌ، ولا يمكن تخيله.

وقفت وبدأت أجول في المكان بعيدًا عن جونا، لم تزعجني الأصوات على هذا النحو من قبل، صوت صفير قادم من الردهة، صوت نقر أصابع جونا على شاشة هاتفه وهو يرسل رسائل إلى هاتفي جيني وكريس، صوت نظام الاستدعاء الذي ينادي الأطباء والممرضات من مكان إلى آخر، صوت صرير حذائي على أرضية الغرفة الخشبية، أشعر بالانزعاج الشديد من كل شيء، لكني رغم ذلك لا أريد شيئًا الآن سوى تردد تلك الأصوات داخل رأسي، لا أريد التفكير في سبب وجود كريس وجيني معًا.

«ستصل كلارا بعد قليل، وأمي أيضًا» قال جونا، ثم استطرد: «نحتاج إلى أن نأتي بسبب لوجود كريس وجيني معًا».

-ولماذا نكذب عليهما؟، أنا متأكدة أنهما كانا معًا لأمرٍ متعلقٍ بالعمل.

حدق جونا إلى الأرض، لكن كان في إمكاني رؤية الشك الذي بدا على وجهه، الشك، والقلق، والخوف، مسحت دموعي، وأومأت برأسي، لأنه محقٌّ، فرغم أني أفضِل الاعتقاد أنه مخطئ، لكن والدته وكلارا قد يطرحان الأسئلة علينا بخصوص ذلك، سيريدان معرفة التفاصيل، وإلا سوف تراودهما الأفكار نفسها التي راودتني أنا وجونا، لا يمكن أنٍ نخبرهما أننا لا نعرف سبب وجودهما معًا، يمكن أن يثير ذلك شكوكًا لا داعي لها لدى كلارا.

«يمكن أن نقول لهما إن إطار سيارة كريس كانت مثقوبة، وإن جيني كانت تقله إلى العمل» قلت ثم أضفت: «على الأقل حتى توضح جيني وكريس السبب بنفسهما».

نظرنا في أعين بعضنا، وهو الشيء الذي لم نفعله تقريبًا منذ أن دخل إلى غرفة الطوارئ، أومأ جونا برأسه زامًّا شفتيه، لكن شيئًا ما في نظرة عينيه حطم قلبي.

كأن جونا شعر أنني على وشك أن أنهار وأفقد وعيي، مضى نحوي، وجذبني إليه، وعانقني، عانقته بخوفٍ، أغلقت عيني بقوة، انفتح الباب أخيرًا في تلك اللحظة، ابتعدنا عن بعضنا، تقدم جونا إلى الأمام، لكني تراجعت إلى الخلف حين رأيت تلك النظرة في عين الطبيب.

بدأ يتكلم، لكني لم أستوعب ما يقوله لأن كلماته لم تعنِ شيئًا بالنسبة إليَّ، كان في إمكاني رؤية الإجابة عن أسئلتنا في عينيه المعتذرتين، في شفتيه المتدليتين عند زاويتي فمه، في طريقة وقفته المتحسرة، عندما أخبرنا الطبيب أنه ليس بيدهم شيء يمكنهم فعله، سقط جونا على المقعد، بينما أنا.. تهاويت.

الفصل السادس
كلارا

اعتدت أن أجمع الكرات الثلجية عندما كنت أصغر عمرًا، كنت أرصُّهم على رفٍ في غرفة نومي، وكنت أحيانًا أهزهم، واحدة تلو الأخرى، ثم أجلس على فراشي وأشاهد زخات الثلج والحبيبات المتلألئة وهي تدور داخلها.

قبل أن يبدأ كل شيء في العودة إلى مكانه في النهاية، والتوقف تمامًا عن الحركة، لتعود بعدها الكرات الزجاجية الموجودة على الرف إلى حالة الهدوء والسكينة.

أحببت هذه الكرات لأنها تذكرني بحياتي، كم تبدو حياتنا أحيانًا كأن أحدهم يهز العالم من حولنا، فتطير الأشياء نحونا من كل اتجاه، لكننا إذا انتظرنا وقتًا كافيًا سيبدأ كل شيء بالسكون مرة أخرى، أحب ذلك الشعور الذي يخبرني أن العاصفة داخلي ستسكن دومًا في النهاية.

لكن هذا الأسبوع أثبت لي أن العواصف لا تهدأ في بعض الأحيان، وأن الأضرار أحيانًا ما تكون كارثية جدًّا لدرجة يصعب معها إصلاحها، فخلال الخمسة أيام الماضية ومنذ تلك اللحظة التي جاءت فيها والدة جونا إلى مدرستي لتصطحبني إلى المستشفى، وأنا أشعر كأني داخل كرة ثلجية هزَّها أحدهم ثم أسقطها، أشعر كأن كل جزء في حياتي تهشَّم، وأن أجزاءً مني تناثرت في كل مكان على أرضية خشبية مغبرة.

أشعر أني محطمة بشكلٍ يتعذر إصلاحه، ولا يمكنني أن ألوم أحدًا غيري على ما حدث لهما، ليس من العدل أن يتسبَّب حدثٌ واحدٌ، ثانية واحدة، في زعزعة العالم كله من حولك، في قلب كل شيء رأسًا على عقب، في إفساد كل لحظة سعيدة قبل هذه الثانية المُدمرة.

أصبحنا جميعًا نمضي كأن هناك غصة جاثمة في حلوقنا، نتألم في صمتٍ، لا تتوقف أمي عن سؤالي عما إذا كنتُ بخير، لكن كل ما يمكنني فعله هو الإيماء برأسي، وباستثناء هذه الكلماتٍ تكون صامتة مثلي، يبدو الأمر كأننا نعيش داخل كابوس، كابوس لا نريد أن نأكل أو نشرب أو نتحدث داخله، كابوس لا نريد أن نفعل شيئًا فيه سوى الصراخ، لكن ما من صوتٍ يخرج من حلوقنا الجوفاء.

أنا شخص لا يبكي، أعتقد أنني ورثت ذلك عن أمي، لكننا بكينا معًا في المستشفى، بكى جونا ووالدته أيضًا، لكن بمجرد أن غادرنا المستشفى وذهبنا إلى الجنازة، حتى أصبحت أمي رابطة الجأش ومتماسكة مثلما يتوقع منها الناس أن تكون، جيدة هي في ارتداء الوجه الشجاع في الأماكن العامة، لكنها تدخر دموعها حتى تكون في غرفة نومها، أعلم ذلك لأني أفعل الشيء ذاته.

سافر والدا أبي من فلوريدا منذ ثلاثة أيام، يقيمان معنا الآن، وتساعد جدتي في شؤون المنزل، كان مجيئهما بلا شكٍّ مفيدًا بالنسبة إلى أمي، التي كان عليها تولي مسؤولية ترتيبات الجنازة، ليس لزوجها فقط، وإنما لأختها أيضًا.

جنازة خالتي جيني كانت بالأمس، وجنازة والدي الآن، أصرَّت والدتي على إقامتهما في يومين منفصلين، أغضبني ذلك، فما من أحدٍ يتحمل كل هذا على مدار يومين متتاليين، ولا حتى الموتى.

لست متأكدة أيهما متعب أكثر، النهارات أم الليالي، فطوال الأيام التي تلت الحادثة، والناس لا يتوقفون عن المجيء، يجلبون لنا الطعام، ويقدمون تعازيهم، ويطمئنون علينا، معظمهم من العاملين في المستشفى مع أبي وخالتي جيني، بينما كنت أقضي الليالي طوال الأيام الماضية وأنا أدفن رأسي في الوسادة المبللة، أعلم أن والدتي تريد أن ينتهي كل هذا، وهي مستعدة لعودة حمويها لمنزلهما.

كنت أحمل إيليا معظم الوقت في القداس، لا أعلم لمَ أرغب في حمله كثيرًا هكذا منذ ما حدث، ربما أجد في حداثة سنه بعض المواساة وسط كل هذا الموت. بدأ يتململ بين ذراعيَّ، لم يكن جائعًا، فوالدة جونا أطعمته للتو، كما أنني غيرت حفاضته قبل بدء القداس، ربما لا يحب الضوضاء، يبدو أن الواعظ الذي اختارته أمي لا يعرف كيف يحمل الميكروفون، لا تتوقف شفتاه عن ملامسته، وكلما اقترب من مكبرات الصوت، يصدر عنها صوتٌ حادٌّ.

بدأ إيليا يبكي، نظرت أولًا تجاه نهاية الممشى بحثًا عن جونا، لكن المقعد الذي كان يشغله أصبح شاغرًا الآن، لحسن الحظ أنني كنت أجلس على طرف المقعد الأقرب إلى الحائط، لذلك غادرت الغرفة بهدوء من دون أن أضطر إلى السير في منتصف الممر، كان القداس على وشك أن ينتهي على أي حال، سيصلي الحاضرون، وبعدها سيتخطون النعش، ويعانقونا، ثم ينتهي الأمر.

عانقت معظم أولئك الأشخاص أنفسهم في جنازة خالتي جيني بالأمس، لا أشعر حقًّا برغبة في فعل ذلك مرة أخرى، ذلك أحد أسباب إصراري على حمل إيليا، لن أكون مضطرة إلى معانقة الأشخاص ويداي مشغولتان بحمل ابن خالتي.

عندما خرجت من الكنيسة، وعدت للبهو، وضعت إيليا في عربته، واصطحبته إلى الخارج، من المفارقات أن اليوم جميل، الشمس تدفئ بشرتي، لكني لا أشعر بالسعادة، بل بالظلم، كان والدي يحب مثل هذه الأيام، ذات مرة اتصل بعمله ليخبرهم أنه مريض، واصطحبني لنصطاد السمك، وذلك ببساطة لأن الطقس كان لطيفًا جدًّا.

- هل هو بخيرٍ.

نظرت إلى يساري، كان جونا يقف في الظل مستندًا إلى المبنى، ابتعد عن الجدار وسار نحونا، من الغريب أنه لا يتواجد بالداخل الآن، من المفترض أن أبي وجونا كانا أقرب أصدقائه، فكيف يتخلَّف عن حضور القداس الآن؟، لكني لا أجرؤ على التحدث في ذلك، فأنا أيضًا أقف هنا في الخارج.

- كان متململًا، لذلك اصطحبته إلى الخارج.

وضع جونا راحة يده على رأس إيليا، ممررًا إصبعه على جبهته: «يمكنكِ العودة، سأصطحبه إلى المنزل على الأرجح»، شعرت بالغيرة لأنه سيغادر، أردت أنا أيضًا الرحيل.

لم أعد للداخل، بل جلست على مقعدٍ بجوار الباب الأمامي للكنيسة، وراقبت جونا وهو يدفع عربة إيليا عبر ساحة انتظار السيارات، وبعدما ربطه في مقعد السيارة، ووضع العربة في صندوقها، لوَّح لي وهو يركب السيارة.

لوَّحت له، من دون أن أكون قادرة على إخفاء التعاطف البادي على وجهي، فإيليا لم يبلغ من العمر شهرين بعد، وسيتولى جونا تربيته بمفرده، لن يعرف إيليا أبدًا كيف بدت خالتي جيني، ربما يجب أن أكتب بعض ذكرياتي المفضلة عنها قبل أن أبدأ في نسيانها، آلمني هذا

التفكير، لأني سأبدأ حتمًا في نسيانهما، أنا متأكدة أن ذلك لن يحدث في البداية، لكنه سيحدث على أي حال بمرور الوقت.

سأنسى كيف كان أبي يغني بطريقة غير متناغمة أغاني جون دنفر بأعلى صوته كلما كان يجز العشب من الحديقة، سأنسى كيف كانت خالتي جيني تغمز لي كلما قالت والدتي شيئًا يكشف جانبها المحب للسيطرة، سأبدأ في نسيان كيف كانت تنبعث من أبي دائمًا رائحة القهوة أو العشب الندي، وكيف كانت تنبعث من خالتي جيني رائحة العسل، وقبل أن أدرك ذلك، سوف أنسى كيف بدا صوتاهما ووجهاهما.

انهمرت الدموع على خدي، استلقيتُ على المقعد وثنيت ساقيَّ، أغلقت عينيَّ وحاولتُ ألا أنغمس في المزيد من الشعور بالذنب، لكن الذنب لفَّ ذراعيه حولي مطبقًا على أنفاسي، فمنذ تلك اللحظة التي عرفت فيها أنهما أصيبا في حادث سيارة، وأنا أدرك من داخلي سبب حدوث ذلك، كنت أرسل رسائل إلى خالتي جيني، وكانت تجيب رسائلي في البداية، وبعدها لم تعُد تجيب، لم أتلقَّ منها ردًا بعد ذلك أبدًا، وبعد ذلك بساعتين علمت بالحادث.

أود تصديق أن ذلك لم يكن بسببي، لكن خالتي جيني قالت إنها كانت في طريقها إلى العمل عندما كنت أراسلها، كان ينبغي لي أن أقلق لكونها تقرأ رسائلي في أثناء القيادة، لكني كنت مهتمة بنفسي وبمشاكلي فقط، أتساءل ما إذا كانت أمي تعلم أن محادثتي مع جيني هي سبب الحادث الذي وقع لهما، لو لم أرسل إليها رسائل في تلك اللحظة، لو انتظرت فقط حتى تصل إلى العمل، لما كانت أمي ستفقد أختها وزوجها معًا، لما كانت ستقاسي الآن وهي مجبرة على دفن اثنين من أهم الأشخاص في حياتها، وما كان جونا سيفقد جيني، وما كان إيليا سيفقد أمه، وما كنت سأفقد أبي، الرجل الوحيد الذي أحببته في حياتي.

هل فحصوا هاتف خالتي جيني؟ هل عرفوا أنها كانت ترسل الرسائل وهي تقود السيارة، إذا اكتشفت أمي أن ما حدث كان بسبب أنني أردت أن تقرأ خالتي جيني رسائلي وتجيب عنها وأنا أعلم أنها كانت تقود السيارة، سيزداد وجعها.

علمي بأنني كنت السبب فيما حدث يجعلني لا أرغب في التواجد هنا، في جنازة أنا السبب في كل دمعة تُذرف بها.

«هاي»، فتحت عينيَّ على صوته، كان ميلر يقف أمامي واضع يديه في جيبي سرواله، اعتدلت في جلستي على المقعد، وقمت بعدل فستاني حتى يغطي فخذيَّ، تفاجأتُ برؤيته، كان يرتدي بدلة سوداء، شعرتُ بالضيق من قدرة جسدي على الشعور بهذا الحزن الشديد، وفي الوقت نفسه تسري به وخزاتٌ من الإثارة بمجرد رؤية ميلر، مسحت الدموع من على وجهي براحتي يديَّ: «هاي».

زمَّ شفتيه، متلفتًا حوله، كأنه يشعر أنه غير مرحب به، مثلما أخشى أن يكون كذلك فعلًا: «أردتُ المجيء كي أطمئن عليكِ».

لم أكن بحالة جيدة، لم أكن بحالة جيدة تمامًا، أردت أن أخبره بذلك، لكن الشيء الوحيد الذي تفوَّهت به كان: « لا أريد التواجد هنا»، لم أقصد أن أطلب منه أن يصطحبني إلى أي مكان، لكني قلتُ ما أشعر به بصراحة في هذه اللحظة، أشار برأسه نحو ساحة انتظار السيارات: «إذن دعينا نذهب».

قاد ميلر الشاحنة الزرقاء القديمة التي كانت واقفة أمام منزلهم في ذلك اليوم الذي أوصلته به، لا أعرف نوعها حتى، لكنها بلون أزرق مماثلٍ للون السماء الآن، كانت نوافذها مفتوحة، خمَّنت أن مكيف الهواءِ لم يعُد يعمل، أو ربما فقط أنه يحب القيادة والنوافذ مفتوحة،

رفعت شعري إلى أعلى وعقدته، حتى يتوقف عن التطاير على وجهي، وضعتُ الشعرات المتطايرة خلف أذني، وأسندت ذقني إلى ذراعي وأنا أحدق خارج النافذة.

لم أسأله أين سنذهب، لم أبالِ بذلك حتى، كل ما أعرفه أن كل ميل يبعدني به عن الجنازة، يخفف عني المزيد والمزيد من الضغط الذي يجثم على صدري، اشتغلت أغنية، طلبت من ميلر أن يرفع الصوت، لم أسمعها من قبل، لكنها جميلة وليس لها أي علاقة بأي من الأفكار التي تراودني، كما أن صوت المغني مريح كأنه ضمادة، بمجرد أن انتهت، طلبت منه أن يعيد تشغيلها.

«لا يمكنني إعادة تشغيلها» قال ميلر مضيفًا: «ذلك الراديو، الشاحنة قديمة جدًّا على أن يكون بها بلوتوث».

- ماذا كانت هذه الأغنية؟

- أربع أبواب قاتمة لـ بيلي رافول.

«أحببتها» قلتُ، ونظرت خارج النافذة في اللحظة التي بدأت فيها أغنية أخرى، أحببت ذوقه في الموسيقى، تمنيت لو كان في إمكاني أن أفعل ذلك طوال اليوم، كل يوم، أن أركب السيارة وأستمع إلى أغان حزينة بينما يقود ميلر. يخفِّف الحزن الموجود في الموسيقى الحزن داخل روحي لسببٍ ما، كأنه كلما زادت كآبة الأغنية، شعرت أنني أفضل حالًا، أتصورُ أن الأغاني المؤثرة مثل المخدرات، تأثيرها سيئ على الأشخاص، لكنها تجعلهم يشعرون بالسعادة والارتياح.

لن أعرف ما إذا كان ذلك صحيحًا، لم أتعاطَ المخدرات من قبل، وبالتالي لم أختبر صحة هذه المقارنة أبدًا، فأنا لم أنتشِ أبدًا طوال

حياتي، من الصعب أن تقوم بتصرفات المراهقة المتمردة العادية ولديك والدان يبالغان بالإفراط في حمايتك من أجل تعويض الأخطاء التي ارتكباها في أثناء مراهقتهما.

«هل أنتِ جائعة أو عطشى؟» سألني ميلر.

أبعدت نظري عن النافذة، واستدرتُ لأنظر إليه: «لا، لكني أريد أن أنتشي».

أبعد عينيه عن الطريق بسرعة ونظر إليَّ، ابتسم قائلًا: «أنا متأكد أنكِ منتشية».

«أنا جادة» قلتُ له، واعتدلت في جلستي مستطردة: «لم أجرِّب ذلك من قبل، وأريد حقًّا ألا أفكر في أي شيء اليوم، هل معك حشيش؟».

- لا.

غصت في مقعدي محبطة، فقال:

- لكني أعرف أين يمكننا شراؤه.

***

بعد عشر دقائق أوقف الشاحنة عند السينما المحلية، وطلب مني الانتظار داخل الشاحنة، كدت أقول له ألا يكترث بذلك، وإنها كانت مجرد فكرة عشوائية، لكن جزءًا مني كان يتساءل عما إذا كان ذلك سيخفف حزني، سأجرب أي شيء حاليًا.

دخل السينما، وبعد أقل من دقيقة خرج مع شاب بدا أكبر سنًّا منَّا بقليلٍ، ربما يكون في العشرينيات، لم أعرفه، مشيا حتى سيارته، وخلال خمسِ عشرة ثانية، تبادلا النقود والحشيش، هكذا ببساطة، بدا الأمر سهلًا للغاية، لكني شعرت رغم ذلك بالقلق، لأن ذلك غير

قانوني في تكساس، وحتى ولو كان قانونيًا، فميلر يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا فقط، فضلًا عن أن لديه كاميرا جديدة في هذه الشاحنة القديمة، أنا متأكدة أن كاميرته لم تلتقط عملية الشراء والبيع بينه وبين الشاب، لكن إذا تم القبض عليه الآن، ستقوم الشرطة بتفتيش شاحنته، وربما تشاهد مقاطع الفيديو التي التقطتها الكاميرا، وتعرف أن المخدرات كانت لي.

قاد ميلر الشاحنة وأوقفها بجوار السينما، بحيث تكون مواجهة للطريق، حتى نتمكن من رؤية ساحة انتظار السيارات بالكامل، أخرج كيسًا من جيبه بداخله سيجارة حشيش ملفوفة.

كانت الشاحنة قديمة للغاية، ولا يزال بها قداحة سجائر من تلك القداحات المدمجة، ضغطها ليُسخنها، ثم أعطاني سيجارة الحشيش، حدقت إليها، لم أعرف ما أفعله بها، نظرت إلى ميلر بترقبٍ: «ألن تقوم بإشعالها لي».

هزَّ رأسه: «لا أدخن».

لكن..لديك تاجر مخدرات.

ضحك ميلر: «اسمه ستيفن، وهو زميلي في العمل، وليس تاجر مخدرات، لكن معه حشيشًا دائمًا».

- حسنًا، اللعنة، لم أكن أظن أنني سأفعل ذلك بنفسي، لم أشعل سيجارة من قبل حتى.

أخرجت هاتفي وفتحت اليوتيوب، بحثت عن كيفية إشعال سيجارة الحشيش، وقمت بتشغيل فيديو عن ذلك، سألني: «اليوتيوب به دروس تعليمية عن تدخين الحشيش؟».

- أعلم أن ذلك صادمٌ.

ضحك، اقترب مني وشاهد الفيديو معي: «هل أنتِ واثقة أنكِ تريدين الانتشاء؟ يداكِ ترتجفان»، أخذ الهاتف مني.

سأكون وقحة لو غيَّرت رأيي الآن، بعدما اشتريتها..

ظل ميلر ممسكًا بالهاتف لنتفرج معًا، حين انتهى الفيديو، أخرجت الولاعة من المقبس، وحدقت إليها بترددٍ.

«يمكنني المحاولة» قال، منحتها له، أشعل سيجارة الحشيش كما لو أنه محترفٌ، مما جعلني أشك نوعًا ما فيما زعمه بشأن كونه لا يدخن، أخذ نفسًا من السيجارة، ثم نفث الدخان بعيدًا عني، نفثه خارج نافذته المفتوحة، ثم أعطاني سيجارة الحشيش، لكن عندما حاولت أن أسحب نفسًا منها، سعلت بشدة، لم أفعل ذلك بسهولة مثله، سألته:

- إذا كنت لا تدخن الحشيش، فكيف فعلت ذلك بهذه السهولة؟

ضحك: «لم أقل إنني لم أجرِّبه، أنا فقط لم أشعل سيجارة حشيش من قبل».

حاولت ثانية لكني لم أستطع التدخين بسهولة، قلت بصوتٍ مختنقٍ: «هذا مقرف جدًّا».

- الحشيش القابل للأكل أفضل من ذلك.

- لماذا لم تشترِ لي واحدًا إذن؟

- ليس لدى ستيفن ذلك، والمخدرات لا تثير اهتمامي.

أمسكت سيجارة الحشيش بين أصابعي، ونظرت إليها، متساءلة كيف انتهى بي الحال هنا في حين أن من المفترض أن أكون في جنازة أبي، المخدرات لا تثير اهتمامي أيضًا على ما أعتقد، تمنحك شعورًا زائفًا جدًّا.

«ما الشيء الذي تحبه؟» سألت ميلر معاودة النظر إليه، أرجع رأسه إلى الخلف ساندًا إياها إلى المقعد، وفكر في ذلك للحظة: «الشاي المثلج، وخبز الذرة، أحب خبز الذرة؟».

ضحكت، ليس هذا ما توقعته، أخذت نفسًا آخر من السيجارة، حتمًا ستُصدم ليكسي إذا ما رأتني الآن، ليكسي! اللعنة، لم أخبرها حتى إنني سأغادر الجنازة، فحصت هاتفي، لكن لم أجد رسائل منها، وجدت رسالة واحدة من أمي تسألني فيها «أين أنتِ؟»، أرسلتها منذ خمس عشرة دقيقة، قلبت هاتفي على وجهه، كأنني إذا لم أرَ الرسالة، فلن يكون لها وجود.

«ماذا عنكِ؟» سألني ميلر، مردفًا «ما الشيء الذي تحبينه؟».

- التمثيل، لكنك تعرف ذلك بالفعل.

قطب ميلر حاجبيه قائلًا: «عندما سألتني عن الأشياء التي أحبها، ظننت لسببٍ ما أننا كنا نتحدث عن الأشياء التي نحب تناولها.

ابتسمتُ: «لا، قصدت بسؤالي كل شيء، ما هو أكثر شيء تحبه؟ ما هو الشيء الوحيد الذي لست مستعدًا للتخلي عنه أبدًا في الحياة؟» من المرجح أن يقول شيلبي.

«التصوير» أجاب بسرعة ثم أردف: «تصوير الأفلام، المونتاج، أي شيء يجعلني أقف خلف الكاميرا»، مال برأسه مبتسمًا لي: «لكنك تعرفين ذلك بالفعل».

«ألهذا لديك كاميرا في لوحة القيادة؟» سألته مشيرة إليها، «هل تريد أن تكون خلف الكاميرا حتى في أثناء القيادة؟»، أومأ برأسه «لديَّ هذه أيضًا»، فتح صندوق القفازات وأخرج كاميرا جو برو: «أحمل كاميرا معي دائمًا، لا يمكن توقع متى ستأتي لحظة التصوير المثالية».

فكرت أن ميلر مولعٌ بالتصوير مثلما أنا مولعة بالتمثيل: «من المؤسف أن حبيبتك السابِقة لن تسمح لنا بالعمل على مشروع الفيلم معًا، من الممكن أن نشكِل فريقًا جيدًا»، أعدت السيجارة إلى فمي، على الرغم من أنني أكرهها، «ما القدر الذي عليَّ تدخينه حتى أشعر بالخدر».

- قد لا يشعرك ذلك بالخدر، ربما يجعلكِ تشعرين بالقلق والارتياب.

نظرت إلى سيجارة الحشيش بإحباطٍ «يا للهراء»، بحثت عن مكان أطفئها به، لكن لم تكن هناك منفضة سجائر في شاحنته، «ماذا أفعل بها، لا تعجبني».

أخذها مني، حشر نهايتها بين أصابعه، خرج من الشاحنة، وألقاها في سلة المهملات، ثم عاد ثانية، يا له من رجلٍ نبيلٍ، اشترى لي سيجارة حشيش، ثم رماها من أجلي، يا له من يوم غريبٍ، لا أشعر بأي شيء على الإطلاق حتى الآن، لا شيء سوى الحزن الذي لا يزال يغمرني.

«عدت إلى شيلبي» قال.

أوووف، شعرتُ بذلك: «هذا سيئ جدًّا» قلت.

- ليس تمامًا.

أدرت رأسي ناظرة إليه بحدة: «لا..هذا سيئ، لم يكن عليك فتح الموضوع حتى».

«لم أفعل ذلك» قال مردفًا «أنتِ من بدأ الحديث في الأمر، فمنذ دقيقة دعوتِها بحبيبتي السابقة، وشعرت أنني يجب أن أوضح أننا عدنا لبعضنا».

لا أعرف حتى لماذا يقول لي ذلك، ملت برأسي وضيقت عيني: «هل تظن أنني معجبة بك؟ هل هذا هو السبب الذي يجعلك لا تتوقف عن إخباري بحالتك العاطفية كلما نكون معًا؟».

ابتسم ميلر قائلًا «أنتِ فظة»، ضحكت، وأشحت بوجهي بعيدًا لأنني خشيت أن تتحوَّل ضحكتي إلى دموع، هذا أمر مضحك رغم ذلك، حزين ومضحك، لأن أمي كانت تصف أبي دومًا بأنه فظّ، وأعتقد أنني مثله تمامًا.

ظن ميلر حتمًا أنه أهانني، لأنه مال إلى الأمام قليلًا محاولًا جذب انتباهي قائلًا: «لم أقصد ذلك بالمعنى السيئ».

أشحت بيدي لأبيِّن له أنني لست مستاءة: «لا بأس، أنت محقٌّ، أنا فظّة فعلًا، وأحب المجادلة، حتى عندما أعرف أنني مخطئة».

نظرت إليه، وأردفت: «لكني أعمل على تغيير ذلك بي، أحاول أن أتعلم أنه في بعض الأحيان يكون على المرء أن ينسحب من المعركة حتى ينتصر بها»، قالت لي خالتي جيني ذلك ذات مرة، أحاول أن أتذكر مقولتها في كل مرة أشعر فيها أنني في موقفٍ دفاعي.

ابتسم ميلر لي بلطفٍ، لم أعرف ما إذا كان مفعول الحشيش بدأ يظهر أخيرًا، أم أن ابتسامته هي التي تشعرني بالدوار، في كلتا الحالتين لم أعد أشعر بالصداع الذي لازمني طوال خمسة أيام من كثرة بكائي.

«إذا كنت قد عدت لشيلبي، فلماذا جئتَ لتطمئن عليَّ الآن، أنا متأكدة أنها لن تتقبَّل ذلك»، بدا على وجهه الشعور بالذنب، أمسك بعجلة القيادة، ثم مرَّر يديه عليها قائلًا: «كنت سأشعر بالذنب أكثر إذا لم أطمئن عليكِ».

وددت التفكير في جملته تلك، لكن قطعت سيارة توقفت بجوارنا حديثنا، نظرت خارج نافذتي المفتوحة، ثم اعتدلت في جلستي: «اللعنة».

«اركبي السيارة يا كلارا» كان صوت أمي صارمًا وعاليًا، ربما شعرت بذلك لأن النوافذ كانت مفتوحة، ولأنها أوقفت سيارتها بالقرب من شاحنة ميلر، شاحنته التي لست واثقة من أنني قادرة على فتح بابها.

همس ميلر قائلًا «هل هذه والدتكِ؟».

«أجل»، لكن الغريب أن ذلك لم يخفني بالقدر المتوقع، ربما يكون الحشيش السبب في ذلك، لأنني أردت أن أضحك لأنها هنا: «نسيت أننا لدينا هذا التطبيق، يمكنها تتبُّعي في أي مكان».

«كلارا» قالت أمي ثانية.

رفع ميلر حاجبه قائلًا «حظًّا موفقًا».

ابتسمت له بشفتين مطبقتين، ثم فتحت الباب، كنت محقة، لم يكن في إمكاني الخروج: «أنتِ تقفين قريبة جدًّا من الشاحنة يا ماما».

أخذت والدتي نفسًا ببطء، وحركت ناقل الحركة في الاتجاه المعاكس، عندما تمكنت من فتح بابي، لم ألقِ نظرة واحدة حتى على ميلر، مشيت حتى سيارة أمي وركبت، لم تقل شيئًا وهي تمضي مبتعدة عن السينما، لم تقل أي شيء حتى سألتني: «من هذا؟».

- ميلر آدامز.

كان في إمكاني أن أشعر باستنكارها للأمر رغم صمتها، نظرت تجاهي بعد ثوانٍ: «يا إلهي، هل أنتِ منتشية؟».

- ها؟

«هل كنتِ تتعاطين المخدرات مع هذا الشاب؟».

«لا، كنا نتحدث فقط» لم أكن أبدو مقنعة وأنا أقول ذلك.

نفخت في ضيقٍ: «تنبعث منكِ رائحة حشيش».

«فعلًا؟» شممت فستاني، كان رد فعلي غبيًّا، لأن أي أحد موقن أنه لا تنبعث منه رائحة الحشيش، لن يشم نفسه ليرى ما إذا كانت تنبعث منه رائحة الحشيش أم لا.

جزَّت على أسنانها حين تلاقت أعيننا، شيء ما فضح أمري، قلبت حاجب الشمس على وجهه الآخر الذي يحوي المرآة، نظرت إلى عينيَّ، كانتا حمراوين، واو، حدث ذلك بسرعة جدًّا، قلبت حاجب الشمس ثانية.

- لا أصدق أنكِ لم تحضري جنازة والدكِ لتنتشي.

- حضرت معظمها.

- كانت تلك جنازة والدكِ يا كلارا؟

كانت غاضبة جدًّا حينها، تنهدت ونظرت خارج نافذتي: «كم من الوقت ستمنعينني من الخروج من المنزل؟».

نفخت باستياء: «سأخبرك بعد أن أتحدث مع والد..»، سكتت بعدما أدركت ما كانت على وشك قوله، لست متأكدة أنها قامت بذلك فعلًا لأني كنت أنظر خارج نافذتي، لكني أعتقد أنها بكت طوال الطريق إلى المنزل.

الفصل السابع
(مورجان)

عامان، وستة أشهر، وثلاثون يومًا، هذه هي المدة التي يمكننا أنا وكلارا أن نعيش فيها على بوليصة التأمين، إذا واصلنا العيش بالطريقة التي اعتدناها، فمبلغ الضمان الاجتماعي لن يكون مماثلًا لراتب كريس، مما يعني أن علينا أن نتخذ قراراتٍ جادة، نحن في حاجة إلى إعادة تنظيم أمورنا المالية، قد نحتاج إلى تقليص الميزانية المخصصة لكلية كلارا، كما أني في حاجة للبحث عن عملٍ، في حاجة للبحث عن مهنة.

حتى الآن.. لا أستطيع مغادرة الفراش أو الأريكة لمواجهة أي من ذلك، كنت أشعر كأن كلما زادت الساعات التي تفصل بين الحادث واللحظة الحالية، قلَّ الألم، ربما إذا خَفَتَ الألم يقل عزوفي عن مواجهة كل الأشياء التي يجب القيام بها.

تصورت أن أسرع طريقة للانتقال من النقطة أ (الحزن) إلى النقطة ب (حزن أقل) أن أنام بين المرحلتين، أعتقد أن كلارا لديها الشعور نفسه، لأننا أمضينا معظم وقت عطلة نهاية الأسبوع نائمتين، بالكاد تحدثت إليَّ منذ الجنازة، أخذتُ هاتفها حين اكتشفت أنها كانت منتشية، لكني لم أكن في حالة مزاجية تسمح لي بالكلام مؤخرًا، لذلك لم أضغط عليها للتحدث في الأمر.

لا أضغط عليها، بل أعانقها، لا أعرف ما إذا كنت أحضنها كثيرًا لأنني في حاجة إلى هذه الأحضان، أم لأني قلقة من طريقة تعاملها مع كل ما حدث. يوم الثلاثاء سيكون قد مرَّ أسبوع على الحادث، ولا أعرف ما إذا كانت ستعود إلى المدرسة غدًا، أم أنها لا تزال في حاجة إلى المزيد من الوقت، سأمنحها وقتًا إذا احتاجت إلى ذلك، لكننا لم نناقش ذلك بعد.

اختلست النظر داخل غرفتها لأطمئن أنها بخير، لا أعرف كيف أواجه هذا الحزن معها، فلم نضطر أبدًا من قبل إلى التعامل مع شيء بهذه الفظاعة، أشعر بالضياع من دون كريس، من دون جيني، كانا ملجئي الذي أذهب إليه كلما احتجت إلى متنفس، أو كلما احتجت إلى الشعور بالطمأنينة بشأن طريقة تربيتي لكلارا.

ماتت والدتي منذ بضع سنوات، لكنها كانت آخر شخص أرغب في أخذ مشورة خاصة بالتربية منه على أي حال، لديَّ أصدقاء، لكن لم يمر أيٌّ منهم بهذا القدر من الفقدان المفاجئ، أشعر كأنني أبحر في مياه لم يمر بها أي شخص أعرفه من قبل. أنوي اصطحاب كلارا إلى معالج نفسي، لكن ربما ليس قبل شهر أو نحو ذلك، أريد أن أمنحها الوقت للتعامل مع الجزء الأكثر وجعًا في الحزن قبل أن أجبرها على شيء أعرف أنها لن ترغب في القيام به.

لم يكن المنزل هادئًا هكذا من قبل، حتى صوت التلفزيون لا يتردد في الخلفية، لأن الكابل اللعين لا يزال معطلًا، كان كريس يتولى مسؤولية دفع جميع الفواتير، لذلك لا أعرف حتى اسم شركة الكابلات التي نتعامل معها، سأحل هذا الأمر فيما بعد.

جلست على أرضية غرفة المعيشة، كانت مظلمة، حاولتُ التأمل، حاولت التفكير في أشياء بعيدة عن كريس أو جيني، لكن ذلك كان صعبًا،

فما من ذكرى لديَّ تقريبًا إلا وبها أحدهما، كانا الاثنان جزءًا من كل خطوة وحدث في حياتي، فترة حملي بكلارا، ولادتها، زفافنا، ذكرى زواجنا، حفلات التخرج، العطلات العائلية، حفلات أعياد الميلاد خارج المنزل، مشاهدة الأفلام معًا، رحلات الصيد والتخييم، مولد إيليا.

كانا الاثنان في كل لحظة مهمة في حياتي، كانا عالمي كله، وكنت كل عالمهما، لهذا أرفض تمامًا التفكير ثانية في سبب تواجدهما معًا، مستحيل أن أصدق أنهما كانا يخونانني بهذه الطريقة، أنهما كانا يخونان كلارا بهذا الشكل، كنت سأعرف لو حدث ذلك، بالتأكيد كنت سأعرف، قطع أفكاري صوت رنين جرس الباب.

لمحت سيارة جونا من النافذة وأنا متجهة ناحية الباب الأمامي، لم أشعر بالارتياح لرؤيته، ليس فقط لأني أفضِّل ألا يزورني أحدٌ بتاتًا، ولكن أيضًا لأني لم أعد أشعر بالانزعاج الذي كنت أحس به عادة عندما أراه حين أفتح الباب وأجده أمامي؛ طغى شعوري بالتعاطف معه على ضيقي منه. أنا محطمة تمامًا بالطبع بسبب ما حدث لكريس وجيني، لكني منطقية كفاية لأدرك أن تأثير ذلك على جونا أكبر من تأثيره عليَّ، فلديه الآن طفلٌ رضيعٌ عليه تربيته.

على الأقل كان معي كريس وجيني ووالدا كريس ليساعدوني في تربية كلارا، لكن جونا ليس لديه سوى أمه، وأنا أيضًا، لكن في الوقت الحالي لا يمكنني مساعدته كثيرًا.

صُدمت بما رأيته حين فتحت الباب، لم يحلق جونا ذقنه لعدة أيام، ولم يبدُ عليه أنه استحم حتى، أو نام، من المرجح أنه لم ينم لأنني أيضًا لم أنم، رغم أني ليس لديَّ رضيع أعتني به.

«هاي» قال بصوتٍ خافتٍ. فتحت الباب له ليدخل وأنا أسأله: «أين إيليا؟».

- أرادت والدتي أن يبقى معها لبضع ساعات.

أشعرني ذلك بالراحة، فجونا في حاجة إلى أن يرتاح، لا أعرف لِمَ جاء، لكنني خشيت أن يكون ذلك لرغبته في التحدث عما حدث، ربما جاء ليحلل سبب وجودهما معًا، لو كان الأمر بيدي، فلن أتحدث عن ذلك أبدًا، أريد التظاهر بأن ذلك لم يحدث، يكفي الحزن على فراقهما، لا أريد أن أراكم فوقه الغضب والشعور بالخيانة، لا أريد شيئًا سوى أن أفتقدهما، ولا أعتقد أن لديَّ قوة كافية متبقية داخلي لأكرههما.

وقفنا في غرفة المعيشة صامتين لمدة خمس ثوان فقط، لكن الوقت بدا أطول، لم أعرف ماذا أفعل، هل أصطحبه إلى الفناء الخلفي لنجلس هناك؟ أم أجلس معه على طاولة غرفة الطعام؟ أم نجلس على الأريكة؟ ذلك أمرٌ محرج، لأني لم أعد أشعر بالراحة مع جونا. فمنذ عودته وأنا أتجنَّبه طوال الوقت، لكن لأني لا أستطيع تجنُّبه حاليًا، ينتابني شعور كأنني أتعامل معه لأول مرة.

- هل كلارا في المنزل؟

أومأت برأسي «أجل، في غرفتها».

نظر ناحية الردهة: «أود التحدث معكِ دقيقة على انفراد».

غرفة المعيشة هي أبعد غرفة عن حجرة نوم كلارا، كما أنها تطل على الردهة مباشرة، وبالتالي سأرى كلارا إذا خرجت من حجرتها، لذلك أشرت إليه باتجاه الأريكة الصغيرة ليجلس عليها، بينما جلست على الأريكة المقابلة للردهة.

مال بجسده إلى الأمام، وضع مرفقيه على ركبتيه، كانت أصابعه تلامس ذقنه. تنهد بقوة قائلًا: «لا أعرف ما إذا كان الوقت مبكرًا جدًّا لمناقشة الأمر، لكن لديَّ أسئلة كثيرة».

- لا أريد مناقشة ذلك الأمر أبدًا.

تنهد، أسند ظهره إلى الأريكة قائلًا: «مورجان»، كرهت الطريقة التي نطق بها اسمي، بنبرة مليئة بخيبة الأمل.

- ما فائدة ذلك يا جونا؟ نحن لا نعرف لماذا كانا معًا، وإذا بدأنا في تحليل الأمور، ربما نجد إجابات لا نريدها.

ساد صمتٌ موحشٌ وغير مريح بيننا لمدة دقيقة كاملة. نظر إليَّ قائلًا -كما لو أنها فكرة جديدة- «أين سيارة كريس؟»، يمكن لجونا أن يدرك من الطريقة التي أشحت بها بنظري بعيدًا عنه، أنني حاولت تجنب تلك الفكرة.

- غادر من هنا بسيارته في ذلك الصباح، أليس كذلك؟

قلت بصوت خافت «أجل». تساءلت كثيرًا أين سيارته، لكنني لم أحاول أن أفعل شيئًا للعثور عليها، خشيت مما قد يثبته مكانها، أفضِّل ألا أعرف مكانها إلى الأبد، على أن أكتشف أنها مركونة في أحد الفنادق.

- هل كان لديه تطبيق أون ستار؟

أومأت برأسي، أمسك جونا هاتفه وخرج ليجري مكالمة هاتفية، هرعت تجاه المطبخ لأنني كنت في حاجة إلى مشروب، كنت أشعر بالغثيان، وجدت زجاجة النبيذ التي جلبها لي جونا وجيني الأسبوع الماضي بمناسبة عيد ميلادي، لم تتح الفرصة لفتحها، لأنه كانت لدينا زجاجة نبيذ متبقية، أزلت السدادة، وصببت لنفسي كأسًا.

كانت الكأس شبه فارغة عندما دخل جونا المطبخ، كان وجهه شاحبًا تمامًا، عرفت من نظرة واحدة أن الأمر لا ينبئ بالخير، وأن أكبر

مخاوفي ربما توشك أن تصبح حقيقة، ورغم أنني لم أرغب في معرفة ذلك، لكن لم يسعني سوى سؤاله.

غطيت فمي بيدٍ مرتعشة، وسألته بصوتٍ خافتٍ: «أين هي؟»، أوحى وجهه بالكلام الذي سيقوله قبل أن يخرج حتى من فمه: «مركونة في فندق لانجفورد».

هوت يدي من على فمي، انقبضت معدتي، يبدو أنه قد بدا عليَّ أنني على وشك أن أفقد الوعي لأن جونا أخذ كأس النبيذ من يدي، ووضعها على المنضدة.

«اتصلت بالفندق» قال مردفًا: «تركوا رسائل في البريد الصوتي على هاتف كريس، قالوا إنه يمكننا القدوم لأخذ المفاتيح والأشياء التي تركاها في غرفتهما».

غرفتهما، غرفة أختي وزوجي في الفندق!

«لا أستطيع يا جونا» قلتُ بصوتٍ خافتٍ يفيض بالألم، بدا على وجهه التعاطف معي، وضع يديه على كتفي، ودفس رأسه بين يديَّ.

- يجب أن تفعلي ذلك، سيقومون بسحب سيارته غدًا إذا لم نذهب لنأخذها الليلة، تحتاجين إلى سيارته يا مورجان».

امتلأت عيني بالدموع، زممت شفتيَّ: «حسنًا، لكني لا أريد أن أعرف ما بداخل الغرفة».

- حسنًا، يمكن أن تقودي أنتِ سيارة كريس إلى المنزل، وسأتولى أنا باقي الأشياء.

أقمنا أنا وكريس في «لانجفورد» مرة واحدة بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لزواجنا، كان ذلك قبل أن أضطر إلى ترك الكلية، لم

يتمكَّن حينها من أخذ إجازة من عمله في عطلة نهاية الأسبوع، لذلك حجز لنا في الفندق ليلة الأربعاء، اعتنت أمي بكلارا ذلك اليوم، بينما أمضينا أنا وهو الليل كله في الفراش معًا، نمارس الحب، شعرت وقتها أني في الجنة.

كنَّا نحن الاثنان منهكين من إنجاب طفل والمذاكرة، لذلك بمجرد أن أتيحت لنا الفرصة لنحظى بلحظات هدوءٍ، انتهزنا الفرصة، كنا حينها لا نزال في التاسعة عشرة والعشرين من عمرنا، لم نكن كبارًا كفاية حتى لنشرب الكحول، لكننا كنَّا متعبين جدًّا لدرجة أننا بدونا بضعف عمرنا.

وصلت في النهاية إلى مرحلة كانت تكاليف حضانة كلارا أكثر مما أحصل عليه من وظيفتي بدوام جزئي، كنَّا بالكاد نلبي احتياجاتنا، وكان الحل الوحيد المنطقي بالنسبًة إليَّ حينها أن أجلس في المنزل مع كلارا، قال كريس إن في إمكاني أنهي دراستي بعد أن ينهي دراسته، لكني لم أعد للدراسة أبدًا، وبمجرد أن وجد كريس وظيفة، قلَّت المصاعب المالية، وانغمسنا في روتين مريح. كنت سعيدة في حياتي، اعتقدت أن كلينا كان سعيدًا، لكن ربما كان كريس أقل سعادة في حياته مما ظننت.

كنت جالسة في سيارة جونا، ركنا بجوار سيارة كريس الـ «إس يو في»، أخذ جونا المفتاح من مكتب الاستقبال، ودخل غرفة الفندق ليبحث عن مفتاح سيارة كريس، بقي بها لمدة خمس دقائق. أرجعت رأسي إلى الخلف وأغمضت عينيَّ، ودعوت الله في صمتٍ، آملة أن يأتي ويخبرني أن أيًّا كان ما وجده يثبت أننا كنَّا مخطئين.

لكني كنت أعرف تمامًا، ومن أعماق قلبي، أنني تعرضت للخيانة بأبشع طريقة ممكنة، من الشخص الوحيد الذي لم أفكر أبدًا أنه قد

يؤذيني، أختي. صديقتي المفضلة، قيام كريس بشيء مثل هذا بمنزلة طعنة خنجر في قلبي، لكن جيني؟ ذلك يدمر روحي تمامًا.

عندما عاد جونا لمقعده، ألقى حقيبة جيني الـ«دافل» في الخلف، تلك الحقيبة التي اشتريناها لها أنا وكريس العام الماضي بمناسبة عيد الميلاد، أعطاني مفاتيح سيارة كريس. نظرت إلى الحقيبة، متسائلة لِمَ كانت في حاجة إليها، لقد غادرت منزلها في ذلك الصباح من أجل وردية عمل مدتها 12 ساعة، وليس من أجل رحلة ليلية، فلماذا قد تحتاج إلى حقيبة رحلات؟

- لِمَ كانت حقيبتها هنا؟

لم يجبني جونا، كان ناظرًا للأمام، وفكه مطبق كجدارٍ خرساني، «لماذا قد تحتاج إلى حقيبة يا جونا؟ أخبرتك أنها ذاهبة إلى العمل، أليس كذلك؟ لم تكن ستبيت الليل في الخارج في أي مكان».

«كانت ملابس المستشفى في حقيبتها» قال ذلك بطريقة أشعرتني أنه يكذب.

كانت معها حقيبة رحلات حتى تتمكن من تغيير ملابس المستشفى بعد مغادرتها منزلي، لكن ماذا كانت سترتدي؟، مددت يدي إلى المقعد الخلفي، لكن جونا أمسك معصمي ومنعني من ذلك، سحبت يدي من يده، واستدرت في مقعدي محاولة الوصول إلى الحقيبة «الدافل» ثانية، لكنه سد عليَّ الطريق بذراعه، أمضينا عدة ثوان وأنا أحاول وهو يمنعني، حتى لفَّ ذراعيه حولي، محاولًا إرجاعي إلى مقعدي، لكني كنت بالفعل قد فتحت سحاب الحقيبة.

بمجرد أن رأيت شريط الدانتيل الأسود الذي يؤطر قطعة من الملابس الداخلية الرقيقة، حتى هويت في مقعدي، محدقة نحو

الأمام بلا حراك، محاولة منع تلك الصور التي تومض في ذهني، فأن أعرف أن أختي كانت تنوي ارتداء الملابس الداخلية لزوجي أبشع شيء يمكن أن أتخيله في حياتي.

كان جونا جالسًا من دون حراك أيضًا، كلٌّ منَّا يتألم في صمتٍ من حقيقة ما يعنيه ذلك، الحقيقة المرَّة قضت على شكوكي، تكورتُ على نفسي، جاذبة ركبتي نحو صدري.

«لماذا؟» خرج صوتي بصعوبة من حلقي.

وضع جونا ذراعه عليَّ ليواسيني، لكني دفعته بعيدًا: «خذني إلى المنزل».

لم يتحرك للحظة، ثم قال «لكن.. سيارة كريس».

- لا أريد تلك السيارة اللعينة!

نظر جونا إليَّ للحظة، ثم أومأ برأسه، قبل أن يدير السيارة ويرجع إلى الخلف، خرجنا من المكان الذي كنا نركن السيارة به، تاركين سيارة كريس في مكانها ذاته حيث بقيت من دون أن يمسسها أحدٌ طوال الأسبوع الماضي.

تمنيت أن يتم سحب السيارة، هي باسم كريس وليست باسمي، لا أريد أن أراها في منزلي، من ناحيتي ليست لديَّ مشكلة في أن يستردها البنك.

بمجرد أن توقف جونا في ممر السيارات أمام منزلي، فتحت الباب، وخرجت منها، لم يملأ هواء الليل المنعش رئتي بالهواء، كأنني كنت أحبس أنفاسي منذ أن غادرنا «لانجفورد».

لم أتوقع أن يخرج جونا من السيارة، لكنه خرج وتبعني عبر فنائي الخلفي، وقبل أن أفتح الباب الأمامي استدرت لمواجهته: «هل كنت تعلم بشأن علاقتهما؟».

هزَّ رأسه «بالطبع لا».

كان صدري مثقلًا، كنت غاضبة، لكن ليس من جونا، كنت غاضبة من كل شيء، كريس وجيني، ومن كل ذكرى لديَّ لهما معًا، أنا غاضبة لأني أعرف أن ذلك سيكون هاجسي الجديد الآن، سأظل أتساءل طوال الوقت متى بدأت علاقتهما، ما الذي كانت تعنيه كل نظرة بينهما، ما الذي كانت تعنيه كل محادثة بينهما، هل كانت لديهما دعابات لا يفهمها أحدٌ غيرهما؟ هل كانا يقولان تلك الدعابات أمامي؟ هل كانا يسخران من عجزي عن الإحساس بما كان يحدث بينهما؟

خطا جونا خطوة إلى الأمام بترددٍ، كنت أبكي، لكن دموعي لم تولد من الحزن الذي عانيت منه طوال الأسبوع الماضي، وإنما ولدت من أسى عميق.

حاولت أن أتنفَّس، لكني أحسست أن رئتيَّ مسدودتان، زاد قلق جونا وهو يراني في هذه الحالة، اقترب مني أكثر، مقتحمًا مساحتي الشخصية، مما صعب عليَّ أكثر أن ألتقط أنفاسي.

«أنا آسف» قال جونا محاولًا تهدئة نوبة الهلع التي جاءتني، دفعته بعيدًا، لكني لم أدخل المنزل، لم أرغب أن تراني كلارا هكذا، كنت أشهق بصوتٍ مسموع الآن، حاولت إيقاف دموعي المنهمرة لكن ذلك لم يقلل من ضيق تنفسي، اقتادني جونا نحو مقعد في الفناء الأمامي، وأرغمني على الجلوس.

«لا أستطيع...» قلت وأنا ألهث: «لا أستطيع التنفس».

«سأحضر لكِ بعض الماء»، دخل المنزل، وبمجرد أن أغلق الباب، أجهشت بالبكاء، غطيت فمي بكلتا يديَّ، أردت أن أوقف ذلك، لا أريد أن أكون حزينة، أو غاضبة، أريد أن أفقد الإحساس فقط.

لمحت شيئًا بطرف عيني، لذلك نظرت تجاه المنزل المجاور، كانت السيدة نيتل تنظر إليَّ خلسة من خلف ستائر غرفة المعيشة، كانت تراقبني وأنا أبكي.

كانت أكثر جيراننا تطفلًا، غضبت لكونها تراقبني، وربما تستمتع برؤيتي هكذا وأنا أعاني من نوبة هلع، عندما انتقلت إلى العيش هنا منذ ثلاث سنوات، لم يعجبها لون العشب في فنائنا الخلفي، فحاولت تقديم طلب لجمعية ملاك المنازل لإرغامنا على إعادة زرع فنائنا بنبات الفصفصة بدلًا من عشب القديس أوغسطين.

فعلت ذلك ولم يكن قد مضى على انتقالها إلى العيش إلى هنا سوى شهر واحد فقط، وازدادت سوءًا من حينها، يا إلهي، غضبي المفاجئ من جارتي البالغة من العمر ثمانين عامًا يزيد صعوبة تنفسي، تسارعت ضربات قلبي لدرجة أنني شعرت بنبضات في عنقي.

وضعت يدي على صدري، في اللحظة التي عاد فيها جونا جالبًا الماء، جلس على مقعدٍ بجواري، تأكد أنني أخذت رشفة من الماء، ثم أخرى، قبل أن يضع الكوب على الطاولة بيننا.

«ميلي نحو الأمام، وضعي رأسك بين ركبتيكِ» قال ففعلتُ من دون تردد، أخذ جونا نفسًا ببطء، قاصدًا أن أقوم بتقليده، فعلت مثله، كرر ذلك نحو عشر مرات، حتى ضعفت نبضات قلبي كثيرًا، عندما شعرت بتراجع احتمالية إصابتي بنوبة قلبية، رفعت رأسي، وأرجعت ظهري إلى الخلف، محاولة إعادة ملء رئتي بالهواء.

تنهدت طويلًا، ونظرت تجاه المنزل المجاور، كانت السيدة نيتل لا تزال محدقة إلينا من خلف ستارتها، لم تحاول حتى أن تخفي تطفلها، رفعت إصبعي الأوسط لها، كان ذلك مجديًا، لأنها أغلقت الستائر بسرعة، واطفأت أنوار غرفة المعيشة.

انبعث صوتٌ خافتٌ من حلق جونا، كما لو أنه يريد أن يضحك، ربما يكون من المضحك رؤيتي وأنا أرفع الإصبع الأوسط لعجوز في الثمانين من عمرها، لكن كان من المستحيل في تلك اللحظة أن أجد بداخلي ذرة ضحك.

«كيف تبدو بهذا الهدوء؟» سألته.

أرجع جونا ظهره إلى الخلف، ونظر إليَّ بجانب عينه، «أنا لست هادئًا، أنا موجوع، وغاضب، لكنني لم أستثمر الكثير من الوقت في هذه العلاقة مثلك، لذلك من الطبيعي أن تكون ردة فعلنا مختلفة».

- لم تستثمر وقتك مثلي؟

«لم يكن كريس أخي» قال بصوتٍ يخلو من العاطفة، مردفًا: «وجيني لم تكن الشخص الذي تزوجته لنصف حياتي، لقد جرحاكِ أكثر بكثيرٍ مما جرحاني».

أشحت بنظري بعيدًا عن جونا، لأن كلماته أشعرتني بانقباض، لم يعجبني وصفه هذا: «جرحاكِ...»، لأنه الوصف المثالي لما أشعر به، لكني لم أتخيل أبدًا أن يكونا كريس وجيني هما من يشعرانني بذلك.

ظللنا أنا وجونا صامتين لبعض الوقت، توقفت عن البكاء، لذلك ربما كان عليَّ دخول المنزل بعدما أصبح شكلي لا يثير الشكوك. حاولت طوال الوقت أن أخفي مشاعري عن كلارا، ليس مشاعر الحزن، فالحزن شيء طبيعي، وليس لديَّ مشكلة في أن أُظهر حزني أمامها، لكني لا أريدها أن تشعر بغضبي، ولا أريد أن تعلم أبدًا ما فعله كريس وجيني، يكفي ما مرَّت به.

لا يمكن تصور كيف ستكون ردة فعلها إذا اكتشفت الحقيقة، لقد أظهرت بالفعل غضبًا بإتيانها بسلوكٍ غريبٍ عليها.

- غادرت كلارا جنازة كريس مبكرًا، وجدتها في السينما تنتشي مع ذلك الشاب، ميلر آدامز، ذلك الذي زعمت أنه فتى جيدٌ.

لا أعرف لمَ قلت هذه الجملة الأخيرة، كأن ذلك خطأ جونا بشكلٍ ما.

تنهد جونا قائلًا: «واو».

- أسوأ ما في الأمر أنني لا أعرف كيف أتعامل مع ذلك، أو كم من الوقت سأمنعها من الخروج عقابًا على ذلك.

نهض جونا قائلًا: «هي موجوعة، كلنا نتألم، لا أعتقد أنها كانت ستفعل ذلك لو كانت الظروف مختلفة، امنحيها إذنًا للخروج هذا الأسبوع».

أومأت برأسي، لكني لم أتفق معه، ربما كان من الممكن أن أسمح لها بالخروج لو قامت بشيء أهون من تعاطي المخدرات، مثل تجاوز

وقت العودة للمنزل، لكن لا يمكن أن أتجاوز عن أنها غادرت جنازة كريس لتنتشي، بالإضافة إلى أنها كانت مع الشاب الذي طلب منها والدها ألا تقضي الوقت معه، إذا تركت أيًّا من ذلك يمر ببساطة، فإلى أين سيودي بنا هذا التساهل؟

نهضت استعدادًا لدخول المنزل، فتحت الباب الأمامي واستدرت لأواجه جونا، كان يقف في المدخل، محدقًا إلى قدميه حين قال: «يجب أن أذهب لآخذ إيليا»، رفع عينيه، لم أعرف ما إذا كان يحبس دموعه، أم أنني نسيت أن الوقوف بذلك القرب من جونا سوليفان يجعل عينيه الزرقاوين تبدوان دامعتين: «هل ستكونين بخيرٍ؟» ضحكتُ بفتورٍ، فالدموع لم تجف بعد من فوق خديَّ، ويسألني عما إذا سأكون بخيرٍ؟

لست بخيرٍ منذ أسبوع، ولست بخير الآن، لكني هززت كتفي قائلة: «سوف أَعيش»، بدا مترددًا كأنه يرغب في قول المزيد، لكنه لم يقل شيئًا، عاد إلى سيارته، وأغلقت باب منزلي الأمامي.

«فيمَ كنتما تتحدثان؟».

استدرت لأجد كلارا واقفة عند مدخل الردهة، قلت بسرعة: «لا شيء».

- هل هو بخيرٍ؟

- أجل، هو فقط يواجه صعوبات بسبب قيامه بتربية إيليا بمفرده، كان يسألني عن بعض الأمور.

لم أكن بالشخص الذي يجيد الكذب في هذه العائلة، لكن من حيث المبدأ لم تكن تلك كذبة، أنا موقنة أن جونا يعاني، فإيليا طفله الأول، كما أنه فقد جيني للتوِّ، أتذكر وقتما كانت كلارا طفلة، وكان

كريس طالبًا بدوام كامل، كان يعمل في كل الأيام التي ليس لديه فصول دراسية بها، أعرفُ تمامًا مدى صعوبة أن يقوم الشخص بكل شيء بمفرده، جربت ذلك الشعور.

صحيح أن إيليا مريح أكثر من كلارا، فرغم أنهما يبدوان كأنهما توأمين، لكن شخصياتهما مختلفة تمامًا، «مع من يجلس إيليا؟»سألتني كلارا.

سمعت سؤالها لكني لم أستطع الإجابة عنه، لأن أفكاري لم تتقدم إلى الأمام، بل ظلّت عالقة عند آخر شيء مرَّ في ذهني، يبدوان كأنهما توأمان، أمسكت بالجدار بعدما هالتني الفكرة المرعبة التي خطرت على ذهني.

«لماذا غادرتِ البيت مع جونا؟ سألتني كلارا مضيفة: «أين ذهبتما؟».

إيليا لا يشبه جونا على الإطلاق، لكنه يشبه كلارا تمامًا.

«ماما» قالت مشددة على الكلمة تلك المرة، منتظرة إجابة مني.

وكلارا تشبه كريس تمامًا.

اهتزَّت الجدران من حولي، أشحت بيدي متجاهلة سؤال كلارا لأني أعلم كم أنا سيئة في الكذب، وأن الأمر لن ينطلي عليها: «أنتِ لا تزالين ممنوعة من الخروج، عودي إلى غرفتك».

سألتني باستغراب: «هل أنا ممنوعة من الخروج إلى غرفة المعيشة؟»، قلت بحزم «اذهبي يا كلارا»، كنت أريدها أن تغادر الغرفة قبل أن أنهار تمامًا أمامها، غادرت كلارا غاضبة، فهرعت إلى غرفة نومي، وصفقت الباب.

كأن موتهما لم يكن كافيًا، حتى تتوالى الصدمات على هذا النحو، وتزداد حدة أكثر فأكثر.

الفصل الثامن
كلارا

غادرت المنزل بمجرد أن ذهبت والدتي إلى غرفة نومها وصفقت بابها، ليس من المفترض أن أغادر، أنا متأكدة أن ذلك سيتسبَّب في إطالة فترة منعي من الخروج أيًّا كانت مدتها، لكن لا يهمني ذلك الآن، فأنا لن أتحمل حبسي في ذلك المنزل لدقيقة واحدة أخرى. فكل شيء به يذكِّرني بوالدي، وكلما نظرت إلى والدتي أجدها جالسة بهدوءٍ في أماكن عجيبة تحدق إلى الفراغ، أو تنفجر غضبًا في وجهي.

أعلم أنها تتألم، لكنها ليست الوحيدة التي تتألم، كما أن كل ما فعلته هو أنني سألتها أين كان إيليا، ولماذا غادرت المنزل مع جونا، لكنها بالغت في ردة فعلها تمامًا، هل سيكون هذا هو الحال دائمًا من الآن فصاعدًا؟ والدي رحل وهي تشعر الآن أن عليها أن تعوض غيابه وأن تكون أكثر صرامة معي؟ من هذا الذي يُمنع من الذهاب إلى غرفة المعيشة؟

أنا ممنوعة من استخدام هاتفي، وبالتالي لن تتمكن والدتي من معرفة مكاني، لكني خفت من أن تتصل بالشرطة، لذلك تركت لها ورقة قبل أن أغادر كتبت بها: «أنا موجوعة جدًّا، سأذهب إلى ليكسي لبضع ساعات، لكني سأعود للمنزل في العاشرة». كنت أعرف أن كتابة كلمة «موجوعة» قد يخفف غضبها، فرغم أن الحزن بشعٌ، لكنه أيضًا عذر رائع.

قدت السيارة حتى منزل ليكسي، آملة أن تكون به، لكنها لم تكن بالمنزل، وها أنا الآن جالسة في موقف سيارات السينما، أحدق إلى شاحنة ميلر، وقفت هنا لأني فكرت أن من الجيد أن أجلس في صالة السينما المظلمة لساعة ونصف وأنسى وجود العالم الخارجي، لكن بعد أن عرفت الآن أن ميلر يعمل اليوم، لست واثقة من أنني أريد الدخول، سيبدو الأمر كما لو أنني أتيت إلى هنا متعمدة لرؤيته، ربما جئت لأجل ذلك؟ ليس بوسعي أن أعرف حتى.

في كلتا الحالتين، لن أتوقف عن الذهاب إلى السينما في الوقت الذي يعمل به، لأنه ببساطة لديه حبيبة، كما أني لن أتوقف عن الذهاب إلى السينما لمجرد أنني أخشى أن يكون الأمر محرجًا، أقصد أنه اشترى لي مخدرات، ومن ثم لا يمكن أن يكون ذلك أكثر إحراجًا مما حدث.

كانت نافذة بيع التذاكر الخارجية مغلقة، لكن ميلر كان بالداخل، راقبته من الأبواب الزجاجية الخارجية لبرهة، كان يمسح منضدة الكشك، بينما كان ستيفن، الشاب الذي باع له الحشيش، يكنس حبوب الفشار المنسكبة على الأرض.

كان الهدوء يسود ردهة السينما عندما دخلت، لذلك رفع الاثنان عينيهما عندما سمعا صوت الباب وهو ينفتح.

ابتسم لي ميلر ابتسامة صغيرة عندما رآني وتوقف عن التنظيف، صرت فجأة أكثر توترًا مما توقعت، أسند كفيه إلى المنضدة ومال بجسده إلى الأمام، مضيت نحوه.

- ظننت أنكِ معاقبة.

هزت كتفي بلامبالاة: «أنا فعلًا معاقبة، أخذت هاتفي، ونفتني في غرفتي».

نظرت إلى قائمة الطعام فوق رأسه مردفة: «لكني هربت».

ضحك قائلًا: «آخر الحفلات بدأت منذ نحو ثلاثين إلى خمس وأربعين دقيقة، لكن يمكنكِ أن تختاري أي واحدة منها، صالة أربعة أقلهم ازدحامًا».

- ما الفيلم الذي يُعرض بها؟
- (الطريق السريع)، هو فيلم حركة.

«يا للقرف! أمري لله» قلت وأنا أخرج الأموال من حقيبتي، لكنه أشاح بيده قائلًا: « لا تشغلي بالك بهذا، أفراد العائلة يدخلون مجانًا، إذا سألك أي شخص، أخبريه أنكِ أختي».

- أفضِّل دفع ثمن التذكرة على التظاهر بأننا إخوة.

ضحك ميلر وأمسك كوبًا كبيرًا: «ماذا تريدين أن تشربي؟».

- سبرايت.

منحني كوب سبرايت، ثم بلَّل بضعة مناديل في الحوض خلفه، نظرت إليه في حيرة وهو يمنحني المناديل المبللة، «هناك شيء على وجهك» قال وهو يمرر إصبعه على خده «مكياج، من البكاء».

«أوه» مسحت وجنتي، لم أكن أتذكر حتى إنني وضعت ماسكارا اليوم، يبدو أنني أقوم بالأمور الحياتية الروتينية من دون أن أكون واعية لأي مما أقوم به، لم أنتبه حتى إنني كنت أبكي طوال الطريق، اللعنة، ربما ما زلت أبكي، أنا مشوشة جدًّا، يبدو أنني لن أتعافى أبدًا من شعوري بالذنب لأنني كنت أبعث بالرسائل إلى خالتي جيني لحظة وقوع الحادث، فضلًا عن فاجعة فقدانهما نفسها.

يبدو أن الدموع التي كانت تأتيني في الليل فحسب، قد بدأت تلاحقني في النهار، ظننت أنها ستقل بمرور الوقت، لكن لم يؤدِ مرور الوقت حتى الآن إلا لتضخم مشاعري أكثر فأكثر، أشعر كما لو أن قلبي متضخمٌ، كأنه قد ينفجر إذا وجدت مأساة صغيرة أخرى طريقها إليه.

أعدَّ لي ميلر كيس فشار بينما كنت أمسح الماسكارا، سألني «هل تريدين زبدة عليه؟»، «أريد الكثير من الزبدة» قلتُ وأنا ألقي بالمناديل في سلة مهملات قريبة مني، من دون أن أهتم حتى ما إذا كنت أزلت كل الماسكارا من وجهي.

غمر الفشار بالزبدة، ثم قال وهو يعطيني إياه: «لا تنسي، إذا طلب أحد الموظفين منكِ تذكرة، فقولي له إنكِ أختي».

وضعت حفنة من الفشار في فمي، وأنا أبتعد عنه قائلة: «شكرًا يا أخي»، ارتسمت على وجهه ملامح الانزعاج حين دعوته بذلك، كما لو أن هذه الفكرة مثيرة للاشمئزاز، أحببت أن فكرة كوننا أقارب تنفِره، فهذا يعني أن من المحتمل أنه تخيلنا معًا بشكلٍ مختلفٍ تمامًا.

***

كان طعم الفشار بائتًا، أنا متأكدة أن ذلك بسبب أن كشك المأكولات والمشروبات كان مغلقًا عندما أعدَّ لي كيس الفشار، لا يمكن أن أتوقع الحصول على فشارٍ طازج في نهاية الليل، لكن طعم هذا الفشار كان سيئًا جدًّا، أنا واثقةٌ أنه ذلك الفشار المنبوذ الذي بقي من دون مساس في قاع الماكينة منذ أن فرقعت حباته في الصباح، سآكله على أي حالٍ.

اخترت الجلوس في الصف الخلفي في الركن، لأنه لم يكن يجلس به سوى شخصين فقط، كانا جالسين في المنتصف، لم أرغب في

الجلوس أمامهما لأني كنت أنوي البكاء طوال الفيلم، لكنه في الواقع كان فيلمًا شيقًا بما يكفي ليشتت ذهني عن التفكير في أي شيء.

لم أقصد أنه فيلمٌ جيدٌ، هو فقط شيق، الشخصية الرئيسية على الأقل مثيرة للاهتمام، فهي شخصية قوية، ليس لديها قيود، يصل شعرها حتى كتفيها، وكان يتطاير ويتمايل مع كل حركة تقوم بها، كنت أركز على شعرها أكثر من قصة الفيلم نفسها.

شعري طويل، يصل إلى منتصف ظهري، كان أبي يحب شعري طويلًا، وكان يثنيني عن قصِّه في كل مرة كلما انتابتني الرغبة للقيام بذلك، جذبت خصلة من شعري، ومررت أصابعي عليها حتى نهايتها، لقد مللت من طوله، أظن أنني سأقصُّه قريبًا، حان الوقت لأغيِّر شكلي.

«هاي» قال ميلر هامسًا، نظرت إلى أعلى، جلس على المقعد المجاور لي: «ما رأيك بالفيلم؟».

- لا أعرف، أفكر في قص شعري.

مدَّ يده إلى كيس الفشار، وأخذ حفنة منه، وأرجع ظهره إلى الخلف، واضعًا قدميه على الكرسي أمامه: «لديَّ مقص في الكشك».

- لم أقصد الآن.

- آه، حسنًا، على العموم المقص موجود هنا، وقتما تكونين مستعدة تعالي، وسوف أقصه لكِ.

ضحكت قائلة: «لم أقصد أنني أريدك أن تقصه لي».

- حسنًا، لكن من واجبي أن أحذرك، ستيفن يجيد كنس الفشار وبيع الحشيش أكثر من قص الشعر.

أدرت عينيَّ في تذمر، أسندت قدميَّ إلى ظهر المقعد أمامي.

«شبشب جديد؟» سألني وهو يحدق إلى قدميّ.

- أجل، عقدت صفقة مشبوهة من أجل شرائه.

أخذ ميلر حفنة أخرى من الفشار، وبقينا صامتين طوال الدقائق القليلة التالية، وصل الفيلم إلى نهايته، وهمَّ الأشخاص القليلون في القاعة بالنهوض والمغادرة، حين بدأت أسماء المشاركين في الفيلم تظهر على الشاشة، مدَّ ميلر يده داخل كيس الفشار مرة أخرى.

لم نكن نفعل أي شيء خاطئ، لكن بدا كما لو أننا نفعل ذلك، قبل أن يجلس بجواري كنت أشعر بالخدر، لكن جسدي الآن مغمور بالأدرينالين، رغم أن ذراعينا لا يتلامسان حتى، فأنا أضع ذراعيَّ على ذراعي الكرسي، وهو يميل بجسده بعيدًا عني، ربما ليتجنَّب أي شكلٍ من أشكال التلامس.

ورغم ذلك، يبدو الأمر كأننا نقوم بشيء خاطئ، فهو يجلس بجوار الفتاة الوحيدة التي يعرف كلانا أنه لا ينبغي له أن يجلس بجوارها، ورغم أن ذلك يُشعرني بالذنب، لكنه يُسعدني أيضًا.

كانت أسماء المشاركين في الفيلم لا تزال تتتابع على الشاشة، عندما قال ميلر: «هذا الفشار بائت جدًّا».

- هذا أسوأ فشار أكلته في حياتي.

«لقد نفد الفشار تقريبًا» قال وهو يشير إلى الكيس، مضيفًا «يبدو أن ذلك لم يفرق معكِ»، هززت كتفي بلامبالاة «لست نيِّقة في الأكل».

مرَّت لحظات أخرى من الصمت بيننا، ابتسم لي، شعرت بالإثارة، نظرت إلى كيس الفشار، رججته متظاهرة بأنني أحاول العثور على واحدة جيدة، لأنني لم أرغب أن أنظر إليه، وأشعر بذلك الشعور تجاه شخص لديه حبيبة.

لا أرغب في الشعور بذلك تجاه أي شخص، إحساسي بأي مشاعر جيدة على الإطلاق يُشعرني أني شخص حقير بعد ما حدث الأسبوع الماضي، لكنه كان لا يزال محدقًا إليَّ، ولم يتخذ بعد أي خطوة للمغادرة، وبما أنه كان يسد عليَّ طريق الخروج، شعرت أني مضطرة إلى فتح حوار معه.

- منذ متى وأنت تعمل هنا؟

«منذ عام»، اعتدل في جلسته قليلًا ثم استطرد: «لا بأس به، لكني أعتقد أن فكرة العمل في سينما أكثر إثارة مما هي عليه في الواقع، فمعظم العمل تنظيف».

- لكن في إمكانك مشاهدة كل الأفلام التي تريدها، أليس كذلك؟».

- لهذا لا أزال أعمل هنا، شاهدت كل الأفلام التي صدرت منذ بدأت العمل، أنظر إلى الأمر باعتباره تحضيرًا لمسيرتي المهنية، كأني أجري بحثًا».

- ما هو فيلمك المفضل؟

- في العموم؟

- اختر واحدًا من الأفلام التي صدرت على مدار عشر السنوات الماضية.

«لا يمكنني ذلك» قال مضيفًا: «هناك الكثير من الأفلام الرائعة، وأحبهم جميعًا لأسباب مختلفة، أحب الجانب الفني في فيلم «بيردمان»، وأحب الأداء في فيلم «نادني باسمك»، و«فانتاستك مستر فوكس» هو فيلم الكرتون المفضل لي لأن ويس أندرسون عبقري جدًا.

نظر إليَّ، وسألني: «ماذا عنكِ؟».

- لا أعتقد أن «فانتاستك مستر فوكس» يُحسب، يبدو أنه مضى عليه أكثر من عشر سنوات.

أملت رأسي إلى الخلف، محدقة إلى السقف، هذا سؤال صعب: «أنا مثلك، لا أعرف ما إذا كان لديَّ فيلم مفضل، أميل إلى الحكم على الموهبة أكثر من القصة، أعتقد أن إيما ستون هي ممثلتي المفضلة على الأرجح، وأن آدم درايفر هو أفضل ممثل حاليًّا، لكني لا أعتقد أنه حظي بدور عمره بعد، كان رائعًا في «بلاك كلانزمان»، لكني لم أحب كثيرًا بعض الأفلام الأخرى التي شارك بها».

- لكن هل شاهدتِ إسكتش «كيلو رين»؟

«أجل» قلت واعتدلت في جلستي، «في ساترداي نايت لايف؟ يا إلهي، كان مضحكًا جدًّا»، ابتسمت، لكن ذلك ضايقني، من الغريب أن أبتسم، وأنا متخمة بكل هذا الحزن، لكن هذا ما يجعلني ميلر أشعر به في كل مرة أكون معه فيها، يبدو أنه الوحيد القادر على تشتيت ذهني عن كل شيء، ومع ذلك فهو الشخص الوحيد الذي لا يمكنني التسكع معه، ويرجع الفضل في ذلك إلى شيلبي.

ذلك سيئ للغاية، لا أحب التفكير في هذا، فرغم أننا معًا الآن، لكن عندما أعود إلى المدرسة في النهاية، ستعود الأمور إلى ما كانت عليه، سوف يحافظ ميلر على مسافة بينه وبيني، وسوف يحترم علاقته مع شيلبي، وهذا سيزيد احترامي له، وهكذا سأظل في حالة من الكآبة والحزن.

«عليَّ الذهاب» قلت، تردد ميلر قليلًا قبل أن يتحرك: «أجل، أعتقد أن فترة راحتي انتهت منذ أكثر من عشر دقائق»، كنَّا واقفين

نحن الاثنان، لكن لم يكن في إمكاني الخروج من الممر لأنه كان يسد الطريق عليَّ، كان ينظر إليَّ، من دون أن يبذل أي جهد للابتعاد عن طريقي، كان يحدق إليَّ كما لو أنه يود أن يقول شيئًا آخر، أو يفعل شيئًا آخر.

«يؤسفني حقًّا ما حدث» قال.

لم أفهم في البداية ما كان يتحدث بشأنه، لكني أدركت بعدها ما كان يقصده، زممت شفتيَّ، وأومأت برأسي، لكني لم أقل أي شيء، لأن ذلك آخر شيء أود التحدث عنه أو التفكير به.

- كان عليَّ أن أقول هذا في ذلك اليوم، في الجنازة.

«لا بأس»، قلت مردفة: «أنا بخيرٍ، أو على الأقل سأكون بخيرٍ، في النهاية»، تنهدت: «آمل ذلك».

حدق إليَّ كأنه يريد أن يضمني إلى صدره ليحتضنني، تمنيت فعلًا لو يفعل ذلك، لكنه استدار بدلًا من ذلك، وخرج من الممر متجهًا ناحية باب الخروج.

وقفت أمام المرحاض الموجود في طريق الخروج، بينما أمسك هو بسلة مهملات، وبدأ في جرها ناحية صالة العرض التي خرجنا منها للتو، «أراكِ لاحقًا يا كلارا».

لم أقل له وداعًا، دخلت المرحاض من دون أن أكلف نفسي عناء التظاهر بأن الأمور بيننا ستكون على النحو ذاته عندما أراه في المرة القادمة، سوف يتجنَّبني ليكون مخلصًا وحقيرًا تمامًا، لكن ذلك لا يهم، هذا جيد، فأنا في حاجة إلى التوقف عن التعامل معه على أي حال، لأنني بقدر ما أحس بشعور جيد حين أكون معه، بقدر ما بت

أشعر بألم حين لا أكون معه، ولست في حاجة إلى وجع آخر يُضاف إلى جبلٍ أحزاني التي تغمر كل كياني بالفعل.

***

عندما عدت للمنزل، توقعت أن تكون والدتي في انتظاري، غاضبة ومستعدة للجدال، لكني وجدت المنزل هادئًا، كانت مصابيح غرفة نومها مطفأة، تفاجأت حين دخلت غرفتي بوجود هاتفي على مخدتي، مبادرة صلح، لم أتوقع ذلك.

استلقيتُ على فراشي، وفحصتُ رسائلي، كانت ليكسي تود أن تعرف ما إذا كنت سأذهب إلى المدرسة غدًا، لم أنوِ العودة إلى المدرسة بهذه السرعة، لكن فكرة البقاء في هذا المنزل تبدو أسوأ بكثيرٍ من المدرسة، لذلك أخبرتها أنني سأذهب.

فتحت الإنستجرام وتصفحت صفحة ميلر، أعرف أنني قلت إنني في حاجة إلى التوقف عن التواصل معه، وسوف أقوم بذلك، لكني في حاجة أولًا إلى أن أرسل رسالة إليه، رسالة واحدة فقط، ويمكن بعدها أن تعود الأمور بيننا إلى ما كانت عليه خلال العام الماضي، ألا يكون بيننا أي شيء على الإطلاق.

أود فقط أن أشكرك على الفيلم المجاني، والفشار البشع، أنت أفضل أخ حظيت به في حياتي.

لم يعاود متابعتي، لذلك توقعت أن تذهب رسالتي إلى صندوق الرسائل المفلترة، وأنه سيأخذ شهرًا حتى يقرأها، لكنه ردَّ عليَّ في غضون بضع دقائق.

- - هل استعدتِ هاتفكِ؟

ابتسمت واستلقيت على بطني عندما وصلتني رسالته: «أجل، كان على وسادتي عندما وصلت المنزل، أعتقد أن ذلك مبادرة صلحٍ».

- تبدو والدتكِ أمًّا عظيمة.

أدرت عيني، بدت كلمة عظيمة مبالغة أكثر من اللازم، «هي رائعة» قلت وأرفقت رسالتي بوجه مبتسم حتى أجعل ردي مقنعًا أكثر.

- هل ستعودين إلى المدرسة غدًا؟

- أعتقد ذلك.

- جيد جدًّا، ربما عليَّ أن أتوقف عن التحدث معكِ الآن، أعتقد أن شيلبي تعرف كلمة السر الخاصة بي.

- واو، يبدو أنك دخلت المستوى التالي، هل ستطلب يدها قريبًا؟

- تحبين السخرية من علاقتي.

- هذه هوايتي المفضلة.

- أعتقد أني تساهلت معكِ.

- هل هي غيورة بطبعها؟ أم أنك فعلت شيئًا جعلها غيورة بهذا الشكل.

- هي ليست امرأة غيورة، لكنها تغار فقط عندما يتعلق الأمر بكِ.

- ماذا؟ لماذا؟

- هذه قصة طويلة، ومملة، تصبحين على خير يا كلارا.

قصة مملة؟ لا يهم، فحقيقة أن ميلر لديه حكاية أنا جزء منها ستكون الشيء الوحيد الذي سأفكر به طوال الليل.

- تصبح على خيرٍ، تأكد من حذف هذه الرسائل.

- قمت بذلك بالفعل.

حدقت إلى هاتفي، كنت أعرف أنني يجب أن أتوقف، لكني أرسلت إليه رسالة أخرى.

- هذا رقم هاتفي في حالة إذا تحطم قلبك ثانية.

أرسلت إليه رقم هاتفي لكنه لم يرد عليَّ، ربما يكون ذلك أفضل، عدت إلى صفحته وتصفحت صوره، تصفحت حسابه من قبل، لكني لم أفعل ذلك إلا بعد أن تحدثت معه بالفعل، ميلر بارع في التصوير، هناك صور قليلة لميلر مع شيلبي في حسابه، بينما معظم الصور لأشياء عشوائية، ولا واحدة منهم كانت له بمفرده، أحببت ذلك لسببٍ ما.

أكثر صورة جذبت انتباهي كانت صورة بالأبيض والأسود التقطها للافتة حدود المدينة، أضحكني ذلك، لذلك نقرت على علامة الإعجاب.

كنت أتصفح المنشورات الجديدة، حين جاءتني رسالة من رقم غريب «مثيرة المشاكل»، أضحكتني رسالته، أنا فعلًا لم أترك علامة الإعجاب على صورته بنية سيئة، رأيت أنها مضحكة فعلًا، نسيت لبرهة أن مجرد إعجابي بالصورة قد يعيده مرة أخرى إلى غرفة الاستجواب مع شيلبي.

حفظت رقمه على الفور في جهات الاتصال على هاتفي، جعلني ذلك أتساءل عما إذا كان سيحفظ رقمي باسمي الحقيقي أم باسم مزيف، سوف يجن جنون شيلبي إذا عرفت أنه يحتفظ برقمي على هاتفه، وأنا متأكدة من أنه إذا كانت لديها كلمة السر الخاصة بحسابه على إنستجرام، فعلى الأرجح أنها تفتش هاتفه.

- هل حفظت رقمي باسمٍ مزيفٍ حتى لا تقع في مشكلة؟

- كنت أفكر في ذلك، ما رأيك في جيسون؟

- جيسون اسم جيد، كل الأشخاص تقريبًا يعرفون أحدًا باسم جيسون، لن يثير ذلك ريبتها.

ابتسمت، لكن ابتسامتي لم تدُم سوى ثانية واحدة، تذكرت آخر شيء أرسلته إليَّ خالي جيني: «صدقيني، لن تحبي أن تكوني رقم اثنين في حياته»، هي محقة، خالتي جيني كانت محقة دائمًا، ما الذي أفعله؟

- لا تشغل بالك، لا تحفظ رقمي باسم مزيف، لا أريد أن أكون جيسون في هاتفك، ولا أريد أن أكون شقيقتك المزيفة في السينما، هاتفني يومًا ما حين يمكنني أن أكون كلارا فقط.

ظهرت النقاط التي تبين أنه يكتب شيئًا ما، لكنها اختفت، لم يرد على رسالتي، بعد بضع دقائق، قمت بتصوير رسائلنا، وحذفت رقمه.

الفصل التاسع
مورجان

ما إن غفوت إغفاءة صغيرة حتى سمعت قرعًا على الباب أفزعني، اعتدلت في جلستي، ومددتُ يدي لأوقظ كريس، لكن مكانه كان فارغًا، حدقت إليه متسائلة متى ستتوقف مثل هذه الأشياء، مضى أقل من أسبوعين على وفاتهما، لكنني ما زلت أمسك هاتفي خمس مرات على الأقل لأتصل به أو بجيني، أنسى ما حدث دائمًا، ثم أجد نفسي في مواجهة الأحزان.

سمعتُ طرقاتٍ على الباب مرة أخرى، أدرتُ رأسي تجاه مصدر الضوضاء، تسارعتْ نبضات قلبي، لأني كنت أعرف أنني سأضطر إلى التعامل مع ذلك سواء كنت مستعدة لذلك أم لا، فيما مضى عندما كان يحدث شيء مفاجئ في منتصف الليل، كان كريس دائمًا هو الذي يتعامل مع الأمر.

ارتديت «الروب»، وهرعت نحو الباب، قبل أن يوقظ ذلك الذي يقرع الباب -أيًا كان من هو- كلارا، كانت الطرقات متواصلة حتى إنها بدأت تثير غضبي، أتمنى ألا تكون السيدة نيتل التي تعيش في المنزل المجاور قد جاءت لتلومني على شيء ما، ففي إحدى المرات أيقظتنا في الثانية صباحًا لتشكو من وجود سنجاب في شجرة في فنائنا الخلفي.

أضأت مصباح مدخل المنزل، ونظرت من ثقب الباب، شعرت بالارتياح حين اكتشفت أنها لم تكن السيدة نيتل، وإنما جونا، كان

مظهره فوضويًا ويحمل إيليا على صدره، لم يدُم شعوري بالارتياح لأكثر من ثانية عندما أدركت أننا في منتصف الليل، وجونا لا يأتي هكذا في منتصف الليل على نحو مفاجئ، حتمًا هناك خطبٌ ما يخص إيليا.

فتحت الباب: «هل كل شيء على ما يرام؟».

هزَّ جونا رأسه، كان الشرر يتطاير من عينيه وهو يتجاوزني نحو الداخل، قائلًا: «لا»، أغلقت الباب ومضيت نحوهما: «هل إيليا مصاب بالحمى؟».

- لا، هو بخيرٍ.

قلت وقد التبس عليَّ الأمر: «لكنك قلت للتو إنه ليس بخيرٍ».

«هو بخيرٍ، أنا مَن ليس بخيرٍ» قال وهو يمنحني إيليا، فحصت جبهته لأتحققَ من درجة حرارته على أي حال، لم يكن مصابًا بالحمى، لذلك بدأت أفحص جسده لأتحقق من وجود أي طفح جلدي، لا يمكنني تصور أي سبب آخر يدفع جونا إلى المجيء إلى هنا في وقتٍ متأخرٍ من الليل.

«هو بخيرٍ» كرر جونا جملته، ثم استطرد «هو في أحسن حال، سعيد، شبعانٌ، وأنا...»، هزَّ رأسه ومشى تجاه الباب الأمامي من دون إيليا: «فاض بي الكيل، لا يمكنني القيام ذلك».

شعرت بالاختناق، اندفعت خلف جونا، واعترضت طريقه، أسندت ظهري إلى باب المنزل: «ماذا تقصد بقولك إنه لا يمكنك القيام بذلك؟».

تراجع جونا خطوة إلى الوراء، ونظر في الاتجاه الآخر، شبَّك يديه خلف رأسه، وقع قلبي، لم يكن جونا في حاجة حتى لأن يخبرني لِمَ هو مستاء إلى هذه الدرجة، عرفت بالفعل سبب ذلك.

استدار ووقف قبالتي ثانية، قال بعينين مغرقتين بالدموع تفيضان بالحزن، وهو يشير بيده ناحية إيليا: «ابتسم لأول مرة الليلة»، سكت كأن ما هو موشك على قوله أصعب بكثيرٍ من أن يُوصف بالكلمات، «إيليا، ابني، لديه ابتسامة كريس اللعينة».

لا، لا، لا، هززتُ رأسي، شعرت أن الغم يغمرني ويفيض خارجي، «جونا»، سمعت صوت باب غرفة كلارا ينفتح، قبل أن أتمكن من استيعاب كل ما قد يعنيه ذلك، تبدَّلت تعابير وجهي على الفور من التعاطف إلى التوسل: «أرجوك لا تفعل ذلك الآن».

توسلت إليه بصوتٍ هامسٍ: «لا أريدها أن تعرف بما فعلاه، ذلك سيحطمها».

أشاح بنظره بعيدًا عني، توقعت أنه ينظر إلى كلارا، «ماذا يحدث؟» سألتنا، استدرت، كانت كلارا واقفة عند مدخل الردهة، تفرك عينيها الناعستين.

تمتم جونا قائلًا: «لا يمكنني فعل ذلك، أنا آسف»، ثم فتح الباب وغادر، سرت نحو كلارا، ووضعت إيليا بين ذراعيها: «سأعود حالًا».

كان جونا قد اقترب من سيارته عندما صفقت الباب الأمامي وهرعت خلفه، انتبه إلى أني أتبعه، فاستدار: «لماذا تكذب جيني عليَّ في أمرٍ جللٍ كهذا؟»، كان صوته ممتلئًا بالحسرة، أمسك شعره، ثم خبط السيارةَ بكفيه، تدلَّت رأسه بين كتفيه بانكسارٍ: «أن تكون على

علاقة به شيء، وأن تجعلني أظن أنني أنجبت طفلًا شيء آخر، من يفعل ذلك يا مورجان؟».

ابتعد عن السيارة، ومضى نحوي، لم أره غاضبًا هكذا من قبل، لذلك تراجعت تلقائيًّا خطوات صغيرة إلى الخلف.

«هل كنتِ تعرفين أنه ليس ابني؟» نظر إليَّ كما لو أني شاركت في ذلك بطريقة ما، «هل لهذا جاءت فجأة إلى جنازة والدي العام الماضي؟ كانت في حاجة إلى التستر على مَن حملت منه بالفعل؟ هل كان كل ذلك مُخططًا له؟».

جرحني كلامه، لأنني بالطبع لم أكن أعرف أي شيء عن ذلك، شككت مؤخرًا فقط في أن كريس قد يكون والد إيليا، لكن هذه المرة الأولى التي أرى فيها جونا منذ أن انتابني هذا الشك.

- أتظن فعلًا أنني كنت سأدعهما يفلتان بهذه الفعلة؟

أمسك جانبي رأسه بغضب، ثم طوَّح ذراعيه: «لا أعرف، عشتِ مع كريس نصف حياتك، فكيف لم تشكِي أنه والد إيليا؟».

مضى عائدًا إلى سيارته، لكنه فكر في قول شيء آخر سيجعلني أكثر غضبًا بكثيرٍ منه، «كنتِ تعرفين أنهما ينامان معًا يا مورجان، حتمًا كنتِ تعرفين ذلك في قرارة نفسك، لكن كلينا يعرف مدى براعتكِ في تجاهل ما يحدث أمامكِ مباشرة».

أجل أصبحت بالتأكيد الآن أكثر غضبًا بكثيرٍ مما كنت عليه من عشر ثوانٍ.

تراجع جونا إلى الخلف، كأن كلماته ارتدَّت إليه، تبدَّل غضبه على الفور بنظراتٍ معتذرة في عينيه: «هل انتهيت؟» سألته، أومأ برأسه من دون كلام، «أين حقيبة حفاضات إيليا؟»، سار جونا ناحية

السيارة، وفتح الباب الخلفي، وأعطاني حقيبة الحفاضات، نظر تجاه الأرضية الخرسانية أسفل قدميه، في انتظار أن أمضي بعيدًا.

- أنتَ كل ما لديه يا جونا.

رفع رأسه محدقًا إليَّ للحظة، ثم هزَّ رأسه نفيًا ببطء قائلًا: «في الحقيقة أنتِ كل ما لديه، هو ابن أختك، ليس لديه أي شيء مني على الإطلاق»، لم تكن كلماته نابعة من الرغبة في الانتقام التي كانت تملؤه سابقًا، أصبح الآن هادئًا ومنكسرًا.

نظرت إليه بتوسل، لا يمكنني تصور مدى تأثير ما حدث عليه، لذلك بذلت قصارى جهدي حتى لا أحكم على رد فعله، لكنه في النهاية يحب إيليا، ولا يمكنه قطعًا أن يترك طفلًا رضيعًا رباه لشهرين، ومهما بلغ به الألم الآن، فسوف يندم في النهاية على ذلك.

قلتُ بصوتٍ هادئ: «أنت الأب الوحيد الذي يعرفه، عُد للمنزل، ونم حتى تهدأ، وأرجع غدًا في الصباح لتأخذه».

عدت لمنزلي، لم أقصد صفق الباب، لكني فعلت ذلك، مما أفزع إيليا، فبدأ في البكاء، كانت كلارا جالسة على الأريكة وتحمله، فأخذته من بين ذراعيها حتى تتمكن من العودة إلى فراشها، «ما خطب جونا؟ بدا غاضبًا».

قلت محاولة التظاهر قدر الإمكان أن الأمر بسيطٌ، رغم أنني أعلم تمامًا أنني سيئة في الكذب: «هو منهك فحسب، عرضت عليه أن يبقى إيليا هنا الليلة حتى يستريح»، حدقت كلارا إليَّ للحظة، كانت تعرف أني أكذب، لكنها لم تضغط عليَّ، ومع ذلك أدارت عينيها في ضيقٍ عندما مرَّت بجانبي.

بعدما عادت كلارا إلى غرفتها، أخذت إيليا معي إلى غرفتي، جلست على الفراش وأنا أحمله، كان مستيقظًا تمامًا، لكنه لم يعُد يبكي، بل كان مبتسمًا، كان جونا محقًّا، فعندما يبتسم تظهر غمازة غائرة في منتصف ذقنه، هو يشبه كريس تمامًا.

الفصل العاشر
كلارا

ظن الجميع أن جونا سيعود لتدريس حصصه يوم الاثنين، لكنه لم يعُد، قالت والدتي إن جونا سيأخذ إيليا يوم الاثنين، لكنِ اليوم الأربعاء، ولم يأتِ حتى الآن ليأخذه، لا أعرف ماذا يحدث حقًّا لأن والدتي لن تخبرني بأي شيء، لذلك عندما وقفت ليكسي أمام خزانتي بعد الحصة الأخيرة، وسألتني: «ما خطب عمو المعلم؟»، لم أعرف ماذا أقول لها.

أغلقت خزانتي وهززت كتفي بلا اكتراث: «لا أعرف، أظن أنه يعاني من انهيارٍ عصبي، ترك إيليا لدينا يوم الأحد ليلًا، وكل ما سمعته من كلامه قبل أن يخرج من المنزل غاضبًا كان «لا يمكنني القيام بذلك، أنا آسف».

«تبًّا، إذن لا يزال إيليا مع والدتكِ؟» قالت ليكسي وهي تمضغ علكتها بعادية كأننا نتحدث عن الذهاب إلى مركز التسوق، وليس أن جونا قد يتخلى عن طفله الرضيع.

- أجل.

سندت ليكسي إلى الخزانة بجواري: «هذا لا ينبِّئ بالخير».

- لا بأس، قد يأتي لأخذه اليوم، أعتقد أنه كان في حاجة إلى تعويض نقص النوم فقط.

كان في إمكان ليكسي أن تعرف أنني أختلق المبررات، هزَّت كتفيها، صانعة بالونًا بعلكتها: «أجل، ربما، لكن وجب عليَّ تحذيرك، يعوض والدي نقص نومه منذ ثلاثة عشر عامًا».

سايرتها وضحكت، لكني كنت أعرف أن جونا ليس مثل والد ليكسي على الإطلاق، فرغم أني لم أقابل والدها من قبل، فإن جونا لن يفعل أبدًا شيئًا مثل هذا مع إيليا.

«قالت والدتي إنه بعد ليلة عيد الميلاد بيوم خرج غاضبًا من المنزل وهو يصيح (فاض بي الكيل)، ولم يعدً ثانية أبدًا» قالت ليكسي وهي تنفخ بالونًا آخر.

«إذا كان هناك شيء واحد يجيده والدي، سيكون الاختفاء، لقد اختفى لمدة ثلاثة عشر عامًا»، صمتت فجأة، ونظرت خلفي، كان تركيزها منصبًا على شيء آخر الآن، أو ربما شخص آخر.

استدرت فرأيت ميلر يسير في اتجاهنا، التقت أعيننا، ظلَّ محدقًا إليَّ لثلاث ثوانٍ، كان تركيزه منصبًا عليَّ بالكامل لدرجة أنه اضطر إلى لفِّ رقبته قليلًا بعد أن تجاوزنا، قبل أن يشيح بوجهه بعيدًا عني مرغمًا.

لم نتحدث منذ تلك الليلة التي تبادلنا الرسائل بها، أحببت كونه لم يلاحقني، وكرهت ذلك في الوقت ذاته، أريده أن يكون شخصًا محترمًا، لكني أيضًا أود أكثر لو أنه لا يبالي بعلاقته الحالية لهذه الدرجة.

صفرت ليكسي قائلة: «شعرت بذلك»، أدرت عيني متذمرة: «لا، إحساسك خاطئ»، «بلى، نظرته إليكِ.. كانت مثل..»، قاطعتها: «لنرجع إلى جونا» قلت وأنا أغلق خزانتي: «هو أب جيد، هو فقط يحتاج إلى بعض الراحة».

«أراهنكِ بخمسة دولارات أنه لن يعود» قالت ليكسي وهي تتبعني باتجاه المخرج إلى موقف السيارات، سألتها «يعود إلى أين؟ إلى المدرسة؟ أم إلى إيليا؟».

- لكليهما، ألم ينتقل إلى هنا فقط بسبب حمل جيني؟ ربما كانت لديه حياة أخرى خارج هذه المدينة، ويود الآن أن يعود إليها، ليبدأ من جديدٍ، متظاهرًا أن العام الماضي لم يحدث أبدًا.

- أنتِ بشعة.مكتبة .. سُر مَن قرأ

«لا، الرجال هم البشعون، الآباء هم أكثر الأشخاص بشاعة» قالت.

تهدَّل كتفاي حين قالت ذلك، تنهدت في ضيق وأنا أفكر في والدي، وقلت: «والدي لم يكن بشعًا، كان أعظم رجل»، توقفت ليكسي عن السير، وقالت: «كلارا، أنا آسفة جدًا، أنا غبيةً».

عدت إليها وأمسكت يديها، وجذبتها لتسير معي، وأنا أقول لها: «لا بأس، لكنكِ مخطئة بشأن جونا، هو مثل أبي، شخص جيد، ويحب إيليا كثيرًا، ومن المستحيل أن يتخلى عنه هكذا».

سرنا خمسة أقدام أخرى قبل أن تتوقف ليكسي ثانية، وتشدني لتجبرني على التوقف معها، استدرت، أعطيت ظهري لموقف السيارات، ونظرت إليها: «ما خطبكِ؟»، «لا تنظري خلفكِ الآن، ميلر أوقف سيارته للتو بجوار سيارتكِ»، اتسعت عيناي في دهشة: «فعلًا؟».

- أجل، أريدكِ أن توصليني إلى المنزل، لكني لا أريد أن أسبِّب لكِ حرجًا إذا كان يريد التحدث إليكِ، لذلك سأعود للمدرسة، وبمجرد أنَ ينتهي الأمر أرسلي إليَّ رسالة.

«حسنًا» أومأت برأسي، وأنا أشعر بانقباضٍ شديدٍ في معدتي.

- أنتِ أيضًا مغرمة تمامًا به، إذا استخدمت كلمة (غير مهم) ثانية حين تشيرين إليه فسوف أصفعك.

- حسنًا.

عادت ليكسي إلى المدرسة، أخذت نفسًا واستدرت متجهة ناحية سيارتي، متظاهرة أنني لم أرَ شاحنة ميلر حتى وصلت إلى باب سيارتي، كانت شاحنته دائرة ونوافذها مغلقة، وكان جالسًا من دون حراك محدقًا إلى الأمام، وكانت هناك مصاصة متدلية من فمه، لم يلتفت إليَّ حتى.

ربما لم يكن يعرف حتى إنه أوقف سيارته بجوار سيارتي، بينما ظننت أنا أنه فعل ذلك متعمدًا، شعرت أني غبية.

أدرت وجهي وفتحت باب سيارتي، لكني توقفت حين فتح باب مقعد الراكب المجاور له، وأدار وجهه ناحيتي ببطء، ناظر إليَّ بترقب، كأن من المفترض أن أركب شاحنته، فكرت في الأمر، أحب الشعور الذي ينتابني وأنا معه، لذلك على الرغم من أني كنت أعرف أنني لا يجب أن أمنحه الشعور بالرضا لكونه قادرًا على دعوتي إلى ركوبٍ شاحنته بنظرة واحدة منه، فإني ركبت شاحنته على أي حالٍ، أنا حقًّا مثيرة للشفقة جدًّا.

عندما أغلقت الباب، شعرت كما لو أني أدخلت سلكًا عاريًا معي إلى الشاحنة، فضح الصمت الذي ساد بيننا ما يعتمل داخلي، كنت أشعرٍ بنبضات قلبي تتدافع من معدتي حتى حلقي، كما لو أن قلبي تضخَّم ليحتل كامل جسدي.

أسند ميلر رأسه إلى مقعده، ونظر إليَّ، كنت أنظر إليه بالطريقة ذاتها، لكني لم أكن مسترخية مثله، كنت أسند ظهري في وضعٍ مستقيمٍ إلى مقعده الجلدي.

كان لديه مكيف هواء في شاحنته، وليس كما ظننت آخر مرة كنت فيها هنا، كان مُشغلًا على درجة عالية، تطاير شعري وبدأ يدخل في فمي، أغلقت فتحة التهوية، وأبعدت خصلة من شعري عن شفتيَّ بأصابعي، كانت عينا ميلر تتبعان كل حركة أقوم بها، استقرت نظراته على فمي للحظة.

الطريقة التي كان ينظر بها إليَّ جعلت من الصعب عليَّ أن أتنفس بطريقة صحيحة، بدا كأن في إمكانه أن يعرف ما يحدث داخل جسدي في حضوره، حيث اتجهت عيناه نحو صدري المثقل، وإن كان ذلك لفترة وجيزة.

أخرج مصاصته من فمه، وأمسك بعجلة القيادة، وأشاح بنظراته بعيدًا عني: «غيَّرت رأيي، أريدك أن تخرجي من شاحنتي»، صعقتني كلماته، ارتبكت جدًّا: «غيرت رأيك بخصوص ماذا؟».

نظر إليَّ ثانية، بدا حائرًا لسبب ما، أخذ نفسًا ببطء قائلًا: «لا أعرف، أنا فعلًا أشعر بالارتباك تجاهكِ»، يشعر بالارتباك تجاهي؟ جعلني هذا أبتسم، لكن ابتسامتي جعلته يعبس، لا أعرف حتى بما أشعر الآن، لا أعرف ما إذا كنت أحبه أم أكرهه، لكني أعرف أن ما أشعر به حين أكون معه لا يمكنني أن أقاومه لفترة طويلة. عاود النظر إليَّ، كما لو أنه على وشك أن ينهي صراعه الداخلي.

- عليك أن تحل مشاكلك يا ميلر.

أومأ برأسه: «صدقيني أعرف أن عليَّ ذلك، لهذا أريدكِ أن تخرجي من شاحنتي»، كان الموقف كله غريبًا للغاية، ولم يكن بوسعي سوى الضحك عليه، جعلته ضحكتي يبتسم أخيرًا، لكنه تنهَّد بعدها وأمسك بعجلة القيادة بكلتا يديه، ساندًا جبينه عليها، ثم قال بصوتٍ هامسٍ: «أرجوكِ اخرجي من شاحنتي يا كلارا».

ضايقني أنه يخوض نوعًا من الصراع الأخلاقي في هذه اللحظة، لكني رغم ذلك أحببت ذلك الشعور -التفكير بأنه قد يكون منجذبًا إليَّ- أكثر بكثيرٍ من اعتقادي أنه يكرهني.

حاولت إبقاء شيلبي في ذهني، ففكرة أن لديه حبيبة يحبها ويكن مشاعر لها تمنعني من أن أقفز فوق مقعده وأقبِّله مثلما أريد، لكني من ناحية أخرى أعلم أني لا أفعل أي شيء لمساعدته على تجنب الشعور بالرغبة ذاتها، فما زلت جالسة في شاحنته، رغم أنه طلب مني الخروج ما لا يقل عن ثلاث مرات، حتى إنني زدت الطين بلة حين مددت يدي لسحب المصاصة من يده.

- ميلر؟

مال برأسه من دون أن يرفعها عن عجلة القيادة، حدق إليَّ،: «أنتَ تربكني جدًّا» قلت له، ووضعت المصاصة في فمي، وأمسكت بمقبض الباب.

أبقى ميلر رأسه مائلًا بما يكفي ليراني وأنا أخرج من شاحنته، وبمجرد أن أغلقت الباب، حتى أوصد قفله، ثم عاد بشاحنته إلى الخلف، كأنه لا يستطيع الابتعاد عني بسرعة.

ركبت سيارتي، وبداخلي قناعة تامة أن خالتي جيني كانت مخطئة بشأن أمر واحد، حين قالت إن الفتيات محيرات أكثر من الرجال، لا أعتقد ذلك أبدًا، غادرت مكان وقوف سيارتي بعد رحيل ميلر، رنَّ هاتفي حين صرت على الطريق، كانت ليكسي، اللعنة، نسيت ليكسي.

رددت عليها: «أنا آسفة، سأعود إليكِ».

- أنتِ نسيتني.
- أعرف أني أسوأ شخص في العالم، سأعود إليكِ حالًا.

الفصل الحادي عشر
مورجان

عامان وستة أشهر وثلاثة عشر يومًا، وفقًا لحساباتي تلك هي المدة التي يفترض أن يكفينا فيها التأمين على الحياة الخاص بكريس في أسوأ السيناريوهات، لكن إضافة رضيع إلى الحسبة سيودي بنا إلى الفقر. فلا يمكنني أن أحصل وظيفة ومعي طفلٌ رضيعٌ، ولا يمكنني تحمُّل تكاليف الحضانة إذا حصلت على وظيفة، ولا يمكنني مقاضاة جونا من أجل إعالة إيليا لأنه ليس والده حتى.

جمعت الأوراق معًا حين بدأ إيليا في البكاء، وذهبت إليه، كنت أظن أن إيليا لم يكن مثل كلارا في هذا العمر، لكني بدأت أعتقد أني كنت مخطئة، لأنه لم يفعل شيئًا سوى البكاء خلال الأيام القليلة الماضية، ورغم أنه يغفو من حين إلى آخر، بيد أنه يبكي معظم الوقت.

أنا متأكدة أن ذلك بسبب أنني لست مألوفة بالنسبة إليه، فهو معتاد على جيني، ولم يسمع صوتها منذ فترة، ولم يسمع صوت جونا أيضًا منذ ليلة الأحد، أبذل كل ما بوسعي للتظاهر بأن كل شيء سيكون على ما يرام، لكني بدأت أقلق حيال ذلك، لأن جونا لم يرد على أي من رسائلي.

قد لا يعود جونا فعلًا، وهل يمكنني لومه على ذلك؟ فهو محق، أنا من تربطني بهذا الطفل صلة دم وليس هو، ويبدو أن إيليا أصبح

مسؤولًا مني الآن، فرغم أن اسم جونا في شهادة ميلاده، فإنه ليس ملزمًا فعلًا بتربية طفل أنجبته أختي وزوجي.

كنت أتمنى لو كان الشهران اللذان قضاهما جونا مع إيليا كافيين لتكوين رابطة أبوية قوية بينهما، وأنه سيرجع إلى رشده، ويعود معتذرًا ومحطم القلب، لكن ذلك لم يحدث، مضى أربعة أيام على رحيله، وها أنا هنا على وشك أن أربي مولودًا جديدًا وسط كل هذه الفوضى.

لم أستطع منع نفسي من التفكير في الأمر الليلة الماضية، حين كنت أجلس في غرفة المعيشة وأحمل إيليا، الذي ظل يصرخ بأعلى صوته لمدة ساعة متواصلة، بدأت أضحك بشكلٍ هستيري وسط صراخه، مما جعلني أتساءل عما إذا كنت جننتٌ، فهكذا يصورون دائمًا الأشخاص المجانين على شاشات التلفزيون، يضحكون في المواقف العصيبة، في الوقت الذي من المفترض أن يكون رد فعلهم أكثر ملاءمة للحدث.

لكن لم يسعني سوى الضحك، لأن حياتي بالكامل محض هراء، هراء، هرااااء، مات زوجي، ماتت أختي، وسُلِّم لي طفلهما غير الشرعي لأربيه، بينما لم تعُد ابنتي تتحدث إليَّ تقريبًا، أنا لست مؤهلة للتعامل مع ذلك كله. ولا يمكنني حتى الهروب من هذه الحياة اللعينة بمشاهدة التلفزيون لأن التلفزيون اللعين لا يزال معطلًا، «يجب أن أتصل بهم».

- تتصلين بمن؟

استدرت، فوجئت بوجود كلارا في المنزل، لم أسمع حتى وقع خطواتها، «تتصلين بمن؟» كررت سؤالها، لم أدرك أنني قلت ذلك بصوتٍ عالٍ، «شركة الكابلات، أفتقد التلفزيون»، هزَّت كلارا رأسها كأنها تود أن تقول لي: «الكابل عفا عليه الزمن يا أمي»، لكنها لم تقل شيئًا، بل سارت نحوي وأخذت إيليا مني.

توجد شركتان للكابلات في هذه المدينة، حالفني الحظ بالاتصال بالشركة التي لدينا حساب بها أولًا، ظللت على الانتظار لمدة طويلة قبل أن أحصل على موعدٍ في النهاية، كانت كلارا تنظر إليَّ من مكانها على الأريكة بعدما أنهيتُ المكالمة، «ألم تنامي؟».

افترضت أنها تسألني ذلك لأنني ما زلت أرتدي ملابس الأمس، ولم أمشط شعري، لا أستطيع حتى أن أتذكر ما إذا كنت غسلت أسناني، أفعل ذلك عادة قبل النوم وبمجرد أن أستيقظ، لكني لم أفعل أيًّا من الأمرين، لأن كلارا محقة، فأنا لم أنم فعلًا، أتساءل كم من الوقت يمكن أن يبقى الشخص مستيقظًا من دون نوم، أعتقد سبع ساعات بالنسبة إلى إيليا، فهذا هو الوقت الذي مرَّ بين آخر قيلولة له وقيلولته تلك.

- اتصلي بجونا واطلبي منه أن يأتي ليأخذ ابنه، تبدين كأنكِ على وشك الانهيار.

تجنَّبت الرد على جملتها، أخذت إيليا من بين ذراعيها: «هل يمكنكِ أن تهرعي إلى المتجر، وتجلبي حفاضات، لم يتبقَّ سوى واحدة، وهو في حاجة إلى أن يغيِّر حفاضته».

«ألا يمكن لجونا أن يجلب له حفاضات؟» سألت كلارا مستطردة: «أليس ذلك مسؤوليته؟»، أشحت بنظري بعيدًا عن كلارا، لأنها حدقت إليَّ كأنني ماءٌ شفاف يمكنها رؤية ما بداخله، «كوني أكثر رفقًا بجونا» قلت لها مضيفة: «انقلبت حياته رأسًا على عقب».

- انقلبت حياتنا رأسًا على عقب أيضًا، لكن ذلك لا يعني أن نتخلى عن طفل رضيع.

«أنتِ لا تفهمين، يحتاج جونا إلى بعض الوقت. محفظتي في المطبخ» قلت محاولة تجنُّب وضع جونا في وجه المدفع، بغض النظر عن مدى رغبتي في ذلك. أخذت كلارا النقود وذهبت إلى المتجر، وبقيت أنا وإيليا وحدنا، وضعته على الفراش الذي صنعته لأجله، نام أخيرًا، ولا أعرف إلى متى سيظل نائمًا، لذلك استغللت الفرصة وذهبت إلى المطبخ لأشطف رضاعاته. لم يشرب إيليا حليب ثدي منذ وفاة جيني، لكن يبدو أنه يتقبل الحليب الصناعي، يراكم ذلك عليَّ أكوامًا من الصحون، انهمرت دموعي وأنا أقوم بدعك إحدى الرضاعات.

صرت في الآونة الأخيرة لا أستطيع التوقف عن البكاء بمجرد أن أبدأ به، أبكي مع إيليا في الليل، أبكي معه في النهار، أبكي في الحمام، أبكي في سيارتي، أعاني من صداع مستمرّ، وحزن متواصل، أتمنى أحيانًا أن ينتهي كل شيء، أن ينتهيَ العالمُ برمته. تعرف كم وصلت إلى قاع الحضيض حين تغسل رضاعات طفل وأنت تدعو أن تأتي نهاية العالم.

الفصل الثاني عشر
كلارا

هناك عدة طرق يمكنني سلكها للذهاب من منزلي إلى متجر البقالة، أو إلى المدرسة، أو إلى أي مكان آخر في المدينة، من بينهم الطريق الرئيسي في وسط المدينة، وهو أقصر طريق، الطريق الآخر دائري، وبعيد عن وجهتي، لكنه رغم ذلك الطريق الوحيد الذي سلكته على مدى أسبوعين تقريبًا للذهاب إلى أي وجهة أريدها، لأنه الطريق الوحيد الذي أمرُّ به على منزل ميلر آدامز.

لاحظتُ أن لافتة المدينة تحركت من مكانها قليلًا، وأفهم الآن لِمَ يحركها بمقدارٍ ضئيلٍ في كل مرة، فمن الصعب على أي شخص ملاحظة تحريكها عشرين قدمًا كل أسبوع، لكني لاحظت الأمر رغم ذلك، وهذا يجعلني أبتسم في كل مرة أرى اللافتة في مكانٍ مختلفٍ.

أقود سيارتي في هذا الطريق على أمل أن يكون سائرًا على جانب الطريق، سيكون لديَّ مبرر حينها لأتوقف، لكني لم أرَه أبدًا، واصلت قيادة السيارة حتى متجر البقالة لأشتري الحفاضات، رغم أني ليس لديَّ أي فكرة عن نوع أو حجم الحفاضات التي عليَّ شراؤها، ظلَّت رسائلي إلى أمي من دون إجابة حتى اللحظة التي وصلت فيها إلى المتجر، يبدو أنها مشغولة مع إيليا.

فتحت قائمة الاتصال على اسم جونا، حدقت إلى رقمه، متسائلة عن سبب عدم اتصال والدتي به ليجلب الحفاضات، انتابني الفضول أيضًا

لمعرفة سبب إبقائها إيليا معها طوال كل هذه الفترة، أعرف تمامًا أنها كذبت عليَّ حين قالت لي إنه يحتاج فقط إلى أن يستريح، رأيتُ القلق في عينيها، كانت تأمل أن تكون الراحة هي كل ما يحتاج إليه فعلًا.

لكن ماذا لو كانت ليكسي محقة؟ ماذا لو قرَّر جونا ألا يعود لأجل إيليا؟ لو أن الأمر كذلك، سيكون ذلك مأساة أخرى تُضاف إلى القائمة الطويلة من المآسي التي تسبَّبتُ فيها، فجونا يعاني من الضغط النفسي لأنه فقد أم طفله، ولا يعرف كيف يربيه بمفرده، ولم يكن أي من هذا سيحدث لولاي.

أحتاج إلى إصلاح ما يحدث، لكن ليس في إمكاني أن أفعل ذلك، وأنا لا أعرف ماذا يحدث بالتحديد، قررت ألا أتصل بجونا، وضعتُ هاتفي في جيبي، وغادرت المتجر من دون أن أشتري حفاضات، قدتُ سيارتي إلى منزل جونا مباشرة لأن خالتي جيني لم تعُد هنا لتجيب أسئلتي، ووالدتي لن تكون صريحة معي بالتأكيد، وبالتالي لا توجد طريقة للحصول على إجابات أفضل من الذهاب مباشرة إلى المصدر.

سمعتُ صوت التلفزيون حين اقتربتُ من باب منزل جونا، تنفَّستُ الصعداء قليلًا حينها، فصوت التلفزيون يعني أنه لم يغادر المدينة حتى الآن، قرعتُ الجرس، سمعت صوت خشخشة بالداخلٍ، ثم وقع خطواتٍ، خفت صوت الخطوات كما لو أنه يبتعد محاولًا تفادي زائره، بدأت أطرق الباب، أردته أن يعرف أنني لن أبرح مكاني حتى يفتح لي، سأدخل من النافذة لو اضطررت إلى ذلك.

صحت قائلة: «جونا»، لكنني لم أتلقَّ أي رد، حاولت فتح مقبض الباب، لكنه كان مغلقًا، لذلك حاولت طرق الباب مجددًا بيدي اليمنى، وقرع الجرس بيدي اليسرى، فعلت ذلك لمدة ثلاثين ثانية قبل أن أسمع وقع أقدامٍ ثانية.

انفتح الباب، كان جونا يلبس قميصه ويقول لي: «امنحي الشخص وقتًا ليرتدي ملابسه»، دفعت الباب وتجاوزته، دخلت المنزل من دون أن يأذن لي، آخر مرة جئت فيها إلى هنا كان قبل وفاة جيني بأسبوع، لا أصدق السرعة التي يمكن أن يحوِّل بها الرجل شيئًا ما إلى فوضًى عارمة، لا يعني ذلك أن الشقة وصلت إلى حالة مقززة، لكنها بالتأكيد وصلت إلى حالة مثيرة للشفقة.

كانت الملابس ملقاة على الأرض، وكانت هناك علب بيتزا فارغة على المنضدة، وكيسا رقائق بطاطا على الأريكة، بدأ جونا يجمع القمامة وينقلها إلى المطبخ، كما لو أنه شعر بالحرج من الوضع الذي كان عليه منزله، كما من المفترض أن يشعر.

«ماذا تفعل؟» سألته.

داس على مقبض صندوق القمامة، فانفتح غطاؤه، ظننته سيلقي بالقمامة في الصندوق، لكنه كان ممتلئًا تمامًا، لذا أفلت المقبض، ووضع القمامة على منضدة المطبخ، بجوار كومة أخرى من القمامة، «أنظِّف» أجابني، رفع غطاء صندوق القمامة، وبدأ في ربط كيس القمامة وإغلاقه.

- أنت تعرف ما أقصده، لماذا يجلس إيليا مع والدتي منذ الأحد؟

أخرج جونا كيس القمامة من الصندوق، ووضعه بجوار باب المطبخ المؤدي إلى المرآب، توقَّف للحظة ناظرًا إليَّ كأنه سيجيبني بصدقٍ، لكنه هزَّ رأسه بعدها قائلًا: «لن تفهمي».

سئمتُ سماع هذه الكلمات، كأن البالغين يفترضون أن بلوغ عمر السادسة عشرة يمنع الشخص من فهم اللغة الإنجليزية، أفهم بالقدر

الكافي الذي يجعلني أعرف أن ما من شيء في العالم يبعد أبًا عن طفله، ولا حتى الحزن، «هل تشعر بالقلق عليه حتى؟».

بدا جونا مستاءً من سؤالي، أجابني: «بالطبع أقلق عليه».

- لديك طريقة غريبة في التعبير عن ذلك.

- لستُ في حالة جيدة.

ضحكت: «أجل، ولا أمي في حالة جيدة أيضًا، فقد فقدت زوجها وأختها».

ردَّ جونا بهدوء: «فقدتُ أعز أصدقائي، وخطيبتي، ووالدة طفلي».

- والآن فقدك ابنك، يبدو ذلك عادلًا.

تنهَّد جونا، اتكأ على المنضدة ناظرًا نحو الأرض، كنت أعرف أن وجودي هنا يجعله يشعر بالذنب، جيد، هو يستحق فعلًا أن يشعر بالذنب، وأنا لم أنهِ حديثي بعد.

- هل تعتقد أنك تتألم أكثر من أمي؟

«لا» قال على الفور باقتناع.

- لماذا إذن تُلقي بمسؤوليًاتك على كاهلها، لستَ بأكثر حزنًا منها، ورغم ذلك تركت ابنك معها، كأن حزنك أكثر أهمية مما تمر هي به.

أوجعه ما قلته، رأيت ذلك في وجهه، بدا كأن الشعور بالذنب يقتله، ابتعد عن المنضدة، وسار بعيدًا عني، كأن وجودي في حد ذاته يشعره بتأنيب الضمير، قلت:

- تقلَّب إيليا بالأمس.

استدار جونا ناظرًا نحوي: «فعلًا؟»، هززت رأسي بالنفي قائلة: «لا، لكنه سيفعل ذلك قريبًا، وسيفوتك ذلك».

تشنَّج فك جونا، شعرت بالتغيير الذي طرأ عليه قبل حتى أن يقول بصوتٍ هامسٍ: «ما الذي أفعله؟» هرع ناحية طاولة غرفة الطعام، والتقط مفاتيحَ السيارة، ثم اتجه إلى باب المرآب.

- إلى أين أنت ذاهب؟

توقف جونا ونظر إليَّ قائلًا: «ذاهب لآخذ ابني».

فتح باب المرآب، لكني ناديته قبل أن يغادر، وقلت له: «سأبقى هنا وأنظف منزلك مقابل 50 دولارًا»، عاد جونا إلى غرفة المعيشة، وأخرج المحفظة من جيبه، وأخرج منها ورقتين قيمتهما عشرين دولارًا، وورقة أخرى قيمتها 10 دولارات، ومنحني الأوراق النقدية الثلاث، ثم فعل شيئًا غير متوقع، مال نحوي، وطبع قبلة سريعة على جبهتي، وحين رجع إلى الخلف، حدق إليَّ بنظراتٍ قوية قائلًا «شكرًا لكِ يا كلارا».

ابتسمتُ وأنا ألوح بالأوراق النقدية الثلاث بيدي، لكني كنت أعرف أنه لا يشكرني على بقائي لتنظيف منزله، بل يشكرني على أني ساعدته في أن يعود إلى صوابه.

الفصل الثالث عشر
مورجان

كنتُ في غرفة الغسيل، أعيد غسل ملابس إيليا القليلة لديَّ، حين سمعت الباب الأمامي ينفتح ويُغلق، عادت كلارا حتمًا من المتجر ومعها الحفاضات، باغتني ذلك، كنت لا أزال أبكي، مسحت دموعي، ثم شغَّلت المجفف، ومضيت إلى غرفة المعيشة.

توقفت حين رأيت جونا واقفًا في غرفة المعيشة ويحمل إيليا، كان يضمُّه إلى صدره ويقبِّله على رأسه مِرارًا وتكرارًا، «أنا آسف» سمعته يقول ذلك بصوتٍ هامس، مستطردًا: «بابا آسفٌ جدًّا».

لم أرغب في قطع هذه اللَّحظة الجميلة، بدا ذلك غريبًا، فقبل دقائق فقط كان الغضب يعتريني، لكنني أشعر الآن من تعبيرات وجهه أنه أدرك أنه لا يستطيع الابتعاد عن إيليا، لا يهم من أنجبه، فجونا هو الذي ربَّاه، جونا هو الشخص الذي يعرفه إيليا ويحبه، فرحت لأن جونا لم يجعل أسوأ مخاوفي تتحقق.

ذهبت إلى غرفة نومي، تركتهما وحدهما لبرهة بينما أعدت حزم حقيبة إيليا، وجدت جونا في مكانه بالضبط حين عدتُ إلى غرفة المعيشة، ظلَّ محتضنًا إيليا كما لو أنه لا يستطيع أن يعتذر بالقدر الكافي له، كأن إيليا يفهم ما حدث.

رفع جونا بصره، فالتقت أعيننا، وبقدر ما شعرت بالراحة لحظتها لأنني تأكدت أن حبه لإيليا أكبر من حمض نووي يتشاركان أو لا يتشاركان فيه، إلا أني ما زلت غاضبة قليلًا أنه استغرق نحو أربعة أيامًا ليعود إلى رشده.

- إذا هجرته مرة أخرى، سأرفع دعوى لأحصل على حضانته.

خطا جونا نحوي، لفَّ ذراعه حولي، واضعًا رأسي أسفل ذقنه، «أنا آسف يا مورجان، لا أعرف بما كنت أفكر»، قال بصوتٍ يائسٍ كأنني قد لا أسامحه، «أنا آسف».

المشكلة أنني.. لا ألومه على ذلك حتى، فإذا لم يكن كريس وجيني قد ماتا بالفعل، لكنت قتلتهما على ارتكابهما ذلك بحق جونا، ذلك كل ما كنت قادرة على التفكير فيه خلال الأيام القليلة الماضية، كانت جيني تعرف حتمًا أن هناك احتمالًا أن يكون كريس والد إيليا، وإذا كانت جيني تعرف ذلك، فحتمًا كان كريس يعرف ذلك، سألت نفسي لِمَ قد يترك الاثنان جونا يظن لثانية واحدة أنه أنجب طفلًا ليس ابنه؟ لكن السبب الوحيد الذي توصَّلت إليه ليس سببًا كافيًا أبدًا.

أعتقد أنهما أبقيا الأمر سرًّا لأنهما كانا خائفين من تبعات انكشاف الحقيقة، لم تكن كلارا ستسامحهما أبدًا، أظن أن كريس وجيني كانا سيفعلان أي شيء بوسعهما لإخفاء الحقيقة عن كلارا، حتى ولو كان ذلك بجرِّ جونا إلى كذبتهما.

كنتُ من ناحية أشعر بالراحة لكونهما برعا في إخفاء الأمر لأجل مصلحة كلارا، لكن من ناحية أخرى كنت غاضبة لأجل جونا وإيليا، لذلك لم أقل أي شيء آخر لجونا لأشعره بالذنب، كان في حاجة إلى وقتٍ للتأقلم مع تلك الصدمات، هو لا يحتاج إلى أن يشعر بالذنب، فقدْ عاد نادمًا، وهذا كل ما يهم الآن.

ظل جونا محتضنني، مواصلًا الاعتذار، كأني كنت في حاجة إلى اعتذاره أكثر من إيليا، لكني لم أحتج إلى اعتذار منه، كنت أتفهَّم موقفه تمامًا، وكنت فقط أشعر بالارتياح بعد أن اطمأننت أن إيليا لن ينشأ من دون أب، كان هذا أكبر مخاوفي.

ابتعدتُ عن جونا، ومنحته حقيبة إيليا، وقلت له: «بعض ملابسه في المجفف، يمكنك أن تأتي لتأخذها فيما بعد خلال هذا الأسبوع».

«شكرًا لكِ» قال لي، ثم قبَّل إيليا على جبينه ثانية محدقًا إليه للحظة قبل أن يهم بالرحيل، تبعتهما عبر غرفة المعيشة، حين بلغ جونا الباب الأمامي، استدار وعاود القول: «شكرًا لكِ».

هززتِ رأسي: «لا بأس يا جونا، حقًّا لا بأس».

حين أُغلق الباب، تهاويت على الأريكة متنفسة الصعداء، لا أظن أنني وصلت إلى هذه المرحلة من التعب من قبل، تعبت من الحياة، من الموت، من كل شيء، استيقظت بعدها بساعة في نفس مكاني، حين عادت كلارا أخيرًا إلى المنزل، من دون الحفاضات.

فركت عيني متسائلة أين كانت إذا لم تذهب إلى شراء حفاضاتٍ مثلما طلبت منها، كأن الاعتناء برضيع طوال الأسبوع لم يكن منهكًا كفاية ليزيد عليه مراهقة قررت أن تبدأ فترة تمردها يوم جنازة والدها.

تبعتها نحو المطبخ، فتحت الثلاجة، كنت أقف خلفها محاولة اكتشاف ما إذا كانت تنبعث منها رائحة حشيش ثانية، لكن لم تكن تنبعث منها هذه الرائحة، لكنهم الآن يأكلون حلوى الهلام، وبات من السهل إخفاء رائحة الحشيش.

نظرت كلارا لي رافعة حاجبها: «هل كنتِ تشمّينني؟».

- أين كنتِ، كان من المفترض أن تخرجي لتشتري حفاضات.
- هل لا يزال إيليا هنا؟
- لا، جاء جونا وأخذه.

تخطَّتني قائلة: «لسنا في حاجة إذن إلى حفاضات»، أخرجت أموال الحفاضات من جيبها، ووضعتها على المنضدة، واتجهت ناحية باب المطبخ، لكن لم يكن من الممكن أن أتساهل معها، فهي في السادسة عشرة من عمرها، ومن حقي أن أعرف أين كانت.

سددت الطريق عليها لأمنعها من مغادرة المطبخ: «هل كنتِ مع هذا الشاب؟».

- أي شاب؟
- الشاب الذي جعلكِ تتعاطين المخدرات يوم جنازة والدكِ.
- ظننت أننا تجاوزنا الأمر، لكن يبدو أننا لم نتجاوزه.

حاولت أن تتخطَّاني ثانية، لكني ظللت واقفة أمامها، أسد الطريق عليها: «لا يمكنكِ مقابلته ثانية».

- أوه، أنا لا أقابله، وحتى ولو كنت أقابله، فهو ليس شابًا سيئًا، هل يمكنني أن أذهب إلى غرفتي الآن من فضلك؟».
- سأدعكِ تذهبين بعد أن تخبريني أين كنتِ.

قالت باستسلام: «كنت أنظف منزل جونا! لماذا تفترضين الأسوأ دائمًا؟». شعرت أنها تكذب عليَّ، فلماذا تنظف منزل جونا؟

«تحققي من التطبيق إذا كنتِ لا تصدقينني، أو اتصلي بجونا» قالت، ثم مضت وتخطتني، ودفعت باب المطبخ.

كان في إمكاني فحص التطبيق، لكن حتى مع وجوده لا أستطيع معرفة ما تقوم به، فالتطبيق قال إنها كانت في السينما يوم جنازة كريس، لكنه بالتأكيد لم يخبرني أنها كانت تتعاطى المخدرات وهي هناك، شعرت أن التطبيق غير مجدٍ في هذه اللحظة.

ربما يجب أن ألغي اشتراكي به لأنه يكلفني أموالًا، لكن كريس هو الذي اشترك لنا به، وربما يكون هاتفه تحطم في الحادث، فهو لم يكن في صندوق المتعلقات الذي أعطوه لنا من سيارة جيني.

وحتى لو وجدت هاتفه، لا أعرف كلمة السر الخاصة به، كان من المفترض أن يكون هاتفه أول خيطٍ يدلني على إخفائه أشياء كثيرة عني، لكن من يحتاج إلى خيوطٍ حين لا يكون مدركًا أصلًا أن عليه أن يلعب دور المحقق؟ لم أشكَّ أبدًا في وجود شيء خاطئ، ها أنا أعاود التفكير في الأمر ثانية.

تمنيت نوعًا ما لو أن إيليا لا يزال هنا، كان يشغل تفكيري، لم أكن سأفكر فيما فعلته جيني وكريس، لو أنه يستنزف كل دقيقة من وقتي، جونا محظوظ بذلك، فمن المرجح أن يبقيه إيليا مشغولًا ومرهقًا، ولن يكون لديه وقتٌ للتفكير في أي شيء.

سأسكب لنفسي بعض النبيذ، وربما آخذ حمامًا في البانيو، قد يساعدني ذلك. خرجت كلارا غاضبة منذ ثلاثين ثانية، ولا يزال باب المطبخ يروح جيئة وذهابًا، أمسكته بيدي، حدقت إلى ظهرها، كانت راحة يدي مفرودة عليه، حملقت إلى خاتم الزواج، أعطاني كريس إياه في عيد زواجنا العاشر، حل محل الخاتم الذهبي الذي اشتراه لي عندما كنا مراهقين، ساعدت جيني كريس في اختيار هذا الخاتم، هل كانت بينهما علاقة وقتها؟

هذه هي المرة الأولى التي أشعر فيها برغبة شديدة في خلع هذا الخاتم منذ أن ارتديته، أزلته من إصبعي وألقيت به على الباب، لا أعرف أين سقط، ولا يهمني هذا، دفعت باب المطبخ، وذهبت إلى المرآب بحثًا عن شيء يمكنه حل مشكلة واحدة على الأقل في حياتي.

وددتُ لو أجد ساطورًا أو فأسًا، لكني لم أجد سوى مطرقة، حملتها إلى المطبخ لأنهي أمر هذا الباب اللعين إلى الأبد، طرقت بها الباب، حتى أحدثت انبعاجًا به، طرقت ثانية متسائلة لِمَ لا أحاول فقط خلع الباب من المفصلات؟ ربما كنت في حاجة شديدة إلى شيء أفرغ غضبي به.

طرقت الباب في الموضع ذاته مِرارًا وتكرارًا، حتى بدأ الخشب يتهشَّم، ظهرت حفرة أخيرًا به، كان في إمكاني رؤية غرفة المعيشة من المطبخ، شعرتُ بالارتياح، أقلقني ذلك نوعًا ما، لكني واصلت الطرق رغم ذلك، كلما كنت أطرق على الباب، كان يتأرجح بعيدًا عني، وحين يرجع مجددًا أعاود الطرق ثانية، صرت أنا ومطرقتي نضرب الباب بإيقاعٍ منتظم حتى بات به ثقب لا يقل عن اثنتي عشرة بوصة.

وضعت كل قوتي في الضربة التالية، لكن المطرقة علقت في الخشب وانزلقت من يدي، أوقفت الباب بقدمي حين تأرجح نحوي، كان في إمكاني رؤية كلارا من الثقب الموجود به، كانت تقف في غرفة المعيشة محدقة إليَّ، وتبدو الحيرة عليها.

وضعت يديَّ على أردافي، كنت أتنفس بقوة بسبب الجهد البدني الذي تطلَّبه إحداث هذا الثقب، مسحت العرق عن جبيني.

«فقدتِ عقلكِ تمامًا» قالت كلارا مستطردة: «سأكون أفضل حالًا لو هربَت من البيت وصرت مشردة».

دفعت الباب بيدي، إذا كانت تظن أن بقاءها معي سيئ إلى هذه الدرجة.. قلتُ لها بهدوءٍ: «اهربي من البيت إذن يا كلارا»، هزَّت رأسها في ضيق، كأنني أنا من خيبت أملها، ثم مضت نحو غرفتها، صحتُ بصوتٍ عالٍ: «ذلك ليس الطريق إلى الباب الأمامي».

صفقت بابَ غرفتها، لم يستغرق الأمر مني سوى ثلاث ثوانٍ لأندم على صراخي بها، إذا كانت تشبهني بأي شكل من الأشكال حين كنت في عمرها -وهي كذلك فعلًا- فهي على الأرجح تحزم حقيبتها، وتوشك أن تخرج من النافذة.

لم أكن جادة فيما قلته، كنتُ غاضبة فحسب، كان عليَّ أن أتوقف عن إفراغ غضبي بها، لكن تصرفها معي على هذا النحو جعلها هدفًا ملائمًا لأوجِّه غضبي نحوه.

ذهبت إلى غرفة نومها، فتحتُ الباب، لم تكن تحزم حقيبتها، بل كانت مستلقية على فراشها، تحدق إلى السقف باكية، غمر قلبي شعورٌ بالذنب، أحسستُ بشعورٍ بشع لأني انفجرت غضبًا إلى تلك الدرجة، جلست على فراشها، مسَّدتُ بيدي على رأسها، قلتُ معتذرة: «أنا آسفة، لا أريدك أن تتركي البيت فعلًا».

تقلَّبت كلارا ونظرت الناحية الأخرى، ضمَّت وسادة إلى صدرها، وقالت لي: «أريد أن أنام يا أمي من فضلك».

الفصل الرابع عشر
كلارا

شربتُ أول كوب كامل من القهوة في حياتي منذ نحو أسبوعين، في الصباح الذي تلاً قيام أمي بإحداث ثقب عشوائي في باب مطبخنا، اكتشفت وقتها الشيء الوحيد الذي قد ينقذني من اكتئابي الذي استمر لمدة شهر..ستاربكس.

لا يعني ذلك أنني لم أذهب إلى مقهى ستاربكس من قبل، كنت دومًا تلك المراهقة التي تطلب الشاي من المقاهي، لكني بعد أن عرفت الآن معنى الحرمان من النوم، جرَّبت كل المشروبات تقريبًا في القائمة، وصرت أعرف تمامًا أيهم مشروبي المفضل، «فينتي كراميل ماكياتو الكلاسيكي»، ولا شيء سواه.

حملتُ مشروبي نحو طاولة فارغة في الركن، تلك الطاولة التي كنت أجلس عليها يوميًا تقريبًا خلال الأسبوعين الماضيين. آتي إلى هنا عندما لا أذهب إلى منزل ليكسي بعد المدرسة، أصبحت الأجواء متوترة جدًّا في المنزل، ولم تعُد لديَّ رغبة للجلوس به. يجب أن أعود إلى المنزل في العاشرة مساءً أيام المدرسة، ما دام ليس لديَّ واجب مدرسي عليَّ إنجازه، بينما في أيام العطلات يمكنني العودة في منتصف الليل، يكفي القول إنني لم أعُد إلى المنزل قبل العاشرة مساءً منذ شجارنا الأخير أنا ووالدتي.

إذا لم تسألني أين كنت أو مع من كنت، وإذا لم تتشمَّمني بحثًا عن أي دليل على تعاطيَّ المخدرات، فإنها تتجوَّل في المنزل، وتحدث ثقوبًا عشوائية في الأبواب.

كما أن هناك أشياء كثيرة لم نتحدث بشأنها، مثل حقيقة أنني كنت أراسل جيني عندما ماتا، ومعرفتي بالمكان الذي ذهبا إليه هي وجونا عندما غادرا المنزل معًا، «لانجفورد»، رأيته على التطبيق، سألتها في تلك الليلة أين ذهبا، لكنها لم تخبرني، أشعر أنها ستكذب عليَّ لو فتحت هذا الموضوع معها الآن.

لا يوجد تفاهمٌ بيننا، لسنا على الموجة نفسها، لا نعرف حتى كيف نتحدث مع بعضنا الآن بعد رحيل أبي وجيني. ربما تكون المشكلة بي، لا أعرف، كل ما أعرفه أنني لا أتحمَّل الجلوس في بيتنا الآن، أكره ذلك الشعور الذي ينتابني حين أكون بالمنزل، أشعر بالغرابة من دون وجود أبي به، وأخشى ألا يعود أبدًا كما كان من قبل، فيما مضى كان بيتًا حقيقيًا، لكنه الآن يبدو مثل مركز رعاية، وأنا وأمي المرضى الوحيدون به.

من المحزن أن أشعر بالارتياح في «ستاربكس» أكثر من بيتي. تعمل ليكسي في «تاكو بيل» خمسة أيام في الأسبوع، ولديها عملٌ الليلة، لذا أجلس هنا في ركني الصغير الهادئ في أرض «الكافيين»، وأقرأ كتابًا.

كنتُ قد قرأت صفحات قليلة منه، حين اهتزَّ هاتفي على الطاولة، قلبته لأرى الإشعار الجديد الذي جاءني على إنستجرام. ميلر آدامز بدأ يتابعني، حدقت إلى الإشعار، متسائلة عن معنى هذا، هل انفصل عن شيلبي ثانية؟ هل هذه طريقته للانتقام منها؟

شعرتُ بابتسامة تحاول أن ترتسم على شفتي، لكني أوقفتها على الفور، لأني شعرت بالإهانة، اركبي شاحنتي، اخرجي من شاحنتي، لنكن أصدقاء على إنستجرام، لا، دعينا لا نكون أصدقاء على إنستجرام، حسنًا، لنكن أصدقاء.

لن أسمح لنفسي بأن أشعر بالسعادة لذلك حتى أعرف ما ينتويه، ولأنني مسحت رقم هاتفه، فتحت الرسائل بيني وبينه، وأرسلت إليه رسالة:

- هل تحطم قلبك ثانية؟

- أعتقد أنني انفصلت نهائيًّا هذه المرة.

لم أستطع منع نفسي من الابتسام حينها، كانت بسمتي أكبر من أن أكبحها، سألني: «ماذا تفعلين الآن؟».

- لا شيء.

- هل يمكنني أن آتي إليكِ؟

كان منزلي آخر مكان أود لقاءه به، «قابلني في ستاربكس» قلتُ له.

- أنا في طريقي إليكِ.

وضعتُ هاتفي على الطاولة، والتقطتُ الكتاب ثانية، لكني كنت أعرف أنني لن أستطيع التركيز على الكلمات وأنا أنتظره، لكن ذلك لا يهم، فبعد خمس ثوانٍ جاء ميلر، سحب مقعدًا فارغًا بطاولتي، وجلس عليه بالمقلوب، جذبتُ الكتاب نحو صدري، وحدقت إليه.

- هل كنت هنا بالفعل؟

ابتسم قائلًا: «كنت أقف في الطابور لأشتري قهوة عندما أرسلت الرسالة إليكِ».

هذا يعني أنه قد يكون رآني وأنا أبتسم مثل البلهاء.

- يشعرني ذلك بانتهاك خصوصيتي.

- ليس ذنبي أنكِ غير منتبهة تمامًا لما حولكِ.

هو محقٌّ، فحين أكون هنا، لا يكون لديَّ أي فكرة عما يحدث حولي، أجلس أحيانًا هنا لمدة ساعتين مستغرقة في القراءة، وأُفاجأ حين أغلق الكتاب وأنظر حولي، وأجد أنني لست بالمنزل.

وضعتُ الكتاب في حقيبتي، وأخذتُ رشفة من القهوة، ثم أرجعت ظهري إلى الخلف، ناظرة إلى ميلر، بدا أفضل حالًا، لم يكن حزينًا هذه المرة، بل بدا سعيدًا. لكني لا أعرف إلى متى سيظل هكذا قبل أن يدرك مدى اشتياقه إلى شيلبي، ويلغي متابعتي على إنستجرام ثانية.

- لا أعرف ما من المفترض أن أشعر به حيال كوني خطتك البديلة كلما ساءت الأمور بينك وبين حبيبتك.

ابتسم بلطفٍ قائلًا: «أنتِ لستِ خطة بديلة، لكني أحب التحدث إليكِ، ولم تعُد لديَّ حبيبة، لذا لَم أعُد أشعر بالذنب حين أتحدث معكِ».

- هذا بالضبط ما تعنيه الخطة البديلة، لا ينجح الخيار الأول، فتنتقل إلى الخيار الثاني.

نادى النادل اسم ميلر، لكنه ظل محدقًا إليَّ لخمس ثوانٍ، قبل أن يقف ويذهب لإحضار قهوته، حين رجع، لم يعاود الحديث في الأمر، بل غيَّر الموضوع تمامًا.

- هل تودين التسكع بالسيارة؟

أخذ رشفة من القهوة، لا أدري كيف يمكن أن يكون أمرٌ بسيطٌ مثل رجل لطيف يحتسي القهوة جذابًا إلى هذه الدرجة، لكنه كان كذلك بالفعل، لذا التقطت حقيبتي ووقفت قائلة: «بالتأكيد».

باستثناء المرات القليلة التي خرجت بها في موعدٍ مع شاب يدعى آرون العام الماضي، من دون إذن والديَّ، لم أخرج في موعدٍ مع أي شخص آخر، لا يعني هذا أنني اعتبر أيًّا كان ما نقوم به موعدًا حقيقيًّا، لكن لا يسعني سوى مقارنته مع التجارب القليلة التي مررت بها فيما مضى.

كان والداي مفرطين جدًّا في حمايتي، لذا لم أكلِّف نفسي أبدًا عناء سؤالهما عما إذا كان في إمكاني الخروج مع أحدهم، كانت القاعدة الثابتة أن في إمكاني المواعدة في عمر السادسة عشرة، ورغم أني بلغت السادسة عشرة منذ نحو عام تقريبًا، إلا أني تجنبت ذلك، دائمًا ما بدت لي فكرة إحضار رجل إلى منزلي ليقابل والديَّ مريعة، لذا حين كنت أرغب في الخروج مع رجل، كنت أقوم بذلك عادة من دون علمهما بمساعدة ليكسي.

لديَّ خبرة كافية لأعرف أن الصمت هو عدوك الأول في المواعيد الغرامية، تحاول ملء هذا الصمت بأسئلة تافهة لا يريد أحد الإجابة عنها حقًّا، وإذا تمكنت بعدها من تخطي مرحلة الإجابات المريعة، يمكن حينها أن تصل إلى لحظة تبادل القبل في آخر الليلة.

لكن بغض النظر عن هذا الذي بيني وبين ميلر فهو ليس موعدًا، ولا حتى أشبه بموعد، فنحن لم نتبادل كلمة واحدة منذ أن ركبنا الشاحنة، رغم مرور أكثر من نصف ساعة على ذلك. لا هو يجبرني على الإجابة عن أسئلة لا أريدها، ولا أنا أجبره على إخباري بكل تفصيلة خاصة بانفصاله عن شيلبي. نحن مجرد اثنين، يستمعان إلى الموسيقى، ويستمتعان بالصمت. أحببت تلك الحالة، ربما تكون أروع حتى من ركني المريح في ستاربكس.

«كانت هذه شاحنة جرامبس» قطع ميلر الصمت بقوله هذا، لكن لم يزعجني ذلك، كنت أتساءل في الحقيقة لِمَ يقود شاحنة قديمة

كهذه، وما إذا كانت هناك حكاية وراء ذلك، «اشتراها جديدة تمامًا حين كان في الخامسة والعشرين، وظل يركبها طوال حياته».

- كم عدد الأميال التي قطعتها؟

«قطعت ما يزيد قليل على مائتي ألف ميلٍ قبل تجديدها واستبدال كل شيء بها، والآن قطعت...» رفع يديه ليرى لوحة العدادات خلف عجلة القيادة مستطرد: « تسعة عشر ألف ومائتين واثني عشر ميلًا».

- هل ما زال يقودها؟

هزَّ رأسه بالنفي: «لا، ليس في حالة تسمح له بالقيادة».

- بدا في حالة جيدة بالنسبة إليَّ.

حكَّ ميلر فكه قائلًا: «هو مصاب بالسرطان، يقدِّر الأطباء أنه سيعيش ستة أشهر بحدٍّ أقصى»، صدمني ذلك وأحزنني، رغم أني لم أقابل الرجل سوى مرةٍ واحدة فقط.

- يحب التظاهر أن ذلك لن يحدث، وأنه بخيرٍ، لكني أعلم أنه خائفٌ.

أثار ذلك داخلي تساؤلات عديدة عن عائلة ميلر، مثل كيف تبدو والدته، ولماذا كان والدي يكره والده بهذا القدر.

- هل أنتما مقربان جدًّا من بعضكما.

أومأ جونا برأسه، أدركت من رفضه الإجابة عن هذا السؤال شفهيًا أنه سيتألم كثيرًا إذا ما حدث ذلك، شعرت بالأسى تجاهه.

- يجب أن تكتب كل شيء.

نظر إليَّ بطرف عينه قائلًا: «ماذا تقصدين؟».

- أكتب كل شيء، كل ما تود أن تتذكره عنه، ستندهش من السرعة التي ستبدأ نسيان كل شيء بها.

ابتسم ميلر لي بامتنان: «سأفعل ذلك، أعدك، لكني أيضًا لديَّ كاميرا موجهة نحو وجهه معظم الوقت لهذا السبب». ابتسمت له، ثم نظرت خارج النافذة، كان ذلك كل ما دار بيننا من حديث حتى أوقف سيارته مجددًا في ساحة انتظار ستاربكس بعد خمس عشرة دقيقة من مغادرتنا لها.

مططت ظهري، ثم ذراعيَّ، قبل أن أفك حزام مقعدي، وأقول له: «شكرًا لك، كنت في حاجة إلى ذلك».

«أنا أيضًا» قال ميلر، كان يجلس مستندًا إلى باب مقعده، يضع رأسه على يده، وهو يراقبني وأنا ألملم حقيبتي، وأفتح الباب.

- لديك ذوقٌ جيدٌ في الموسيقى.

«أعرف» قال بابتسامة رقيقة.

- أراك في المدرسة غدًا.

- أراكِ لاحقًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

شعرت من الطريقة التي نظر بها إليَّ أنه لا يريدني أن أغادر، لكنه لم يقل أي شيء يظهر عكس ذلك، لذا خرجت من الشاحنة، أغلقت الباب متجهة ناحية سيارتي، سمعت صوته وهو يخرج من شاحنته بينما كنت أبحث عن مفاتيحي.

وقف بجواري متكئًا على سيارتي، حدق إليَّ بقوة، لدرجة شعرت معها أن نظراته اخترقت كل جزء بي.

- يجب أن نخرج ثانية، هل أنتِ مشغولة ليلة الغد؟

توقفت عن البحث عن مفاتيحي، ونظرت في عينيه، تبدو ليلة الغد جيدة، لكن الليلة تبدو أفضل، لا يزال لديَّ ساعة قبل موعد عودتي للمنزل: «لنخرج الآن».

- أين تودين أن تذهبي؟

نظرت إلى باب ستاربكس، شعرت بالرغبة في تناول المزيد من الكافيين، «قهوة أخرى تبدو خيارًا جيدًا».

أصبحت كل الطاولات الصغيرة مشغولة، فكان علينا الاختيار بين الجلوس على طاولة بستة مقاعد، أو أن نجلس متجاورين على أريكة صغيرة. اختار ميلر الأريكة الصغيرة، لم يضايقني ذلك، استرخينا معًا على الأريكة، دسسنا رأسينا في وسادتها، وجلسنا متواجهين، رفعت ساقيَّ على الأريكة، بينما أسند ميلر ساقًا واحدة عليها، تلامست ركبتانا.

خلا مقهى ستاربكس من معظم الزبائن الآن، وبات كوبي فارغًا تقريبًا، لكننا لم نتوقف عن الحديث والضحك، ولا حتى لبضع ثوانٍ. شخصيتنا الآن مختلفة تمامًا عما كنَّا عليه في الشاحنة، لكننا نشعر بالراحة نفسها.

أشعر بالراحة معه، كل شيء بيننا مريحٌ، الصمت، الحديث، الضحك، لم أكن أعرف حتى إنني أفتقد ذلك الشعور، لكني كنت أفتقده فعلًا.

أشعر منذ الحادث كأن كل شيء في حياتي ذو زوايا حادة، وأني كنت أسير على رؤوس أصابعي في الظلام طوال الشهر الماضي، محاولة ألا أؤذي نفسي.

لم نتحدث عن انفصاله، رغم فضولي لمعرفة ما حدث، تمنيت أن نتجنب الحديث عن الحادث وكل ما حدث منذ حينها، لكنه سألني عن حال والدتي.

«بخير على ما أعتقد»، أخذت آخر رشفة من قهوتي، واستطردت قائلة: «دخلتُ عليها فوجدتها تحاول هدم باب المطبخ بلا سببٍ على الإطلاق، والآن هناك ثقبٌ ضخمٌ عجيب وسط الباب منذ أسبوعين».

ابتسم ميلر، لكن ابتسامته كانت ممزوجة بالتعاطف، «ماذا عنكِ؟ سألني مستطردًا: «هل قمتِ بهدم أي شيء؟»».

هززت كتفي: «لا، أنا بخير. أعني...مضى ما يزيد قليلًا على شهر وما زلت أبكي كل ليلة، لكني لم أعد أشعر بعد بعدم القدرة على النهوض من الفراش»، هززت كوب القهوة الفارغ قائلة: «حبي للقهوة ساعدني في ذلك».

- هل تريدين كوبًا آخر؟

هززت رأسي بالنفي، ووضعت الكوب على الطاولة بجانبي، ثم عدلت جلستي على الأريكية لأشعر براحة أكبر، فعل ميلر مثلي، فاقتربنا أكثر من بعضنا.

«هل تسدي إليَّ معروفًا؟» سألته.

- على حسب ما تريدينه.

- عندما تصبح مخرجًا مشهورًا يومًا ما، هل يمكن أن تتأكد أن أكواب القهوة التي يحملها الممثلون في أثناء التصوير تحوي قهوة فعلًا؟».

ضحك ميلر على ذلك بصوتٍ عالٍ قائلًا: «هذا أكثر شيء يزعجني، دائمًا ما تكون الأكواب فارغة، وعندما يضعونها يمكنكِ سماع صوت الفراغ المنبعث من الكوب عند اصطدامه بالطاولة».

- شاهدت ذات مرة فيلمًا، كان البطل غاضبًا به، وهو يحمل كوب قهوة، فقذف به، من دون أن تسقط قطرة واحدة منه، فصلني ذلك عن اللحظة، وأفسد الفيلم كله لي.

ابتسم ميلر، وضغط بيده ركبتي: «أعدك، ستكون كل أكواب القهوة ممتلئة في أفلامي»، ظلَّت يده على ركبتي، كان الأمر واضحًا للغاية بحيث يصعب التظاهر بأني لا ألاحظه، لكني حاولت ذلك، رغم أني ظللت ناظرة إلى أسفل، أحببت رؤية يده على ركبتي، أحببتُ الشعور بإبهامه وهو يمرره على ركبتي جيئة وذهابًا.

أحب ما أحس به حين أكون معه، ورغم أني لست متأكدة من حقيقة شعوره، لكني أعتقد أنه يحب ما يشعر به معي، لم يتوقف أيٌّ منَّا عن الابتسام، أعرف أن وجنتيَّ احمرَّت خجلًا ثلاث مرات على الأقل في أثناء كلامنا.

كان كلانا يعرف أننا معجبان ببعضنا، لذلك لم يحاول أي منَّا حتى مداراة مشاعره، مشكلتي معه فقط أني لا أعرف ما برأسه، بمَ يفكر؟.. هل لا يزال يفكر في شيلبي بأي شكل من الأشكال.

«إذن» قال مستطردًا: «هل اتخذتِ قرارًا بشأن الكلية بعد؟ أما زلتِ تنوين التخصص في دراسة التمثيل؟»، أثار سؤاله تنهيدة طويلة: «أريد ذلك فعلًا، لكن أمي معترضة على ذلك، وكان أبي أيضًا معترضًا عليه».

- لِمَ؟

- يريان أن احتمالات نجاحي في هذا المجال ضئيلة، ورأيهما أن أفعل شيئًا أكثر عملية.

- رأيتكِ وأنتِ تمثلين، هذا ما خلقتِ لأجله.

اعتدلت في جلستي قليلًا: «حقًّا؟ شاهدتني وأنا أمثل أي شيء؟»، كنت دومًا أمثل في المسرح كل عام في المدرسة، لكني لم ألحظ وجود ميلر هناك من قبل أبدًا.

- لا أستطيع تذكر العرض، أتذكرك فقط وأنتِ على خشبة المسرح.

أحسست أن وجنتيَّ احمرَّتا خجلًا ثانية، أرجعت ظهري إلى الأريكة، ابتسمت في خجل قائلة: «ماذا عنك؟ هل قدمت أوراقك في جامعة تكساس بعد؟ أو في أي مكان؟».

هزَّ رأسه نفيًا: «لا، لا يمكننا تحمُّل مصاريف كلية كهذه، وبصراحة أريد البقاء هنا من أجل جرامبس».

أردت سؤاله أكثر عن الأمر، لكن بدا عليه الحزن حين تحدث عن ذلك، لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب عدم وجود شخص آخر ليعتني بجده إذا سافر، أم لأنه لن يتركه أبدًا على أي حالٍ، ربما للسببين معًا.

لم أحب أن يتسبب حديثنا في توجيه ذهنه إلى هذا التفكير، لذا حاولت إبعاده عن التفكير في ذلك: «لديَّ اعتراف»، نظر إليَّ بترقب، منتظرًا أن أبوح به.

- ملأت استمارة التقديم لمشروع الفيلم.

ابتسم ميلر قائلًا: «جيد، كنت قلقًا ألا تفعلي ذلك».

- ملأتها لك أيضًا.

حدق إليَّ، ضاقت عيناه وهو يقول: « تحسبًا لانفصالي عن شيلبي؟».

أومأت برأسي إيجابًا، ضحك قليلًا ثم قال: «شكرًا لكِ»، مرَّت لحظة من الصمت، أردف بعدها: «هل هذا يعني أننا شركاء؟».

هززت كتفيَّ: «إذا أردتَ ذلك، أقصد أنك إذا عدت لشيلبي، فسوف أتفهم إذا لم تستطعِ العمل معي في المشروع».

مال إلى الأمام محدقًا إليَّ: «لن أعود لها، أخرجي ذلك من رأسك».

كانت مجرد جملة قصيرة، لكنها عنت الكثير بالنسبة إليَّ، شعرت بحرارة تجتاح صدري.

كانت بعينيه نظرة جادة أشعرتني بالتوتر حين عاود الحديث: «حين وصفتِ نفسكِ فيما سبق بخطتي البديلة، أردتُ الضحك، في الواقع كانت شيلبي خطتي البديلة لكِ»، ارتسمت ابتسامة متحفظة على وجهه: «أحس بمشاعر تجاهكِ منذ ثلاث سنوات تقريبًا».

أذهلني كلامه، صمت لبرهة، ثم هززت رأسي في حيرة: «ثلاث سنوات؟ ولماذا لم تفعل أي شيء؟».

«المشكلة كانت في التوقيت» أجاب بسرعة ثم أردف: «حاولت فعل شيء مرة واحدة تقريبًا، لكنكِ وقتها كنتِ بدأت مواعدة ذلك الشاب..».

- آرون؟

- أجل، آرون، ثم بدأت أنا في مواعدة شيلبي، وبعد شهرين انفصلتِ عن آرون.

- وبعد ذلك بدأت تبذل كل ما في وسعك لتتجنَّبني.

بدا ميلر آسفًا حين قلت ذلك: «كنتِ تلاحظين ذلك؟».

أومأت برأسي: «دفعتَ لشاب عشرين دولارًا لتبدِّل خزانتك معه في أول يوم مدرسة هذا العام، أخذت ذلك على محمل شخصي جدًا» قلت ذلك وأنا أضحك، لكني كنت أتحدث بصراحة تامة.

- كنت أحاول أن أبقى بعيدًا عنكِ، خاصة أني وشيلبي كنّا أصدقاء من قبل أن نتواعد، لذا كانت تعلم أن لديَّ مشاعر تجاهكِ.

ذلك يفسر الكثير من الأمور: «ألهذا قلت إنها تغار مني أنا فقط من دون باقي الفتيات؟».

«أجل» قال، وسند إلى الأريكة ثانية، واضعًا رأسه على ظهرها.

ظل يراقبني وأنا أفكر في كل ما قاله للتوّ، حدَّق إليَّ وفي عينيه نظرات ضعف، كأنه احتاج إلى قدرٍ هائلٍ من الشجاعة ليعترف بما قاله، بدا متوترًا مما قد أقوله له.

لم أعرف حتى ماذا أفعل، أردت نوعًا ما تغيير الموضوع لأني شعرت بالحرج، لم يكن لديَّ ما أقوله ليثير إعجابه أو يشعره بالسعادة مثلما أشعرتني كلماته، لتلك الأسباب تفوهت بأغرب شيء يمكن قوله في موقف كهذا: «هل لشاحنتك اسم؟».

ضيَّق ميلر عينيه، كأنه يتساءل عما أتحدث عنه، ثم ضحك بشدة قائلًا: «أجل، نورا».

- لِمَ سمَّيتها نورا؟

بدا مترددًا، أحببت الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه، «هذه أغنية للبيتلز»، تذكرت ملصق فرقة البيتلز المعلق في غرفة نومه: «إذن أنت من محبي فرقة البيتلز؟».

أومأ برأسه بالإيجاب قائلًا: «أحب الكثير من الفرق، وأحب الموسيقى عمومًا، فهي تغذي روحي».

- ما أغنيتك المفضلة؟

أجاب من دون تردد: «ليست للبيتلز».

- لمن إذن؟

- فرقة اسمها «أصوات الأرز».
- لم أسمع عنها من قبل، لكني أحببت اسمها.
- إذا أخبرتكِ بأغنيتي المفضلة لهم، ستودين الاستماع إلى كل الأغاني التي كتبوها.

ابتسمت في حماس: «جيد، قل لي بيتين منها».

مال قليلًا، وابتسم وهو يردد كلماتها: «آمنت بكِ منذ اللحظة التي قابلتكِ بها، وآمنت بنفسي الآن بعد أن تركتكِ أخيرًا».

كنت أستمع إليه ونحن ننظر إلى بعض، مما جعلني أتساءل عما إذا كانت تلك أغنيته المفضلة لانفصاله مؤخرًا عن شيلبي، أم أنها كانت أغنيته المفضلة من قبل انفصالهما، لكني لم أسأله عن ذلك، بل أطلقت تنهيدة.

«واو» قلتُ بصوتٍ هامسٍ: «تلك الكلمات حزينة وملهمة في الوقت ذاته».

ابتسم بلطفٍ قائلًا: «أعرف».

لم أستطع إخفاء شعوري تجاهه في تلك اللحظة، أحسست بالامتنان لأن وجودي معه يمنحني استراحة من الحزن، امتننت لأنه لا يتظاهر بشيء غير ما هو عليه، أقدِّر كونه انفصل عن حبيبته قبل أن يبادر بخطوة نحوي، ورغم أني لا أعرفه جيدًا، إلا أني أعرفه بما يكفي لأؤكد أن لديه أشياء كثيرة جيدة.

انجذبت بشدة إلى هذا الجانب في شخصيته، ذلك الجانب الذي دفعه إلى المجيء إلى جنازة والدي، لأنه أراد الاطمئنان عليَّ، انجذبت إلى هذا الجانب أكثر حتى من وسامته أو حس الفكاهة لديه أو صوت غنائه البشع.

اختلجت في صدري الكثير من المشاعر في هذه اللحظة، خشيت أن تبدأ الغرفة في الدوران من حولي إذا لم أجد نقطة ارتكازي، ملتُ إلى الأمام، لمستُ شفتيه بشفتيَّ، كانت قبلة سريعة مفاجئة لكلينا على ما أظن، عندما رجعت إلى الخلف، عضضت شفتيَّ بتوترٍ، متسائلة عما إذا كان ما فعلته صحيحًا، وضعت رأسي على الأريكة مترقبة ردة فعله، لم يرفع عينيه عني.

«لم أتخيل أن تكون قبلتنا الأولى مثل هذه؟» قال بهدوءٍ.

- مثل ماذا؟

- رقيقة.

- كيف تخيلتها أن تكون؟

جال بعينيه على الزبائن القلائل المتبقين في المقهى: «لا أستطيع أن أريكِ هنا».

حين التقت أعيننا ثانية، ملأتني السعادة التي أحسستها من ابتسامته بالثقة: «لنذهب إلى شاحنتك إذن».

ترقُّبي لقبلتنا الثانية جعلني أكثر توترًا من المرة الأولى، تشابكت يدانا حين خرجنا من ستاربكس، سار نحو شاحنته، فتح الباب لي، ركبت فأغلقه خلفي، ومضى نحو مقعده.

لا أعرف لِمَ شعرت بكل هذا التوتر حينها، ربما لأن ذلك كان يحدث فعلًا، أنا وميلر، ميلر وأنا، ماذا سيكون اسم علاقتنا العاطفية؟ كليلر؟ ميليرا؟ أووف، كلاهما بشعٌ.

أغلق ميلر بابه، سألني: «ما هذه النظرة؟».

- أي نظرة؟

أشار إلى وجهي: «تلك».

ضحكت وهززت رأسي قائلة: «لا شيء، أفكر لو أني تعجلت».

أمسك يدي وجذبني ناحيته، التقينا في منتصف مقعده، ذلك أفضل شيء في الشاحنات القديمة، مقاعدها كبيرة، ولا يوجد بها مسندٌ للذراع يفصل الركاب عن بعضهم.

صرنا أقرب الآن مما كنَّا عليه حين كنَّا نجلس على الأريكة، وجهانا أقرب، جسدانا أقرب، كل شيء أقرب بكثيرٍ، وضع يده على فخذي، تساءلت ماذا ستكون نكهة المصاصة التي سيتذوقها.

- ماذا قصدتِ بكونكِ تعجلتِ؟ هل أنتِ نادمة على تقبيلي؟

ضحكت لأن ذلك آخر شيء أندم عليه: «لا، كنت أفكر في مدى فظاعة أسماء علاقتنا».

بدا الارتياح على وجهه، قطب قائلًا: «أوه، أجل، بشعان».

- ما اسمك الأوسط؟

- جيرميا، وأنتِ؟

- نيكول المثالي.

- هذا اسم طويل جدًّا.

ضحكت قائلة: «ومتعجرف».

أخمن ما سيقوله من عينيه: «جيريكول».

«هذا سيئ جدًّا» قلت، فكرت لحظتها في مدى غرابة الأمر، تبادلنا قبلة واحدة خفيفة، أمضينا بعض المساء معًا، ولم يكن ميلر مرتبطًا بشخص آخر، وها نحن الآن نناقش أسماء لعلاقتنا، أود أن أصدق الأحاسيس التي يُشعرني بها، لكن الحقيقة أنه لم يصبح عازبًا لفترة كافية، ليقرر ما إذا كان يريد حتى أن يتطور ما بيننا بأي شكلٍ.

«وجمتِ ثانية» قال.

تنهدت، أشحت بعيني بعيدًا عنه. نظرت إلى أسفل، وأمسكت بيده قائلة: «أنا آسفة، أنا فقط...» صمت للحظة، ثم عاودت النظر إليه: «هل أنت متأكد من ذلك؟ أقصد أنك انفصلت عن شيلبي اليوم، أو أمس، أنا حتى لا أعرف متى، لكن في كلتا الحالتين، لا أريد البدء في شيء، إذا كنت ستتراجع عنه خلال أسبوع».

بعدما قلت ذلك مرَّت لحظات طويلة من الصمت بيننا، أحسست بعدم ارتياح، كانت يدانا لا تزال متشابكة، بينما ميلر يمرر يده الأخرى برفقٍ على فخذي، تنهَّد بثقلٍ، أربكني ذلك، فعادة ما يتبع مثل تلك التنهيدة كلمات ليست جيدة.

«هل تتذكرين ذلك اليوم حين كنتِ في شاحنتي، وطلبتِ مني أن أحل مشاكلي؟»، أومأت برأسي بالإيجاب.

- ذلك هو اليوم الذي انفصلت فيه عن شيلبي، لم أنفصل عنها اليوم أو الأمس، حدث ذلك منذ أسابيع، ولأكون صادقًا، كنت قد حللت مشاكلي بالفعل قبل ذلك اليوم بفترة طويلة، لكني لم أود جرحها فقط.

لم يقل شيئًا آخر بالكلمات، قال كل شيء بعينيه، اخترقت نظراته عيني، أخذت نفسًا عميقًا، حرَّك يده من فوق ساقي إلى مرفقي، مرَّر أصابعه ببطء على ذراعي ثم عنقي، قبل أن يتوقف بأصابعه على خدي. أخذت أنفاسًا سريعة وأنا أراقب عينيه وهما تجولان على وجهي، قبل أن تتركزا على شفتيَّ.

قلت هامسة: «يبدو نيكوميا جيدًا»، ضحك للحظة، ثم وضع يده على مؤخرة رأسي، وجذبني نحو شفتيه، وهو يبتسم، كانت قبلة رقيقة في البداية، تشبه إلى حدٍ كبير القبلة التي منحتها له حين كنا في

ستاربكس، لكن بعد ذلك تجاوز لسانه شفتيَّ ولامس لساني، لم تعد قبلة رقيقة، بل أصبح الأمر أكثر جدية.

تجاوبت معه برغبة خجلة، جذبته ناحيتي، وددتُ أن يزيل هو وقبلته آخر قطرات حزن لا تزال تسبح بداخلي. وضعت يدي على شعره، مرَّر إحدى يديه على ظهري، لم أشعر بشيء رائع كهذا من قبل، انتابني الخوف لمجرد أنني فكرت أن هذه القبلة ستنتهي في النهاية.

أمسك بخصري، وأجلسني فوقه، وضعنا الجديد جعله يتأوه، وتأوهه دفعني لأقبِّله بعمقٍ أكثر، لا يمكنني الاكتفاء من ذلك، لم يكن في فمه مذاق مصاصةٍ بل قهوة، لكن لم يهمني ذلك، لأني صرت أحب مذاق القهوة الآن.

لامست أصابعه جلد ظهري من الأسفل، أدهشني كيف يمكن للمسة صغيرة كتلك أن تثير بي كل هذه المشاعر، أبعدت شفتيَّ عن شفتيه، كنت خائفة من ذلك الشعور الذي انتابني، من قوته، كان شعورًا جديدًا عليَّ، أزعجني ذلك قليلًا.

جذبني ميلر ناحيته، ودفن رأسه في رقبتي، لففت ذراعيَّ حوله، لامس خدي أعلى رأسه، شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح عنقي.

تنهَّد، ولفَّ ذراعه بإحكامٍ أكثر حولي: «تلك أشبه أكثر بقبلتنا الأولى مثلما تخيلتها».

ضحكت: «أوه، أعجبتك تلك القبلة أكثر من القبلة الرقيقة التي منحتها لك».

هزَّ رأسه نفيًا، وترك بيننا مسافة حتى يتمكَّن من أن ينظر في عينيَّ: «لا، أحب القبلات الرقيقة أيضًا».

ابتسمت، لامستُ شفتيه برفقٍ بشفتيَّ، حتى أمنحه قبلة رقيقة أخرى، تنهد وقبَّلني، من دون أن يلامس لسانه لساني، بل تلامست شفتانا فقط.

نظر نحو الراديو من فوق كتفي، ثم عاد بظهره إلى الخلف: «تأخرتِ عن موعد عودتكِ إلى المنزل» قال ذلك بخوفٍ، كأنه يتمنى أن نبقى في شاحنته طوال الليل.

- كم من الوقت تأخرت؟

- خمس عشرة دقيقة.

- تبًّا!

رفعني ميلر من فوق قدميه، وخرج من الشاحنة، فتح الباب لي لأخرج، ثم شبَّك أصابعه بأصابعي، وسار معي نحو سيارتي، فتح الباب لي، وضع ذراعه على الجزء العلوي لإطار الباب، تبادلنا قبلة أخرى قبل أن أجلس على مقعد سيارتي.

لا أصدق ما أشعر به الآن، قبل أن آتي إلى هنا اليوم، كنت أعيش بشكلٍ جيد جدًّا من دون أن يكون ميلر في حياتي، والآن أشعر كأن كل دقيقة أقضيها من دونه ستكون عذابًا.

- ليلتكِ سعيدة يا كلارا.

- ليلتك سعيدة.

حدق إليَّ للحظة من دون أن يغلق باب السيارة، ثم تنهد قائلًا: «يبدو غدًا بعيدًا جدًّا الآن»، أحببت كيف عبَّر بالضبط عما أشعر به بالكلمات المناسبة تمامًا.

أغلق بابي، ورجع خطوات إلى الوراء، لكنه لم يعُد إلى شاحنته إلا حين خرجت من موقف السيارات، وصرت في طريق عودتي إلى المنزل.. متأخرة.

يبدو أننا سنحظى بأوقاتٍ رائعة.

الفصل الخامس عشر
مورجان

كنتُ جالسة في الفناء الخلفي أفكر، لكني لم أكن أعرف بم أفكر بالتحديد، كان عقلي مثل كرة بينج بونج، يقفز من التفكير في كريس، إلى التفكير في مدى احتياجي إلى التقديم على وظائف، إلى التفكير في العودة للكلية، إلى التفكير في كلارا، وتجاوزها موعد العودة للمنزل، باتت الساعة تقارب العاشرة والنصف الآن، لذا أرسلت إليها رسالة ثانية: «تأخرتِ، رجاءً عودي للمنزل».

صارت تقضي وقتًا طويلًا خارج المنزل، لا أعرف مع مَن تخرج، لأنها بالكاد تتحدث معي الآن، وعندما تكون بالمنزل، تبقى في غرفتها، يُظهر التطبيق تواجدها دائمًا إما في منزل ليكسي وإما في ستاربكس، ولكن من في العالم يقضي هذا الوقت الطويل في مقهى؟

سمعت نقرة خفيفة على باب الفناء الخلفي، كدت أنسى أن جونا هنا منذ نحو عشرين دقيقة، وأنه يقوم بإصلاح باب المطبخ، حين دخل الفناء، وقفت، ووضعت شعري خلف أذني.

- هل لديكِ «زردية»؟

- أنا متأكدة أن لدى كريس واحدة، لكن صندوق أدواته به قفل، لكن قد يكون لديَّ واحدة أخرى.

مضيت نحو المنزل، ذهبت إلى غرفة الغسيل، كنت أحتفظ بصندوق أدوات خاص بي، إذا ما احتجت إلى إصلاح أي شيء عندما لا يكون

كريس بالمنزل، لونه أسود وزهري، اشتراه لي كريس في عيد الميلاد في إحدى السنوات، اشترى واحدًا لجيني أيضًا؛ أوجعتني هذه الفكرة.

في بعض الأحيان أظن أن الوضع بات أفضل، ثم تأتي أبسط الذكريات لتذكرني بمدى سوء الوضع. أخذت صندوق الأدوات، ومنحته لجونا.

فتح جونا الصندوق، وأخذ يبحث بداخله، لم يجد ما يحتاج إليه: «مفصلات الباب قديمة، ولا يمكنني خلع آخر واحدة لأنها مفكوكة بطريقة سيئة جدًّا، لديَّ في المنزل شيء يمكنه أن يخلعها، لكن الوقت متأخر، لذا سآتي غدًا إذا كان ذلك مناسبًا»، قال ذلك كأنه يسألني، فأومأت برأسي بالإيجاب قائلة: «أجل، بالتأكيد».

أرسلت إليه رسالة بالأمس، أخبره فيها أنني لا أستطيع خلع باب المطبخ من المفصلات، وسألته عما إذا كان في إمكانه مساعدتي، فقال لي إنه سيمر عليَّ الليلة لكنه قد يأتي متأخرًا، لأنه سيذهب إلى اصطحاب أخته من المطار، لم يسألني حتى عن سبب رغبتي في خلع الباب من المفصلات، وحين جاء مبكرًا، لم يسأل أبدًا عن سبب وجود ثقب كبير بالباب، بل اتجه مباشرة نحو الباب، وبدأ في العمل.

انتظرته أن يسألني عما حدث، ونحن نسير نحو الباب الأمامي، لكنه لم يسألني، لا أحب الهدوء، لذا ألقيت بسؤال لا يهمني حتى معرفة إجابته.

- إلى متى ستبقى أختك في المدينة؟

- حتى يوم الأحد، تود رؤيتك، هي فقط..أنتِ تعرفين، هي لا تدري ما إذا كنتِ تريدين مقابلة أحد.

لم أرغب في ذلك، لكن لسببٍ ما ابتسمت وقلت: «أود رؤيتها»، ضحك جونا: «لا، أنتِ لا تريدينَ ذلك».

هززت كتفي بلامبالاة، لأنه كان محقًّا، أنا بالكاد أعرفها، قابلتها مرة واحدة عندما كنَّا مراهقين، ورأيتها لبضع دقائق في اليوم التالي لولادة إيليا، وحضرت الجنازتين، لكن ذلك كل علاقتي بها: «أنت محق، كان ذلك الرد اللبق الذي يجب عليَّ قوله».

«لستِ مضطرة إلى أن تكوني لبقة» قال جونا مضيفًا: «ولا أنا أيضًا مضطر إلى ذلك، هذا هو الشيء الإيجابي الوحيد الذي خرجنا به مما حدث، أمامنا ستة أشهر على الأقل لنكون وقحين خلالهم» ابتسمت، أشار برأسه نحو سيارته قائلًا: «هل يمكنكِ أن تصحبيني إلى الخارج؟».

تبعته نحو سيارته، لكنه قبل أن يركب، أسند ظهره إلى باب مقعد السائق، وعقد ذراعيه فوق صدره قائلًا: «أعرف أنكِ قد لا تودين التحدث عن هذا، لكن ذلك يؤثر في أولادنا، لذا..».

أدخلت يديَّ في الجيوب الخلفية لسروالي الجينز، تنهدت ناظرة إلى أعلى نحو سماء الليل: «أعرف، علينا مناقشة الأمر، لأنه إذا كان ذلك صحيحًا...».

«ستكون كلارا وإيليا شقيقين حينها» قال جونا.

كان من الغريب أن أسمع ذلك بصوتٍ عالٍ، تنهدت ببطء، شعرتُ بالتوتر مما يعنيه ذلك: «هل تنوي أن تخبره يومًا ما؟».

أومأ جونا برأسه ببطء: «يومًا ما، إذا سألني، إذا أُثير الأمر ونحن نتحدث»، تنهد مستطردًا: «بصراحة لا أعرف، ماذا تعتقدين؟ هل تريدين أن تعرف كلارا؟».

احتضنت نفسي، لم يكن الجو باردًا في الخارج، لكن انتابتني قشعريرة لسببٍ ما: «لا، لا أريد أن تعرف كلارا ذلك أبدًا، هذا سيحطمها».

لم يبد جونا غاضبًا لأنني أطلب منه ضمنيًّا ألا يخبر إيليا بالحقيقة، بل بدا مشفقًا على حالنا: «أكره أنهما تركا لنا هذه الفوضى كي ننظفها».

اتفقت معه في ذلك، تركا لنا فوضى كارثية، ما زلت لا أستوعبها حتى بالكامل، لا طاقة لي للتفكير في الأمر بهذه السرعة، ولا طاقة لي لمناقشته الآن، غيرت الموضوع، لأنه في كلتا الحالتين لن نتخذ قرارات الليلة.

- عيد ميلاد كلارا بعد أسبوعين، أفكر أن نقيمه في الخارج مثلما اعتدنا، لكني لست متأكدة مما إذا كانت كلارا سترغب في ذلك، سيكون مختلفًا من دونهما.

- يجب أن تسأليها.

ضحكت بفتورٍ: «علاقتنا ليست في أحسن أحوالها الآن، أشعر معها كأنني أسير على قشر بيض، لا توافق على أي شيء أقوله».

- هي في السابعة عشرة تقريبًا، سيكون من المستغرب أكثر لو سارت الأمور بينكما بشكل مثالي.

شعرت بالامتنان لقوله ذلك، لكني كنت أعلم أن ذلك ليس صحيحًا، أعرف الكثير من الأمهات اللاتي تتعاملن بشكلٍ جيدٍ مع أبنائهن المراهقين، ربما أنا فقط لست من الأمهات المحظوظات، وربما لا يتعلق الأمر بالحظ، قد يكون ذلك بسبب خطئي أنا.

قال جونا: «لا أصدق أنها على وشك أن تتم السابعة عشرة، ما زلت أتذكر اليوم الذي اكتشفتِ فيه أنكِ حامل بها»، أتذكر ذلك اليوم أيضًا، كان ذلك قبل رحيله بيوم.

وجَّهت بصري نحو الأرضية الأسمنتية أسفل قدمي، فالنظر إليه يستدعي مشاعر كثيرة جدًّا، وقد سئمت فعلًا من كم المشاعر التي بت أحس بها في هذه المرحلة.

تنحنحت، ورجعت خطوة إلى الوراء، حين أضاءت المصابيح الأمامية للسيارة الفناء من حولنا، نظرت إلى أعلى لأجد كلارا قد وصلت أخيرًا، وأوقفت سيارتها في الممر.

اعتبر جونا ذلك إشارة إليه ليغادر، لذا فتح باب سيارته: «ليلتكِ سعيدة يا مورجان»، لوح بيده لكلارا قبل أن يركب، لوحت له وراقبته وهو يبتعد بسيارته، وصل إلى نهاية شارعنا قبل أن تخرج كلارا من سيارتها.

عقدت ذراعيَّ فوق صدري، محدقة إليها في ترقب. أغلقت باب سيارتها، وأومأت إليَّ برأسها، وسارت نحو الباب الأمامي، تبعتها إلى داخل المنزل، ألقت بحذائها بجوار الأريكة، وسألتني: «ما كان هذا؟».

- ماذا تقصدين؟

أشارت بيدها نحو الفناء الأمامي: «وقوفكِ مع جونا في الظلام، بدا ذلك غريبًا».

ضيقت عينيَّ وأنا أنظر إليها، متسائلة عما إذا كانت تحاول قلب الطاولة عليَّ: «لماذا تأخرتِ عن موعد عودتك؟».

نظرت إلى هاتفها: «أنا؟».

- أجل، أرسلت إليكِ رسالتين.

مررت إصبعها على شاشة هاتفها: «أوه، لم أسمع الهاتف»، وضعت هاتفها في جيبها الخلفي: «آسفة، كنت أذاكر في ستاربكس، ولم أنتبه للوقت، لم أدرك أن الوقت تأخر»، مشت متجهة نحو الردهة: «أحتاج إلى الاستحمام».

لم أرهق نفسي حتى بالإلحاح عليها لأحصل على إجابة أكثر صدقًا، فهي لم تكن ستخبرني بالحقيقة على أي حالٍ، سرت نحو المطبخ، والتقطت واحدة من حلوى الـ «جولي رانشر»، سندت إلى المنضدة، محدقة بشرود إلى الفتحة الموجودة في باب المطبخ، تساءلت لِمَ تحدَّث بشكلٍ عارضٍ عن اليوم الذي اكتشفت فيه حملي، كأنه لم يكن من أسوأ أيامِ حياتِي.

ربما أثاره بشكلٍ عابرٍ، لأن رحيله في اليوم التالي لم يعنِ الكثير له، مثلما عنى لنا، منعتُ نفسي من التفكير في ذلك الأسبوع منذ حينها، لكن الآن بعدما أثار جونا الأمر، بدأ ذهني يسترجع كل لحظة في ذلك اليوم.

كنَّا عند البحيرة، وكانوا الثلاثة يسبحون بها، بينما جلست على بطانية على العشب، أقرأ كتابًا، خرجوا جميعًا من المياه في الوقت نفسه، لكن جونا الوحيد الذي مضى ناحيتي، بينما ركض كريس وجيني على الضفة تجاه الملعب.

«مورجان» صاحت جيني تناديني: «تعالي تأرجحي معنا»، كانت تركض في الخلف أعلى التل، محاولة إغرائي لمشاركتهما اللعب.

هززت رأسي بالنفي ملوحة لها لتواصل المُضي، لم أكن في حالة ذهنية تسمح لي أن أكون مرحة في ذلك اليوم، لم أكن أرغب حتى في

الذهاب إلى البحيرة من البداية، لكن كريس ألح عليَّ، أردت قضاء تلك الليلة معه وحدنا، من دون أن يرافقنا جونا وجيني، كنت في حاجة إلى التحدث معه على انفرادٍ، لكننا لم نحظ بثانية واحدة بمفردنا. كان لا ينتبه أحيانًا لحالتي النفسية، رغم أني بالتأكيد كنت في مزاجٍ سيئ منذ أدركت الليلة السابقة تأخر دورتي الشهرية.

«ما الذي يضايقك اليوم؟» قال جونا وهو يستلقي على العشب بجواري، «كنتِ تتصرفين بغرابة»، كدت أضحك: «هل أرسلك كريس للتحقيق معي؟».

حدق إليَّ جونا بضيق كما لو أني أهنته: «كريس يعيش هانئًا في دنيا أخرى». فاجأني رده، لاحظت أنه يلقي بتعليقاتٍ ساخرة على كريس، تعليقات صغيرة، غير مؤذية، لكنها ملحوظة.

- «ظننت أنه صديقك المفضل».

«هو كذلك بالفعل» قال مستطردًا: «سأفعل أي شيء من أجله».

- تتصرف أحيانًا كأنك لا تحبه حتى.

لم ينكر جونا ذلك، بل نظر بدلًا من ذلك إلى البحيرة أمامنا، كأن تعليقي أجبره على التفكير، التقطت حصاة وألقيتها نحو البحيرة، لم تلمس الماء حتى.

«نفدت المشروبات» قال كريس وهو يركض نحونا، جلس على العشب فجأة، جذبني نحوه وقبَّلني: «سأذهب إلى المتجر، هل تودين المجيء معي؟»، ارتحت لأني سأقضي أخيرًا بعض الوقت معه وحدنا، كانت هناك الكثير من الأمور التي نحتاج إلى التحدث بها، «بالتأكيد» أجبته.

«يجب أن أتبول» قالت جيني: «سآتي معكما».

اضطررت إلى منع نفسي من أن أدير عيني في ضيق، لكن في كل مرة أظن أنني قد أحظى بدقيقة وحدي مع كريس، لأتحدث معه عما يحدث لي، يطرأ شيء ما أو يحشر أحدهم نفسه بيننا. «خذ جيني» قلتُ بحسرة: «سأنتظر هنا».

«هل أنتِ متأكدة؟» قال كريس وهو ينهض، أومأت برأسي بالإيجاب: «يجدر بك أن تسرع، فقد سبقتك بالفعل أعلى التل»، نظر كريس خلفه ثم ركض بسرعة وهو يقول: «الغشاشة».

استدرت ونظرت إلى جونا الذي كان يشاركني الجلوس فوق البطانية، كان رافعًا ركبتيه، ويسند ذراعيه إليهما، كان يحدق إلى البحيرة، شعرت أن هناك خطبًا ما به.

«ما الذي يضايقك اليوم؟» قلت مكررة سؤاله لي.

نظر في عيني: «لا شيء».

«هناك خطبٌ ما» قلت له.

النظرة التي رمقني بها كادت توقف قلبي، انتابني نفس الشعور الذي صرت أحس به كلما نظر إليَّ، كأن نظرته اخترقت عيني، منزلقة إلى عمودي الفقري.

انعكاس البحيرة في عينيه جعلها تبدو دامعة، شعرت أنني أحدق بشدة إلى عينيه مثلما يحدق إليَّ، لذا أشحت بنظري بعيدًا عن عينيه. تنهد جونا بعمقٍ ثم همس قائلًا: «أخشى أن نكون قد أخطأنا في ذلك».

كلامه جعل نفسي يتوقف، لم أسأله عما قد نكون أخطأنا به، لأنني كنت خائفة جدًّا من إجابته، خشيت أن يقول إننا لسنا مع الشخص الذي من المفترض أن نكون معه، ربما كان سيقول شيئًا آخر، لكن

ذلك هو ما فكرت به، فماذا غير ذلك يجعله ينظر إليَّ بالطريقة التي كان يرمقني بها أحيانًا؟ حاولت تجاهل ذلك لأننا أنا وهو لم نكن رومانسيين بأي شكلٍ من الأشكال، لكن كان بيننا تواصل، تواصل لم يكن بيني وبين كريس حتى.

كنت أكره ذلك، أكره أن يعرف جونا دومًا حين أكون منزعجة من شيء ما، بينما كريس لا يحس بذلك، أكره أنه يمكن بنظرة واحدة بيني وبين جونا أن يعرف كلانا ما يفكر به الآخر بالضبط، أكره أنه يحتفظ لي بحلوى الـ «جولي رانشرز» بنكهة البطيخ، لأنها لفتة لطيفة منه، ولا أحب أن يفعل صديق حبيبي المفضل أشياءً لطيفة لي، وبالإضافة إلى ذلك بدأ هو وجيني يتواعدان، لكني على عكس جيني، لم أكن لأخون أختي أبدًا.

لهذا السبب، حين همس جونا في ذلك اليوم عندما كنَّا على شاطئ البحيرة قائلًا: «أخشى أن نكون قد أخطأنا»، قلت الشيء الوحيد الذي أعرف أنه سيضع الأمور في نصابها الصحيح: «أنا حامل».

حدَّق جونا إليَّ بصمتٍ في ذهول، شحب وجهه تمامًا، صعقه اعترافي، وقف ومشى بعيدًا عني بضعة أقدام، بدا كأن كل الاحتمالات والأسئلة التي تبدأ بـ «ماذا لو» قد تلاشت من داخله على الفور، بدا كأن طوله تقلَّص بمقدار بوصتين حين عاد إليَّ: «هل عرف كريس؟».

هززت رأسي بالنفي، وأنا أراقب كيف تحوَّلت نظرات عينيه من دامعة إلى جامدة في ثوانٍ: «لم أخبره بعد»، عضَّ شفته السفلية للحظة، مال برأسه مفكرًا، بدا غاضبًا، أو محطمًا.

حين استدار وسار على الرمال، ونزل إلى المياه، نظرت إليه بعينين تملؤهما الدموع، كانت الشمس تغرب، والضباب يحوم فوق البحيرة. لم أستطع رؤية إلى أي مدى سبح، لكنه ظل بالمياه لفترة طويلة لدرجة

أنه حين بدأ يسبح عائدًا أخيرًا، كان كريس وجيني يركنان السيارة في الموقف.

جلس جونا على البطانية بجسدٍ مبتلٍ حابسًا أنفاسه، أتذكر قطرات المياه وهي تتساقط من فمه: «سأنفصلً عن جيني».

صعقني قراره، نظر إليَّ بعدها بحدة كما لو أن ما سيقوله بعد ذلك أهم الكلمات التي سيتفوَّه بها على الإطلاق: «ستكونين أمًّا عظيمة يا مورجان، كريس محظوظ جدًّا»، كانت كلماته لطيفة، لكن نظرة عينيه كانت موجعة. بدت كلماته لسببٍ ما كأنها وداعٌ، قبل أن أعرف حتى إنه كان يودعني.

قام بعد ذلك من على العشب، ومشى نحو موقف السيارات، كان رأسي يدور، أردت أن أركض خلفه، لكن ثقل اليوم كله جمدني في مكاني، لم يسعني سوى أن أراقبه وهو يخبر جيني أنه يريد أن يرحل، راقبتهما وهما يركبان سيارته ويبتعدان.

حين رأيت كريس ينزل التل عائدًا، كان من المفترض أن أشعر بارتياح لأني سأجلس معه وحدنا أخيرًا، لكني كنت مدمرة نفسيًا، جلس كريس بجواري على البطانية، ومنحني زجاجة مياه.

أحببت كريس، كنت سأنجب منه طفلًا، ورغم ذلك لم أخبره بذلك بعد، شعرت بالذنب لأنه طوال كل الفترة التي تواعدنا بها أنا وهو، لم يرمقني أبدًا بنظرة تخترق عمودي الفقري، كنت خائفة ألا أشعر بذلك ثانية، خفت أن أكون قد أخطأت فعلًا، ربما أحببت كريس، لكن ربما أيضًا لم أحبه.

لفَّ ذراعه حولي: «ماذا بكِ يا حبيبتي؟».

مسحت عيني، وتنهدت قائلة: «أنا حامل»، لم أنتظر حتى أن أرى رد فعل كريس، بل وقفت على الفور وأخذت أبكي طوال طريق سيري نحو سيارته، في ذلك الوقت عزوت دموعي إلى الهرمونات، إلى اكتشافي أنني حامل، عزوت الدموع إلى كل شيء آخر غير السبب الحقيقي وراء انهمارها.

في اليوم التالي أخبر جونا جيني أنه يريد أن يعيش مع أخته ويذهب إلى كلية في مينيسوتا، حزم أمتعته، واشترى تذكرة سفر، ولم يأتِ حتى ليودعني أنا أو كريس.

كان كريس وجيني مستاءين للغاية من أنانية جونا ورحيله من دون أن يفكر في أحد سواه، لكن لأنني كنت مصدومة أكثر بخبر حملي، لم يكن لديَّ وقت حقًّا لأهتم برحيل جونا، أمضيت الأسابيع العديدة التالية أخفِّف وجع جيني، وأرغم كريس على التفكير بنا وبحملي، بدلًا من التفكير في أن صديقه المفضل تركه، حاولت ألا أفكر في جونا أبدًا.

لم أكن أعرف أن هذا الوضع سيستمر لفترة طويلة، وأني سأكون زوجة كريس المخلصة، التي تعتني بمنزله وابنته وتلبي احتياجاته، أني سأكون الأخت المخلصة لأختي الصغيرة، أساعدها في دراستها في كلية التمريض، وفي تنظيف الفوضى التي قامت بها في عشرينياتها، وأوفر لها مكانًا تعود إليه كل بضع سنوات حين تحتاج إلى المساعدة لتقف على قدميها مرة أخرى.

في اليوم الذي عرفت فيه أنني حامل، لم أعد أعيش لنفسي، أعتقد أن الوقت حان لأكتشف ماذا كان من المفترض أن أكون قبل أن أبدأ في تكريس حياتي كلها للآخرين.

الفصل السادس عشر
كلارا

رغم علمي أني أغضبت والدتي لتأخري نصف ساعة عن موعد عودتي للمنزل، لكني لا أستطيع التوقف عن الابتسام، كانت تلك القبلة تستحق، مررت أصابعي على شفتيَّ، لم أُقبَّل بهذه الطريقة من قبل، كل الرجال الذين قبَّلتهم فيما سبق بدوا كأنهم متعجلون، كأنهم أرادوا أن يدفعوا بلسانهم داخل فمي قبل أن أغير رأيي.

كان ميلر على العكس صبورًا جدًّا، لكن بطريقة فوضوية، كأنه كان يفكر كثيرًا في تقبيلي، وأراد أن يستمتع بكل ثانية يقبّلني بها. لم أعرف أبدًا أنني قد لا أبتسم حين أستعيد تلك القبلة، شعرت بالتوتر نوعًا ما من لقائنا في المدرسة غدًا، لست متأكدة أين ذهبت بنا تلك القبلة، لكني شعرت أنها كانت بمنزلة تصريح، لكني لا أعرف بالضبط تصريح عن ماذا.

رنَّ هاتفي في جيبي الخلفي، تقلبت وسحبته من جيبي، ثم استلقيت على ظهري ثانية، كانت رسالة من ميلر.

- لا أعرف ما إذا كان ذلك يحدث معكِ، لكني أحيانًا عندما يحدث لي شيء مهمٌّ، أعود للمنزل وأفكر في كل الأشياء التي تمنيت أن تسير بشكل مختلف، وكل الأشياء التي وددت قولها.

- هل يحدث ذلك لك الآن؟

- أجل، لا أشعر أني كنت صريحًا معكِ تمامًا.

تقلبت على بطني، على أمل أن يخف الشعور بالدوار الذي انتابني، كانت الأمور تسير بشكلٍ جيدٍ...

- ما الذي لم تكن صريحًا به؟

- كنت صريحًا، لكني لم أكن صريحًا تمامًا، هناك فرق بين الاثنين، لم أخبركِ بالكثير من الأمور التي أردتكِ أن تعرفيها.

- مثل ماذا؟

- مثل سبب إعجابي بكِ طوال كل هذه الفترة.

انتظرته أن يتابع الحديث، لكنه لم يواصل كلامه، حدقت إلى هاتفي لدرجة أنني كدت ألقي به حين رنَّ فجأة، ظهر رقم هاتف ميلر، ترددت قبل أن أجيبه، لأني نادرًا ما أتحدث في الهاتف، أفضِّل أكثر كتابة الرسائل، لكنه يعلم أن هاتفي بيدي، لذا ليس من الطبيعي أن أحوِّل مكالمته إلى البريد الصوتي، مررت إصبعي على الشاشة، وقمت من الفراش متجهة إلى حمامي لأحظى بالمزيد من الخصوصية، جلست على حافة الحوض.

- هاي؟

- هاي، آسف، لكن ما وددت قوله كثيرًا جدًّا على كتابته في رسالة.

- أنت تخيفني بكل تلك التلميحات.

«أوه، لا، ما أقصده جيدٌ، لا تقلقي، كان ينبغي لي فقط أن أقول لكِ هذا وجهًا إلى وجه»، أخذ ميلر نفسًا عميقًا، ثم تنهد وهم بالحديث: «حين كنت في الخامسة عشرة، شاهدتكِ في مسرحية في المدرسة، كنتِ تلعبين الدور الرئيسي، وفي إحدى اللحظات قدمتِ مونولوجًا استغرق نحو دقيقتين كاملتين، كنتَ مقنعة للغاية، وبدوتِ حزينة جدًّا، لدرجة أنني كنت على وشك أن أصعد إلى المسرح وأعانقكِ.

حين انتهت المسرحية، وعاد الممثلون إلى خشبة المسرح، كنتِ تبتسمين وتضحكين، لم يبقَ أثرٌ لتلك الشخصية داخلكِ، كنت منبهرًا بكِ يا كلارا، لديكِ كاريزما خاصة لا أظن أنكِ واعية بها، لكنها آسرة، كنت طفلًا نحيلًا عندما كنتِ في السنة الثانية، ورغم أني كنت أكبر منكِ بسنة، فإنني لم أكن أنهيت السنة بعد، كان لديَّ حب شباب، وشعرت أنني أقل منكِ، لذا لم تواتني الشجاعة لأتقرَّب منكِ.

مضى عام آخر، وظللت معجبًا بكِ وأراقبكِ من بعيد، مثل تلك المرة التي ترشحتِ بها لأمين صندوق المدرسة، وتعثرتِ وأنتِ تغادرين خشبة المسرح، فقفزتِ وقمتِ بهذه الركلة الصغيرة الغريبة، مطوحة ذراعيكِ في الهواء، فضحك الجمهور كله.

أو في تلك المرة التي قام «مارك أفيري» بها بشد حزام حمالة صدركِ في الردهة، وكنتِ قد سئمتِ للغاية من قيامه بذلك، فتبعتِه إلى فصله، وأدخلتِ يدكِ في «الهودي»، وخلعتِ حمالة صدركِ، وألقيتِها عليه، أتذكر أنكِ صحتِ بشيء مثل: «إذا كنت تريد أن تلمس حمالة صدري إلى هذه الدرجة، فاحتفظ بها أيها المنحرف جنسيًّا»، ثم خرجتِ غاضبة، كان ذلك رائعًا.

كل ما تفعلينه مذهلٌ يا كلارا، لهذا لم تواتني الشجاعة للتقرب منكِ، لأن الفتاة المذهلة تحتاج إلى رجل مذهل بنفس القدر، وأعتقد أنني لم أشعر أبدًا أنني مذهل كفاية لأكون معكِ، قلت كلمة مذهل كثيرًا في آخر خمس عشرة ثانية، آسف جدًّا».

بدأ يلهث حين توقف عن الكلام أخيرًا، كنت أبتسم حتى آلمتني وجنتاي، لم تكن لديَّ أي فكرة أنه كان يشعر بكل ذلك، لم تكن لديَّ أي فكرة على الإطلاق، انتظرت بضع ثوانٍ حتى أتأكد أنه أنهى حديثه، ثم أجبته أخيرًا، كنت متأكدة أنه يستطيع أن يستشعر من نبرة صوتي وحدها أنني مبتسمة.

«أولًا، من الصعب تصديق أنك كنت غير واثق بنفسك، وثانيًا أرى أنك مذهل جدًّا أيضًا يا ميلر، كنت مذهلًا دومًا، حتى حين كنت نحيلًا، ولديك حب شباب».

ضحك قليلًا: «فعلًا؟».

- أجل.

سمعت تنهيدته: «سعيد لأني أزحت ذلك عن صدري، إذن أراكِ في المدرسة غدًا؟».

- تصبح على خير.

أنهينا المكالمة، لم أعرف كم بقيت جالسة ومحدقة إلى هاتفي، لا أستوعب كل ذلك، لديه مشاعر حقيقية تجاهي، بل كانت لديه مشاعر تجاهي منذ فترة، لا أصدق أنني كنت غير منتبهة تمامًا لذلك.

فتحت شاشة الهاتف لأني كنت في حاجة إلى الاتصال بخالتي «جيني»، لأخبرها بكل كلمة في محادثتنا، بدأت في التقليب في جهات الاتصال حين تذكرت أنني لا يمكنني الاتصال بها، لا يمكنني الاتصال بها ثانية أبدًا، متى سأستوعب ذلك؟

***

لم أنتظر حتى تربط «ليكسي» حزام مقعدها، فاجأتُها على الفور بكل المستجدات: «قبَّلت ميلر آدامز، وأعتقد أننا منجذبان إلى بعضنا».

«واو، حسنًا» أومأت ليكسي برأسها مضيفة: «لكن ماذا عن شيلبي؟».

- انفصل عنها منذ أسبوعين.

استغرقت لحظة لتستوعب ذلك، رجعت إلى الخلف لأخرج من ممر منزلها، ظلَّت محدقة نحو الأمام تفكر مليًّا فيما قلته، ثم نظرت

إليَّ قائلة: «لا أعرف يا كلارا، حدث الأمر بسرعة بعض الشيء، ربما يحاول التعافي بكِ من علاقته بها».

- أفهمك، فكرت في نفس الشيء نوعًا ما، لكن لا يبدو الأمر على هذا النحو على الإطلاق، لا أستطيع شرح ذلك، لكن...لا أعرف، أشعر أنه لم يكن لديه مشاعر تجاه شيلبي».

- أنا صديقتكِ، لذلك يجب أن أقول ذلك، تبدين مجنونة الآن نوعًا ما، فقد واعد شيلبي عامًا كاملًا، وتبادلتِ القبلات معه مرة واحدة، وتظنين أن لديه مشاعر تجاهكِ أكثر منها؟

يبدو الأمر جنونًا، لكنها لم تكن معي: «أنت تعرفيني أكثر من أي شخص آخر يا ليكسي، وتعرفين أنني لا أنجذب إلى الرجال هكذا، عليكِ أن تأخذيني على محمل الجد أكثر من ذلك».

«آسفة» قالت مضيفة: «ربما أنتِ محقة، ربما كان ميلر آدامز يحبك بجنون، وكان على علاقة بشيلبي على مدى اثني عشر شهرًا ليجعلكِ تغارين».

- الآن تسخرين مني.

- تلك كانت مجرد قبلة يا كلارا، وأنتِ تتصرفين كأنكما أصبحتما مرتبطين، بالطبع أسخر منكِ.

يمكنني أن أتفهم مدى سخافة ذلك من وجهة نظرها، لكني ما زلت أرى أنها مخطئة، ورغم ذلك توقفت عن مواصلة الحديث في الأمر، لأنها لن تفهم ذلك: «كانت قبلة رائعة رغم ذلك» قلت مبتسمة.

أدارت عينيها في ضيق: «هنيًا لكِ، لكنكما لم ترتبطا فعليًا بعد، لم يحدث ذلك، أليس كذلك؟

- لا، لا أظن ذلك، كل ما فعلناه أننا تبادلنا القبل، لم يطلب مني حتى أن نخرج في موعدٍ.

- حسنًا، إذا طلب منكِ ذلك، تظاهري بأنكِ مشغولة.

- لماذا؟

- حتى لا تبيني أنكِ معجبة به كثيرًا.

كانت نصيحتها محيرة: «ولِمَ لا أريده أن يعرف أني معجبة به».

- لأنه قد يفقد اهتمامه بكِ، سوف تخيفينه.

- ذلك غير منطقي.

- هكذا يتعامل الرجال.

- أحاول أن أفهمك، إذا أعجبت بشاب وأعجب بي، فيجب أن نتظاهر أننا لسنا معجبين ببعضنا، وإلا فإننا سنتوقف عن الإعجاب ببعضنا؟

- لست أنا من وضعت القواعد.

قالت، ورجعت إلى الخلف مسترخية في مقعدها، استطردت: «لا أصدق ذلك، كنَّا دومًا عازبتين معًا، ذلك سيغيِّر علاقة صداقتنا».

- لا، لن يغيرها.

«سيغيرها» قالت مضيفة: «سوف تجلسين بجواره في الغداء، سيبدأ في مقابلتكِ قبل المدرسة وبعدها، ستصبحين مشغولة جدًّا ولن تتسكعي معي في عطلات نهاية الأسبوع».

- أنتِ تعملين طوال الوقت على أي حالٍ.

- أجل، لكن يمكن أن آخذ إجازة يومًا ما، لكنكِ لن ترغبي في قضائها معي بعد الآن.

- في المرة القادمة حين يكون لديكِ يوم إجازة، سوف أقضيه معكِ.

- وعد؟

رفعت إصبع الخنصر، فشبكت إصبعها به، كنَّا قد وصلنا حينها إلى ساحة الانتظار في المدرسة، أشارت ليكسي برأسها: «أووف، إنه ينتظرك».

كان ميلر يقف بجوار شاحنته في مكان مجاور للمكان الذي أركن به دائمًا، مجرد رؤيته وهو ينتظرني جعلتني أبتسم، امتعضت ليكسي حين رأت ميلر يبتسم لي، وقالت: «أكره ذلك بالفعل».

خرجت من السيارة بمجرد أن أوقفتها، ونظرت إلى ميلر الذي كان جالسًا فوق غطاء المحرك قائلة: «ما مدى جدية هذا الذي بينكما؟.

يا إلهي، خرجت من السيارة، ونظرت إلى ميلر بعينين متسعتين: «لا تجيب عن ذلك»، ثم التفتُّ إلى ليكسي قائلة: «توقفي عن ذلك».

تجاهلتني ونظرت إلى ميلر قائلة: «لم يعد لديَّ أي أصدقاء منذ سرقت صديقتي».

ضحك ميلر: «يمكنني أن أبحث عن حبيبٍ لكِ».

أغلقت ليكسي الباب: «واحد فقط؟»، غمزت لي، ومشت نحو المدرسة بمفردها، شعرتُ بالضيق نوعًا ما، كانت محقة، سوف تتغير الأمور بيننا قليلًا.

«كيف كانت ليلتكِ؟» سألني ميلر، فنظرت إليه: «لم أنم».

«ولا أنا» قال وهو يرفع حقيبته إلى كتفه، مال عليَّ وقبَّلني على فمي قبلة خفيفة وسريعة: «هل كنتِ مستيقظة طوال الليل تفكرين بي؟».

هزرت كتفي: «ربما».

مشى معي إلى المدرسة: «هل ليكسي جادة؟ هل تريد حبيبًا فعلًا؟».

- لا أعلم، هي صديقتي المقربة، لكني ما زلت لا أستطيع أن أعرف متى تمزح ومتى تكون جادة.

- إذن لست وحدي في ذلك؟

هززت رأسي بالنفي، فتح ميلر باب المدرسة لي، وبمجرد أن دخلنا البهو حتى أمسك يدي، كأن الأمر معتادٌ، قد أكون متحيزة، لكن يعجبني كم نليق ببعضنا، هو أطول مني بخمس بوصات على الأقل، إلا أن يدينا تتشابك بأريحية، أشعر أني بحالة جيدة، رغم أني لست كذلك.

مضى خمسة وأربعون يومًا على رحيلهما، ولا أعرف كيف يمكنني أن أسير مبتسمة في هذه الممرات، كأنني لم أفقد اثنين من أهم الأشخاص في حياتي. غمرني ذلك الشعور بالذنب، لأن والدتي لم تعد تبتسم، ولا حتى جونا، لم أسرق روحيهما فقط لعدم اكتراثي لسلامة خالتي جيني في أثناء قيادتها، لكني سرقت أيضًا ابتسامات كل الأشخاص الذين تركهم والدي وخالتي جيني وراءهما.

أوصلني ميلر إلى الفصل، لم يكن به سوى جونا، نظر جونا إلى أيدينا المتشابكة، فشعرتُ بالذنب يسري في أوصالي ثانية، كم من الوقت سأحتاج حتى لا أعود أشعر بالذنب لأنني أحسستُ بالسعادة؟ أليس من المفترض أن أشعر بالكآبة في كل ثانية من اليوم؟ وألا ينتابني الحزن فقط على فترات؟ سحبت يدي من يد ميلر، لأضع أغراضي على مكتبي.

أمال جونا رأسه في فضولٍ: «هل تتواعدان الآن؟».

«لا تجيبه أيضًا» قلتُ لميلر.

«حسنًا، إذن» قال جونا ناظرًا إلى أكوام الورق المتراكمة أمامه على المكتب: «هل قطعتما شوطًا طويلًا في المشروع؟».

- لا، أخبرت ميلر أني سجلت اسمه في المشروع الليلة الماضية فقط.

رفع جونا بصره نحو ميلر: «هل ما زلت تنتظر إذنًا من حبيبتك؟».

«لم يعد لديَّ حِبيبة» قال ميلر ناظرًا نحوي: «أو ربما لديَّ حبيبة جديدة»، بدا مرتبكًا حين عاود النظر إلى جونا ثانية: «لا يبدو أنها تريدني إخبار الآخرين أن بيننا شيئًا الآن».

«هل نحن؟» سألته مضيفة: «أهناك شيء بيننا؟».

«لا أعرف» قال ميلر: «أنتِ من تطلبين مني ألا أجيب أي شخص».

- أنا فقط لا أريدك أن تشعر بالضغط، وبأنك مضطرٌّ إلى وضع مسمى لعلاقتنا.

- الآن أشعر بالضغط لعدم وجود مسمى لها.

- حسنًا، قالت لي ليكسي إنني لو تعاملت كأني معجبة بكَ، فسوف يخيفك ذلك.

رفع ميلر حاجبه: «إذا لم تخيفك مكالمتنا أمس، أعتقد أننا بخير، إذا كنتِ معجبة بي، أريدكِ أن تتعاملي على هذا الأساس، وإلا فإنِّي سأصاب بعقدة نفسية».

- أنا معجبة بكَ كثيرًا، لا تتعقد.

«حسنًا» قال ميلر: «أنا معجبٌ بكِ أيضًا».

«حسنًا» قلت له.

«حسنًا» قال جونا مذكرًا إيانا بوجوده: «يجب تسليم المشروع قبل نهاية الفصل الدراسي، ابدآ».

«حسنًا» قلنا أنا وميلر في الوقت نفسه.

أدار جونا عينيه متأفِّفًا، وعاد إلى مكتبه. ابتعد ميلر عني: «سأقابلكِ بعد الحصة».

ابتسمنا لبعضنا، لكن بمجرد أن غادر الغرفة حتى تحوَّلت ابتسامتي إلى عبوس، شعرت بالذنب ثانية لأني ابتسمت.

- توقَّفي عن ذلك.

نظرت إلى جونا: «ماذا؟».

- ذلك التعبير على وجهكِ، اختفت ابتسامتكِ بمجرد أن غادر، هل أنتِ بخير؟

أومأت، من دون أن أقول شيئًا، لكنه لم يترك الأمر يمرُّ هكذا: «ماذا بكِ يا كلارا؟».

هززتُ رأسي بضيقٍ، لأن ذلك سخيف: «لا أعرف، أنا فقط... أشعر بالذنب».

- لم؟

«مضى خمسة وأربعون يومًا فقط، وها أنا أستيقظ سعيدة اليوم، أشعر أني بشعة لمجرد أنني أحسست بالسعادة لثانية واحدة»، خاصة وأن الحادث كان بسببي، لم أفصح بتلك الجملة الأخيرة في اعترافي.

«أهلًا بكِ في مدينة الملاهي» قال جونا.

نظرت إليه متسائلة، فبدأ يشرح كلامه: «بعد وقوع حدث مأساوي، تشعرين كأنكِ سقطتِ من فوق جرفٍ، لكن بعد أن تبدئي في استيعاب الأمر، تدركين أنكِ لم تسقطي من فوق الجرف، لكنكِ تركبين قطارًا أفعوانيًا، الذي بلغ للتوِّ ذروة الانحدار، والآن سيصعد ويهبط وينقلب رأسًا على عقب لفترة طويلة جدًّا، ربما حتى إلى الأبد».

- أمِن المفترض أن يُشعرني ذلك بتحسن؟

هزَّ جونا كتفيه: «لستُ هنا لأشعرك بتحسُّن، أنا معكِ في نفس القطار الأفعواني»، انفتح الباب، وبدأ الطلاب يتوافدون، لم أستطع التوقف عن التحديق إلى جونا، ظهرت تجاعيد بجانب عينيه، وتدلَّت شفتاه قليلًا.

آلمني ذلك، لا أحب أن أراه متعبًا أو حزينًا أو أيًّا ما يعنيه هذا التعبير المرتسم على وجهه، كان دومًا هادئًا وجادًّا قليلًا، لكن عينيه كانتا تبدوان سعيدتين، أعتقد أنني لم أنظر إليه طويلًا بما يكفي منذ الحادث، لأرى كم غيَّره ذلك.

يجعلني ذلك أتساءل كم غيَّر الحادث والدتي، فأنا بالكاد أنظر إليها، أتساءل عما إذا كان ذلك بسبب شعوري بالذنب.

***

لم يكن ميلر ينتظرني بعد الحصة مثلما قال، لم أكن أعرف حتى مكان حصته الأولى، لذا وقفت في انتظاره في الرواق لدقيقة.

«كلارا؟».

استدرت إثر سماعي صوت والدتي، كانت تحمل ملفًّا في إحدى يديها، بينما تحمل في اليد الأخرى حقيبتها الـ «لويس فيتون»، كانت ترتدي حقيبة «لويس فيتون» في المناسبات الخاصة فحسب، لذا لم أفهم ما الذي تفعله هنا، ولِمَ ترتدي الـ«لويس فيتون»، انتابني القلق.

- ماذا تفعلين هنا؟
- أقدِّم على وظيفة.
- هنا؟
- يعيِّنون معلمين بدلاء، أعتقد أنه يمكنني القيام بذلك لبضعة أشهر، لنرَ ما إذا كان ذلك سيروقني، قررت العودة للكلية.

بدأ الرواق يخلو من الطلاب، نظرت حولي لأتأكد أن ما من أحد حولنا: «هل أنتِ جادة؟».

نظرت إليَّ كأني أهنتها: «ما المشكلة إذا ذهبت إلى الكلية؟».

لم أقصد الإساءة إليها، فإذا ودَّت الالتحاق بالكلية، سأكون سعيدة لأجلها، لكن آخر شيء أريده أن تعمل في المدرسة التي أذهب إليها يوميًّا، نحن بالفعل لا نستطيع التعامل مع بعضنا في المنزل، ولا أتخيل احتمالية أن أجدها أمامي في الفصل.

هززتُ رأسي: «لم أقصد»، توقَّفتُ عن الكلام حين لامست شفاه وجنتي، والتفَّ ذراع حول خصري: «كنت أبحث عنكِ، أين تذهبين وقت الحصص؟».

نظرت إلى ميلر بعينين جاحظتين، ثم نظرت إلى والدتي، التعبير الذي ارتسم على وجهي دفع ميلر إلى النظر إلى والدتي، شعرتُ أنه تجمَّد في مكانه، ألقى بذراعيه إلى جانبيه، كانت تلك المرة الأولى التي أرى ميلر فيها مرتبكًا، مدَّ يده إلى والدتي ليقدم نفسه إليها، حدَّقت إلى يده ثم نظرت إليَّ.

بدأ ميلر يتمتم بكلمات معتذرًا: «آسف جدًّا سيدة جرانت، ظننتكِ إحدى صديقات كلارا، أنتِ...، تبدين صغيرة جدًّا». حملقت والدتي إليَّ بشدة، وتجاهلته.

«هي صغيرة فعلًا» قلتُ لميلر مضيفة: «أنجبتني حين كانت في السابعة عشرة».

لم تفوت والدتي الفرصة، إذ وجهت كلامها أخيرًا إلى ميلر قائلة: «نحن نساء لدينا خصوبة كبيرة، كن حذرًا».

يا إلهي، غطيت عيني بيدي، لم أستطع حتى أن أنظر إليه وأنا أقول: «سأراك في الغداء». كان في إمكاني رؤيته بطرف عيني وهو يومئ، قبل أن يمشي مسرعًا في الاتجاه المعاكس.

- لا أصدق أنكِ قلتِ له ذلك.
- هل تواعدينه الآن؟ أظن أنكِ أخبرتني أن لديه حبيبة.
- انفصل عنها.
- لماذا لم تخبريني بذلك؟
- لأنني أعرف أن ذلك لن يروقكِ.

«أنتِ محقة، ذلك لا يروقني» بدأ صوتها يعلو الآن، كنت مطمئنة لأن الرواق أصبح خاليًا.

- منذ أن بدأتِ تتسكعين معه، تغيبتِ عن جنازة والدكِ، وتعاطيتِ المخدرات، ولم تعودي تجلسين بالمنزل، وصرتِ تتأخرين عن موعد عودتكِ، هو لا يناسبكِ يا كلارا.

لم أود الجدال معها حينها، لكني لا أحتمل فكرتها الخاطئة عنه، أغضبني أنها تحمّله ذنب تصرفاتي، بدلًا من أن تفكر في أن بعض القرارات السيئة التي اتخذتُها، ربما تكون نتيجة ما حدث منذ خمسة وأربعين يومًا، كان لكل ما حدث تأثير أكبر عليَّ من تأثير وجود حبيب في حياتي، يكفي شعوري بأن رسائلي إلى خالتي جيني هي السبب في كل هذا الوضع البشع.

- لا أعلم شيئًا عما يحدث في حياتكِ، أنتِ لا تخبريني بأي شيء.

أدرت عيني في ضيق: «والآن لم تعُد خالتي جيني موجودة لتخبرك بكل سرّ صغير يخصني؟».

تحوَّل غضبها إلى صدمة، كأنها لم تتخيل أبدًا أنني أعرف أن خالتي جيني تحكي لها كل شيء، بدا على وجهها الغضب ثانية، ثم الأسى.

- ولماذا تظنين أنها كانت تخبرني بكل شيء يا كلارا؟ لأن ببساطة كل النصائح التي قالتها لكِ كانت نصائحي، أمضت جيني الخمس سنوات الماضية تنسخ رسائلي وتعيد إرسالها إليكِ متظاهرة بأنها من كتبتها.

«ذلك ليس صحيحًا» قلتُ بغضب.

- بلى، هذا صحيح، لذا توقفي عن معاملتي كأني لا أعرف ما هو الأفضل لكِ، أو كأني ليس لديَّ أدنى فكرة عما أتحدث عنه.

ما قالته عن خالتي جيني ليس حقيقيًا، حتى ولو كان صحيحًا.. حتى لو أن والدتي هي التي كانت تبعث بمعظم النصائح التي كانت جيني تقولها لي، فلِمَ تفسد ذلك لي؟ فجيني لن ترجع أبدًا إلى الحياة بسببي، وها هي والدتي تأخذ منها أكثر شيء أحببته بها، وتنسبه إلى نفسها.

انتابتني رغبة شديدة في البكاء، كنت غاضبة جدًّا منها، ومن نفسي، استدرت لأمشي بعيدًا عنها قبل أن أتفوَّه بشيء يجعلها تمنعني من الخروج من المنزل، إلا أنها أمسكت بذراعي، «كلارا».

سحبت ذراعي من يدها، استدرت ومشيت خطوة نحوها: «شكرًا يا ماما، شكرًا لأنك نسبتِ إلى نفسكِ أحد أكثر الأشياء التي أحببتها في خالتي جيني، وأفسدتِ ذلك لي».

أردت حقًّا أن أصفها بالسافلة، لكني لم أود إغضابها، أردت أن أشعرها بالذنب، أردتها أن تشعر بالذنب مثلما أحس منذ الحادث. نجح الأمر، بدا على وجهها على الفور الشعور بالخزي، لكونها نسبت الفضل لعلاقتي الوثيقة بخالتي إلى نفسها.

«أنا آسفة» قالت هامسة.

مشيتُ بعيدًا، وتركتها تقف وحدها في البهو.

الفصل السابع عشر
مورجان

لِمَ قلتُ كل ذلك، لِمَ شعرت بالحاجة إلى نسب الفضل في ذلك إلى نفسي الآن بعد رحيل جيني؟ أعرف السبب، فأنا مستاءة وموجوعة مما فعلته جيني بي، وما يؤلمني أكثر أن كلارا لا تزال تعتبرها ملاكًا، وددتُ أن تعرف كلارا أن جيني لم تكن تعرف كيف تقدم نصيحة حكيمة، وأن كل ما تعلمته كلارا منها تعلمته جيني مني. أردتُ لسببٍ ما أن أنسب الفضل في ذلك إلى نفسي، الفضل الذي لا أحتاج إليه، لكني أحمل وحدي غضبًا كبيرًا نحو جيني وكريس، وأود أن تشعر كلارا بالغضب تجاههما أيضًا.

أحسستُ بفظاعة ما فعلت، كانت محقة، لقد آلمتها، ودمرت إحدى الذكريات التي كانت تحملها لجيني، وذلك كله لأسبابٍ أنانية، لأني غاضبة من جيني، ولأن جيني أذتني.

ذلك يثبت لي أكثر أنني لا يجب أن أسمح بأن تعرف كلارا ما فعلاه جيني وكريس، فمجرد معرفتها لهذا الشيء الصغير أوجعها تمامًا، وكادت أن تبكي حين قلت ذلك.

يا الله هذا موجع، كل ذلك موجع جدًّا، أريد أن أخرج من هنا فحسب، خارج هذا المبنى، أريد العودة للمنزل، ما كان يجب أن أفكر أبدًا في التقديم على وظيفة هنا، فأي مراهق قد يرغب في قضاء يومه كله مع والدته يوميًّا؟

استدرتُ وهرعتُ في البهو، محاولة كبح دموعي حتى أغادر المبنى، كنت على بُعد عشرة أقدام من الباب، «مورجان»، تجمَّدتُ في مكاني حين تناهى إلى سمعي اسمي، استدرت بسرعة، كان جونا واقفًا عند مدخل فصله، كان في إمكانه أن يعرف على الفور أنني لست بخير.

«تعالي هنا» قال مشيرًا إلى فصله الفارغ من الطلاب، أراد جزءٌ كبيرٌ بداخلي مواصلة السير، لكنَّ جزءًا صغيرًا بي أراد ملاذًا يذهب إليه، وبدا فصله الفارغ ملاذًا جيدًا.

وضع يده على ظهري ودفعني إلى الجلوس على مقعد، أعطاني منديلًا، أخذته منه وهممت بمسح عينيَّ، لأوقف الدموع، الدموع التي لم أعرف من أين تأتي، لكن يبدو أنه فاض بي الكيل من شعوري أنني أفقد السيطرة على كلارا على مدى الأسابيع الماضية، وها أنا أجبر جونا على أن يكون معالجي النفسي مؤقتًا، هممتُ بالكلام.

«ظننتُ دومًا أنني أم جيدة، كانت تلك وظيفتي الوحيدة منذ أن كنت في السابعة عشرة، كان كريس يعمل في المستشفى، وكان شغلي الشاغل تربية كلارا، لذا كلما كانت كلارا تفعل شيئًا جيدًا أو تفاجئنا بطريقة ما، كنت أشعر بالفخر، وبأنني نجحت في تربيتها لتكون ذلك الإنسان الصغير الرائع، كنت فخورة جدًّا بها، وفخورة بنفسي، لكن منذ رحيل كريس، وأنا أفكر أنني ربما لم يكن لي يدٌ في كلِ الجوانب الجيدة بها، فهي لم تسيء التصرف أبدًا قبل وفاته، لم تتعاطَ المخدرات أو تكذب بشأن أن لديها حبيبًا أو تكذب بشأن المكان الذي تتواجد به. ماذا لو أني طوال هذه السنوات كنت أظن أنها رائعة لأني أم رائعة، بينما كان كريس في الحقيقة هو الذي يخرج منها

أفضل جانب بها طوال الوقت، وبعدما رحل الآن، أصبحنا أنا وهي نخرج أسوأ ما في بعضنا البعض».

كان جونا يستند إلى المكتب حين بدأت أقول كل ذلك، لكنه أصبح الآن جالسًا على المكتب المقابل لي، كان يميل بجسده نحو الأمام، شابكًا يديه بين ركبتيه: «أنصتي إليَّ يا مورجان»، أخذتُ نفسًا ونظرت إليه.

«أنتِ وأنا في الثلاثينيات من عمرنا.. نتوقع حدوث قدرٍ معقولٍ من المآسي في حياتنا، لكن كلارا عمرها ستة عشر عامًا فقط، ما من أحدٍ في عمرها ينبغي له أن يتعامل مع فجيعة كتلك، لقد أضناها الحزن، وعليكِ فقط أن تمنحيها الفرصة لتعود لرشدها ثانية، كما فعلتِ معي».

كان صوت جونا لطيفًا للغاية، حتى إنني وجدت بعض العزاء في كلماته، أومأت برأسي مقدرة له أنه أدخلني إلى فصله، وضع يديه على يدي يطمئنني «لا تعاني كلارا لأن كريس لم يعد هنا، لكنها تعاني لأنه لن يعود ثانية أبدًا، هناك فرق».

انزلقت دمعة على خدي، لم أتوقع أن يجعلني جونا أشعر بتحسن، لكنه كان محقًّا، كان محقًّا بشأن كلارا، مما جعلني أفكر في أن كلامه ينطبق عليَّ أيضًا، فوجود كريس لم يكن مؤثِّرًا بقدر غيابه. كانت يدا جونا لا تزالان تحيطان بيدي، حين انفتح باب الفصل، ودخل ميلر، وقف على بُعد بضعة أقدام مني، كان ينظر إليَّ كأن كلارا أخبرته كم ضايقتها في البهو.

رفعتُ حاجبي وقلت له محذرة: «أتمنى ألا تكون على وشك إخباري كيف أربي ابنتي»، رجع ميلر خطوة إلى الوراء بسرعة، أشاح ببصره عني، ووجَّه نظراته نحو جونا، بدا مرتبكًا وهو يقول: «امم،

لا يا سيدتي، أنا فقط...» أشار نحو المقعد الذي أجلس عليه قائلًا: «أنتِ تجلسين على مقعدي».

أوه، هو هنا لأن لديه حصة، تطلعت إلى جونا ليؤكد على كلامه، فأومأ برأسه قائلًا: «هو محق، ذلك مقعده». هل يمكنني أن أهين نفسي أكثر من ذلك اليوم؟

«لا بأس، يمكنني الجلوس في مكان آخر» قال ميلر.

وقفت مشيرة نحو المقعد، مشى ميلر بتردد ناحيته وجلس، «لست مجنونة» قلت لميلر، مبررة ما فعلته للتو، وربما ما فعلته في البهو قبل قليلًا، أردفت قائلة: «أنا فقط أمرُّ بيوم سيئ جدًّا».

نظر ميلر إلى جونا ليؤكد على كلامي، أومأ جونا برأسه: «هي محقة، ليست مجنونة»، رفع ميلر حاجبه وغاص في مقعده، أخرج هاتفه من جيبه، وود أن ينسحب من حديثنا تمامًا.

بدأ المزيد من الطلاب يتوافدون إلى الغرفة، لذا رافقني جونا نحو الباب: «سوف أمرُّ عليكِ في وقتٍ لاحقٍ لأخلع الباب من المفصلات».

«شكرًا لكَ» كنت على وشك المغادرة، لكن انتابني الخوف من أن أعود للمنزل وحدي، وأفكر في الحرج الذي تعرضت له اليوم، الشيء الوحيد الذي يمكن أن يشغل ذهني عن أي شيء آخر هو إيليا: «هل تمانع إذا أخذت إيليا من الحضانة؟ أشتاق إليه».

«سيحب ذلك، دونت اسمك بالفعل في قائمة من يمكنهم اصطحابه، سأمرُّ عليكِ بمجرد أن ينتهي اليوم الدراسي».

ابتسمت بشفاه مغلقة، قبل أن أمضي راحلة، سرت نحو سيارتي شاعرة بالندم لأنني لم أعانق جونا، أو أشكره أكثر، هو يستحق ذلك.

الفصل الثامن عشر
كلارا

وضع ميلر صينيته على الطاولة بجواري قائلًا: «والدتكِ تكرهني»، فتح بفتورٍ علبة «صودا» وأخذ يشرب، لم أكن لأجمِّل الكلام وأخبره أنه مخطئ، قلت له: «بل كلانا»، التفت برأسه نحوي: «كلاكما تكرهانني؟»، ضحكت وهززت رأسي نفيًا: «لا، والدتي تكرهنا نحن الاثنين».

أخذت ألف زجاجة المياه على الطاولة من دون تركيز: «تشاجرنا بعد أن مشيت، ليس بسببك، فقط بسبب.. أمر ما، جرحت مشاعري نوعًا ما».

لم يعُد ميلر غير مبالٍ، فبعدما رأى كم يضايقني ذلك، التفت نحوي، متجاهلًا الطعام الموضوع أمامه: «هل أنتِ بخيرٍ؟»، أومأت: «أجل، نحن فقط عالقين في دوامة روتين مملة».

مال إلى الأمام، وقرَّب جبينه من جانب رأسي: «آسف لأن هذا العام سيئ بالنسبة إليكِ»، طبع قبلة سريعة على جانب رأسي، ثم رجع إلى الخلف، التقط قطع مخلل من صحنه، ووضعها في صحني: «يمكنكِ أن تأكلي مخللي، ربما يساعدكِ ذلك؟».

- كيف عرفت أنني أحب المخلل؟

ابتسم ميلر قليلًا: «أمضيت ثلاث سنوات أحاول ألا أحدق إليكِ وأنتِ تتناولين الغداء، ذلك مرعب، أعرف».

- لكنه لطيف أيضًا.

ابتسم: «هذا أنا باختصارٍ، متعقب لطيف».

«متعقب لطيف جدًّا» قالت ليكسي وهي تضع صينيتها على الطاولة المقابلة لنا: «أريد متعقبًا لطيفًا، هل وجدت حبيبًا لي؟».

«ليس بعد» قال ميلر مضيفًا: «لم يمر سوى أربع ساعات فقط منذ أن طلبتِ ذلك».

أدارت ليكسي عينيها بتذمر: «تحدثني عن الوقت كأنه يفرق معك، في حين أنك قبَّلت صديقتي المفضلة بعد دقائق من هجرك لفتاة واعدتها لمدة عام».

تنهدت بامتعاض: «كوني لطيفة يا ليكسي، لا يعرفك ميلر جيدًا بعد ليكون ضحية لسخريتكِ».

«هذه ليست سخرية، لقد هجر صديقته حرفيًا ودخل على الفور في علاقة معكِ» نظرت إلى ميلر: «هل ما أقوله غير صحيح؟».

لم يبدُ على ميلر الانفعال من كلامها، فقد وضع رقاقة بطاطس في فمه قائلًا: «ذلك صحيح جدًّا»، ثم نظر إليَّ غامزًا: «لكن كلارا تعرف كل شيء».

«حسنًا، لكني لا أعرف» قالت ليكسي مضيفة: «أنا لا أعرف أي شيء عنك، لا أعرف حتى اسمك الأوسط، هل هو أيضًا اسم علامة تجارية للبيرة».

التفت نحو ميلر عندما فهمت معنى سؤالها: «أوه، واو، لم أدرك أن اسمك الأول والأخير أسماء علامات تجارية للبيرة».

- لم يكن ذلك مقصودًا، كان ميلر اسم والدتي قبل الزواج.

نظر ميلر إلى ليكسي: «اسمي الأوسط جيرميا».

«اسم عادي جدًّا» قالت ليكسي وبدا عليها الإحباط، تناولت ملعقة من «البودينج»، وأخذت تمصها لثانية، ثم أخرجتها من فمها، وأشارت إلى ميلر: «من هو صديقك المفضل يا ميلر جيرميا آدامز، هل هو مثير؟ هل هو أعزب؟».

«كلهم مثيرون وعزَّاب» قال ميلر مضيفًا: «ما الذي تبحثين عنه بالضبط؟».

هزَّت ليكسي كتفيها: «لست متطلبة، أفضِّل الرجال الشقر ذوي الأعين الزرقاء، أريد شخصًا يتمتع بحس الفكاهة والسخرية، وقحًا قليلًا، يكره قضاء الوقت مع الناس، لا يمانع أن يكون لديه حبيبة مدمنة للتسوق، وتحب أن تكون على حق في كل شيء، وأن يكون رياضيًّا، وأطول مني بستة أقدام، وكاثوليكيًّا».

ضحكت: «أنتِ لستِ كاثوليكية حتى».

- أجل، لكن الكاثوليكيين صارمون، ويحبون أن يعترفوا كثيرًا، وبالتالي ربما يرتكبون أخطاء أقل من المعدمانيين.

«منطقكِ معيبٌ جدًّا جدًّا» قلت لها.

«أعرف شابًّا مناسبًا» قال ميلر مضيفًا: «هل تودين أن أذهب لأجلبه لكِ؟».

«الآن؟» سألت ليكسي بابتهاج.

«سأعود حالًا» مضى ميلر بعيدًا، نظرت ليكسي إليَّ رافعة حاجبيها: «ربما سأحب حبيبك، فهو يهتم بصديقتكِ المفضلة».

- أعتقد أنكِ قلتِ إنني ليس مسموحًا لي بأن أشير إليه بحبيبي بعد.

مرَّت لحظة صمتٍ بيننا قالت ليكسي بعدها: «أحب هذا الشاب... صديقك»[1]

راقبنا ميلر وهو يجلس على مقعدٍ إلى طاولة الغداء الذي يجلس عليها عادة، كان يتحدث إلى شاب يُدعى إيفرين، كنت أعرفه من المسرح، لكنه لا يتوافق مع أي من متطلبات ليكسي أو شروطها، بل هو عكس ذلك تمامًا.

إيفرين شعره أسود، وهو أقصر من ليكسي، كما أنه بالتأكيد ليس رياضيًّا، فقد انتقل من الفلبين إلى هنا قبل أن يلتحق بالمدرسة الثانوية منذ بضع سنواتٍ. ابتسم إيفرين لليكسي، لكنها تنهَّدت ممتعضة، ورفعت يدها إلى وجهها، لتخفي وجهها عن نظراته.

- هل هو جاد؟ إيفرين بيلتران؟

- كنت في المسرح معه، هو جذابٌ جدًّا، ولطيف.

اتسعت عينا ليكسي، كأني أخدعها: «يبدو طوله 5 أقدام و7 بوصات»، نظرت من بين أصابعها، فرأت ميلر يرافق إيفرين نحو طاولتنا، تنهَّدت بامتعاضٍ، وأنزلت يدها من على وجهها، لكنها لم تخفِ خيبة أملها من اختيًار ميلر.

«هذا إيفرين» قال ميلر، ثم أردف: «إيفرين، هذه ليكسي».

ضيَّقت ليكسي عينيها وهي تنظر إلى ميلر، قبل أن توجِّه نظراتها إلى إيفرين: «هل أنت كاثوليكي حتى؟»، جلس إيفرين في المقعد المجاور لها، بدا مبتهجًا برد فعلها أكثر من كونه مهانًا: «لا، لكني أعيش على بُعد نصف ميل من الكنيسة الكاثوليكية، ولا أمانع تغيير

---

(1) جاءت في النص الأصلي هكذا «I like your boy... friend».

المذهب». كنتُ معجبة به بالفعل، لكن كان ينتابني شعورٌ بأن ليكسي لن تُعجب به بسهولة.

«تبدو قليلَ الخبرة نوعًا ما» قالت ليكسي مضيفة بنبرة شبه اتهامية: «هل كانت لديك حتى حبيبة من قبل؟».

«هل العلاقات عبر الإنترنت محسوبة؟» سألها إيفرين.

- لا، بالتأكيد ليست محسوبة.

- إذن...لا.

هزَّت ليكسي رأسها، قال ميلر وهو ينظر تجاه إيفرين: «أعتقد أنك واعدت أشتون لبعض الوقت، هذا يُحسب، أليس كذلك؟».

أشار إيفرين بأنها لا تُحسب بهزة من رأسه: «انتهت قبل أن تبدأ حتى».

«هذا مؤسف» قال ميلر.

«كم يبلغ طول والدك؟» سألته ليكسي مضيفة: «هل تعتقد أن نموك توقف؟».

«لا أعرف» قال إيفرين هازًّا كتفيه: «تركنا والدي حين كنت في الثالثة، ولا أعرف كيف يبدو شكله».

رفعت ليكسي حاجبها، وإن كان بشكلٍ غير ملحوظٍ: «أنا أيضًا، يوم عيد الميلاد».

«ذلك يفسِّر سلوككِ» قال إيفرين.

هزَّت ليكسي كتفيها: «لا أعرف، أعتقد أنني كنت أتصرف على هذا النحو قبل أن أبلغ الثالثة، ربما هذا سبب رحيله؟».

وافق إيفرين على كلامها بإيماءة من رأسه قائلًا: «ربما، إذا بدأنا نتواعد، فلا تعتادي على وجودي بجوارِك، لأنني على الأرجح سأسأم من طريقتكِ، وأرحل أيضًا».

حاولت ليكسي ألا تبتسم على ما قاله، لكنني كنتُ متأكدة تمامًا أن حس السخرية لديه أكثر جاذبية بالنسبة إليها من طوله، أقصد لو كان طويلًا، بصراحة لم أتوقع أن ينجح الأمر، لكنهما متكافئان في حس السخرية، ربما ستوافق أن تخرج معه في موعدٍ.

أشحت بنظري عنهما موجهة نظراتي نحو ميلر، كان يبتسم بخبثٍ، قبل أن يمضغ رقاقة بطاطس أخرى: «هو شاب جيدٌ جدًا» قال هامسًا ثم أردف: «ربما ستتفاجأ إذا منحته فرصة فقط»، التقط رقاقة بطاطس ووضعها في فمي، مال عليَّ بعد أن أكلتها وقبَّلني.

كانت مجرد قبلة سريعة -ربما استمرَّت لثانيتين- لكن يبدو أن الثانيتين كانتا أطول من اللازم، لأن بعد ذلك بلحظة، نقر شخصٌ كتفنا، فتطلَّعنا إلى أعلى لنجد مراقِبة غرفة الغداء ترمقنا بنظراتٍ غاضبة: «غير مسموح بتبادل القُبل في الكافيتريا، احملا صينيتكما وتعالا معي، أنتما معاقبان بالاحتجاز خلال الغداء».

نظرتُ نحو ميلر وهززت رأسي: «لم أواعدك إلا منذ أربع عشرة ساعة فقط، وها قد ورطتني بالفعل في مشكلة»، ضحك ميلر: «قمتِ بأفعال غير قانونية معي قبل ذلك بكثيرٍ، أنسيتِ اللافتة؟».

«لنذهب» قالت مراقبة غرفة الغداء.

تبعتنا المراقبة ونحن نضع صوانينا جانبًا، أخذ ميلر كيس رقائق البطاطس من صينيتي عندما لم تكن تنظر إلينا، ودسَّه في الجزء الأمامي من سرواله الجينز، وغطاه بقميصه.

اقتادتنا المراقبة إلى المكتبة، حيث سجَّلت اسمينا في احتجاز الغداء، لم يسبق لي في حياتي حرفيًا أن أُحتجزت وقت الغداء، كانت المرة الأولى التي يحدث لي فيها هذا، لكني في الحقيقة كنت متحمسة قليلًا حيال ذلك.

جلسنا إلى طاولة فارغة، كان المدرس المشرف على الاحتجاز يلعب لعبة على هاتفه، وهو يسند قدمه عاليًا إلى الطاولة، لم يعيرنا أي اهتمام، بدأ ميلر يحرك مقعده قليلًا في كل مرة، حتى لا يلاحظه أحدٌ، ذكَّرني ذلك بطريقة تحريكه للافتة حدود المدينة.

جلس في النهاية قريبًا جدًّا مني حتى إن فخذينا وذراعينا كانتا تتلامسان، دنوه مني كان لطيفًا، أحب الشعور الذي ينتابني بالقرب منه، أحب رائحته أيضًا، تنبعث منه عادة رائحة غسول الجسم، ربما رائحة «أكس»، وأحيانًا تنبعث منه رائحة مصاصات، لكن الآن تنبعث منه رائحة «دوريتوس».

قرقرت معدتي، لذا رجع ميلر إلى الخلف في مقعده بحذرٍ، وضع يده داخل حزام سرواله، وأخرج كيس رقائق البطاطس، وسعل قليلًا في أثناء فتحه له حتى يغطي سعاله على صوت فتح الكيس.

نظر مراقب الاحتجاز تجاهنا، فحدق ميلر إلى أسفل نحو الطاولة متظاهرًا بالبراءة، وبمجرد أن عاد الرجل ليواصل اللعب، مدَّ ميلر كيس رقائقِ البطاطس نحوي، كانت جميعها مفتتة، لذا أخذت أكثرهم تماسكًا ودسسته في فمي بسرعة قبل أن يلاحظ المعلم.

أكلنا الكيس كله بهذه الطريقة، تناوبنا على اختلاس كسرات الرقائق، ومصها إلى أن تصبح رطبة، حتى لا نقرمشها بصوتٍ عالٍ، عندما نفد الكيس، مسحت يدي في سروالي الجينز، ورفعت يدي: «لو سمحت»، نظر المراقب نحوي.

- هل يمكننا أن نأخذ كتابًا من فوق الرف لنقرأه؟

- انطلقا، لديكما ستون ثانية.

بعدها بثوانٍ انتهى بنا الحال في الممر ذاته، فم ميلر على فمي، وظهري ملاصقٌ لجدارٍ من الكتب، كنَّا نضحك ونحن نتبادل القبلات، ونبذل قصارى جهدنا لنكون هادئين.

«سيتم احتجازنا ثانية» قلتُ هامسة.

«آمل ذلك» التقت شفاهنا مرة أخرى، أصبح مذاقنا نحن الاثنين «دوريتوس» الآن، انزلقت يديه من على وجنتيَّ إلى خصري، كان لسانه ناعمًا، لكن قبلاته كانت سريعة، قال: «يجدر بنا أن نُسرع، ليس لدينا سوى ثلاثين ثانية».

أومأت برأسي، لكني لففت ذراعيَّ حول رقبته وجذبته نحوي، تبادلنا القبل لنحو عشر ثوانٍ أخرى، قبل أن أدفعه بعيدًا، ظلَّت يديه على وركيَّ.

«تعالي السينما الليلة» قال هامسًا.

«لديك عمل؟».

أومأ برأسه: «أجل، لكن يمكنني أن آتي إليكِ وقت الراحة، سأعد لكِ فشارًا طازجًا هذه المرة».

- موافقة.

طبع على وجنتي قبلة سريعة، والتقط كتابًا عشوائيًّا من على الرف خلفي، سحبت واحدًا أيضًا، وعدنا إلى مقعدينا، كان من الصعب عليَّ أن أجلس ساكنة، جعلني مثارة تمامًا، وأريد أن أمسك يده، أو أقبِّله ثانية، لكننا كنَّا مضطرين إلى الاكتفاء بالتلامس بالأقدام بدلًا من ذلك، بعد قليلٍ مال ميلر وقال همسًا: «أتمانعين أن نتبادل الكتب؟».

نظرتُ إلى كتابه، أغلقه فتمكّنتُ من قراءة غلافه: «دليل مصور لدورة الإنجاب لدى النساء»، داريت ضحكتي بيدي، ومرَّرتُ كتابي إليه.

حين عدنا إلى خزانتي بعد انتهاء احتجازنا، جاءت ليكسي، حشرت نفسها بيني وبين ميلر: «هو مضحك»، فكرت أنها تتحدث عن إيفرين، أردفت: «قصير، لكنه مضحك».

«يجب أن تأتيا إلى السينما معي الليلة» قلت لها.

أصدرت ليكسي صوتًا مشمئزًا كأنها ستتقيَّأ: «هل ذهبت معكِ من قبل إلى السينما طوال السنوات التي عرفتِني بها؟» فكرتُ في الأمر، لم تذهب معي فعلًا إلى السينما من قبل، ولم أسألها عن سبب ذلك أبدًا.

«هل لديكِ مشكلة مع صالات السينما؟» سألها ميلر.

- أجل، أنها مقرفة، أتعرفان مقدار السائل المنوي الموجود على مقاعد السينما؟

- يع..ما مقداره؟

- لا أعرف، لكن ربما يجب أن يجروا أبحاثًا عن ذلك.

أغلقت الخزانة ومضت بعيدًا، حدقنا إليها أنا وميلر، «هي مثيرة للاهتمام» قال ميلر.

- فعلًا، لكني لم أعد واثقة الآن بأنني أود المجيء إلى السينما الليلة.

مال ميلر نحوي: «أنا الذي أنظف السينما، وهي نظيفة للغاية، يجب أن تأتي، السابعة؟».

«حسنًا، سأكون هناك في السابعة، لكن سيكون أمرًا رائعًا لو استخدمت مطهر «ليزول» في الصف الخلفي في كل القاعات»، مال ميلر نحوي ليقبِّلني قبلة الوداع، لكني أبعدت وجهه بيدي «لا أريد أن أحتجز ثانية»، ضحك وهو يمضي مبتعدًا: «أراكِ بعد ست ساعات».

- أراك لاحقًا.

لم أخبره أن من الوارد ألا أذهب، فلم أتحدث مع والدتي بشأن ذلك بعد، فبعد ما حدث في البهو اليوم، بات من الواضح أنها لا تريدني أن أواعد ميلر، قد أتسكع مع ليكسي بعد المدرسة قليلًا، ثم أكذب عليها وأخبرها أننا ذاهبتان إلى السينما، أجيد الكذب عليها، ذلك أسهل من قول الحقيقة لها.

الفصل التاسع عشر
مورجان

نقر جونا الباب الأمامي نقرًا خفيفًا قبل أن يفتحه، حين دخل كنت جالسة على الأريكة وأحمل إيليا الذي كان نائمًا، قلتُ بصوتٍ هامس: «اصطحبته قبل أن يأخذ قيلولة».

تطلَّع جونا نحو إيليا وابتسم قائلًا: «ينامون كثيرًا في هذا العمر، أكره ذلك نوعًا ما». ضحكت بصوتٍ منخفضٍ: «ستفتقد ذلك عندما يبدأ في رفض القيلولة».

أشار جونا برأسه نحو المرآب: «لم يكن لديَّ وقتٌ لأذهب إلى المنزل بعد العمل، أتمانعين إن حاولت فتح صندوق أدوات كريس؟».

هززتُ رأسي بالنفي، فمضى ليجلب الصندوق، وضعتُ إيليا في فراشه، ووضعت سريره في الجانب البعيد من غرفة المعيشة، حتى لا توقظه الضوضاء المنبعثة من المطبخ.

عاد جونا إلى المنزل وهو يحمل صندوق أدوات كريس، ومضى نحو المطبخ، تبعته لأساعده في خلع الباب، ناولته سكينًا، لم يستغرق فك القفل سوى بضع ثوانٍ، بعد أن فتح غطاء الصندوق، رفع الدرج العلوي، حتى يتمكن من البحث داخل الجزء الأكبر في الدرج السفلي.

بدت نظرة حائرة على وجهه فجأة، دفعتني تلك النظرة إلى السير نحو صندوق الأدوات، والنظر داخله، حدقنا معًا إلى المحتويات التي

كانت مخبَّأة أسفل الدرج العلوي، العديد من الأظرف، الجوابات، البطاقات، جميعها موجهة إلى كريس.

«هل هم منكِ؟» سألني جونا.

هززتُ رأسي بالنفي، ورجعت خطوة إلى الوراء، كأن ابتعادي عنهم سيجعلهم يختفون، كلما أحسست أن أحد جراحي الكثيرة من الممكن أن يبدأ بالالتئام، يحدث شيء ينكأه من جديدٍ.

كان اسم كريس مكتوبًا بخط يد جيني على الجزء الخارجي من كل الأظرف المفتوحة، بدأ جونا يقلب بهم، تسارعت نبضات قلبي، حين أدركت أننا قد نجد إجابات عن كل أسئلتنا داخل تلك الأظرف، متى بدأ ذلك؟ لِمَ؟ هل كان كريس يحبها؟ هل أحبها أكثر مما أحبني؟

«هل ستقرأها؟» سألته.

هزَّ جونا رأسه بالنفي بحزم، كان قراره نهائيًا، حسدته على قلة فضوله، أعطاني إياهم جميعًا: «افعلي ما تريدينه، لكني لست مهتمًا بمعرفة ما بداخلهم»، حدقت إلى الخطابات بيدي، أخذ جونا ما يحتاج إليه من صندوق الأدوات، ونحاه جانبًا، ثم بدأ العمل على آخر مفصلة مستعصية بالباب.

حملت الجوابات إلى غرفتي، وألقيت بها إلى فراشي، مجرد الإمساك بها كان مؤلمًا للغاية، لا أريد قراءتها في وجود جونا، لذا غادرت غرفتي وأغلقت بابها، عليَّ أن أواجه ذلك لاحقًا، رفعت جسدي لأجلس على المنضدة في المطبخ، حدقت إلى قدمي، حاولت جاهدة ألا أفكر بالجوابات، لكني رغم ذلك لم أفكر في شيء سواها.

هل إذا قرأتها سأطوي هذه الصفحة إلى الأبد؟ أم أنها ستعمّق الجراح بداخلي فحسب، كان جزء مني يخشى أن يزيد ذلك الأمر

سوءًا، فالذكريات الصغيرة التي لديَّ جعلت الوضع سيئًا بما فيه الكفاية، مثل تلك الذكرى التي جالت بخاطري هذا الصباح وكادت أن تُبكيني.

كنت أنا وجيني في وسط المدينة العام الماضي، قبل عيد ميلاد كريس بأسبوع، كانت مصرَّة على أن تشتري له لوحة تجريدية معينة رأتها معلقة في متجرٍ، طوال سنواتِ زواجي بكريس، لم أعرف أبدًا أنه مهتمٌّ بالفن، لكنَّ هذه اللوحة ذكَّرت جيني بكريس بطريقة ما، لم أفكر كثيرًا في ذلك الموقف، ففي النهاية كانت جيني أخت زوجته، وكنت أحب أنهما على وفاق معًا.

كانت اللوحة معلقة فوق منضدة المطبخ القابلة للجرِّ، والتي واصلت دفعها نحو الحائط، وها أنا الآن أحدق إليها: «كانت جيني مصممة على شراء هذه اللوحة لكريس في عيد ميلاده العام الماضي»، أوقف جونا ما يفعله ونظر بتوترٍ نحو اللوحة، ثم وجه نظراته إليَّ بسرعة، قبل أن يوجِّه تركيزه مجددًا على الباب.

- أخبرتها أنه لن يحبها، أتعرف ماذا قالت لي؟

- ماذا قالت؟

- قالت: «أنتِ لا تعرفينه مثلما أعرفه».

تشنَّج كتفي جونا، لكنه لم يرد بشيء على ما قلته.

- أتذكر أنني ضحكت عليها لأنني ظننتُها تمزح، لكني الآن بعدما عرفنا ما عرفناه، أعتقد أنها كانت تعني ذلك تمامًا، كانت جادة بخصوص أنها تعرف زوجي أكثر مني، لا أظن أنها قصدت قول ذلك بصوتٍ عالٍ، والآن كلما نظرتُ إلى اللوحة، لا يسعني سوى التساؤل عن القصة التي تحملها، هل كانا معًا حين رآها أول مرة؟ هل أخبرها أنه أحب

اللوحة؟ كل ذكرياتي عنهما تلحُّ على ذهني، لكن كلما فكرت بها أكثر، وكلما فكرت بهما، يتغيَّر شكل كل تلك الذكريات، كم أبغض ذلك.

خلع جونا الباب أخيرًا من المفصلات، أسنده إلى الحائط، ثم اتكأ على المنضدة، والتقط واحدة من حلوى «الجولي رانشر»، اندهشت حين وضعها في فمه: «أنت تكره نكهة البطيخ».

- ماذا؟

- أكلت للتوِ حلوى جولي رانشرز بنكهة البطيخ، كنت تكره هذه النكهة في السابق.

لم يرد على تعليقي، بل ظلَّ محدقًا إلى اللوحة حتى همَّ بالكلام: «عندما كنَّا جميعًا نتناول العشاء على الطاولة في الليلة التي سبقت رحيلهما، سألها كريس عمَّا إذا كانت متحمسة لليوم التالي، ولم يخطر على ذهني أي شيء حين قالت له: «ليس لديك فكرة»، لأنها كانت من المفترض أن تعود للعمل في اليوم التالي، وافترضت حينها أن ذلك ما كانا يتحدثان عنه، لكنهما كانا يتحدثان عن إقامتهما معًا في لانجفورد، كانا يتحدثان عن ذلك أمامنا مباشرة».

لم أفكر في تلك اللحظة، لكنه كان محقًّا، نظرت جيني في عيني كريس، وقالت له تقريبًا إنها متحمسة للنوم معه، سرت القشعريرة فِي ذراعيَّ، فقمتُ بتدليكهما: «أكرههما، أكرههما لأنهما كذبا عليك بشأن إيليا، أكرههما لأنهما كانا يتفاخران بخيانتهما أمام أعيننا».

تطلَّعنا نحو اللوحة، قال جونا: «هذه لوحة بشعة جدًّا».

- بشعة فعلًا، ربما يرسم إيليا لوحة أفضل منها.

فتح الثلاجة وأخرج كرتونة بيض، أغلق بابها، وأخذ بيضة من الكرتونة، ضمها بين كفه ثم قذفها على اللوحة، راقبت صفارها وهو

ينزلق على الجانب الأيمن قبل أن يسقط على الأرض، آمل أن يدرك أنه سينظف ذلك، وقف جونا أمامي ممسكًا ببيضة: «أشعر بالارتياح، جربي ذلك».

أخذت البيضة ووثبت من فوق المنضدة، أرجعت ذراعي إلى الوراء كما لو كنت سأقذف «كرة لينة»[1]، ثم ألقيت البيضة على اللوحة، كان محقًّا، أراحني ذلك، شعرتُ بالارتياح وأنا أشاهد البيضة تلطخ ذكرى صنعتها جيني وكريس معًا، أخذت بيضة أخرى من الكرتونة وقذفتها، ثم واحدة أخرى.

للأسف، لم يكن بالكرتونة سوى أربع بيضات فحسب، وقد نفدت، شعرت أنني لم أكتفِ بعد: «جِد شيئًا آخر» قلتُ مشجعة جونا على أن يفتح الثلاجة. غمرني تدمير إحدى ذكرياتهما بدفعة إدرينالين لم أكن أعرف حتى إنني أحتاج إليها.

وقفت على أصابع قدمي، مستعدة لرمي شيء آخر، حين ناولني جونا كوبًا بلاستيكيًّا يحوي «بودينج» شوكولاتة، نظرت إليه، هززت كتفي ثم ألقيت به على اللوحة، ثقب جزءٌ من الكوب البلاستيك اللوحة.

- كنت أقصد أن تفتحي الكوب، لكن ذلك نجح أيضًا.

ضحكت وأخذت كوبًا آخر منه، وأزلت الرقاقة البلاستيكية التي تغطيه، حتى ألقي البودينج على اللوحة، كانت الحلوى سميكة جدًّا ويصعب إخراجها، لم تكن مُرضية بالنسبة إليَّ مثل البيض حتى غمست أصابعي داخل الكوب، وسرت نحو اللوحة، ملطخة إياها بالبودينج.

منحني جونا شيئًا آخر: «استخدمي هذا».

---

(1) «السوفتبول» أو «الكرة اللينة» رياضة تشبه رياضة البيسبول.

نظرت إلى برطمان المايونيز وابتسمت قائلة: «كريس يكره المايونيز».

«أعرف» قال مبتسمًا.

غمست يدي كلها داخله، وأخذت كمية وافرة من المايونيز البارد، ولطخت بها أكبر جزء ممكن من اللوحة، كان جونا يقف بجواري ويرش المسطردة على اللوحة، في العادة كان سيجن جنوني من كل هذه الفوضى التي نحدثها، لكن الراحة التي أشعر بها تفوق بمراحل رعبي من حجم التنظيف القادم.

وإلى جانب ذلك، كنت أضحك، بدا صوت الضحك غريبًا للغاية لدرجة أني كنت مستعدة لتلطيخ المنزل كله بالمايونيز لمجرد أن يستمر هذا الشعور.

كنت قد دهنت برطمان المايونيز كله تقريبًا على اللوحة، حين بدأ جونا يلطخها بزجاجة كاتشاب، يا إلهي ذلك مريح جدًّا.

بدأت أفكر بالفعل في الأشياء الأخرى الموجودة في المنزل التي قد تحمل ذكريات سرية بينهما، ويمكننا تخريبها، أراهن أن هناك أشياءً في منزل جيني وجونا أيضًا، وقد يكون لدى جونا بيض أكثر مما كان لديَّ.

فرغ برطمان المايونيز أخيرًا، حاولت أن أستدير لأبحث عن شيء آخر لألقيه، لكن اجتماع الأقدام العارية مع صفار البيض والأرضية البلاطية لا يتيح سطحًا موثوقًا للسير فوقه، انزلقت وأمسكت بذراع جونا وأنا أسقط، وفي غضون ثوانٍ كنًّا نحن الاثنان ممددين على ظهورنا على أرضية المطبخ، حاول جونا أن يرفع نفسه من على

الأرض، لكن الفوضى التي أحدثناها كانت في كل مكانٍ، تزحلق كفُّه على البلاط، وعاود السقوط على ظهره مجددًا.

ضحكت بشدة لدرجة أنني تقلبت على جانبي، متخذة وضع الجنين، شعرت كأني أستخدم عضلات لم أستخدمها من قبل أبدًا، فهذه أول مرة أضحك منذ وفاة كريس وجيني، وتلك أيضًا المرة الأولى التي أسمع فيها ضحكة جونا منذ رحيلهما.

في الحقيقة لم أسمعه يضحك منذ أن كنَّا مراهقين، بدأت ضحكاتنا تتلاشى، تنهدت في اللحظة التي أدار جونا وجهه تجاهي، توقف عن الضحك، لم يعُد يبتسم حتى، في الحقيقة بدا أننا نسينا كل شيء مضحك بشأن هذه اللحظة بمجرد أن التقت أعيننا، ساد الصمت التام بيننا.

بدأ الأدرينالين الذي يسري داخلي يتخذ شكلًا آخر، ويتحوَّل من رغبة في تحطيم لوحة إلى حاجة مختلفة كليًّا، من المزعج التحول من تلك اللحظة الممتعة إلى هذه اللحظة الجادة، ولا أعرف حتى لِمَ صار الأمر بهذه الجدية، لكنه بات كذلك.

بلع جونا ريقه، ثم قال همسًا: «لم أكره حلوى الجولي رانشر بنكهة البطيخ أبدًا، لكني كنت أتركها فقط لأني أعرف أنها المفضلة لديكِ».

سرت كلماته بداخلي، مدفِئة ببطء أكثر الأجزاء برودة بي، حدقت إليه في صمتٍ، ليس لأنني عجزت عن الكلام، ولكن لأن ذلك قد يكون أجمل شيء قاله لي رجل في حياتي، ولم يأتِ هذا الكلام من زوجي حتى.

مدَّ جونا يده، وأزاح شعرة كانت ملتصقة بخدي، بمجرد أن لمسني شعرت كأننا عدنا لتلك الليلة، جالسين معًا على البطانية فوق العشب

بجوار البحيرة، نظر إليَّ بالطريقة ذاتها التي نظر إليَّ بها حينها، قبل أن يهمس قائلًا: «أخشى أن نكون قد أخطأنا».

شعرتُ أنه يوشك أن يقبِّلني، ولم يكن لديَّ أي فكرة كيف أتصرَّف، لأني لم أكن مستعدة لذلك، لم أرد ذلك حتى، قبلة مُلغَّمة بالتعقيدات، لكن لِمَ إذن أميل نحوه هكذا؟ لِمَ يده على شعري؟ لِمَ أنا مستغرقة تمامًا في التفكير فيما قد يكون مذاق شفتيه؟

بخلاف صوت أنفاسنا المتلاحقة، كان الهدوء يسود المطبخ، كانت الأجواء هادئة جدًّا لدرجة أنني سمعت صوت هدير محرك سيارة كلارا في الممر، أفلتني جونا، وتقلَّب على ظهره بسرعة، جلستُ مسرعة بأنفاسٍ لاهثة، نهضنا نحن الاثنان، وبدأنا فورًا في تنظيف الفوضى.

الفصل العشرون
كلارا

رأيتُ سيارة جونا في الممر، آمل أنه لم يفقد صوابه ثانية، وجاء ليترك إيليا لدينا أسبوعًا آخر، فهذا آخر شيء نريده أنا ووالدتي الآن، لست متأكدة مما نحتاج إليه، لكننا في حاجة إلى شيء ما، نحتاج إلى تدخل؟ إلى أخذ إجازة بمعزل عن بعضنا؟

أتمنى أن تكون مستعدة مثلي لنسيان ما حدث في المدرسة اليوم، فأكثر شيء أحبه في أمي، هو قدرتها على تجنُّب المواجهة حينما تحتاج إلى وقتٍ للتفكير في شيء ما، لا أود البقاء في المنزل والتحدث في الأمر الليلة، لا أريد سوى أن أدخل المنزل، وأغيِّر ملابسي، وأذهب إلى السينما لأرى ميلر، لكني أشك أن يسير الأمر بهذه السهولة.

حين دخلت المنزل، وجدت إيليا نائمًا في فراشه الموضوع بجوار الحائط، سرت نحوه لأمنحه قبلة سريعة، لكن تحوَّل انتباهي نحو المطبخ، لم يعُد الباب موجودًا، لكن لم يكن ذلك الشيء الغريب، بل كان الغريب هو والدتي وجونا، والفوضى من حولهما.

كانت والدتي جالسة على يديها وركبتيها، تمسح الأرض بالمناشف الورقية، وجونا يُنزل اللوحة التي اشترتها خالتي جيني لوالدي في عيد ميلاده، وكانت هناك أشياء متناثرة في كل مكان، أملت رأسي محاولة إلقاء نظرة فاحصة، لكنني لم أفهم ما يحدث بالضبط، طعام؟

خطوتُ بضع خطوات نحو المطبخ، حتى أفهم ما يحدث، كان هناك برطمان مايونيز فارغًا على المنضدة، وأكواب بودينج فارغة على الأرض، وكراتين بيض فارغة على المنضدة، وطعام على قميص جونا وشعر أمي، ما هذا؟ «هل كنتما في معركة بالطعام؟».

نظرت والدتي إليَّ، لم تكن تعرف حتى إنني هنا، استدار جونا وكاد أن ينزلق، أسقط اللوحة، لكنه تمالك نفسه بإمساكه المنضدة، نظر هو وأمي أحدهما إلى الآخر، ثم نظرا إليَّ.

«أوه» قال جونا متلعثمًا: «نحن، أمم..، ليس لدينا حقًّا تفسير مقبول لذلك»، رفعت حاجبيَّ، لكني احتفظت بأفكاري لنفسي، فإذا لم أعلق على تصرفهما الغريب، فربما لن يعلِّقا على رغبتي في عدم التواجد هنا.

- حسنًا، سوف أذهب إلى السينما مع ليكسي.

توقعت أن تعترض أمي، لكنها فعلت العكس: «حقيبتي على الأريكة إذا كنتِ في حاجة إلى نقود»، ضاقت عيناي في تشكك، هل هذا اختبار؟ ربما تشعر بالذنب لِمَا قالته لي اليوم، هناك شيء خاطئ، ولكن إذا وقفت هنا أكثر من ذلك، فقد تدرك ذلك أيضًا، استدرت متوجهة نحو غرفتي لأغيِّر ثيابي، من دون أن أكلِّف نفسي عناء أخذ نقود من حقيبتها، فميلر لا يدعني أدفع ثمن أي شيء أبدًا على أي حالٍ.

***

بمجرد أن دخلت السينما، أشرق وجه جونا، توقَّف عمَّا يفعله، ولفَّ من حول المنضدة، لم يكن هناك أحد حولنا، لذا جذبني نحوه ليعانقني، ثم قبَّلني: «انتظريني في صالة واحد، سأكون هناك خلال خمس دقائق».

«لكن..» أشرت نحو الكشك: «الفشار».

ضحك: «سأجلب لكِ فشارًا».

اتجهت نحو صالة واحد، تفاجأت حين وجدتها فارغة تمامًا والأضواء منارة، لم يكن هناك شيء معروضًا على الشاشة، جلستُ في الصف العلوي مثلما أفعل دومًا، وانتظرت ميلر، قمت في أثناء ذلك بالبحث عن دليل أفلام السينما على هاتفي لأعرف أي الأفلام ستُعرض في صالة واحد، لكني لم أجد شيئًا.

آخر عرض كان فيلم كرتون، وانتهى منذ ساعة، أرسلت رسالة إلى ميلر: «هل قلت صالة واحد، ليس هناك أي فيلم يُعرض بها الليلة».

- ابقي هناك، أنا قادم إليكِ.

بعدها بدقيقتين دخل ميلر حاملًا صينية طعام بها «ناتشوز» و«هوت دوج» وفشار، ومشروبان، مشى نحو الصف العلوي، وجلس بجواري: «أشعر أننا عوملنا بشكل سيئ اليوم» قال مضيفًا: «أنا متأكد تمامًا أن القانون يوجب أن يتناول الطلاب طعامهم، حتى لو استدعى الأمر أن نأخذ طعامنا معنا إلى الاحتجاز».

ناولني مشروبًا، ووضع صينية الطعام على ظهر المقاعد أمامنا قائلًا: «ستيفن مدين لي بنحو خمس خدمات، لذا فهو يقف مكاني في الكشك لمدة ساعة».

أخذت «هوت دوج» وكيس مسطردة: «جميل، هل هذا يعني أن ذلك موعد؟».

- لا تعتادي ذلك، لا أتصرف عادة بهذا الكم من البذخ.أمضينا الدقائق التالية نتناول الطعام ونتحدث، تركته يتحدث أغلب الوقت

لأنه كان لطيفًا، كان متحمسًا ويبتسم كثيرًا، وكلما لمسني شعرت بدغدغة في معدتي.

حين انتهى من تناول الطعام، أخرج مصاصة من جيبه: «أتريدين واحدة؟»، مددت يدي ناحيته، فأخرج واحدة أخرى من جيبه ومنحها لي.

- هل تحتفظ بكمية من المصاصات المخبأة معك طوال الوقت؟ أنت تأكل مصاصات دائمًا.

- أعاني من مشكلة الجز على أسناني، والمصاصات تساعدني في الحد من ذلك.

- إذا استمررت في تناولها بالمعدل الذي تتناولها بها، فلن يتبقى لديك أي أسنان لتجز عليها.

- لم أُصب بتسوس أبدًا، ولا تتظاهري بأنكِ لا تحبّين مذاق شفتيَّ.

ابتسمت: «مذاقهما جيدٌ جدًّا».

«كانت شيلبي تكره عادة مص المصاصات لديَّ، كانت تقول إنها تجعل شفتيَّ دبقة.

«مَن؟» كنت أمازحه حين سألته ذلك، لكنه ظن أنني شعرت بالإهانة لأنه تحدث عنها.

- آسف، لم أقصد أن أتكلم عنها، لا أريد أن أكون ذلك الشخص الذي يتحدث عن حبيبته السابقة.

- لديَّ بالفعل الكثير من التساؤلات، لكني لا أود أن أكون تلك الحبيبة التي تجعلك تتحدث عن حبيبتك السابقة.

أخرج المصاصة من فمه: «ما الذي تريدين معرفته؟».

فكرت في سؤاله للحظة، هناك الكثير من الأشياء التي أريد معرفتها، لكني سألته أكثر الأسئلة إلحاحًا: «حين انفصلتْ عنك بعد أن أوصلتك في ذلك اليوم، لِمَ بدا قلبك منكسرًا للغاية»، تساءلت كثيرًا كيف بدا متأثرًا جدًّا بذلك في ذاك اليوم، بينما يبدو بخيرٍ تمامًا الآن، ساورني القلق أنه يخفي عني شيئًا ما.

مررًا إصبعه برفقٍ على يدي: «لم أكن متضايقًا لانفصالي عنها، بل لأنها ظنَّت أنني خنتها، لم أود أن تعتقد ذلك، لذلك كنت مصممًا بشدة على أن أجعلها تصدقني».

- هل تعرف أنك انفصلت عنها من أجلي؟

- أنا لم أنفصل عنها من أجلك.

«أوه» قلت متفاجئة قليلًا: «بدا الأمر كذلك».

اعتدل ميلر في جلسته، ممرِّرًا أصابعه فوق أصابعي: «انفصلت عنها لأنني لم أكن أفكر بها لا قبل أن أنام في الليل، ولا حين أستيقظ في الصباح، لم أنفصل عنها حتى أتمكن من مواعدتكِ، كنت سأنفصل عنها سواء انتهى بنا الأمر أنا وأنتِ معًا أم لا».

لم يبدُ أن هناك فرقًا كبيرًا بين الانفصال عن شخصٍ من أجل شخص آخر، أو الانفصال عنه بسبب شخص آخر، لكن حين شرح ذلك أشعرني بفارقٍ هائلٍ بين الأمرين.

- ألم يكن ذلك تغييرًا غريبًا بالنسبة إليكما؟ كنتما معًا لفترة طويلة؟

هزَّ كتفيه: «بدا الأمر غريبًا نوعًا ما، فلم تكن والدتها تأبه إذا ما قضيت الليل في منزلها في عطلات نهاية الأسبوع، لذا استغرق الأمر مني بعض الوقت لأعتاد قضاء ليالي السبت في المنزل مع جرامبس».

- والدتها كانت تسمح لك أن تبيت في منزلها؟ في فراشها؟

- أعرف أن ذلك غير معهودٍ، لكن والديها كانا متساهلين جدًّا في الكثير من الأمور، ومن حيث المبدأ أصبحت شيلبي بالغة في الجامعة، أعتقد أن ذلك كان له دور كبير في هذا.

- أمي لن تسمح لك أبدًا بقضاء الليل عندنا، ضع هذا في حسبانك.

ضحك ميلر: «صدقيني، أحسست بذلك منها، سأفاجأ لو أنها سمحت لي حتى بزيارتكِ في وضح النهار».

أكره أنه يشعر بذلك، أكره أن والدتي جعلته يشعر بذلك، وبصراحة يساورني القلق أن يثير ذلك استياءه فيما بعد، إذا لم تتقبَّل أبدًا أنه حبيبي، لا أصدق حتى أني أقول ذلك، ميلر آدامز حبيبي.

كنَّا ننظر لبعضنا، استدرنا بجسدينا نحو بعضهما البعض، كان المكان هادئًا للغاية لدرجة أنه كان في إمكاننا سماع صوت الفيلم المُشغل في الجانب الآخر من الجدار.

حاولت ألا أفكر في كل ما قاله للتوِّ، لأن بالي بات مشغولًا بكل الأوقات التي قضاها في بيت شيلبي، كل المرات التي نام في فراشها، هل سيفتقد ذلك في النهاية؟ لم أمارس الجنس من قبل، وبالطريقة التي تتعامل بها والدتي، لستُ واثقة بأنها ستسمح لميلر بزيارتي، وربما تمنعني حتى من الخروج تمامًا، لمجرد أن تفرّقنا عن بعضنا، آمل ألا يحدث ذلك، لكن بعد ما فعلته الشهر الماضي، لن أفاجأ إذا فعلت ذلك.

شعرت أن ميلر كان صريحًا معي تمامًا، لذا أردت أن أكون صادقة معه، أخرجت المصاصة من فمي، وتطلّعت نحوه: «إذن، يجب أن تعرف أنني عذراء».

«أعرف علاجًا لذلك» قال ميلر.

نظرتُ في عينيه بارتباك فضحك قائلًا: «أنا أمزح يا كلارا»، مال نحوي وقبّلني على كتفي: «أنا سعيدٌ أنكِ أخبرتِني بذلك، لكني لستُ متعجلًا على أي حالٍ».

- مهما يكن، كنتَ معتادًا فعل ذلك كل عطلة نهاية الأسبوع، سينتابك الملل في النهاية بسبب عدم ممارسة الجنس، وستعود إليها»

غطيت فمي على الفور بيدي: «يا إلهي، لماذا أبدو غير واثقة بنفسي إلى هذه الدرجة؟ أرجوك تظاهر كأني لم أقل كل ما قلته للتوِ قطٌ».

ضحك قليلًا، ثم نظر إليَّ بتمعن: «لا تقلقي، استمتعت معكِ بالفعل من دون جنس أكثر بكثيرٍ من المتعة التي حظيت بها طوال علاقتي معها».

أحبه كثيرًا، أكثر مما ظننته ممكنًا، كل دقيقة نقضيها معًا يزداد حبي له أكثر من الدقيقة التي سبقتها: «حين أقرر أنني مستعدة لذلك.. أتمنى أن يحدث ذلك معك».

ابتسم ميلر لي: «صدقيني، لن أحاول أن أثنيكِ عن ذلك».

فكرت كيف ستكون مرتنا الأولى معًا، نظرت إليه وابتسمت: «أول قبلة بيننا كانت بطريقة كليشيه في مقهى، ربما يجب أن يكون فقدان عذريتي بطريقة كليشيه أيضًا؟».

رفع ميلر حاجبه: «لا أعرف، قد يمنعونا من دخول ستاربكس».

ضحكت: «أتحدث عن حفل تخرجنا، سيكون بعد خمسة أشهر، إذا كنَّا لا نزال معًا حينها، أود أن أفقد عذريتي بطريقة كليشيه بعد حفل التخرج».

اختياري للكلمات أضحك ميلر، أخرج مصاصته من فمه، وأخذ مصاصتي من فمي، ووضعهما على صينية الطعام، مال نحوي وقبَّلني لبرهة، ثم رجع إلى الخلف وقال لي: «تستبقين الأحداث، لم أطلب منكِ بعد أن ترافقيني إلى حفل التخرج».

- عليك أن تطلب مني ذلك إذن.

- ألا تريدين أن أتقدم لدعوتكِ بطريقة رومانسية لمرافقتي إلى حفل التخرج؟

هززتُ رأسي بالنفي: «هذه الأشياء سخيفة، لا أريد أي شيء مُخطط له».

بدا مترددًا، كأنه لا يصدقني، ثم أومأ قائلًا: «حسنًا، إذن، كلارا جرانت، هل تذهبين معي إلى حفل التخرج، وتمارسين معي الجنس بطريقة كليشيه بعد الحفل؟».

- أود ذلك.

ابتسم ميلر وقبَّلني، أخذت أقبِّله، كنت مبتسمة، لكني شعرت أن جزءًا مني حزين، خالتي جيني كانت ستحب تلك الحكاية.

الفصل الحادي والعشرون
مورجان

ربما يكون مطبخي الآن أنظف مما كان عليه في أي وقت مضى، لست متأكدة ما إذا ذلك لأن جونا عامل تنظيف ممتاز (لأنه نظَّف معظمه)، أم لأنه يحاول محو أي أثر لتلك القبلة التي كانت على وشك الحدوث في المطبخ، حتى لا يتبقى لدينا أي شيء يذكِّرنا بها.

انتابني شعورٌ عميقٌ بالذنب منذ أن ذهبت كلارا إلى السينما، حتمًا يساور جونا الشعور ذاته، لأن أيًّا منَّا لم يتفوَّه بكلمة في أثناء تنظيفنا المطبخ، وحين استيقظ إيليا عرضت أن أُرضعه أنا، لأني أشعر أن إيليا هو الشيء الوحيد الصحيح في حياتي، يبدو أنه بدأ يتعرَّف عليَّ لأنه يبتسم حين يراني.

جلست ألاعبه في غرفة المعيشة لمدة ساعة، بينما نظَّف جونا المطبخ كله، لم أتوقع أن يقوم بذلك، بل إني أخبرته ألا يشغل باله بذلك، لكنه واصل التنظيف، كنت سأفعل ذلك، لكني بصراحة شعرتُ بالارتياح حين استيقظ إيليا، لا أود أن أكون في الغرفة ذاتها مع جونا الآن.

بدأ عود إيليا يقوى، كنت مسترخية على الأريكة وأحمله، وهو يركل بطني بساقيه، كنت أُصدر أصواتًا طفولية لألاعبه، حين رأيت جونا يحمل باب المطبخ متجهًا نحو المرآب، تثاءب إيليا، فضممته إلى صدري، وربت على ظهره برفقٍ، فقد تجاوز موعد نومه، ورغم

قيلولة الثلاثين دقيقة التي أخذها حين كنّا أنا وجونا ندمر المطبخ، لكنه يبدو أنه لا يزال في حاجة إلى النوم.

ظلَّ يغفو تدريجيًا وهو مستلقٍ في صدري حتى نام، وضعت خدي أعلى رأسه، ينتابني الحزن كلما نظرت إليه وفكرت في حياته، هو محظوظ بوجود جونا، الرجل الذي تولى مسؤوليته رغم إدراكه أن هناك احتمالية كبيرة ألا يكون والده، أتمنى لأجل جونا ألا يستاء إيليا منه إذا اكتشف الأمر يومًا ما، أتمنى أن يجعله ذلك يقدِّر جونا أكثر.

دخل جونا غرفة المعيشة وابتسم حين رأى إيليا نائمًا على صدري، جلس بجانبنا على الأريكة، ممسدًا ظهر إيليا بيده، أطلق تنهيدة خافتة، نظرت إليه فحدق إليَّ، كان يجلس قريبًا مني لدرجة أن أرجلنا تلامست.

الشعور الذي راودني فجأة في المطبخ استيقظ بداخلي ثانية، تمنيت لو كان إحساسي مجرد صدفة، تمنيت لو يبقى الشعور الذي أثاره جونا بداخلي كامنًا من الآن فصاعدًا، «تنحى جانبًا» قلت همسًا، ضاقت عينا جونا كأنه لم يفهم ما قصدته.

- أنتَ قريبًا مني جدًّا، أحتاج إلى مساحة.

فهم جونا قصدي، لكنه تقريبًا بدا مندهشًا قليلًا من رد فعلي، انتقل إلى الطرف الآخر من الأريكة وعلى وجهه ضيق، شعرتُ أنني أهنته: «أنا آسفة» قلتُ مضيفة: «أنا فقط..مرتبكة».

«لا بأس» قال جونا.

نظرت إلى إيليا، كان مستغرقًا في النوم كفاية، لأعيده إلى فراشه من دون أن يستيقظ، لأني كنت في حاجة إلى أن أشم هواءً نقيًا، وضعته برفقٍ على المرتبة، انتظرت لأتأكد أنه لم يستيقظ ثم غطيته.

لم أنظر في عيني جونا وأنا أمضي نحو الفناء الخلفي، كنت واثقة بأنه سيتبعني، سواء طلبت منه ذلك أم لا، وبصراحة نحن نحتاج إلى مناقشة ما كاد يحدث في المطبخ لأن آخر ما أريده أن يظن جونا أن هناك أي إمكانية لحدوث ذلك بيننا.

أوصد جونا الباب الزجاجي بعد أن تبعني إلى الخارج، كنت أذرع الفناء الخلفي جيئة وذهابًا، محدقة إلى الحصاة أسفل قدمي، قام كريس بتركيبها منذ بضع سنوات، ساعدناه أنا وجيني، أتذكر كم ضحكنا وقتها، ظللنا نسخر من كريس لأنه لسببٍ ما كان يستمع إلى أغاني جون دنفر في أثناء تثبيته الحصاة في الفناء الخلفي، وكان يغني بأعلى صوته.

لم يكن يستمع إلى دنفر في أي وقتٍ آخر، كان يستمع إليه فقط حين يقوم بعملٍ في الفناء الخلفي، ظللنا أنا وجيني نسخر منه طوال الوقت بينما نساعده، لذا حبسنا خارج الفناء الخلفي، وأكمل العمل من دوننا.

أتساءل ما إذا كانت علاقتهما بدأت قبل ذلك الحين، أتساءل -أكثر مما ينبغي لي- متى بدأت، لا أعرف لِمَ تمنيت أن تكون علاقتهما أحدث من ذلك، ففكرة استمرار هذه العلاقة لسنوات يُشعرني أنها أكثر حميمية، أعتقد أنه إذا واتتني الشجاعة لقراءة الجوابات التي عثرنا عليها، فقد أجد بعض الإجابات عن كل الأسئلة التي لديَّ.

جلس جونا على مقعد كريس المفضل، ذلك الذي اشترته جيني له، يا إلهي، كيف كنت غبية إلى هذا الحد؟ كيف يكون زوج وأخت زوجته على هذا القدر من الوفاق الذي كانا عليه؟ كيف لم ألحظ ذلك أبدًا؟

«اجلسي» قال جونا مضيفًا: «أتوتر حين تذهبين وتجيئين هكذا».

جلستُ على المقعد المجاور له، أغلقت عينيَّ لبرهة، محاولة إبعاد كل الذكريات عن ذهني، لم أرد التفكير في كل الأشياء التي تربط بين جيني وكريس في هذا المنزل، دمرت اللوحة بالفعل، ولا أريد أن أاضطر إلى تدمير أثاث الفناء الخلفي، أو أي شيء آخر أستخدمه.

حين فتحت عيني، تطلعت إلى جونا، كان يسند رأسه باسترخاء إلى ظهر المقعد، ورأسه مائلٍ نحوي، لكنه لم يقل أي شيء، يفكر جونا كثيرًا، لكنه يتحدث قليلًا.

لا أعرف لِمَ أزعجني الصمت في تلك اللحظة: «قل شيئًا، ما هذا الهدوء!».

قال كأن الكلمات كانت بالفعل على طرف لسانه: «إذا لم تحملي بكلارا، هل كنتِ ستتركين كريس؟».

- ما هذا السؤال؟

هزَّ كتفيه: «كنت أتساءل دومًا، لم أعرف هل قررتِ البقاء معه بسبب كلارا، أم لأنكِ كنت تحبينه».

أشحت ببصري بعيدًا عنه، لأن ذلك ليس من شأنه بصراحة، إذا أراد أن يعرف كيف ستمضي حياتي، ما كان يجب أن يرحل فجأة، أردف قائلًا بصوتٍ أهدأ: «لم تجيبي عن سؤالي».

- توقف عن ذلك يا جونا.
- طلبتِ مني أن أقول شيئًا.

«لم أقصد...» تنهدت: «لا أعرف ماذا قصدت».

بدا الجو فجأة خانقًا جدًّا في الخارج، عدت للداخل، حتى أترك مسافة بيني وبين جونا، لكنه تبعني حتى غرفة نومي، أغلق الباب ثانية حتى لا توقظ محادثتنا إيليا، بدا متضايقًا بعض الشيء لأنني أواصل التنقل من غرفة إلى أخرى هربًا منه.

بدت الرسائل المتناثرة على مرتبتي كأنها تحدق إليَّ وتهزأ مني، سألني:

- هل سنتحدث عما حدث في المطبخ؟

أخذت أذهب وأجيء ثانية، من دون أن أبالي ما إذا كان يحب ذلك أم لا.

- لم يحدث شيء في المطبخ.

نظر إليَّ بإحباطٍ، كأن أمله خاب بي لعدم قدرتي على مواجهة ذلك بنضج، أمسكت جبيني ودلكته، لعلي بذلك أمنع صداعًا وشيكًا، تكلمت منّ دون أن أنظر إليه: «أتريد التحدث عن ذلك؟ حسنًا، مات زوجي منذ بضعة أسابيع فحسب، وكدت أن أقبّل شخصًا آخر، والأسوأ من ذلك أنك أنت هذا الشخص الذي كدت أَقبّلِه، يُشعرني ذلك أنني حقيرة».

- أووووف.

- ماذا كان سيحدث لو رأتنا كلارا؟ هل كان الأمر يستحق ذلك فعلًا؟

- لا يتعلق الأمر بكلارا.

- بل يتعلق بكلارا وبإيليا، وبكل شيء سوانا.

- إحساسي مختلف.

ضحكت: «طبعًا، تحس إحساسًا مختلفًا».

- ماذا يُفترض أن يعني ذلك؟

أومأت باستياء: «قطعت علاقتك مع أقرب أصدقائك لمدة سبعة عشر عامًا يا جونا، لم تفكر سوى في نفسك وفيما تريد، لم تفكر أبدًا في تأثير أفعالك على الآخرين».

شعرت أن نظراته اخترقتني، حدق إلي بطريقة لم أره ينظر بها إلى أي شخصٍ من قبل، نظرات تجمع بين الارتباك والجرح.

همس قائلًا: «واو»، ثم استدار وخرج من غرفتي صافقًا الباب خلفه، جونا سوليفان يهرب ثانية، لا يفاجئني ذلك.

انتابني الغضب، خرجت من غرفتي متأهبة للصراخ في وجهه، لكنه سار نحو الباب حاملًا إيليا، رآني وأنا أتبعه، كان في إمكانه أن يستشعر مدى غضبي، لأننا كنَّا نحس بالشعور نفسه، هزَّ رأسه قائلًا: «لا تفعلي ذلك، سأرحل».

تبعته نحو الخارج على أي حالٍ، لأني لم أفرغ غضبي بعد، ما زلت أشعر كأني بئرٌ لا نهاية له، بئر مليء بالكثير من الأشياء التي أريده أن يسمعها، انتظرته حتى ربط حزام الأمان في مقعد إيليا، وأغلق الباب، ثم صببت عليه جام غضبي.

بمجرد أن نظر إليَّ في انتظار أن أتحدث، لم أستطع التفكير في شيء واحد لأقوله له، وقفت فحسب في فناء منزلي، ولم يعد لديَّ أي شيء أقوله، لم أعرف حتى بصراحة لِمَ نتشاجر، فنحن لم نُقبّل بعضنا حتى، ولن أضع نفسي أبدًا في موقفٍ كهذا معه ثانية، لذا لا أعرف لِمَ أنا غاضبة إلى هذا الحد أصلًا.

استند إلى سيارته، عقد ذراعيه على صدره، وانتظر للحظة حتى يسود الهدوء بيننا، ثم رفع رأسه وتطلَّع نحوي بنظرة تفيض بالمشاعر.

- جيني كانت أختكِ، ومهما كان شعوري تجاهكِ، لم أكن لأفرق بينكما أبدًا، رحلت لأني -على عكس جيني وكريس- كنت أكنُّ احترامًا لهما، ولكِ، أرجوكِ لا تصفيني بالأناني مرة أخرى، لأن ذلك كان أصعب قرار اتخذته في حياتي كلها.

ركب سيارته، وصفق الباب خلفه، رحل وتركني أقف وحدي في الفناء الأمامي، في الظلام، مستغرقة في التفكير في أشياء لم أكن واثقة بأنني أريد معرفتها، وتغمرني مشاعر لم أسمح لنفسي أبدًا بمواجهتها.

وهنت ركبتاي، لم يكن بي طاقة حتى لأعود إلى المنزل، لأفكر في كل ما حدث الليلة، لذا جلست على العشب في المكان نفسه الذي كنت أقف به منذ أن ابتعد جونا بسيارته، أسقطت رأسي بين يديَّ، كنت أشعر بثقل اليوم كله، كل ما حدث مع كلارا في المدرسة، كل ما حدث مع جونا في المطبخ، كل ما قاله للتوّ، ورغم أن جزءًا مني أراد أن يسمع كل ذلك منه، لكن ذلك لا يغيِّر أي شيء، لأنه لا يمكن أن تنجح العلاقة بيني وبينه أبدًا، فمهما طالت مدة رحيل جيني وكريس، سيجعلنا ذلك نبدو حقراء.

لن تتفهم كلارا الأمر، بالإضافة إلى ماذا سأقول لإيليا حين يكبر؟ أننا جميعًا بدلنا أحباءنا؟ أي قدوة سنكونها حينها؟ من الأفضل ألا يكون بيني وبين جونا شيء، فأي علاقة بيننا ستذكِرني طوال حياتي بما أود نسيانه بشدة، وبعد أن أفصح الآن عن كل شيء كان في حاجة إلى قوله طوال سبعة عشر عامًا، أريده أن يسحب ما قاله، أود العودة إلى البارحة، عندما كان الأمر أسهل، حينما كان في إمكانه أن يُحضر إيليا من دون كل هذا الحرج الذي سيصير بيننا من الآن فصاعدًا.

أشعر أنه قال كل ذلك على أمل أن يحل شيئًا ما، لكن بالنسبة إليَّ زاد ذلك الطين بلّة، ولا أعرف ما إذا كان الوضع بيننا سيتحسن ثانية.

حين كنَّا مراهقين، لم نكن نحب بعض، لكننا كنَّا نشعر بانجذاب، ورغم أن الانجذاب مربك، لكنه أيضًا لم يكن يستحق تدمير حياة كلارا تمامًا.

رفعت بصري حين أُضيئت المصابيح الأمامية في وجهي، كانت كلارا، ركنت سيارتها، لم تقل لي أي شيء في الحال حين خرجت من السيارة، لم أكن متأكدة مما إذا كانت لاحظت وجودي، حتى استدارت وجاءت لتجلس بجواري على العشب.

رفعت ركبتيها حتى لامستا ذقنها، احتضنت ركبتيها، وهي تحدق إلى الشارع المظلم: «أنا قلقة عليكِ يا أمي».

- لِمَ؟

- الوقت متأخر، وأنتِ تجلسين في الفناء الأمامي وحدكِ في الظلام وتبكين.

مددت يدي إلى خدي لأمسح الدموع التي لم أنتبه لها حتى، تنهدت ونظرت إليها: «آسفة على ما حدث اليوم، ما كان يجب أن أقول ذلك».

أومأت كلارا برأسها، لم أكن متأكدة مما إذا كانت قبلت اعتذاري، أم أنها تتفق معي في أني ما كان يجب أن أقول ما قلته.

- هل خرجتِ مع ميلر الليلة؟

- أجل.

تنهدت، فعلى الأقل كانت صريحة معي.

- هو ليس شخصًا سيئًا يا أمي، صدقيني ستكتشفين ذلك إذا تعرفتِ عليه.

كانت تدافع عنه، لكني أتفهم ذلك، فحين يكون المرء في السادسة عشرة، يتجاهل كل العلامات التحذيرية، تنهدت قائلة: «كوني حذرة فحسب يا كلارا، لا أريدكِ أن ترتكبي الخطأ ذاته الذي ارتكبته».

نهضت كلارا، وأخذت تمسح ظهر سروالها الجينز قائلة: «أنا لست أنتِ يا أمي، وميلر ليس أبي، وأتمنى حقًّا أن تتوقفي عن وصفي بالخطأ».

- تعرفين أن هذا ليس ما قصدته.

لا أعرف ما إذا كانت سمعت ذلك أم لا، لأنها دخلت المنزل بالفعل، وصفقت الباب خلفها، كنتُ منهكة جدًّا ولا طاقة بي لأركض خلفها، مددت ظهري على العشب، وحدقت إلى النجوم، لم يكن هناك سوى القليل منها.

أتساءل عما إذا كان كريس وجيني موجودين بالأعلى في مكانٍ ما، أتساءل عما إذا كان في إمكانهما رؤيتي هنا في الأسفل، أتساءل عما إذا كانا يشعران بالسوء لما آلت إليه حياتي بسببهما.

«أنت بشع» قلت همسًا لكريس: «أتمنى أنك تستطيع رؤيتنا الآن، لأنك دمرت حيوات كثيرة، أيها الحقير اللعين».

سمعتُ وقع أقدام على العشب، فجلست منتصبة في ذعرٍ، وضعت يدي حول حلقي، وتنهدت حين رأيت السيدة نيتل واقفةً على بُعد بضعة أقدام مني.

«ظننتكِ ميتة» قالت مضيفة: «لكني سمعتكِ بعدها وأنت تنعتين الرب بالحقير»، استدارت لتعود إلى منزلها، وحينما وصلت إلى الباب الأمامي، لوحت لي بعصاها: «هذا تجديف، يجب عليكِ أن تذهبي إلى الكنيسة».

حين دخلت منزلها، لم يسعني سوى الضحك، فهي تكرهني جدًّا، نهضت من فوق العشب، ودخلت المنزل، حين دخلت غرفتي تطلعت نحو الجوابات والبطاقات المتناثرة على فراشي، ارتعشت يداي وأنا أعدهم، كانوا تسعة جوابات وثلاث بطاقات، أردت معرفة ما بهم، لكني لم أقدم على قراءتهم، كنت واثقة أنهم سيزيدون استيائي، وقد مررت بما يكفي اليوم.

وضعتهم في أسفلِ خزانة ملابسي، وقررت أن أتركهم ليومٍ أفضل، إذا أتى يوم أفضل أصلًا.

الفصل الثاني والعشرون
كلارا

كانت عطلة نهاية الأسبوع طويلة، كان لدى ليكسي وميلر نوبات عمل متأخرة، وبخلاف جلوسي مع ميلر خلال فترة استراحته ليلة السبت، وتحدثي معه عبر الهاتف لمدة ساعتين الليلة الماضية، لم أره، ولم أر والدتي كثيرًا أيضًا، فمن بعد ليلة الجمعة الغريبة تلك، أمضت يوم السبت كله أمام الكمبيوتر، تُقدم على وظائف، بينما أمضيت معظم يوم الأحد في غرفتي، أنجز الواجبات المدرسية المتأخرة.

تأخرت عن المعتاد عن حصة جونا، كنت آخر من وصل قبل أن يرن الجرس، لذا اندهشت حين اقترب جونا من مكتبي، وجثا أمامه، فهو عادة لا يعيرني اهتمامًا خاصًا أمام الطلاب الآخرين.

- كيف حال والدتكِ؟

هززتُ كتفيَّ: «بخيرٍ على ما أعتقد، لِمَ؟».

- لم ترد على رسائلي في عطلة نهاية الأسبوع، وددت فقط أن أطمئن أنها بخير.

ملتُ نحو الأمام، لم أرغب أن يسمع أي شخص آخر ما سأقوله: «عدت للمنزل مساء الجمعة، فوجدتها جالسة تبكي في الفناء الأمامي، كان ذلك غريبًا، أفكر أحيانًا أنها على حافة الانهيار العصبي».

بدا قلقًا: «هل قالت لكِ لِمَ كانت تبكي؟».

نظرت حولي، كانوا جميعًا يتكلمون، ولا ينتبهون لحديثنا: «لم أسألها، أصبحت تبكي أكثر مما لا تبكي، لذا توقفت عن سؤالها عن ذلك».

رنَّ الجرس، فعاد جونا إلى مكتبه، لكنه بدا مشتتًا حين بدأ يشرح درس اليوم، بدا متعبًا، رغم أنه يتظاهر أنه تجاوز الأمر.

أحبطني ذلك قليلًا، كنت أعتقد أن كون المرء بالغًا أهون بكثير من أن يكون مراهقًا، لأنك حينها ستكون فهمت حتمًا كل الأشياء، وستصبح أكثر نضجًا عاطفيًا، وبالتالي ستتمكن من التعامل مع الأزمات بشكل أفضل، لكني حين أرى جونا الآن وهو يحاول التظاهر بأنه غير مشتت، وحين أرى والدتي وهي تحاول أن تمضي في حياتها وتخطط لها كأنها لا تزال تمتلك إرادة وعزمًا، فلا أحتاج إلى دليل أكثر من ذلك لأتأكد أن البالغين ربما لا يفهمون أمور الحياة أكثر منا، لكنهم يرتدون أقنعة أكثر إقناعًا فحسب.

أحبطني ذلك، اهتز هاتفي في جيبي، انتظرت حتى أعطاني جونا ظهره، ثم أخرجت الهاتف ووضعته على المكتب، فتحت الشاشة وقرأت رسالة ميلر: «لديَّ إجازة اليوم، أتودين أن نعمل على فيديو التقديم في المشروع؟».

- أجل، لكني لا أود الجلوس مع أمي حاليًا، هل يمكننا أن نقوم بذلك في منزلك؟

- بالتأكيد، تعالي نحو الساعة الخامسة، لأنني يجب أن أصطحب جرامبس إلى الطبيب في الثالثة، لذلك لن أراكِ بعد المدرسة.

كان ميلر في انتظاري في الشرفة حين ركنت السيارة في ممر منزله في الخامسة وعشر دقائق، هرع نحو سيارتي، وركب في مقعد الراكب قبل أن أنزل من السيارة.

- جرامبس نائم، لنذهب إلى ميونشيز أولًا، لنتركه يرتاح قليلًا.
- ما هو ميونشيز؟

نظر إليَّ ميلر بذهولٍ كأني قلت ما يستدعي الدهشة: «ألم تذهبي من قبل إلى ميونشيز؟ شاحنة الطعام؟».

هززت رأسي: «لا».

بدا مندهشًا تمامًا: «أتقصدين أنكِ لم تتناولي ماك أبدًا؟».

- هل ذلك طعام؟

ضحك، ربط حزام الأمان: «هل ذلك طعام؟» قال وهو يقلدني، ثم أردف: «آمل أن تكوني جائعة، لأنكِ موشكة على خوض أفضل تجربة في حياتكِ».

بعد ذلك بخمس عشرة دقيقة، كنت أجلس على طاولة نزهة، محدقة إلى الكاميرا التي وضعها ميلر على الحامل قبل أن يذهب ليطلب طعامنا، كانت موجهة نحوي مباشرة، قال إنه سيبدأ في تصوير أشياء عشوائية حين نكون معًا، لأن من الجيد أن يكون لدينا لقطات إضافية من أجل مشروع الفيلم أو «بي- رول» كما أشار إليها، يتحدث في بعض الأحيان كأنه مخرجٌ فعلًا.

أخبرني ألا أحدق إلى الكاميرا مباشرة أبدًا، لأننا نحتاج إلى أن نتظاهر أنها غير موجودة، لذلك فقد حدقت بالطبع، صانعة تعبيرات بوجهي طوال وقوفه في طابور شاحنة الطعام.

بصراحة لم أرَ ميلر أبدًا متحمسًا بهذه الطريقة لشيء ما، أصبحت في الحقيقة أشعر بالغيرة من هذه الشطيرة أكثر مما كنت أشعر تجاه شيلبي، فهو متحمس جدًّا لها.

على ما يبدو فإن الماك عبارة عن شطيرة جبن مشوي محشوة بالمعكرونة والجبن، التي غُليت في الماء المقدس، حسنًا، الماء المقدس ليس من ضمن مكوناتها فعلًا، لكن بالطريقة التي تحدث بها عنها، لن أتفاجأ إذا كان من مكوناتها.

حين دنا من الطاولة، وضع الصينية أمامي، جاثيًا على ركبة واحدة، كأنه يقدم هدية لملكة، ضحكت وجذبت الصينية منه، وأخذت إحدى الشطائر، جلس بجواري وليس أمامي، مفرجًا ساقيه على الدكة، أحببت ذلك، يروقني كم يود أن يكون قريبًا مني.

حين أزلنا الغلاف، انتظر أن آخذ قضمة من الشطيرة لأنه أراد أن يرى رد فعلي على أول قضمة، قربت الشطيرة من فمي: «أشعر أنني مرغمة أن أحبها».

- ستحبينها.

أخذت قضمة ثم أسندت ذراعي إلى الطاولة بينما أمضغها، كان طعمها لذيذًا، هي ليست فقط أكثر خبز مقرمش وزُبديَّ الطعم تناولته في حياتي، لكن المعكرونة والجبن ساخنتان جدًّا ويذوبان في الفم، انبهرت بطعمها تمامًا، لكنني هززت كتفي لأني أحب إغاظته: «لا بأس بها».

مال إلى الأمام وقال بدهشة: «لا... بأس بها؟».

أومأت: «طعمها شطيرة».

- نحن على وشك أن ننفصل.

- الخبز بائتٌ قليلًا.

- أكرهكِ.

- طعم الجبن صناعي.

وضع شطيرته على الطاولة، أمسك هاتفه، وفتح إنستجرام: «سألغي متابعتي لكِ ثانية».

ضحكت بعد أن بلعت أول قضمة، ثم طبعت قبلة سريعة على خده: «ذلك أجمل شيء تذوقته في حياتي».

ابتسم: «فعلًا؟».

أومأت ثم هززتُ رأسي: «ثاني أجمل شيء بعد مذاق شفتيك بعد أن تتناول المصاصات».

«هذا كاف بالنسبة إليَّ»، التقط شطيرته وأخذ قضمة، تأوه، الصوت الذي أصدره جعل وجنتيَّ تحمرَّان قليلًا، لا أعتقد أنه لاحظ ذلك، لأنه قضم قطعة صغيرة من الخبز، ووضعها على الطاولة بجوار نملة، فحملتها النملة ومضت بها بعيدًا.

قبَّل ميلر خدي، ثم أخذ قضمة أخرى من الشطيرة: «هل فكرتِ في نوع الفيلم الذي سنصوره؟».

هززتُ رأسي، ومسحت شفتيَّ بمنديلٍ، مدَّ يده ومسح بإبهامه شيئًا على فمي قائلًا: «ليس لدينا وقتٌ طويلٌ».

- لدينا ثلاثة أشهر.

- ذلك ليس وقتًا طويلًا، أمامنا الكثير من العمل.

«تبًّا» قلت بنبرة ساخرة مضيفة: «أعتقد أن ذلك يعني أننا سنضطر إلى قضاء الكثير من الوقت معًا».

أمسك شطيرته بيدٍ واحدة، ومسد ساقي بيده الأخرى بينما نأكل، هو حنون جدًّا، ولا يخشى تقبيلي في الأماكن العامة أو أمام الكاميرا، أعتقد أننا سيتم احتجازنا أكثر من مرة هذا العام.

«توقفي عن النظر إليها» قال مشيرًا إلى الكاميرا.

«لا أستطيع» قلت مشيحة بنظري بعيدًا: «هي أمام وجهينا مباشرة».

- وتودين أن تكوني ممثلة؟

لكزته بمرفقي: «هذا مختلفٌ، هذا» لوَّحت للكاميرا: «محرج».

اعتادي ذلك لأنني أريد الكثير من اللقطات لأعمل عليها، أريد الفوز هذا العام، آخر مرة قدمت فيها، حصدنا المركز الرابع.

- في المنطقة كلها؟

- في الولاية.

- ماذا؟ ميلر، هذا رائع!

هزَّ كتفيه: «ليس رائعًا، المركز الرابع لا ينتبه له أحدٌ، فهم ينشرون الأفلام الحاصلة على المراكز الثلاثة الأولى فقط على اليوتيوب، ولا أحد يهتم بالمركز الرابع، قررت أن نحصل أنا وأنتِ على المركز الأول».

مال نحوي وقبَّلني، ثم رجع إلى الخلف وأخذ قضمة أخرى من شطيرته: «هل يزعجك أنني أقبلكِ كثيرًا؟» كان يتحدث وفمه مملوء بالطعام، لكنه بدا لطيفًا.

- وكيف ينزعج أي شخص من ذلك، بالطبع لا.

- جيد.

- أحب أنك حنون.

هزَّ رأسه، ماسحًا فمه بمنديلٍ قائلًا: «هذه هي المشكلة، فأنا لست حنونًا، ولم أكن هكذا مع شيلبيً».

- لماذا يختلف الأمر معي؟

هزَّ كتفيه: «لا أعرف، حاولت أن أفهم ذلك، أنا فقط لم أشتهِ شيئًا أكثر منكِ في حياتي».

جعلني تعليقه أبتسم، لكني رفعت حاجبي مغيظة له: «لا أعرف يا ميلر، كنتَ سعيدًا جدًّا بسبب شطيرة».

كان لا يزال متبقيًا من شطيرته نصفها، لكن بمجرد أن قلت ذلك حتى وقف ومشى نحو سلة مهملات قريبة منَّا، وألقى بنصف شطيرته

بها، ثم جلس مسترخيًا وقال: «تلك الشطيرة لا تعني شيئًا بالنسبة إليَّ، أفضِّل أن ألتهم لسانكِ بفمي بدلًا من هذه الشطيرة».

قطبت أنفي باشمئزاز، ورجعت إلى الخلف قائلة: «أمن المفترض أن يكون ذلك مثيرًا؟ لأنه لم يكن كذلك».

ضحك، جذبني نحوه، ولامس شفتيَّ بشفتيه، لكنها لم تكن قبلة لطيفة، كانت باللسان والخبز، دفعته بعيدًا: «لا يزال في فمك طعام»، وملأتُ فمي برشفة من مشروبي، كان مشروبه قد فرغ بالفعل، فأخذ مشروبي وشرب بعضًا منه.

بعد لحظة، نظر بتوقٍ إلى سلة المهملات وتنهَّد قائلًا: «ألقيت بها لأوصل إليكِ فكرة، لكني أريد فعلًا أن آكل باقيها»، عاود النظر إليَّ: «هل سيكون مقرفًا إذا أخرجتها من سلة المهملات؟».

ضحكت: «أجل، ولن أقبِّلك ثانية أبدًا، أعطيته المتبقي من شطيرتي: «يمكنك أن تأكل بقية شطيرتي، أنا لست جائعة».

أخذ شطيرتي وأكلها، ثم أنهى شرابي، جمع كل القمامة وألقاها بعيدًا، ثم عاد إلى الطاولة، وجلس مرة أخرى على الدكة منفرج الساقين، جذبني نحوه، وضع جبينه على جبيني وابتسم، ثم رجع إلى الخلف، وأرجع خصلة من شعري خلف أذني: «أعتقد أنني مستبصرٌ، كنت أعرف أننا سنكون جيدين معًا يا كلارا».

- أنت لست مستبصرًا، نحن معًا منذ أقل من أسبوع، يمكن أن تتدهور علاقتنا قبل الغد.

- لن يحدث ذلك، داخلي إحساسٌ جميلٌ تجاه علاقتنا.

- هذا مجرد انجذابٍ، وليس حاسة سادسة.

- هل تعتقدين أن هذا كل ما في الأمر؟ انجذاب؟

- وماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ نحن بالكاد نعرف بعضنا.

- تخليت عن نصف شطيرة لأجلك، ذلك أكثر من مجرد انجذاب.

ضحكت: «أنت محقٌّ، كانت هذه لفتة عظيمة جدًّا»، ملت نحوه وقبَّلته، لكني حين بدأت أرجع إلى الخلف، مال نحو الأمام، غير راغب في إنهاء القبلة، فملت نحوه أكثر وواصلت تقبيله.

لا أتصرف عادة بهذه الحميمية معه في الأماكن العامة، لكننا كنَّا الوحيدين في المكان، كنت مندهشة من أن شاحنة طعامٍ تُقدم مثل هذه الشطائر الرائعة ليست مزدحمة بزبائن أكثر.

ابتعد ميلر عني، ونظر إلى الكاميرا: «يجب أن نتوقف عن ذلك، أنتِ قاصر، ومن الممكن أن يُلقى القبض عليَّ إذا تحول ذلك إلى فيلم إباحي».

ضحكت كثيرًا، أحب فيه أنه يعرف كيف يُضحكني حتى حين لا تنتابني الرغبة في ذلك.

***

قبل أن نغادر شاحنة الطعام، طلب ميلر شطيرة من أجل جرامبس، أعطاه إياها حين دخلنا غرفة المعيشة.

«هل هذا ما ببالي فعلًا؟» سأل جرامبس.

- هو بعينه الذي لا يماثله شيء.

ابتسمت حين رأيت تلك الابتسامة التي ارتسمت على وجه جرامبس.

- سأظل دائمًا أقول لك إنك حفيدي المفضل.

«أنا حفيدك الوحيد» قال ميلر، وأخذ كوب جده، ومشى نحو المطبخ ليعيد ملأه.

«لهذا سترث كل ما أملكه» قال جرامبس.

ضحك ميلر قائلًا: «الكثير من الهواء على ما يبدو».

التفت جرامبس نحوي: «كلارا، صح؟»، أخذ يفك غلاف شطيرته، جلست على إحدى المقعدين الخضراوين وأومأت إليه بالإيجاب.

«هل أخبرتك من قبل عندما كان ميلر في الخامسة عشرة وكنَّا في المدرسة»، التفَّت يدٌ حول مقعد جرامبس، ونزعت الشطيرة منه، نظر جرامبس نحو يده الفارغة، وقال لميلر: «ما هذا؟».

جلس ميلر على المقعد الأخضر الآخر، محتجزًا طعام جده كرهينة: «عدني أنك لن تعيد حكي هذه القصة، وسأعيد لك شطيرتك».

«بربك يا ميلر» قلتُ متذمرة: «حرمتني مرتين من سماعها».

نظر إليَّ جرامبس معتذرًا: «آسف يا كلارا، أود أن أخبرك بها، لكن هل تناولتِ ماك من قبل؟».

أومأت بتفهم: «لا بأس، في يومٍ من الأيام سآتي حين لا يكون ميلر هنا، وترويها لي».

أعاد ميلر الشطيرة إلى جرامبس قائلًا: «أنا وكلارا لدينا مشروع يجب أن نعمل عليه، لذا سنجلس في غرفتي».

- لا داعي لأن تكذب عليَّ، كنت في السابعة عشرة ذات يوم.
- لا أكذب، علينا فعلًا أن نعمل على المشروع.
- قُل ما تشاء.

أدار ميلر عينيه في ضيقٍ وهو ينهض واقفًا، أمسك يدي وجذبني لأقف قائلًا: «أعتذر نيابة عن جدي».

- لِمَ؟ فقد كذبت عليه، ليس لدينا مشروع لنعمل عليه.

أدار ميلر عينيه بامتعاض: «بلى، لدينا»، ثم نظر إلى جدِّه باستنكار: «ليس مسموحًا لكما بقضاء الوقت معًا بعد الآن، تشبهان بعضكما جدًّا».

ابتسم جرامبس لي بينما كنَّا في طريقنا خارج غرفة المعيشة، اختلست النظر إلى حمامها ونحن نعبر الردهة، لاحظ ميلر توقفي قليلًا، كانت هناك عدة عبوات دواء مرصوصة على المنضدة، انقبضت معدتي بمجرد أن تذكرت مرض جده.

حين دخلنا غرفة ميلر، لاحظ تغيُّر مزاجي فسألني: «هل تفكرين في جرامبس؟».

أومأت: «أجل، ذلك سيئ جدًّا».

خلع حذاءه، واستلقى في منتصف الفراش، وربت على جانب المرتبة لآتي وأستلقي بجواره، خلعت حذائي، وانسللت إلى الفراش، استلقيت بجانبه، ولففت ذراعي حوله.

- ماذا قال الطبيب لكما اليوم؟

أرجع شعري إلى الخلف، ممررًا أصابعه عليه من الأعلى وحتى الأطراف: «تحدثنا عما يتوقع حدوثه خلال الأشهر القليلة القادمة، ليس آمنًا بالنسبة إليه أن يبقى هنا بمفرده حينما أكون في المدرسة، لذا سوف يقدمون إليه رعاية صحية خاصة قريبًا، وحينما يحدث ذلك، سيمكث معه مرافق صحي هنا معظم الوقت، سيكون ذلك مريحًا، لأني لن أضطر إلى ترك المدرسة».

اعتدلت في جلستي ساندة إلى مرفقي: «هل كان ذلك فعلًا خيارك الوحيد؟».

- أجل، ماتت والدتي حين كنت في العاشرة، وهو والدها، لديَّ عم يعيش في كاليفورنيا، لكنه لا يساعدنا كثيرًا، أقاربنا الآخرون يمرون علينا كثيرًا ليتأكدوا أن لدينا ما نحتاج إليه، لكني عشت معه وحدنا منذ أن كنت في العاشرة، لذا تقع معظم المسؤولية على كاهلي».

لم أكن أعرف أن والدته وافتها المنية: «أنا آسفة»، هززت رأسي: «هذه ضغوط كثيرة على شخص في عمرك».

وضع ميلر يده على خدي: «أنتِ في السادسة عشرة فقط، وانظري إلى ما مررتِ به، الحياة ليس لديها عزيز»، جذب رأسي نحو صدره مردفًا: «لا أريد أن أتحدث عن ذلك أكثر، لنتحدث عن شيء آخر».

كانت رائحته طيبة، كانت تنبعث منه رائحة الليمون هذه المرة، سألته:

- متى عيد ميلادك؟

- الخامس عشر من ديسمبر.

صمت لبرهة ثم أردف: «عيد ميلادك الأسبوع المقبل، أليس كذلك؟».

أومأت بالإيجاب، لكني وددت نسيان ذلك، فمع عيد ميلادي سيأتي عشاء عيد الميلاد المعتاد، لكنها ستكون المرة الأولى من دون أبي وخالتي جيني، لم أرد التفكير في الأمر، لذا غيَّرت الموضوع: «ما هو لونك المفضل؟».

- ليس لديَّ لون مفضل، أحب جميع الألوان عدا البرتقالي.

- فعلًا؟ أحب البرتقالي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«لا يجب أن تحبيه، هذا لون بشع» قال مردفًا: «ما أقل الألوان تفضيلًا بالنسبة إليكِ؟».

- البرتقالي.

- لكنكِ قلتِ للتو أنك تحبينه.

- جعلتني أتشكك في ذلك، كأن هناك شيئًا خاطئًا به لا أعرفه.

- هناك الكثير من الأشياء الخاطئة باللون البرتقالي، هو لا يتناغم حتى مع أي شيء.

- هل لا تحب اللون أم الكلمة نفسها؟

- الاثنين، أكره كليهما.

- هل هناك شيء محدد وراء هذه الكراهية الهائلة؟

- لا، أكرهه بالفطرة على ما أعتقد، ربما ولدت وبداخلي كراهية له.

- هل تكره درجة معينة منه؟

- أكره كل درجاته، من المانجو حتى المرجاني.

ضحكت قائلة: «هذه أسخف محادثة خضتها في حياتي».

- أجل، محادثة سخيفة فعلًا، ربما يجب علينا أن نتبادل القبلات فقط.

أخرجت رأسي من صدره، ونظرت إليه قائلة: «أسرع، لأني بدأت أنسى سبب انجذابي إليك حتى».

ابتسم وتقلَّب حتى أصبح فوقي، أخذ يمسد شعري وهو يبتسم: «أتحتاجين إلى تَذكِرة؟».

أومأت، كانت تلك أول مرة يتلامس فيها جسدانا إلى هذه الدرجة، تبادلنا القُبل من قبل ونحن واقفان، قبَّلنا بعضنا في الشاحنة، تبادلنا القُبل ونحن جالسان، لكننا لم نُقبِّل بعضنا أبدًا من قبل على الفراش.

كان جسده بين ساقيَّ، وضع فمه على فمي، لكنه لم يقبِّلني، بل قام بعدل الوسادة أسفل رأسي، ثم أزاح الأغطية بعيدًا، فعل كل ذلك وشفتاه بالكاد تلامس شفتيَّ.

- سيستغرق هذا وقتًا طويلًا على ما يبدو.

- أريدكِ أن تكوني مرتاحة.

أبقى على فمه بالقرب من فمي، رفع رقبتي قليلًا، ثم رفع شعري من أسفل رأسي، ووضعه على كتفي، قال هامسًا وشفتاه تلامس شفتيَّ: «مستعدة؟».

كدت أضحك، لكن ميلر أوقف ضحكي بلسانه الذي اخترق شفتيَّ، فتحولت ضحكتي الوشيكة إلى شهقة، بدا الأمر مختلفًا ونحن على هذا الوضع، كان أفضل وهو فوقي هكذا، كانت قبلته لطيفة وهو يمرر لسانه ببطء على لساني، ويمرر أصابعه ببطء على ذراعي، بينما أمرر أصابعي على ظهره.

بدأت أشعر بشيء صلب بين ساقيَّ، فاجأني ذلك وأشعرني بالثقة في الوقت نفسه، لففت ساقيَّ حول خصره لأخفف الألم الذي بدأت أشعر به، لكن ذلك زاد الأمر سوءًا، فأصبح يقبِّلني بشبق، وهو يدفع جسده داخلي، حتى تأوَّهت، توقَّف عن تقبيلي لثانية كأن تأوهي أحدث بداخله شيئًا، لكنه بعدها عاود ملامسة شفتيه بشفتيَّ برغبة أشد.

رفعت الجزء الخلفي من قميصه، أردت الشعور بملمس جلده على راحتيَّ، مررت يديَّ على ظهره حتى وصلت إلى انحناءات عضلات كتفيه المشدودة، كنت أشد قميصه بقوة، أردت أن أخلعه عنه، استجاب لرغبتي وابتعد عني لثلاث ثوانٍ خلع خلالهما قميصه، وألقاه على الأرض.

بعد أن خلع قميصه، لم نبقَ في هذا الوضع سوى دقائق قليلة، لكن لم تخف حدة شهوتنا أيضًا، فجلسة تبادل القُبل تلك أتعبتنا وزادت رغبتنا، ولم نعُد على الإطلاق في مزاجٍ يسمح لنا بالعمل على مشروعنا.

تقلَّب ميلر أخيرًا، ونام على جانبه، لكن فمه ظل ملامسًا لفمي، قبّلنا بعضنا بهذه الطريقة لمدة دقيقة، لم يكن هذا الوضع مثيرًا، لكنني أعتقد أنه تعمَّد ذلك، كان يحاول إبطاء الأمور بيننا.

أغمض عينيه بعدما توقف أخيرًا عن تقبيلي، وضع جبينه على جبيني، ووضع يده على صدري، شعرت بقلبي يخفق بقوة أسفل راحة يده.

حين ابتعد، فتح عينيه وابتسم لي قائلًا: «أتعرفين ما السيئ أيضًا في اللون البرتقالي؟».

ضحكت: «ماذا؟».

- استخدم كل المشاهير ذلك المربع البرتقالي للإعلان عن مهرجان فير[1]، وانظري ما آلت إليه الأمور.

- معك حق، اللون البرتقالي هو أسوأ لون.

---

(1) "Fyre Festival" هو مهرجان موسيقي نظَّمه مغني الراب جا رول وشريكه، بيلي مكفارلاند في جزيرة إكسوما الكبرى في البهاما، وروَّج له المشاهير بنشر صورة مربع برتقالي على حساباتهم على إنستجرام بهاشتاج يحمل اسمه، لكن بدلًا من أن تكون هذه التجربة فاخرة كما رُوِّج للمهرجان، تعرَّض ضيوفه للعديد من المضايقات والهجمات المرعبة والسرقة والضرب من قِبَل السكان المحليين، بالإضافة إلى سوء التنظيم، وتقديم طعام سيئ للضيوف، وهكذا تحوَّل الأمر من تجربة فاخرة إلى تجربة مرعبة للزوار.

استلقى على ظهره، محدقًا إلى السقف، ساد الهدوء للحظة، لكن قلبي ظل يدق بسرعة.

«هل تريدينني أن أتوقف؟» سألني.

- تتوقف عن ماذا؟

- تقبيلكِ.

هززت كتفيَّ: «بلى، كنت مستمتعة بذلك».

- لم أكن متأكدًا من ذلك، لم أرغب أن أتعجل الأمر، لكني وددت فعلًا أن أخلع عنكِ قميصكِ، ليس حمالة صدرك، وإنما قميصكِ فقط.

- لا أمانع ذلك.

رفع حاجبه: «فعلًا؟».

- بالتأكيد.

- هل حمالة صدركِ برتقالية؟

- لا، إنها بيضاء.

«جيد» تقلب مجددًا وأصبح فوقي مرة أخرى، وبدأ في تقبيلي ثانية، يكفي القول إننا لم ننجز أي شيء في المشروع، لكنه أيضًا ظل ملتزمًا بكلمته، ولم يحاول حتى خلع حمالة صدري.

الفصل الثالث والعشرون
مورجان

استيقظت على صوت اهتزاز هاتفي على الكومود، نظرتُ إلى النافذة، لكن الشمس لم تكن أشرقت تمامًا بعد، لا أحد يتصل بي في هذا الوقت المبكر.

مددتُ ذراعي والتقطت الهاتف، فرأيت اسم جونا على الشاشة، ألقيت الهاتف على الطاولة، واستلقيت مجددًا على وسادتي.

كان الموقف صعبًا، لأني أريد أن أبعد نفسي عنه، وفي الوقت نفسه أريد رؤية إيليا، من السيئ أن يكون جونا وإيليا «حزمة» واحدة.

آمل أن نتمكن من وضع جدول زيارات، سيكون من الأفضل لو لم نضطر إلى أن يذهب كل منا إلى منزل الآخر لتبادل إيليا، يمكننا أن نطلب «أوبر» لتوصيل إيليا في الذهاب والعودة، تلك الفكرة أضحكتني، توصيل الأطفال عبر «أوبر» من منزل إلى آخر، تساءلت عما إذا كان هناك حد أدنى لعمر ركاب «أوبر».

رنَّ هاتفي، جاءتني رسالة، مددتُ ذراعي إلى الطاولة وجذبت هاتفي ورفعته أمام وجهي، جلست في الفراش حين رأيت عدد المكالمات الفائتة والرسائل التي جاءتني من جونا، أبعدت الأغطية ووقفت، ضغطت بسرعة على الشاشة لأعاود الاتصال به، أجاب مع أول رنين: «مورجان؟».

- هل إيليا بخيرٍ؟

تنهد جونا بارتياحٍ حين سمع صوتي: «آسف لأني أطلب منكِ ذلك، لكنه ظل مستيقِّظًا طوال الليل، وهو مصاب بالحمى، لذا لا يمكنني أن أصطحبه إلى الحضانة، لكن لا يمكنني التغيب عن العمل اليوم، لأنه يوم اختبار الطلاب الجُدد، وبعد انتهاء المدرسة لديَّ مؤتمران..».

«بالطبع» قلت وأنا أضع يدي على صدري، كان قلبي يدق بسرعة، ظننت أن هناك شيئًا أسوأ: «طبعًا، أحضره».

هدأ صوت جونا، بدا أقل توترًا: «لن أتمكَّن من استعادته إلا بعد السادسة».

- لا بأس، أشتاق إليه.

قضيت العشرين دقيقة التالية أطهو في المطبخ، بدا جونا متوترًا جدًّا وهو يحدثني عبر الهاتف، ولو أن إيليا كان مستيقظًا طوال الليل بسبب الحمى، فهذا يعني أن جونا سيحتاج إلى بعض الطاقة اليوم، اعتدت فعل ذلك لكريس، كنت أعد إفطارًا من فطائر البوريتو المحشوة بالبروتين، وأرسل حقيبة إليه في أيام العمل المزدحمة.

ربما أقوم بإعداد إفطار جونا أيضًا كنوع من الاعتذار، شعرت أنني كنت قاسية جدًّا معه الأسبوع الماضي، ربًما كنت شديدة القسوة معه منذ أن عاد إلى حياتنا، في كلتا الحالتين ستجعل فطائر البوريتو الوضع أفضل.

آمل أيضًا أن يكون ذلك بمنزلة خطوة إلى الأمامٍ في علاقتنا، ربما يمكننا التوصل إلى اتفاق، بحيث يظل إيليا محتلًا جزءًا كبيرًا من حياتي، ونتمكن أنا وجونا من بناء صداقة حقيقية، ظللت مستيقظة معظم الليالي الماضية أفكر فيما قاله لي في الممر، ورغم أنه زاد شعوري بالاستياء الذي كنت أحسُّه تجاهه، فإنني أدركت أيضًا أن المشاعر التي كان يتحدث عنها كانت شيئًا من الماضي.

كنَّا مراهقين في ذلك الوقت، كنَّا مختلفين، لم يقل إنه لا يزال يشعر بالشعور ذاته، بل قال ببساطة إنه كان يشعر بذلك.

مضت عدة أشهر حتى الآن على عودته إلى حياتنا، وما من شيء آخر فيما عدا تلك القبلة الوشيكة يشير إلى أنه لا يزال يحمل نفس المشاعر، لذا فمهما كان ما أعتقد أنه شعر به تجاهي حين كنا مراهقين، من الواضح أنه عالجه خلال السنوات التي كان فيها بعيدًا، وإلا ما كان سينام مع جيني حين تقابلا صدفة العام الماضي، ولم يكن سينتقل للعيش معها أو يوافق على الزواج بها، إذا كان لا يزال يحملٍ مشاعر نحوي؛ ذلك يمنحني أملًا في إمكانية نجاح الصداقة بيننا فعلًا.

***

كنت أضع البوريتو في حقيبة بلاستيكية، حينما سمعت طرقًا على الباب، دعوت جونا إلى الدخول، لكني توقفت عما أفعله لثانية حين رأيته، كان متأنقًا اليوم، كان يرتدي قميصًا أسود ذا أكمام طويلة، وربطة عنق باللونين الأسود والفضي، كما حلق لحيته وقصَّ شعره أخيرًا، بدا أصغر عمرًا، كدت أعلق على مظهره الجميل، لكني تراجعت.

كان إيليا يبكي وهو جالس في مقعد السيارة، لذا فككت حزام الأمان، وأخرجته منه، كان دافئًا حين ضممته إلى صدري، «يا للمسكين»، يبدو أن لديه احتقانًا، سألته: «هل أعطيته أي شيء؟».

أومأ جونا، وأخرج زجاجتي دواء من حقيبة الحفاضات: «اصطحبته إلى قسم الطوارئ في منتصف الليل، أعطوني هذين الدواءين، وقالوا لي أن أبدِل بينهما كل أربع ساعات»، أمسك أحدهما: «أعطيه هذا بعد ساعتين».

وضع الحقيبة جانبًا: «وضعت ملابس إضافية، ربما تحتاجين إليها اليوم».

- أخذته إلى قسم الطوارئ؟ هل نمت؟

كأن سؤالي ضغط على الجرح، فقد تثاءب، وغطى فمه بقبضة يده، هزَّ رأسه قائلًا: «سأكون بخير، لديَّ بعض الوقت لأمرَّ على ستاربكس»، فتح باب غرفة المعيشة ليغادر.

«انتظر»، ذهبت إلى المطبخ وأخذت كيس فطائر البوريتو، وعدت مسرعة لأمنحه إياه قبل أن يرحل: «أعددت ذلك لك، إفطار بوريتو، يبدو أن أمامك يومًا طويلًا».

نظر إليَّ جونا بامتنانٍ وهو يأخذه مني قائلًا: «شكرًا لكِ»، بدا في صوته بعض الدهشة، حاولت ألا أسمح لذلك أن يسعدني، لكنه فرحني، من الجيد أن أفعل شيئًا لطيفًا له، فقد تعاملت معه بقسوة لفترة طويلة جدًّا.

- سأرسل إليك رسائل لأطمئنك على إيليا، لا تقلق، هو في أيدٍ أمينة.

ابتسم جونا: «ليس لديَّ شك في ذلك، أراكِ الليلة».

بمجرد أن رحل حتى ظهرت كلارا، كانت ترتدي ثياب المدرسة، رأت إيليا بين ذراعيَّ فأشرق وجهها، ومددت ذراعيها أمامها قائلة: «أعطيني إياه».

ناولته لها: «أنه مريض، لا تقبِليه، حتى لا تلتقطي العدوى منه».

ضمَّته إلى صدرها وقبَّلت جبينه رغم ذلك: «الأطفال المرضى يحتاجون إلى كل القبلات الممكنة».

كانت محقة، فحين كانت طفلة، كانت كلما اشتد عليها المرض، احتضنتها وقبَّلتها أكثر، كنت أرغب فقط أن آخذ منها كل آلامها وأوجاعها، يا إلهي كم أفتقد تلك الأيام.

أنا واثقة أنه في وقت ما في المستقبل القريب، سأفتقد هذه الأيام أيضًا، كانت علاقتنا أنا وكلارا سيئة هذا العام، لكني أعلم أنني

سأفتقد هذه الأيام، بعد أن تترك كلارا المنزل، وتبدأ حياة خاصة بها، سوف أفتقد كل شيء، مشاجراتنا، الصمت، السلوك المتمرد.

«لِمَ تنظرين إليَّ هكذا؟» سألتني كلارا.

ابتسمت وجذبتها نحوي لأحضنها، كانت تحمل إيليا، لذا لم تتمكن من عناقي، لكن يكفي أنها لم تبتعد عن حضني، قبَّلتها على جانب رأسها: «أحبكِ».

حين رجعت إلى الخلف، نظرت إليَّ بدهشة، لكنها ابتسمت بعدها، وقالت: «أنا أيضًا أحبك يا أمي».

مشت نحو الأريكة لتضع إيليا عليها.

- أعددت وجبة إفطار من البوريتو، تركت لكِ بعضًا منها على المنضدة.

ابتهجت كلارا وسألتني: «لحم مقدد أم نقانق؟».

- كلاهما.

«أجل» قالت هامسة، ثم نظرت نحو إيليا قائلة: «أحبك يا صديقي، لكن لديَّ إفطارًا لأتناوله».

***

أرسلت رسالة إلى جونا في نحو العاشرة، لأخبره أن درجة حرارة إيليا انخفضت قليلًا، رد عليَّ عند الظهيرة.

- هل نام؟

- ليس كثيرًا، لكني أراهن أنه سيسقط في النوم بمجرد أن تذهب الحمى.

- آمل أن ينتظر حتى أكون مستعدًّا للنوم، ذلك أطول يوم في حياتي، وما زلنا في الظهيرة فحسب، بالمناسبة الإفطار كان رائعًا، شكرًا لكِ.

- لديَّ لحم مشوي في الطنجرة، لن نأكله كله أنا وكلارا، يمكنك أن تأخذ بعضًا منه معك حين تأتي لاصطحاب إيليا.

- عظيم، شكرًا لكِ ثانية.

بعد ذلك بساعتين، جاءتني رسالة أخرى من جونا: «هل نام؟».

- أخذ قيلولة لمدة خمس عشرة دقيقة، لا تزال لديه حمى، لكنه لم يعد متململًا مثلما كان.

بعد ذلك جاءتني رسالة من كلارا: «أنا وميلر نحتاج أن نعمل على مشروعنا بعد المدرسة، سنجلس في ستاربكس».

- أي مشروع، تلك أول مرة أسمع فيها عن ذلك المشروع مع ميلر.

- جعلنا جونا شريكين في التقديم لمشروع الفيلم الخاص بـ « UIL»، لدينا أقل من أربعة أشهر لننجزه.

أرسلت رسالة إلى جونا: «هل جعلت كلارا شريكة لميلر آدامز في مشروع الفيلم؟».

- أجل، هل في ذلك مشكلة؟

- أفترض ذلك لعدة أسباب، فقد عرَّفها طريق المخدرات، كما أن كريس طلب منها أن تبتعد عنه.

- ميلر ليس بالسوء الذي تظنينه، لم يكن كريس يعرفه حتى، لذا فإن رأيه لا يُحتسب.

- كوَّنت رأيي الشخصي عن ذلك الشاب، فقد حثَّ كلارا على ترك جنازة والدها، وجعلها تتعاطى المخدرات، ووفقًا لرسالة صوتية تلقيتها من المدرسة، فقد احتُجز كلاهما الأسبوع الماضي بسبب تبادل القبلات، لم تفعل أيًّا من ذلك قبل أن يظهر هو في الصورة، وحتى إذا لم يكن هو السبب في تصرفاتها، ما زلت أفضل أن تكون

مع شخص يُثنيها عن تلك التصرفات، بدلًا من أن يكون من نوع المراهقين الذي يشجعها على تصرفاتها.

- لا أظن أن هذا النوع من المراهقين موجود في الحياة الواقعية.
- كلامك لا يطمئنني.

انتظرت رده، لكني لم أتلقَّ ردًّا منه.

***

أمضيت بقية فترة ما بعد الظهر أحاول إبقاء إيليا مستيقظًا، حتى ينام وقت نوم جونا، لكن بمجرد أن بلغت الساعة السادسة، لم يعد هناك أمل لإبقائه مستيقظًا، أصبح في عالم آخر، ارتخى جسده الصغير بين ذراعيَّ، كان مستغرقًا في نوم عميق وأنا أضعه في فراشه، زالت الحمى عنه أخيرًا منذ ساعتين، لذا أعتقد أن الأسوأ قد مضى، لكني أشعر أن إيليا سيظل مستيقظًا طوال الليل مع جونا، بعد نومه لبضع ساعات، ربما يجب أن أعرض إبقاء إيليا معي الليلة حتى يرتاح جونا.

أخرجت هاتفي لأرسل إلى جونا رسالة أخبره فيها بذلك، لكنه قرع الباب الأمامي في تلك اللحظة، نظرت إلى إيليا، لم يجعله صوت الباب يجفل حتى، حين فتحت الباب همست قائلة: «نام للتوِّ».

لم يعُد جونا يرتدي ربطة عنق، كان الزرَّان العلويان من قميصه مفككين، وأصبح شعره أكثر فوضوية مما كان عليه في الصباح، لكن شكله بدا أفضل من الصباح، رغم الإرهاق الذي بدا عليه، لماذا تدور هذه الأفكار في ذهني حتى؟

طلبت منه أن يدخل المطبخ حتى أعد له طبقَ طعامٍ ليأخذه معه، أخرجت علبة «تابر وير» من الخزانة.

«هل أكلتِ؟» سألني جونا.

- لا.

«سآكل هنا إذن» فتح الخزانة المجاورة لي، حيث أضع الأطباق، وأخرج طبقين، أعدت علبة «تابر وير» إلى الخزانة، وأخذت طبقًا منه، ذلك أمرٌ جيدٌ، وعادي، فالأصدقاء يتناولون الطعام معًا.

أعددنا طبقينا وجلسنا إلى الطاولة، كما يحدث عادة حين يتناول شخصان وجبة معًا، لكننا لم نقم أنا وجونا بذلك من قبل من دون كريس وجيني، شعرت كأن هناك حفرتين كبيرتين في المكان تشفطان الإحساس بالراحة.

«طعمه جميلٌ جدًّا» قال جونا، وهو يأخذ قضمة أخرى مضيفًا: «كان طعم البوريتو جميلًا أيضًا».

- شكرًا لك.

- هل كل ما تطهينه جميل هكذا؟

أومأت برأسي بثقة: «أنا طباخة ممتازة، كان كريس يكره تناول الطعام في الخارج، ويقول إن المطاعم لا تُقارن أبدًا بما يتناوله في المنزل».

«كيف لم يكن بدينًا؟ سأصبح بدينًا جدًّا إذا تناولت هذا كل يوم».

- كان يتمرَّن مرتين يوميًّا كما تعلم.

بدا غريبًا أن نتحدث عن كريس كأننا لا نكرهه، لكني أحببت ذلك، أود في النهاية أن أتذكر كل الذكريات الجميلة من دون أن يرافقها ظلٌ لذكريات سيئة، كان لدينا الكثير من الذكريات الجميلة معًا.

- أين كلارا؟

أشرت بشوكتي نحوه: «مع ذلك الفتى، هذا كله بسببك».

ضحك جونا: «لا يزال بالنسبة إليَّ أحد طلابي المفضلين، لا أهتم برأيك فيه».

- وكلارا، أي نوع من الطلاب هي؟

- كلارا ممتازة.

- لا، قل الصدق، لا تخبرني بما أود سماعه، أريد أن أعرف كيف تبدو حين لا تكون معي.

نظر إليَّ للحظة ثم قال: «هي جيدة يا مورجان، جيدة فعلًا، تسلِّم واجباتها المدرسية دائمًا في موعدها، وتحصل على درجات جيدة، لا تسيئ التصرف في الفصل، كما أنها طريفة، أحب حسَّها الساخر»، ابتسم مردفًا: «أخذت ذلك منكِ».

- تشبهني كثيرًا حين كنت في عمرها.

- تشبهكِ كثيرًا الآن، أنتِ لم تتغيري.

ضحكت بفتور: «حسنًا».

نظر إليَّ بجدية: «لم تتغيري إطلاقًا».

خفَّضتُ بصري نحو الطبق، وتناولت الطعام من دون تركيز: «لا أعرف ما إذا كانت تلك مجاملة، من المثير للشفقة أنني لا أزالُ الشخص ذاته الذي كنته في السابعة عشرة، بلا تعليم، بلا خبرة عملٍ، ليس لديَّ شيء واحد أكتبه في سيرتي الذاتية».

حدَّق جونا إليَّ للحظة، ثم نظر إلى طبقه، غرز شوكته في جزرة: «لم أكن أتحدث عن سيرتكِ الذاتية، كنت أتكلم عن كل شيء آخر، حس الدعابة لديكِ، حنانكِ، رزانتكِ، ثقتكِ بذاتك، وانضباطكِ»، توقف عن الكلام ليأخذ نفسًا سريعًا ثم أردف: «ابتسامتكِ»، قال وهو يضع قطعة من الطعام في فمه.

خفَّضتُ بصري، غابت عني تمامًا تلك الابتسامة التي أشار إليها، لأني شعرت أن كل ما قاله للتوِ، وكل مجاملة، كأنها سهامٌ تطعن قلبي، جعلني ذلك أتحسَّر، فقدت شهيتي، وقفت وألقيت بالطعام المتبقي في طبقي في سلة القمامة.

شطفت الطبق في الحوض، كنت أشعر بضيق في صدري، وكانت يداي ترتعشان، لم أحب أن يبدو عليَّ الارتباك أمامه، لكن الأصدقاء لا يقولون هذه الأشياء لبعضهم وفي أعينهم تلك النظرة التي كانت في عيني جونا للتوِ، لا تزال لديه مشاعر نحوي.

لا أعرف كيف أتعامل مع ذلك، لأنه يملأ ذهني بالكثير من الأسئلة، أتى جونا بطبقه الفارغ إلى الحوض، وغسله، أرجعت يدي إلى الخلف، وأمسكت بالمنضدة، وأنا أحدق إلى الحوض.

كان يقف بجواري ويحدق إليَّ، لم أستطع النظر إليه، أشعر بالحرج مما أحس به الآن، لكن لا يمكن إنكار هذه المشاعر، ذلك مربك، لأن كل ما أشعر به في الحقيقة هو الغيرة، وهو الشعور الذي كان يقبع بداخلي دائمًا، ولم أسمح لنفسي بالاعتراف به، لكن بداخلي غيرة، وهي صاخبة جدًا، وتجبرني على مواجهتها.

- لِمَ نمت معها العام الماضي؟

بمجرد أن تجاوز السؤال شفتيَّ، حتى ندمت عليه، لكن منذ ذلك اليوم الذي عادت فيه جيني إلى المنزل من جنازة والد جونا، وأخبرتني أنها قضت معه ليلة واحدة، والغضب يملؤني، شعرت بشكلٍ ما كأن جونا خانني، رغم أنه لم يكن مرتبطًا بي.

خطا جونا خطوة نحوي، لم نكن قريبين بما يكفي لنلمس بعضنا، لكننا قريبان بما يكفي ليبدو كأننا متلامسان: «لا أعلم، ربما لأنها كانت هناك» قال بهدوء مردفًا: «أو ربما لأنكِ لم تأتِ».

نظرت إليه بحدة: «لم أكن سأنام معك، إذا كان هذا قصدك».

«ليس هذا ما قصدته، ما أعنيه أنني كنتُ موجوعًا لأن والدي مات، ولأنكِ لم تكوني هناك، فحتى ولو لم نبقَ على تواصل، كنتِ تعرفين بشأن الجنازة، لأن جيني جاءت»، تنهَّد بأسفٍ: «ربما فعلت ذلك لأجرح مشاعركِ».مكتبة .. سُر مَن قرأ

- ذلك سببٌ بشعٌ للنوم مع أي شخص.

ضحك بفتور: «أجل، حسنًا، لا أتوقَّع منكِ أن تفهمي ذلك، لم تكوني مكاني أبدًا، لم تضطري إلى أن تقفي جانبًا وتشاهدي الفتاة التي تحبينها وهي تبني حياة مع صديقكِ المفضل».

جعلتني كلماته عاجزة عن التنفس، أبعد عينيه عن عينيَّ: «الغيرة قد تجعل الشخص يفعل بعض الأشياء القذرة يا مورجان».

اعتدل في وقفته، شاعرًا أنه بات ضيفًا ثقيلًا: «يجب أن أرحل».

«أجل» خرج صوتي أجش وغليظًا، تنحنحت قائلة: «يجب أن تغادر».

أومأ برأسه، بدا محبطًا لأني وافقته في ذلك، خبط الثلاجة براحة يده مرتين، ثم خرج من المطبخ.

بعدما لم يعُد معي في الغرفة نفسها، أعدت ملء رئتي بالهواء، لا يزال موجودًا حولي يجمع أشياء إيليا، لكنه توقف قبل أن يخرجه من فراشه، وعاد إلى المطبخ، وقف عند المدخل وحقيبة الحفاضات معلقة بكتفه.

- هل كان ذلك متبادلًا؟

هززت رأسي قليلًا، مُظهرة حيرتي: «لا أعرف ماذا تقصد».

- ما شعرت به نحوكِ، لم أكن متأكدًا من ذلك أبدًا، اعتقدت أحيانًا أنكِ تشعرين بالشعور ذاته، لكني كنت أعرف أنكِ لن تعترفي

بذلك أبدًا حينها بسبب جيني، لكن...أريد أن أعرف، هل شعرتِ بما شعرت به؟

عادت خفقات قلبي تدوي بشدة في صدري، لم يواجهني هكذا قطُّ، لم أتوقع ذلك، من الصعب أن تعترف بصوتٍ عالٍ لشخصٍ آخر بشيء اعترفت به لنفسك للتوِّ فقط.

ألقى جونا حقيبة الحفاضات على الأرض، ومضى داخل المطبخ، لم يتوقف إلا حين تلامس جسدانا وشفتانا، كان ذلك بمثابة صدمة لجسدي، أمسكت المنضدة خلفي بينما يده تعصر خديّ، غمرتني المشاعر وخشيت أن أتهاوى على الأرض.

ضغطت بكلتا راحتي يدي على صدره، كنت مستعدة تمامًا لأدفعه بعيدًا، لكني وجدت نفسي بدلًا من ذلك أقربه مني وأجذبه نحوي من قميصه بقبضتي يديّ، حين اخترق شفتيَّ بشفتيه، وشعرت بلسانه يلامس لساني، أحسست بقشعريرة في جسدي كله، كان ذلك كثيرًا جدًّا ومفاجئًا، كان صحوة وموتًا في الوقت ذاته، أدركت أنني أمضيت حياتي كلها أُقبِّل من الرجل الخطأ.

حصل جونا على إجابة لسؤاله بالطريقة التي أجبته بها، كانت هناك مشاعر متبادلة بالتأكيد، كانت دومًا كذلك، بغض النظر عن مدى الإنكار الذي راكمته فوق ذلك الانجذاب المتبادل، كان جسدي ملتصقًا بجسده بقوة، كأني خشيت أن يفرق بيننا شيء ما إذا أفلته، وقد حدث ذلك بعدها للأسف.

الفصل الرابع والعشرون
كلارا

«ماما».

تلك الكلمة الوحيدة التي استطعت قولها، لكنها كانت قوية بما يكفي لتضع بينهما مسافة خمسة أقدام، أشاحت والدتي ببصرها بعيدًا عني، بينما خفض جونا بصره نحو قدميه، كنت أحدق إليهما فحسب في ذهولٍ.

هززت رأسي، محاولة إقناع نفسي أنني لم أرَ ذلك للتوِّ، والدتي... تقبِّل خطيب أختها المتوفاة، والدتي... تقبِّل أعز أصدقاء زوجها المتوفي.

تراجعت خطوة من مدخل المطبخ، كأن الغرفة ملوثة بالخيانة وأخشى أن يصيبني شيء منها، أخذت والدتي نفسًا ثم نظرت إليَّ، وعيناها حمراوان من الدموع: «كلارا...».

لم أعطها الفرصة للشرح، لم أرغب حقًّا في معرفة سبب حدوث ذلك، هرعت نحو غرفتي لأني كنت في حاجة إلى أن أكون وحدي قبل أن يتمكنوا من اللحاق بي، صفقت بابي، وأغلقته عليَّ، وحتى أطمئن أكثر، وضعت الكومود خلفه.

«افتحي الباب يا كلارا» قالت والدتي، جاء صوتها باكيًا ومكتومًا من خلف الباب، وهي تطرق الباب بأصابعها.

«كلارا» قال جونا: «افتحي الباب من فضلك».

- اتركاني وحدي.

كانت أمي تبكي، سمعت جونا يعتذر، لكن صوته كان خافتًا جدًّا، أعرف أنه لم يكن يعتذر لي، بل لأمي، سمعتها تقول: «اذهب فحسب»، تلاشى صوت أقدامه تدريجيًّا في الردهة.

طرقت الباب ثانية قائلة: «افتحي الباب من فضلك يا كلارا، أنتِ لا تفهمين، الأمر... افتحي الباب فحسب».

أطفأت النور: «سأخلد إلى النوم، لا أريد التحدث إليكِ الليلة»، ارتميت على فراشي، توقف الطرق على باب غرفتي أخيرًا، وبعدها بدقيقتين سمعت صوت إغلاق الباب الأمامي.

حاولت أمي معي ثانية لأفتح الباب، لكني تقلبت على جانبي وتجاهلتها، غطيت أذني بالوسادة، أبعدت الوسادة بعد محاولات لتنظيم تنفسي استمرت بضع دقائق، توقفت الطرقات، تمنيت أن تتوقف نهائيًّا تلك المرة، سمعت صوت غلق باب غرفتها، مما يعني أن لديَّ حتى الصباح لأمنع نفسي عن قتلها.

نهضت من الفراش، وبدأت أذرع الغرفة جيئة وذهابًا، انتابني غضب عارم، كيف أمكنها فعل ذلك؟ ماتا منذ شهرين فحسب، اجتاحتني فكرة فجأة جعلتني أرتمي على الفراش ثانية، منذ متى وهي تفعل ذلك؟

بدأت أسترجع ما حدث خلال الأسابيع الماضية، جاء جونا إلى هنا عدة مرات منذ وفاة أبي وخالتي جيني، بدأت ذاكرتي تستعيد كل اللحظات بنظرة مختلفة تمامًا، تلك الليلة التي كانا يقفان فيها بالخارج في الظلام حين عدت إلى المنزل، الليلة التي أتى فيها لإصلاح الباب، اختلاقه لحجة أنه يحتاج إلى العودة في اليوم التالي لخلع الباب، ذلك الوقت الذي غادرا فيه المنزل معًا، وحين فحصت التطبيق، أظهر لي أن هاتف والدتي كان في فندق «لانجفورد»، كان ذلك بعد مضي أسبوع واحد فقط على رحيلهما.

أشعر أنني سأتقيأ، منذ متى وهما على علاقة؟ أشعر بالغباء الشديد، كان جونا يسألني عنها دائمًا في الفصل، متظاهرًا بقلقه عليها، هل إيليا كان مصابًا بالحمى فعلًا هذا الصباح؟ اللعنة، ربما بات جونا هنا الليلة الماضية، دون أن أعرف لأني كنت في غرفتي، هذا يفسر سبب وجوده هنا مبكرًا جدًّا، لِمَ قامت أمي أخيرًا بإعداد الإفطار للمرة الأولى منذ ما قبل وفاة أبي.

دعوت ألا يكون أبي قد علم بذلك، طوال الوقت كنت أشعر بالذنب الشديد، لاحتمالية أن يكون لي يدٌ في تدمير حياتهم جميعًا، لكن جونا وأمي دمَّرا حياتنا جميعًا من قبل الحادث!

كيف استطاعت أمي أن تفعل ذلك بجيني؟ ليس لديَّ أخت، لكن أي نوع من البشر يفعل ذلك بأحدٍ من لحمه ودمه؟ صرت أكرهها كراهية شديدة، أكرهها كثيرًا ولا أريد التحدث معها ثانية أبدًا، أبغضها بشدة لدرجة أني أجلس على حافة فراشي الآن وأفكر في كل الطرق الممكنة التي يمكنني الانتقام بها مما فعلاه بعائلتنا.

استنزفت كل الطرق للتمرد، تعاطيت المخدرات، تم احتجازي، كذبت، تجاوزت موعد العودة للمنزل، الشيء الوحيد المتبقي الذي يمكنني فعله وأعرف أنه سيضايقها هو أن أمارس الجنس مع ميلر، رجتني كثيرًا أن أنتظر حتى أبلغ الثامنة عشرة على الأقل، ربما لم أكن سأفعل ذلك على أي حال، لكنها لو عرفت أنني فقدت عذريتي في السادسة عشرة على يد ميلر آدامز، ستنهار تمامًا.

نظرت إلى الساعة، لم تبلغ الثامنة بعد، لا يزال لديَّ أربع ساعات لفعل ذلك قبل عيد ميلادي غدًا، وأنا حقًّا في حاجة إلى ميلر الآن، وجوده يهدئني جدًّا، وأنا في حاجة شديدة أن أهدأ، أمسكت هاتفي واتصلت بميلر.

«هاي» أجاب على الفور متسائلًا: «ما الأمر؟».

- متى تنتهي من عملك؟

- ليس قبل نصف ساعة، لكن لا يزال في إمكانك المجيء لتقبليني قبلة تصبح على خير قبل موعد عودتكِ إلى المنزل.

- أيمكنك أن تأتي إلى منزلي بعد أن تنتهي عملك؟

«منزلك؟» صمت لبرهة، ثم قال: «هل أنتِ متأكدة من ذلك؟».

- أجل، لكن أدخل من نافذة غرفة النوم.

«أوه، هل سنتسلل؟» شعرت بابتسامته من صوته: «حسنًا، لكني لم أدخل منزلك أبدًا، ولا أعرف أي نافذة هي نافذتك؟».

- أول نافذة، في الجانب الأيمن من المنزل.

- في واجهة المنزل؟

- أجل، و.. أحضر معك واقيًا ذكريًّا.

صمت لثوان طويلة، ثم قال: «هل أنتِ متأكدة؟».

- متأكدة تمامًا.

- لكن..لسنا مضطرين إلى ذلك يا كلارا.

- وعدتني ألا تثنيني عن ذلك.

- لم أعلم أن ذلك كان وعدًا، لكني افترضت أنه سيمضي بعض الوقت قبل أن...

- غيَّرت رأيي، لا أريد الانتظار حتى حفل التخرج.

قمت بتشغيل الراديو حتى أغطي على أي صوتٍ قد يحدثه ميلر أو أحدثه أنا، أوقدت شمعتين، وضعت واحدة بجوار فراشي، والأخرى بجانب النافذة، حتى يتمكن من أن يشق طريقه داخل غرفتي المظلمة، أخذت حمامًا بينما أنتظره، حاولت إخراج كل دموعي قبل أن يأتي، من الغريب أن الدموع لم تكن كثيرة، أعتقد أنني كنت غاضبة بشدة لدرجة أنني لا أستطيع البكاء.

لم أكن أعرف أن في إمكاني الوصول إلى هذه المرحلة من الغضب، لكني بلغتها، وربما يكون في داخلي متسعٌ لمزيدٍ من الغضب، من يعرف؟ أعتقد أنني سأرى ما أنا قادرة عليه حقًّا حينما نتواجه أنا وأمي غدًا وجهًا إلى وجه.

خرجت من تحت الدش، لففت جسدي بمنشفة، جففت شعري قليلًا حتى لا تقطر المياه منه، وضعت بعض الـ «ماسكارا»، وقرصت وجنتيَّ لأن وجهي بدا شاحبًا، فأن تدرك أن والدتك ليست الشخص الذي كنت تعتقده أمرٌ يمكنه حقًّا أن يجفف الدماء في عروقك.

كنت أبحث عن ملمع الشفاه، حين سمعت نقرة خفيفة على النافذة، هرعت نحو خزانتي ثيابي لأبحث عن شيء أرتديه، لكني تذكرت حينها سبب مجيء ميلر أصلًا، هو هنا لتعريتي، ستفي المنشفة بالغرض.

فتحت نافذة غرفتي بينما فتح ميلر السلك، حين وثب بالداخل جال ببصره في أنحاء الغرفة، قبل أن ينظر نحوي، حين استقرت عيناه عليَّ أخيرًا، أحسست أنه يحاول استيعاب الأمر، كنت متأكدة أنه لم يكن يعتقد حتى هذه اللحظة أنني جادة بخصوص فقدان عذريتي معه الليلة، ولكن الآن وأنا أقف أمامه، ولا أرتدي شيئًا سوى منشفة، بدا عليه الارتباك التام.

عضَّ قبضته وجفل وهو ينظر إليَّ من رأسي حتى أخمص قدميَّ: «كلارا، يا إلهي».

كدت أضحك، إلا أني كنت لا أزال غاضبة جدًّا، لم أرغب أن يحس بما داخلي أيضًا، كنت في حاجة لتنحية الغضب جانبًا حتى ننتهي من ذلك.

ضم وجهي بيديه: «هل أنتِ متأكدة تمامًا أن هذا ما تريدينه؟» قال بصوتٍ خافت، حمدًا لله، فآخر شيء أريده أن تخرب أمي هذا الجانب من حياتي أيضًا.

أومأت: «أجل».

- ماذا عن والدتكِ؟ أين هي؟

- هي في غرفتها، وبابي مغلق، وسنفعل ذلك بهدوء، كما أن الموسيقى عالية، لذا فهي لن تسمعنا.

أومأ برأسه، لكنه بدا متوترًا، لم أتوقع أن يكون متوترًا: «آسف لو أنني سألتكِ كثيرًا إذا كنتِ متأكدة، لكني لم أتوقع فقط حدوث ذلك خلال فترة قصيرة، لذا...».

- 70% من المتحابين يمارسون الجنس في الموعد الأول، أعتقد أننا كنا صبورين جدًّا.

ضحك بصوتٍ خافتٍ: «هل اختلقتِ إحصائية زائفة للتو لتمارسي الجنس معي؟».

- هل نجح ذلك؟

خلع قميصه، فسقط على الأرض: «كان سينجح من دون تلك الإحصائية الزائفة»، قبَّلني، قبلة بكامل الجسد، قبلة من ذلك النوع الذي تلتحم فيه أرجلنا وجسدانا وأذرعنا تمامًا، بحيث لا يمكن للهواء حتى أن يمرَّ بيننا، دفعني نحو الفراش، لكني توقفت قبل أن تلمس ساقاي مرتبتي.

أشعرتني قبلته أن الأمر حقيقي جدًّا، قبلها، حين كان غضبي يؤجج تصرفاتي، كنت أشعر أن هذا قد لا يحدث، لكن بعد أن أصبح هنا الآن، وقميصه على الأرض، بينما لا أرتدي سوى منشفة، ونحن على وشك أن نستلقي على الفراش، أصبح الأمر واقعيًا جدًّا، أنا على وشك ممارسة الجنس مع ميلر آدامز، وأعتقد أنني مستعدة لذلك.

إذا عرفت أمي ما يحدث على بُعد عشرة أقدام فقط من غرفة نومها، سوف تنهار، نعم أنا مستعدة بالتأكيد لذلك، دفعني غضبي لإسقاط المنشفة عني، حين فعلت ذلك شهق ميلر ورفع بصره نحو السقف، انتابتني الحيرة من أنه ينظر إلى السقف وليس إليَّ.

- أنا هنا.

وضع يديه على مؤخرتي، لكنه ظل محدقًا بالسقف: «أعرف، أنا فقط...، أعتقد أنني معتاد على ممارسة الجنس مثلما ألعب البيسبول، كما تعرفين يجب أن أجتاز العديد من القواعد حتى أحرز نقطة، أشعر أنني أغش في اللعب».

أضحكني ذلك، قلت له: «أحرزت رمية ناجحة يا ميلر، هذه ليلة حظك».

خفض رأسه أخيرًا، لكنه نظر إلى وجهي فقط: «ادخلي تحت الغطاء»، ابتسمت وانسللت أسفل الغطاء، بينما كان يحاول أن يبعد بصره عني طوال الوقت، همَّ بالدخول تحت الغطاء معي، لكني أوقفته: «اخلع سروالك أولًا».

أمال رأسه: «لِمَ العَجَلة؟».

- لأني لا أريد أن أغيِّر رأيي.

- ربما ذلك علامة على أنكِ لستِ مستعدة بعد.

يا إلهي، لِمَ لا يكون مثل باقي الرجال فحسب، لِمَ لا يكون وغدًا في هذا الأمر: «أنا مستعدة، مستعدة جدًّا».

ركز بصره في وجهي للحظة، كأنه يبحث عن جزء بي يكذب عليه، نسي كم أنني ممثلة بارعة، وقف أخيرًا وفك أزرار سرواله ثم خلعه، كان يرتدي سروالًا داخليًّا منقوشًا عليه رسومات أناناس.

- هذا مثير.

ابتسم: «شعرت أنك ستحبينه».

رفعت الغطاء، فانسل إلى الفراش بجواري، لكنه رفع إصبعه: «ثانية واحدة»، تقلب على الفراش ومدَّ يده ليمسك بسرواله الجينز الملقى على الأرض، حين تقلب نحوي ثانية كان يمسك بأربعة أوقية ذكرية، كأنه يخيِّرني بينهم: «اشتريتهم من فاليرو على الناصية، بنكهة الفواكه».

- لِمَ هم بنكهة؟ هل يمكن أكل الأوقية الذكرية؟

أضحكه سؤالي: «لا، ذلك من أجل...»، احمرَّت وجنتاه فجأة: «في حالة إذا وضعت فمكِ عليهم».

إجابته جعلت وجنتيَّ تحمرّان خجلًا، بيَّن سؤالي كم أنا عديمة الخبرة، فأقصى ما بلغته مع رجل كان حين خلع ميلر قميصي عني، وتبادلنا القبل على فراشه لمدة ساعة.

أخذت الواقي الذكري بطعم البرتقال من يده، ووضعته على الكومود: «ليس بنكهة البرتقال، سيفسد اللحظة، لا أصدق حتى أنك أحضرت ذلك إلى منزلي».

ضحك قائلًا: «آسف، اشتريتهم من آلة بيع في حمام الرجال، لم يكن بوسعي اختيار ما يخرج منها»، اختار ميلر واحدًا من بين الأوقية الذكرية المتبقية، وألقى بالاثنين الآخرين على الكومود بجوار الواقي بنكهة البرتقال، حين رجع إلى مكانه بجواري، أدخل ذراعه أسفل الغطاء، وجذبني نحوه.

أخافني ذلك، ملمس جسده على جسدي، وأنا أعرف أن سرواله الداخلي هو الشيء الوحيد الذي يفصل بيننا الآن، لفَّ ساقه حولي، كان هناك جزء بداخلي حزينًا لأنني أتعجَّل الأمر، كان تبادل القبل في منزله جميلًا، لكن هذه المرة مختلفة، هذه المرة ليست حميمية لأننا تخطينا العديد من الخطوات، أعرف ذلك، لكني أشعر أنني تماديت

جدًّا في الأمر، ولم يعد في إمكاني أن أغيِّر رأيي، دفنت رأسي في عنقه لأني لا أريده أن ينظر إليَّ، خشيت مما سيراه إذا ما نظر في عينيَّ.

«لست في حاجة إلى ارتدائه الآن» قال هامسًا ثم أردف: «يمكننا القيام بأشياء أخرى أولًا، أقصد...أنا حتى لم ألمس ثدييك بعد».

أمسكت يده، ومررتها على بطني حتى صدري، تأوَّه، ثم دفن وجهه في عنقي.

همست قائلة: «دعنا ننتهي من الجزء الصعب أولًا، ويمكننا بعدها أن نقوم بباقي الأشياء».

أومأ ميلر، رجع إلى الوراء وقبَّلني بلطفٍ، شعرت به وهو يخلع سرواله الداخلي بينما يقبِّلني، ابتعد عن شفتيَّ وهو يرتدي الواقي الذكري، لكنه أبقى فمه قريبًا من فمي، وأنفاسه تلفح وجهي بزفرات قصيرة.

حين اعتلاني كان ينظر إليَّ بعينين مليئتين بالكثير من المشاعر، الشوق، الإعجاب، الدهشة، أردت الشعور بكل الأشياء التي يشعر بها ونحن نجرِب ذلك معًا للمرة الأولى، لكن كل ما شعرت به هو أنني خُدعت، وكُذب عليَّ، وأنني غبية.

«استرخي قليلًا» قال مردفًا: «سيكون الألم أقل إذا لم تكوني متوترة جدًّا».

حاولت الاسترخاء، لكن ذلك كان صعبًا بينما كل ما أستطيع التفكير به هو مدى آسفي على جيني وأبي، وكيف أتمنى للمرة الأولى ألا تكون هناك حياة أخرى، ألا توجد على الأقل حياة ثانية يمكن أن ترى فيها جيني وأبي طريقة حزن جونا التافه ووالدتي عليهما.

لامست شفتي ميلر شفتيَّ، كنت ممتنة لهذا الإلهاء، ثم ألهاني شيء آخر، كان هناك ألمٌ وضغطٌ بين ساقيَّ حين بدأ يُدخل عضوه بي، اشتد الألم، بينما تلفح أنفاس ميلر وجهي.

جفلت، توقف عن الحركة، وقبَّلني برقة على جانب فمي: «هل أنتِ بخير؟».

أومأتُ برأسي، قبَّلني ثانية، لكنه حين ولجني تلك المرة، شعرتُ أن الأمر يحدث، كان شعورًا عظيمًا، كما لو كان هناك حاجز عميق داخلي يفرقنا، لكنه اختفى بينما ميلر يلجني الآن، فقدت عذريتي للتوِ.

أحسست بمشاعر متناقضة، شعرت أن الأمر كان مميزًا، وغير مميز، مؤلمًا وغير مؤلم، ندمت عليه، ولم أندم أيضًا.

استلقيت في هدوءٍ، يداي على ظهره، وساقاي ملتفة حوله، أحب إحساس ملامسته لي، رغم أني لست متأكدة ما إذا كان يعجبني كل ما يحدث بيننا، لا أشعر بالحماس، مما يعني أن جسدي يقاوم الشعور بالاستمتاع، ميلر رقيق ولطيف، والأصوات التي يصدرها مثيرة جدًّا، لكني لا أشعر بالأمر بكل كياني، روحي تفيض بالاستياء لدرجة لا تتيح متسعًا للشعور بأي مما يحدث الآن.

جزء مني يتمنى لو أنني انتظرت، لكن ذلك كان سيحدث مع ميلر على أي حال، هل كان الأمر سيفرق لو تأخر حدوثه بضعة أشهر أخرى؟ ربما.

حسنًا، كل جزء بي تمنى لو كنت انتظرت، أشعر بالندم لأنني تعجّلت الأمر، أشعر بالندم لأن غضبي أجَّجَ بداخلي هذا القرار المتهور، لكن يبدو أن ميلر مستمتع بالأمر على الأقل.

ربما لا أشعر فعلًا بما توقعت الشعور به في هذه اللحظة، لأني أدركت الليلة أن الحب مليء بالكثير من القبح والخيانة، وربما لا أريد التورط به، فما أعتقد أنني أشعر به تجاه ميلر قد يكون هو نفسه ما شعرت به جيني تجاه جونا، وقد يكون هو ما شعر به والدي تجاه أمي، فأين أوصلهما ذلك في النهاية!

فم ميلر على عنقي الآن، وإحدى يديه تمسك فخذي، يعجبني هذا الوضع، ربما سيكون الألم أقل حين نكون في هذا الوضع في المرة القادمة، الألم الجسدي والعاطفي، ربما سأتفهم حقًّا مدى استمتاعه بالأمر حين يحدث ذلك ثانية، وربما سأستمتع أنا به فعلًا.

لكني لا أستمتع بأي شيء في الوقت الحالي، عقلي لا يتوقف عن التفكير في الأمر، تصرفاتهما تجعلني لا أثق بأي مما نشعر به أنا وميلر تجاه بعضنا البعض، وذلك يحزنني ويؤلمني لأنني أود بشدة أن أصدق أن ما بيني وبين ميلر حقيقي.

أريد أن أصدق نظراته إليَّ، لكني رأيت والدتي تنظر إلى أبي بالطريقة ذاتها، فهل يعني ذلك أي شيء؟ أريد أن أصدق ميلر حين قال إنه لم يشتهِ في حياته شيئًا مثلما اشتهاني، لكن إلى متى سيستمر هذا؟ حتى يشعر بالملل مني ويجد فتاة أخرى يشتهيها أكثر مني؟ حمدًا لله أنني ليس لديَّ أخت ليقع في حبها.

جذبت ميلر نحوي، أردت إخفاء وجهي بين جسده، أكره أن تراودني هذه الأفكار، خصوصًا في اللحظة الحالية، لكن ميلر هو الشيء الوحيد في حياتي الذي جعلني سعيدة منذ وفاتهما، والآن أنا خائفة أن تفسد أمي وجونا عليَّ ذلك، فأنا لا أشك بهما - والآن بميلر- فحسب، بل صرت أشك في فكرة الزواج الأحادي الغبية كلها، أفكر في أن فقدان عذريتي لم يكن أمرًا مميزًا حقًّا، لأن الحب إذا لم يكن حقيقيًّا، سيكون الجنس مجرد جنس فحسب، لا يهم إذا كانت هذه مرَّتك الأولى أو الخمسين أو آخر مرَّة لك، عضو بالجسد يدخل في عضو جسد آخر فحسب، هذا كل شيء.

ربما لذلك يسهل على الناس جدًّا الخيانة، لأن الجنس غير مهمّ في الحقيقة، لا يختلف عن مصافحة اثنين بعضهما لبعض، قد تكونً

ممارسة الجنس مع حبيبك لأول مرة مماثلًا لممارسة الجنس مع خطيب أختك المتوفاة.

«كلارا؟» نطق ميلر اسمي بين أنفاسه اللاهثة، بينما يلجني، ثم توقف، فتحت عيني وابتعدت عن عنقه، أسندت رأسي إلى الوسادة.

- هل أؤلمكِ؟

هززت رأسي: «لا».

أزاح شعري من على وجهي، ومرَّر إبهامه على خدي المبلل: «لِمَ تبكين؟».

لا أريد التحدث عن ذلك، خاصة الآن، هززت رأسي قائلة: «لا شيء»، حاولت أن أجذبه نحوي ثانية، لكنه أبعد نفسه عني، وتقلب من فوقي، أحسست بفراغ غريب.

«هل فعلت شيئًا خاطئًا؟» سألني.

كرهت نظرة القلق البادية في عينيه، تضايقت لأنه يعتقد أنه السبب في أي من ردود أفعالي، لذلك هززت رأسي بقوة: «لا، ليس للأمر علاقة بك، أقسم لك».

بدا عليه الارتياح، لكن لجزء من الثانية فقط، ثم همس قائلًا: «إذن ما الأمر؟ أنتِ تخيفينني».

«ليس أنت، بل أمي، دخلنا في شجار حاد الليلة، أنا فقط...»، جففت دموعي بيدي: «أنا غاضبة جدًّا منها، غاضبة جدًّا ولا أعرف كيف أتصرف»، تقلبت على جانبي حتى أكون قُبالته: «بينها وبين جونا علاقة».

رجع ميلر إلى الخلف قليلًا في صدمة: «ماذا؟»، أومأت برأسي، رأيت في عينيه نظرة تعاطف، وضع يده المُطَمْئِنة على جانب رأسي.

- حين عدت للمنزل مبكرًا، ودخلت عليهما المطبخ، اعتراني غضب شديد، كنت أكثر غضبًا من أي وقت مضى في حياتي، وأعتقد أنني ربما كرهتها فعلًا، كأن...راودتني كل الأفكار عن خيانتها لأبي وخالتي، لا أستطيع التوقف عن التفكير في كل ما يمكنني فعله لأنتقم منها وأعاقبها، لأن كل ما أفكر به أنها تستحق المعاناة أيضًا.

سندت إلى مرفقيَّ وأردفت: «لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على رحيلهما كي تفكر حتى في أي رجل آخر غير والدَي، لهذا أنا متأكدة تمامًا أن ذلك كان يحدث قبل الحادث».

ظل ميلر صامتًا للحظة، وهو يحدق إليَّ بنظرة حائرة، ربما لم يكن يعرف كيف يهدِّئني حين أكون مستاءة إلى هذه الدرجة، استلقى على ظهره محدقًا إلى السقف: «ألهذا دعوتني إلى المجيء هنا؟» كانت نبرة صوته حادة وهو يقول ذلك، رغم أنها ظلَّت خافتة: «لأنكِ غاضبة من والدتكِ؟».

كان رد فعله مفاجئًا لي، مددت يدي ووضعتها على صدره، لكنه أمسك معصمي وأبعد يدي عنه، تقلب وجلس على حافة الفراش موجهًا ظهره إليَّ.

«لا يا ميلر، لا» قلت لا، لكن تلك الكلمة كانت كذبة، وكلانا يعرف ذلك، وضعت يدي على كتفه، لكنه جفل حين لمسته، وقف، فتناهى إلى سمعي صوت خشخشة الواقي الذكري، وهو يخلعه ويرميه بغضب في سلة المهملات المجاورة للفراش، ثم ارتدى سرواله الجينز، لم يرمقني بنظرة حتى.

- أقسم لك يا ميلر أنني لم أطلب منكِ المجيء لهذا السبب.

مشى في الغرفة: «لِمَ اتصلتِ بي إذن؟ لم تكوني مستعدة لحدوث ذلك الليلة»، التقط قميصه من على الأرض، ونظر إليَّ أخيرًا، توقعت أن أرى الغضب في عينيه، لكني لم أجد بهما سوى الجرح.

جلست على الفراش، وشددت البطانية إلى صدري: «لكني كنت.. صدقني أردت أن أكون معك، لهذا اتصلت بك»، كنت أحاول بشدة أن أصلح الأمر، لكني كنت أعرف أنني أفسدته، أرعبني ذلك.

خطا خطوة إلى الأمام، ملوحًا بيده نحوي: «أنتَ مستاءة من والدتكِ يا كلارا، لم تريديني، بل أردتِ الانتقام، كنت أَعرف أنكِ لم تكوني مستعدة، كان الأمر غريبًا... كان...» تنهد في استياء.

مسحت دموعي في الملاءة وقلت له: «أجل، اتصلت بك لأني كنت مستاءة، لكن استيائي الشديد هو ما جعلني أرغب في أن أكون معك».

أدخل قميصه في رأسه، لكنه توقف بينما كان ينزله على صدره: «كنت سآتي يا كلارا، من دون جنس، أنتِ تعرفين ذلك».

لِمَ لا أستطيع التوقف عن جرحه؟ لا أريد إيلامه، لكني لا أفعل سوى ذلك الآن.

أعاد فتح النافذة، آخر شيء أردته أن يفعله هو أن يغادر، لم أقصد أن أجرحه، لم أقصد جره إلى ذلك، لكني لا أريده أن يتركني وحدي الآن.

«ميلر، انتظر» كان على وشك أن يخرج من النافذة، لذا رجوته ثانية، جلست على حافة فراشي وأنا لا أزال ملتفة بالبطانية: «أرجوك، أقسم لك أن الأمر لم يكن شخصيًا».

جعلته تلك الكلمات يتراجع عن الخروج من النافذة، ويعود إلى الفراش ثانية، جثى على ركبتيه أمامي، أحاط وجهي بيديه: «أنتَ محقة، لذا أنا مستاء جدًّا منكِ، أكثر شيء كان من المفترض أن يحملَ خصوصية بيننا لم يكن كذلك على الإطلاق».

اجتاحتني كلماته، انفجرت ببكاءٍ عارم، لا أصدق أني فعلت ذلك، أشعر أني انحدرت إلى مستوى والدتيٍ أفلتني ميلر، وهمَّ بتسلق

النافذة، غطيت فمي بكلتا يديّ، كنت عاجزة عن كبح المشاعر التي تمزقني من الداخل، لا يتعلق الأمر بما فعلته بميلر فحسب، بل بكل شيء، أشعر بالوجع من كل شيء، من فقدان جيني، وغياب أبي، أشعر بالذنب بسبب الطريقة التي ماتا بها، وخيانة والدتي، والألم الذي سببته لميلر، كل تلك المشاعر معًا تفوق قدرتي على التحمل، لا أستطيع تحمل ذلك أكثر من هذا.

استلقيت على الفراش ثانية، دفنت وجهي في الوسادة، أردت فقط أن أشد الغطاء إلى وجهي، وأغلق عينيَّ، أردت ألا أشعر بأيٍ من هذا ثانية، هذا كثيرٌ جدًّا، هذا ليس عادلًا، ليس عادلًا، ليس عادلًا، ليس عادلًا.

شعرت بالمرتبة تنخفض بجواري، حين تقلبت نحوه لفَّ ذراعيه حولي وضمني إليه، جعلني ذلك أبكي أكثر، حاولت أن أقول له إنني آسفة، لكني كنت أبكي بشدة، ولم أستطع حتى إخراج الكلمات من فمي، وضع ميلر شفتيه الناعمتين على جانب رأسي، حاولت قولها، لكن الكلمة الوحيدة التي كنت متأكدة أنه سمعها بين بكائي هي «آسفة».

لم يقل لي لا بأس أو إنه يسامحني، لم يقل أي شيء، أمضى الدقائق العديدة التالية صامتًا، يحاول تهدئتي بينما أبكي.

كان يضم وجهي إلى صدره، دفنته بشدة فوق قميصه، حين تمكنت أخيرًا من الكلام، نطقت بالكلمات مرارًا وتكرارًا: «أنا آسفة، أنا آسفة جدًّا، أنت محقٌّ، أحس بشعورٍ بشعٍ» خرجت كلماتي بصوتٍ مكتوم، أردفت قائلة: «أنا آسفة».

ضَمَّ مؤخرة رأسي بيديه: «أعرف أنكِ تشعرين بالسوء» قال هامسًا ثم أردف: «أسامحكِ، لكني ما زلت غاضبًا منكِ».

رغم ما قاله، إلا أنه طبع قبلة على شعري، ذلك كل ما أحتاج إليه منه حاليًّا من غفران، من حقِّه أن يكون غاضبًا مني، لا ألومه على ذلك، أنا نفسي غاضبة من نفسي.

استلقى بجواري لبعض الوقت، لكني حين توقفت عن البكاء، ابتعد عني وهو ينظر نحوي، ويمرر يده على خدي: «ربما عليَّ أن أرحل، الوقت تأخر».

هززت رأسي، ونظرتُ في عينيه بتوسلٍ: «أرجوك لا ترحل، لا أريد أنٍ أكون وحدي الآن».

فكر لثلاث ثوانٍ قبل أن يومئ، ثم جلس على الفراش، وخلع قميصه، وأدخله في رأسي: «أرتدي هذا»، أدخلت ذراعي به، وأنزلته على فخذي من أسفل الغطاء.

لم يغِب عني أنه حتى بعد كل ما حدث الليلة لا يزال لم يرني عارية، لم ينظر إليَّ حتى حين أسقطت المنشفة عني، استلقى معي أسفل الغطاء وجذبني نحوه، فأصبح ظهري ملامسًا لصدره، كنَّا مستلقيين على وسادة واحدة، متشابكي الأيدي، حتى نمنا في النهاية، ينتابنا الغضب من أشخاص مختلفين، لكننا متألمان بالقدر نفسه.

الفصل الخامس والعشرون
مورجان

ظننت أن غسل زجاجات الرضاعة بينما تدعو أن تأتي نهاية العالم هو الوصول إلى قاع الحضيض، لكني ربما كنت مخطئة حين ظننت أن ذلك هو الحضيض.

ماذا يفعل الناس حين يصلون إلى القاع؟ ينتظرون حتى يلقي إليهم أحدهم حبلًا؟ تهزل أجسادهم وتصبح جلودًا على عظام إلى أن تجدهم النسور؟ منذ الليلة الماضية وأنا مستلقية على فراشي، إلا أني توقفت عن محاولة النوم، فما من داعٍ لذلك والشمس على وشك أن تشرق.

ذهبت إلى غرفة كلارا عدة مرات لكني لم أحاول قرع بابها حتى، شغلت الموسيقى بصوتٍ عالٍ حتى لا تسمع صوتي، لذا قررت أن أدعها تكرهني الليلة قبل أن أحاول أن أطلب منها الصفح.

ربما كان تأجيل بدء العلاج فكرة سيئة، ظننت أن من الأفضل أن أنتظر بضعة أشهر، حتى تمضي أصعب أوقات الحزن، لكن من الواضح أن ذلك كان خطأ، أحتاج إلى التحدث مع أحد، أنا وكلارا نحتاج إلى التحدث مع أحد، لست متأكدة أن ذلك أمر يمكننا إصلاحه وحدنا.

لا أود التحدث مع جونا عن ذلك، لأن كل ما سيفعله أنه سيعتذر ويخبرني أن الأمور ستكون على ما يرام، ويؤكد لي أنها ستتحسن، ربما ستتحسن فعلًا، ربما يأتي مطر ويغرق الحفرة التي أقبع بها، يمكن

حينها أن أطفو إلى السطح وأخرج منها، أو أن أغرق على الأقل، يروق لي الأمران.

حتى لو بدأنا العلاج الآن، لن يغير شيء ما حدث الليلة الماضية، ما من شيء سيغير حقيقة أن ابنتي رأت والدتها تقبِّل أقرب أصدقاء أبيها المتوفي بعد وقتٍ قصيرٍ من رحيله، ذلك أمر لا يمكن استيعابه، ولا يُغتفر.

لن يتمكَّن كل الاستشاريين والمعالجين النفسيين في المدرسة، ولا كل المحادثات وكتب التنمية الذاتية من محو تلك الصورة من رأسها، أشعر بالخزي والعار للغاية.

بغض النظر عن كم الرسائل التي أرسلها إليَّ- سبع رسائل منذ أن رحل بالأمس- فلن أتكلم مع جونا ثانية، لن أتحدث معه لوقتٍ طويلٍ، لا أريده في منزلي، لا أحب ما يفعله وجوده بي، لا أحب الشخص الذي يحولني إليه، تقبيله أمس من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها في حياتي، عرفت ذلك من قبل حتى أن أدع شفتيه تلمس شفتيَّ، ورغم ذلك فعلت هذا، وسمحت به، والأسوأ من ذلك أنني أردته أن يحدث، رغبت بحدوث ذلك لفترة طويلة، ربما منذ اليوم الذي قابلته به.

ربما لهذا أشعر بالقرف الآن، لأني أعرف أنه إذا لم يرحل جونا طوال السنوات الماضية لربما انتهى بنا الأمر في موقف جيني وكريس بالضبط، نتقابل في الخفاء، ونخون أزواجنا، ونكذب على عائلتنا.

لم يهدأ غضبي تجاههما منذ الليلة الماضية، اندلع داخلي غضبٌ جديدٌ مماثلٌ في الشدة، لكنه موجه هذه المرة نحو ذاتي، لم يعد هناك درس في الحياة يمكن أن أعلمه لكلارا الآن من دون أن أبدو منافقة، أشعر أن أي شيء سأقوله من الآن فصاعدًا سيكون هراءً بالنسبة إليها، وربما لا ينبغي لي أن أعلمها شيئًا أصلًا، فمن أنا لأربي إنسانًا؟ من

أكون لأعلم شخصًا الأخلاق؟ من أكون لأوجه شخصًا آخر في الحياة بينما أرتدي أنا نفسي عصابة عين وأركض في الاتجاه الخاطئ؟

اعتدلت في جلستي على الفراش حين سمعت طرقًا على بابي، أعني يا الله، إذا كان الطارق جونا سوليفان، فسوف يعتريني الغضب، أزحت الغطاء وارتديت الـ «روب»، لم تسنح لي الفرصة حتى للتحدث مع كلارا بعد، ولا أريد أن أتحدث مع جونا عن الأمر حتى أتحدث معها، هرعت نحو الباب قبل أن يوقظها بطرقاته، فتحته لكني تراجعت خطوة إلى الوراء حين رأيت السيدة نيتل واقفة في الفناء، وهي ممسكة بسلك الباب المفتوح.

«أتيت فقط لأطمئن أنكِ لا تزالين على قيد الحياة» قالت مردفة: «أعتقد أنكِ كذلك»، أفلتت السلك، فصُفق بقوة وارتدى إلى الإطار، قلت لها من خلفه: «لماذا افترضتِ أنني من الممكن أن أكون ميتة؟».

واصلت المشي وهي تعرج بعصاها: «سلك النافذة مُلقى على الأرض بجانب منزلك، ظننت أن أحدًا اقتحم منزلكِ الليلة الماضية وقتلكِ».

راقبتها حتى وصلت إلى فناء منزلها، لأتأكد أنها لن تسقط، ثم أغلقت الباب وأوصدته، رائعًا، هناك سلك نافذة مكسور، شيء آخر كان من الممكن أن يتولى كريس أمره إذا كان لا يزال على قيد الحياة.

مشيت نحو غرفتي، لكني توقفت فجأة، حين كنت في عمر كلارا، لم يكن سلك النوافذ يسقط من تلقاء نفسه، هل تسللت خارج المنزل الليلة الماضية؟

استدرت واتجهت نحو غرفتها مباشرة، لم أطرق الباب لأنها ربما لا تكون بالداخل حتى لترد عليَّ، دفعت الباب، لكنه كان موصدًا،

لكن قفله كان من نوع الأقفال الذي يمكنني أن أرفعه بسهولة وأدخل، أكره أنني مضطرة إلى اقتحام غرفتها، لكني أريد أن أعرف ما إذا كانت رحلت بالفعل، قبل أن أرتدي ثيابي وأذهب لأبحث عنها.

جلبت مشجبًا من خزانة ثيابي، ثم أدخلته في فتحة الباب حتى علق بالقفل، حين انفك، دفعت الباب، لكنه لم ينفتح على الفور، هل سدَّت باب غرفتها؟ يا الله، قد تكون غاضبة أكثر بكثيرٍ مما ظننت.

دفعت الباب بفخذي، محاولة تحريك أيًّا كان ما وضعته خلفه، تمكنت من فتح الباب بضع بوصات، اختلست النظر داخل غرفتها، تنفست الصعداء حين وجدتها نائمة، لم تتسلل خارج المنزل، وحتى لو كانت فعلت ذلك، فهي في البيت الآن، وهذا أهم شيء.

جذبت الباب لأغلقه، لكني توقفت حين لاحظت حركة، هناك ذراعٌ ملتفٌّ حول بطن كلارا، ذراع ليس ذراعها، ارتميت بجسدي كله على الباب لأفتحه، كانت كلارا وميلر جالسين منتصبين على الفراش، والفزع يعلو وجههما.

- ما هذا يا كلارا؟

وقف ميلر، أخذ يرتدي حذاءه بسرعة، مدَّ يده نحو الكومود وأمسك بأوقية ذكرية، ثم دسَّها في جيب سرواله، كأنه يحاول أن يخفيها قبل أراها، لكني رأيتها بالطبع، وانتابني الغضب، وأريده أن يخرج من منزلي اللعين الآن.

- يجب أن ترحل.

أومأ برأسه، ونظر إلى كلارا بعينين يملؤهما الاعتذار، غطَّت كلارا وجهها: «يا إلهي، هذا محرج جدًّا».

خطا ميلر حول الفراش، لكنه توقف ونظر نحو كلارا، ثم نحوي، ثم إلى كلارا، ثم خفض بصره نحو صدره العاري، أدركت حينها أن كلارا ترتدي قميصه.

هل يتوقع أن تعيده إليه؟ هل هو معتوه؟ هو كذلك فعلًا، كلارا تواعد معتوهًا: «ارحل».

«انتظر يا ميلر» قالت كلارا، ثم التقطت القميص الذي كانت ترتديه بالأمس من الأرض، ومشت نحو خزانة ملابسها، وأغلقت بابها عليها حتى تغير القميص، بدا ميلر كأنه لا يعرف ما إذا كان عليه أن يسمع كلامها وينتظر حتى تعيد إليه قميصه، أم يركض قبل أن أقتله، من حسن حظه أن كلارا لم تستغرق سوى بضع ثوانٍ فقط لتغيِّر ثيابها، فتحت الباب وناولته القميص.

ارتدى القميص، فصحت به ثانية، لكن بنبرة أقوى هذه المرة: «ارحل»، نظرت إلى كلارا، كانت ترتدي فقط قميصًا بالكاد يغطي مؤخرتها: «ارتدي ثيابكِ».

هرع ميلر نحو النافذة وهمَّ بفتحها، هو معتوه فعلًا: «اخرج من الباب الأمامي يا ميلر، يا إلهي».

تجلس كلارا على فراشها، ملتفة بالملاءة، يملؤها الغضب والإحراج، كلتانا كذلك في الحقيقة.

مرَّ ميلر بجواري متوترًا، نظر إلى كلارا: «أراكِ في المدرسة» قال بهمسٍ كأني لن أسمعه، أومأت كلارا، كان يمكنها أن تُدخل أي شخصٍ خلسة إلى غرفة نومها، لكنها لم تختر سوى هذا الشخص؟

- لن تذهب كلارا إلى المدرسة اليوم.

نظرت كلارا إلى ميلر، كان قد وصل إلى الردهة، قالت له: «بلى، سأذهب».

نظرت إلى ميلر: «لن تذهب، مع السلامة»، استدار ورحل أخيرًا.

ألقت كلارا بالملاءة جانبًا، ومدَّت يدها إلى الأرض لتلتقط السروال الجينز الذي كانت ترتديه بالأمس: «لا يمكنكِ أن تمنعيني من الذهاب إلى المدرسة».

زال الآن قلقي حيال ما إذا كان لديَّ الحق في أن أربيها بفعل الغضب الذي اعتراني، وهي لن تذهب إلى أي مكان اليوم: «أنتِ في السادسة عشرة، ومن حقي أن أمنعكِ عن أي شيء أريد أن أمنعكِ عنه».

ألقيت نظرة على غرفتها، كنت أبحث عن هاتفها حتى أصادره.

«أنا في السابعة عشرة يا أمي في الحقيقة»، أدخلت ساقها في سروالها وأردفت قائلة: «لكني أعتقد أنكِ كنتِ مشغولة جدًّا مع جونا لتتذكري أن عيد ميلادي اليوم».

تبًّا، كنت مخطئة، ذلك هو الحضيض، حاولت أن أصلح الأمر فغمغمت قائلة: «لم أنس ذلك»، لكن كان واضحًا أني نسيت ذلك، أدارت كلارا عينيها شذرًا وهي تزرر سروالها، مشت نحو حمامها، وعادت وبيدها حقيبتها.

- لن تذهبي إلى المدرسة هكذا، كنتِ ترتدين هذه الثياب بالأمس.

«شاهديني وأنا أمضي» قالت وتخطتني، وضعت يدي على إطار باب غرفة نومها وأنا أرمقها وهي تسير في الردهة، كان يجب أن أركض خلفها، هذا ليس جيدًا، تسلل شاب إلى غرفة نومها ليس جيدًا، نومها مع شاب بدأت في مواعدته للتوِّ ليس جيدًا بالتأكيد،

ترتكب الكثير من الأخطاء، لكني أخشى أنها تتجاوز قدرتي على التربية، لا أعرف حتى ماذا أقول لها، أو كيف أعاقبها، أو ما إذا كان من حقي حتى معاقبتها في هذه اللحظة. جفلت حين سمعت صوت الباب الأمامي يُصفق.

أمسكت رأسي وجلست على الأرض، انزلقت دمعة على خدي، ثم انزلقت واحدة أخرى، أكره ذلك لأني أعرف أن البكاء سيتبعه صداع حاد، أعاني من الصداع كل يوم منذ الحادث بسبب البكاء.

لكني أستحق الصداع هذه المرة، كأن تصرفاتي أعطتها حق التمرد، وهذا هو الحال فعلًا، فهي لن تحترمني ثانية أبدًا، لا يمكن لأي شخص أن يتعلم من شخص لا يحترمه، لا يفلح ذلك أبدًا.

سمعت رنين هاتفي الخافت، كنت متأكدة أن جونا من يتصل، لكن جزءًا بي تساءل عما إذا كان من الممكن أن تكون كلارا هي المتصلة، حتى وإن لم يكن لديها الوقت حتى لتخرج من الممر، هرعت نحو غرفة نومي، لكني لم أتعرَّف على رقم المتصل.

- مرحبًا.

- سيدة جرانت؟

سحبت منديلًا ومسحت أنفي: «أجل».

- أنا الفني الذي سآتي اليوم لأصلح لكِ كابل التلفزيون، أتصل بكِ لأخبركِ أنه يجب أن يكون هناك أحدٌ متواجدٌ في المنزل من الساعة التاسعة حتى الخامسة، حتى أتمكن من الدخول لإجراء الإصلاحات.

غصت في فراشي: «حقًّا؟ هل تتوقع مني أن أجلس في هذا المنزل طوال اليوم؟».

ساد الصمت، ثم تنحنح قائلًا: «هذه سياستنا سيدتي، لا يمكننا أن ندخل منزلًا خاليًا».

- أتفهم أن سياستكم تستلزم وجود أحد هنا، لكن ألا يمكنك تحديد مدة زمنية أقل؟ ربما ساعتين؟ ثلاث؟

- من الصعب تحديد وقت معين لأن كل إصلاح يستغرق وقتًا مختلفًا حسب الحاجة.

«أجل، لكن بالله عليك، يومًا كاملًا؟ لِمَ عليَّ أن أبقى في هذا المنزل لثماني ساعات لعينة» يا إلهي، أنا أصيح وأسب أمام فني الكابلات، هززت رأسي، ووضعت راحة يدي على جبيني: «أتعرف؟ قم بإلغاء ذلك، لا أريد «كابلًا» حتى»، لم يعد أحد يمتلك «كابلًا» الآن، ربما عليك في الحقيقة أن تبدأ في البحث عن وظائف أخرى، لأن من الواضح أن هذه المهنة لن تبقى طويلًا».

أنهيت المكالمة وألقيت هاتفي على الفراش، حدقت إليه، حسنًا، حسنًا، هذا هو الحضيض، هذا بالتأكيد هو الحضيض.

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل السادس والعشرون
كلارا

ذهبت إلى المدرسة مبكرًا عن موعدها بنصف ساعة، لم يكن هناك سوى عدد قليل من السيارات في الموقف الخاص بالطلاب، لم تكن شاحنة ميلر بينها، مستحيل أن أدخل حصة جونا مبكرًا، لذا ضغطت ذراع التحكم في المقعد، وأرجعت ظهري إلى الوراء، لن أبكي.

في الحقيقة أنا لست غاضبة الآن حتى، بل على العكس لا أشعر بشيء، فقد حدث الكثير من الأشياء خلال الاثنتي عشرة ساعة الماضية، ويبدو أن عقلي لديه صمام إيقاف للطوارئ، وهذا شيء لا يحزنني، أفضِل الشعور باللامبالاة على الغضب الذي اعتراني الليلة الماضية، وعلى الإحراج الذي شعرت به في الصباح حين تعاملت والدتي بفظاظة شديدة مع ميلر.

فعلت ما أردته، تسلَّل شاب إلى غرفة نومي، مارست الجنس، ذلك شنيع فعلًا، لكنها فقدت بالأمس حقها في أن تقول لي ما السلوك السيئ وما ليس كذلك، جفلت حين سمعت طرقًا على نافذة المقعد المجاور، كان ميلر واقفًا بجوار السيارة، لم أعد أشعر بفقدان الإحساس لأن رؤيته بعثت بي الحياة ثانية، فتح الباب، جلس وناولني كوب قهوة.

لم يبدُ بخير على الإطلاق، هذا متوقع، فهو متعب، لم يقم أيٌّ منَّا بغسل أسنانه أو تمشيط شعره، كما أننا نرتدي الملابس نفسها التي كنَّا نرتديها بالأمس، لكنه يحمل قهوته وينظر إليَّ نظرة لا تحمل كراهية، هذا رائع في حد ذاته.

«فكرت أنكِ في حاجة إلى الكافيين» قال.

أخذت رشفة، تلذَّذتُ بمذاقها الساخن على لساني، وحلاوة الكراميل المتدفق في حلقي، لا أعرف لِمَ أخذت وقتًا طويلًا هكذا حتى أحب القهوة.

- على أي حال...عيد ميلاد سعيد؟

قال ذلك كأنه سؤال، أعتقد أنه كذلك: «شكرًا لك، رغم أن ذلك ثاني أسوأ يوم في حياتي».

- أعتقد أن الأمس كان ثاني أسوأ يوم في حياتكِ، لكن لا تزال هناك فرصة ليكون اليوم أفضل.

أخذت رشفة وأمسكت يده، ضغطتها، وشبكت أصابعي بين أصابعه.

- ماذا حدث بعدما رحلت؟ هل منعتكِ من الخروج؟

ضحكت على ذلك: «لا، ولن يمكنها فعل ذلك؟».

- لقد أدخلتني خلسة إلى غرفتكِ بالأمس، ولا أعرف كيف ستتمكنين من الإفلات من ذلك، حتى ولو كان اليوم عيد ميلادك.

- أمي كاذبة وخائنة، وقدوة سيئة جدًّا بالنسبة إليَّ، قررت هذا الصباح أنني لن أمتثل لأوامرها، سأكون أفضل حالًا لو ربيت نفسي.

ضغط ميلر يدي، أحسست أنه لم يعجبه ما قلته، لكنه لم يحاول أن يثنيني عن شعوري هذا، ربما يعتقد أني فقط في حاجة إلى وقتٍ لأهدأ، لكن الوقت لن يحل شيئًا، فقد ضقت ذرعًا بها.

- ماذا قالت ليكسي حين أخبرتها بِمَا حدث؟

نظرت إليه، ورفعت حاجبي: «ليكسي؟».

أومأ برأسه، وهو يحتسي قهوته.

«أووف، ليكسي!»، أدرت السيارة: «نسيت أن أصطحبها».

ضحك ميلر: «حسنًا، لديكِ صباح حافل بالأحداث يمكنكِ أن تستخدميه حجة».

مال نحوي وقبَّلني: «أراكِ على الغداء».

عاودت تقبيله: «حسنًا».

أمسك مقبض الباب، وهمَّ بالخروج من السيارة، لكني ضغطت ذراعه، أردت أن أقول له شيئًا آخر، عاود الجلوس مجددًا ناظرًا إليَّ، وضعت يدي على جانب رأسه، لم أعرف أي الكلمات التي يجب أن أستخدمها لأعبر بها عن مدى أسفي على ما حدث الليلة الماضية، حدقت إليه، كان قلبي يفيض بالشعور بالذنب، لكن يبدو أنني نسيت كيف أعبر عن أي شيء بالكلام في هذه اللحظة.

مال ميلر إلى الأمام، ووضع جبينه على جبيني، أغلقت عيني، ظل هكذا للحظة، ثم وضع يده على ظهر رقبتي وربت عليها قائلًا: «لا بأس يا كلارا»، ثم همس قائلًا: «أعدك أن الأمور ستكون على ما يرام»، لامست شفتاه جبيني لبرهة، قبل أَن يخرج من السيارة ويغلق بابها.

أنا مدركة تمامًا لتلك الخطوة الحمقاء التي اتخذتها بالأمس، وما زلت أشعر بالخزي من ذلك، لدرجة أنني أعرف بالفعل أنني لن أخبر ليكسي بما حدث بيني وبين ميلر، لن أخبر أي أحد، وأتمنى لو نعيد هذه اللحظة ذات يومٍ، لأنني برعت في إفسادها.

***

خرجت باكرًا جدًّا عن موعد المدرسة لدرجة أني حين وصلت إلى منزل ليكسي، لم تدرك أصلًا أنني نسيت المرور عليها، خرجت من منزلها وفي يدها هدية مغلفة، وبالون «مايلر» مكتوب عليه: «أتمنى لكِ الشفاء العاجل».

كانت تفعل ذلك دائمًا، تنتظر حتى آخر لحظة، حتى لا يصبح لديها وقتٌ لتجد البطاقة أو البالون أو ورق التغليف المناسب، نصف

الأشياء التي تمنحها لي تكون مغلفة بأوراق عيد الميلاد، أيًّا كان الوقت الذي نكون به من العام.

ما زلت لا أصدق أن والدتي نست عيد ميلادي، على الأقل ميلر وليكسي تذكراه، رغم أنني لم أبلغ السابعة عشرة إلا منذ بضع ساعات، إلا أني فخورة بحالة النُضج الجديدة التي صرت عليها، فحين دخلت إلى حصة جونا منذ نصف ساعة، سرت في طريقي نحو مقعدي دون أن ألكمه في وجهه، حتى حين قال لي صباح الخير، حتى حين اختنق صوته وهو يقولها، لم أنظر إليه حتى.

مضى نحو عشرين دقيقة منذ أن بدأ يلقي محاضرته، ولم أفعل شيئًا واحدًا مما تخيلت نفسي أفعله طوال العشرين دقيقة التي قضيتها في حصته، أردت أن أصرخ به، أنعته بالزاني، أخبر الفصل كله عن علاقته بأمي، أخترق نظام الاتصال الداخلي لأخبر المدرسة كلها بذلك.

لكني لم أفعل أيًّا من هذا، وأنا فخورة بنفسي لذلك، ظللت هادئة ورابطة الجأش، أعتقد أنني ما دمت أشيح بنظري عنه، ربما أستطيع أن أحضر الحصة كلها وأهرب من دون مواجهة معه.

يبدو عمر السابعة عشرة ملائمًا لي، أنا بالغة الآن من الناحية العملية، حمدًا لله على ذلك، لأنني لا أستطيع أن أعتمد على والدتي لتربيني بعد الآن.

- يزداد إعجابي بإيفرين، يوم الجمعة سآخذ أول عطلة لي منذ أن بدأنا نتكلم معًا، وسألني للتوِ إذا كنت أرغب في الخروج معه في موعدٍ.

ابتسمت حين تلقيت هذه الرسالة من ليكسي، سألتها: «ماذا قلتِ له؟».

- قلت له لا.

- لِمَ؟

- أمزح معكِ، وافقتُ بالفعل، أنا مندهشة، فهو قصيرٌ جدًّا، لكنه يتعامل معي بحقارة نوعًا ما، وذلك يعوض كل الأشياء العديدة التي يفتقر إليها.

كانت ليكسي أكثر شخص أعرفه يصعب إرضاؤه حين يتعلق الأمر بالرجال، لذا كنت مندهشة جدًّا أنها وافقت أن تخرج معه، أسعدني ذلك، لكنه فاجأني أيضًا.

بدأت أكتب رسالة إليها حين قال جونا: «من فضلك يا كلارا ضعي هاتفكِ جانبًا»، شعرت بثقلٍ في صدري وبقشعريرة على جلدي حين سمعت صوته: «سأضعه جانبًا حين أنهي رسالتي».

سمعت بعض الأشخاص يشهقون كأني سببته للتو أو فعلت شيئًا من هذا القبيل، واصلت كتابة ردي لليكسي، أريد أن أسأل الإدارة إذا كان في إمكاني تغيير الفصول، فمن المستحيل أن أتمكن من النظر إلى جونا لبقية العام، ولا أريد التواجد معه في الغرفة ذاتها، في المنزل نفسه، في المدينة نفسها، في العالم نفسه الذي يعيش فيه.

«كلارا» نطق اسمي بلطفٍ، كما لو أنه يلتمس مني ألا أثير الفوضى، فلا يستطيع أن يسمحَ لي بإرسال الرسائل بينما لا يسمح للآخرين بإخراج هواتفهم، أتفهم موقفه المحرج، لا يريد أن يطردني خارج الفصل، لكنه مضطرٌ إلى ذلك، يجب أن أشعر بالذنب، لكني لا أشعر بذلك، بل يعجبني كونه في موقف غير مريح الآن، فهو يستحق أن يشعر ببعض مما أشعر به منذ أن رأيت يديه تلمس والدتي، ولسانه داخل فمها، يا إلهي لا أستطيع نسيان ذلك مهما حاولت.

رفعت بصري ونظرت إليه للمرة الأولى منذ أن دخلت حصته، كان يقف أمام مكتبه، مستندًا إليه، كان يضع قدمًا فوق الأخرى من عند الكاحلين، كان في وضع «المعلم» الآن، في العادة كنت

سأحترمه في هذه الحالة، لكني حين أنظر إليه الآن لا أرى سوى الرجل الذي خان خالتي جيني مع أمي.

حين أومأ برأسه مشيرًا نحو هاتفي بتوسل، وطالب مني من دون كلام أن أضع هاتفي جانبًا، اعتراني غضبٌ عارمٌ، أمسكت هاتفي بيدي اليمنى، وألقيت به في سلة المهملات بجوار باب الفصل، ارتطم بالحائط، فتهشم وسقط على الأرض قطعًا.

لا أصدق أني فعلت ذلك، يبدو أن ما من أحدٍ في الفصل صدق ذلك أيضًا، فقد انبعثت شهقة جماعية، أعتقد أن من بينها شهقتي أنا شخصيًّا.

اعتدل جونا في وقفته، ومشى نحو الباب، فتحه وأشار إليَّ نحو الرواق، التقطت حقيبتي ونهضت واقفة، مشيت نحو الباب، كنت متأهبة تمامًا لمغادرة هذه الغرفة، رمقته بغضب وأنا أجتاز مدخل الفصل، كنت متأكدة أنه سيأخذني إلى مكتبِ الاحتجاز، لذا لم أتفاجأ حين أغلق باب الفصل وتبعني.

- قفي يا كلارا.

لم أقف، لن أصغي إليه، ولا إلى أمي، توقفت عن الإصغاء إلى كل البالغين في حياتي، أشعر أن ذلك قد يضر بصحتي العقلية.

شعرت بيد جونا تقبض على ذراعي، أثارت محاولته إيقافي والتحدث معي غضبي، سحبت يدي من بين قبضته، واستدرت، لا أدري ماذا على وشك أن يخرج من فمي، لكني أشعر بغضبٍ عارمٍ يشق طريقه في حلقي بسرعة هائلة.

اقترب مني قبل أن أنفجر به، لفَّ ذراعيه حولي، وضم وجهي إلى صدره، لا أصدق نفسي، حاولت أن أدفعه بعيدًا عني، لكنه لم يبتعد، بل ضمني إليه بقوة أكبر، أغضبني عناقه لي، لكنه أيضًا أفقدني التركيز

للحظة، لم أتوقع ذلك، توقعت أن أذهب إلى مكتب الاحتجاز، أو أن يتم إيقافي عن الدراسة أو فصلي، لكني بالتأكيد لم أتوقع عناقًا.

همس قائلًا: «أنا آسف».

حاولت دفعه بعيدًا ثانية، لكني لم أحاول جاهدة لأنه كان يرتدي نوع القميص ذاته الذي كان والدي يرتديه في آخر مرة عانقني بها ليودعني، قميصًا أبيض ناعمًا بأزرار ذي ملمس لطيف على بشرتي، كان خدي يلامس أحد أزراره البلاستيكية، أغمضت عيني بقوة، لم أعرف ماذا أفعل، لأنه حتى وإن كنت أكره جونا حاليًّا، إلا أن حضنه يذكرني بأبي.

حتى رائحته تشبه رائحة أبي قليلًا، مثل رائحة عشب اقتلعته عاصفة للتوِّ، حين لم يخفف من عناقه لي، بدأت في البكاء، حتى لمسة يده على مؤخرة رأسي تشبه تمامًا لمسة يد والدي، أكره نفسي بسبب ذلك، لكني ملت عليه وسمحت له بأن يحتضنني وأنا أبكي، أفتقد والدي كثيرًا، أشعر الآن بحزن أكثر من شعوري بالغضب، لذا سمحت لجونا أن يعانقني لأن ذلك أفضل من العراك، أفتقد والدي كثيرًا جدًّا.

لا أعرف كيف حدث ذلك، لا أعرف كيف انقلب بي الحال من إلقاء هاتفي في الغرفة إلى البكاء على صدره، لكني سعيدة أنه لم يجرجرني إلى المكتب، انتظر حتى هدأت قليلًا، ثم وضع خده أعلى رأسي: «أنا آسف يا كلارا، كلانا آسفان».

لا أعرف إلى أي مدى هو صادق، لكن حتى لو كان آسفًا، فلا أعتقد أن ذلك سيغير أي شيء، يجب أن يكون آسفًا، فالشعور بالأسف أقل ما يمكن أن يفعله ليصحح خطأه، أنا فقط لا أستطيع أن أفهم هذا المستوى من الخيانة، لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لوالدتي أن يعتريها الحزن في لحظة لأنها فقدت رفيق روحها، وفي اللحظة الأخرى يكون لسانها في فم صديقه المفضل.

- وكأنهما حتى لا يفرقان معكما.

ربما لم أكن لأغضب إلى هذه الدرجة لو أني دخلت المنزل ورأيت والدتي تقبِّل غريبًا عابرًا، لكن جونا ليس شخصًا غريبًا، هو جونا، جونا حبيب جيني.

رجع إلى الخلف، واضعًا يديه على كتفيَّ: «بالطبع يفرقان معنا، ما رأيته...، ليس له علاقة بهما».

تراجعت إلى الخلف لأبعد يديه عني: «بل متعلق كليًّا بهما».

تنهد جونا وهو يعقد ذراعيه على صدره، بدا نادمًا فعلًا، أراد جزء صغير بداخلي أن أتوقف عن الشعور بالغضب الشديد، فقط حتى لا تظل تلك النظرة على وجهه.

- والدتكِ وأنا...نحن فقط...لا أعرف، لا يمكنني أن أشرح ما حدث الليلة الماضية، وبصراحة لا أريد ذلك، هذا أمر تتناقشان به أنتِ ووالدتكِ.

تقدم خطوة إلى الأمام ثم أردف قائلًا: «لكن هذا هو المهم يا كلارا، أنتِ في حاجة إلى مناقشة هذا الأمر معها، لا يمكنكِ حبس نفسكِ في غرفة نومكِ إلى الأبد، أعلم أنكِ غاضبة، ولكِ كل الحق في ذلك، لكن عديني أنكِ ستتحدثين معها في هذا الأمر».

أومأت برأسي، ليس لأنني سأتحدث مع والدتي فعلًا في هذا الموضوع، وإنما فقط لأنه بدا صادقًا جدًّا فيما قاله.

لا أشعر بالغضب من جونا بقدر ما أشعر بالغضب من والدتي، لأن ذلك ليس خطأه في الحقيقة، أشعر أن 90% من غضبي ينصبّ على والدتي، فجونا وجيني لم يتزوجا، ولم يتواعدا حتى لفترة طويلة، كما أن أبي ليس شقيق جونا، لذا فإن خيانته وخيانة والدتي يقعان في مستويين مختلفين، في قارتين مختلفتين، يجب أن يشعر جونا بالذنب، لكن والدتي يجب أن تشعر بالخسة.

نظرت إلى السقف، مررت يديَّ على وجهي، ثم وضعتها على أردافي: «لا أصدق أنني رميت هاتفي».

- اليوم عيد ميلادكِ يا كلارا، لكِ مطلق الحرية أن تغضبي كما تشائين، لا تخبري باقي الطلاب بما حدث فقط.

اندهشت، لكني ضحكت على ذلك ثم تنهدت بقوة: «لا أشعر أنه عيد ميلادي بالتأكيد».

كان من الصعب عليَّ أن أشعر أن اليوم عيد ميلادي في حين أن والدتي نسيت ذلك، أعتقد أن ذلك يعني أن عشاءات أعياد ميلادنا التقليدية قد انتهت إلى الأبد.

أشار جونا إلى باب الفصل: «يجب أن أعود، اجلسي في سيارتكِ حتى نهاية الحصة، أريد أن يعتقد الطلاب على الأقل أنني عاقبتكِ».

أومأت برأسي، وتراجعت خطوة إلى الخلف، بينما عاد هو إلى الفصل، جزء مني أراد أن يشكره، لكني ندمت على ذلك الشعور في الحال، فليس هناك حقًّا ما أشكره عليه، فإذا كنا نعد «الجمايل»، سيظل مدينًا لي بنحو مليون «جميل».

مضت الثلاث حصص التالية من دون اعتداء واحد على أحد، هذا تقدم، لم أرَ ميلر منذ الصباح، يوجعني ذلك بعض الشيء، فنحن معتادان أن نتبادل رسائل على مدار اليوم، لكن هاتفي الآن قد يكون في قاع سلة مهملات جونا.

حين ذهبت أخيرًا إلى الكافيتريا لتناول الغداء، رأيت الراحة على وجه ميلر عندما اقتربت من الطاولة، تنحَّى جانبًا، وترك مسافة بينه وبين إيفرين.

«هل أنتِ بخير» سألني بينما أجلس: «هناك شائعة تقول إنكِ ألقيتِ هاتفكِ على أستاذ سوليفان».

- ربما ألقيتُ به في اتجاهه، لكني كنتُ أقصد قذفه نحو سلة المهملات.

- هل احتُجزتِ؟

- لا، اصطحبني إلى الرواق، وعانقني.

«ثواني» قالت ليكسي، ثم أردفت: «ألقيتِ هاتفكِ، وعانقكِ؟».

- لا تخبري أحدًا، كان يجب أن أتظاهر أنه عاقبني.

«أتمنى لو كان لديَّ عم معلم» قالت ليكسي مردفة: «هذا غير عادل».

وضع ميلر شفتيه على كتفي، ثم أسند ذقنه إلى كتفي وهمس قائلًا: «لكنكِ بخير رغم كل ذلك؟».

أومأت برأسي لأني أردت أن أكون بخير، لكن الحقيقة أن اليوم سيئ، والليلة الماضية سيئة، والأشهر القليلةً الماضية سيئة، ولا يبدو أني سآخذ استراحة من ذلك، أحسست بسخونة خلف عينيَّ، رفع ميلر يده ووضعها على مؤخرة رقبتي قائلًا: «الجو لطيف في الخارج، أتودين أن نأخذ جولة بالسيارة داخل نورا؟».

هذا هو الشيء الوحيد الذي قد يُشعرني بأي إحساس بالراحة الآن: «أود ذلك».

تغيَّبت عن الجنازة معه، تعاطيت المخدرات معه، احتُجزت معه، جعلته يتسلل إلى غرفة نومي، أفقدني عذريتي، وبالتالي فإن التغيب عن نصف يوم دراسي يبدو تحسنًا في سلوكي بالمقارنة مع كل ذلك.

***

قاد ميلر الشاحنة إلى حديقة تقع على حافة بركة كبيرة، إحدى البرك التي اعتاد أبي أن يأخذني معه للصيد بها في أيامٍ كهذه.

جلس ميلر تحت شجرة ظلّ، وفرد ساقيه، بينما جلست ساندة رأسي إلى صدره، كان يلف ذراعيه حولي، أخذت أعدل جلستي حتى أشعر بالراحة، أسندت رأسي إلى كتفه، لصق خده أعلى رأسي قائلًا: «كيف كان والدكِ؟».

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ، لكني ما زلت أشعر أنني في حاجة إلى إنعاش ذاكرتي حتى أجيب سؤاله.

«كانت له ضحكة رائعة، كانت ضحكته مجلجلة، ترن في الغرفة كلها، أحيانًا كان ذلك يحرج والدتي في الأماكن العامة، لأن الناس كانوا يلتفتون وينظرون إلينا حين يضحك، وكان يضحك على كل شيء، كان يعمل كثيرًا، لكني لم أتضايق منه أبدًا بسبب ذلك، ربما لأنه حين كنا نجلس معًا يكون حاضرًا بذهنه تمامًا معي، كان يسألني دائمًا عن يومي، ويخبرني عن يومه» تنهدت: «أفتقد ذلك، أفتقد أن أحكي له عن يومي، حتى حين لم يكن هناك ما أحكيه».

- يبدو أنه كان عظيمًا.

أومأت برأسي: «ماذا عن والدك؟».

شعرت بحركة في صدر ميلر، مثل ضحكة خافتة ساخرة: «ليس مثل والدكِ أبدًا».

- هل رباك؟

شعرت بهزة رأسه: «لا، كنت أقضي بعض الوقت معه من حين إلى آخر، لكنه كان يدخل السجن ويخرج منه، حتى أُلقي القبض عليه في النهاية حين كنت في الخامسة عشرة، وحُكم عليه بالسجن لمدة أطول، سيخرج في غضون عامين، لكني أشك أنه سيكون لي أي علاقة به حين يخرج، على كل حال مضى وقت منذ آخر مرة رأيته بها حين قُبض عليه».

لهذا السبب علَّق والدي بذلك التعليق على والد ميلر، حين قال: «من شابه أباه فما ظلم»، كان والدي مخطئًا بالتأكيد.

- هل تتواصل معه بأيٍ شكلٍ؟

«لا» قال ميلر مستدركًا: «أقصد...لا أكرهه، أدركت فقط أن بعض الأشخاص يصلحون أن يكونوا آباءً، والبعض الآخر لا يصلحون، لا آخذ الأمر على محمل شخصي، لكني أفضِّل فقط ألا تكون لي صلة به».

- ووالدتك؟ كيف كانت؟

شعرت أنه انكمش على نفسه قليلًا قبل أن يقول: «لا أتذكرها جيدًا، لكن ليس لديّ أيٍ ذكريات سلبية عنها»، لف إحدى ساقيه حول كاحلي واستطرد قائلًا: «أتعرفين، أعتقد أن حبي للتصوير جاء من هنا، فبعد وفاتها... لم يكن لديّ ما يذكِّرني بها، كانت تكره الكاميرا، لذا كانت هناك صور قليلة جدًّا لها، ولم يكن لها مقاطع فيديو كثيرة، لم يمضِ وقتٌ طويلٌ على وفاتها حتى طلبت من جرامبس أن يشتري أول كاميرا لي، منذ ذلك الحين وأنا أوجهها نحو وجهه».

- في إمكانك أن تصنع فيلمًا كاملًا عنه وحده.

ضحك ميلر: «ربما أفعل ذلك، حتى ولو مجرد شيء أفعله لنفسي».

- إذن..ماذا ستفعل حين...».

«سأكون بخير» قال ذلك بحسم، كأنه لا يريد التحدث عن ذلك بعد الآن، أتفهم سبب ذلك، أب فيٍ السجن، وأم ميتة، وجد مُصاب بسرطان مميت، أتفهم شعوره جدًّا، ولا أريد التحدث عن ذلك أيضًا، جلسنا صامتين لبرهة قبل أن يقول ميلر: «تبًّا، دائمًا ما أنسى».

دفعني إلى الأمام قليلًا، ثم ركض عائدًا إلى شاحنته، ثم رجع ومعه كاميرته والحامل، وضعه على بُعد عدة أقدام منًّا.

جلس بيني وبين الشجرة وعدنا إلى وضعنا السابق: «لا تحدقي إليها هذه المرة».

نظرت إلى الكاميرا حين قال ذلك، ثم نظرت إلى الماء: «ربما يجب أن نلغي المشروع».

- لِمَ؟

- أصبح ذهني مشوشًا، صار مزاجي سيئًا دومًا.

- إلى أي مدى تريدين أن تصبحي ممثلة يا كلارا؟

- هذا هو الشيء الوحيد الذي أريده.

- يجب أن تفيقي من الوهم إذا كنت تعتقدين أنكِ ستذهبين إلى التصوير بمزاجٍ جيدٍ كل يوم.

تنهدت قائلة: «أكره حين تكون على حقّ».

ضحك وقبّلني على جانب رأسي: «يجب أن تكرهيني جدًّا إذن».

هززت رأسي: «ولا حتى قليلًا».

ساد الصمت ثانية، كان هناك في الجانب الآخر من البحيرة رجل معه ولدان صغيران، كان يعلِّمهما الصيد، راقبته متسائلة ما إذا كان يخون أمهما، ثم شعرت بالغضب يعود إليَّ مرة أخرى، لأني أشعر الآن أنني سأظل أبحث عن أسوأ ما في الناس لبقية حياتي.

لا أريد التحدث عن خالتي جيني أو أبي، أو أمي أو جونا، ورغم ذلك خرجت الكلمات مني: «الطريقة التي تكلم بها جونا اليوم...بدا نادمًا حقًّا، كأن قبلتهما كانت مجرد شيء عابر حدث مرة واحدة فقط، أريد أن أسألها عن ذلك، لكن أخشى أن تكون صادقة معي وتخبرني أن الأمر أكثر من ذلك بكثير، أفكر في ذلك لأني أعرف أنهما ذهبا إلى فندقٍ معًا، ولم يكن مرَّ علًى الحادث أسبوع حتى».

- كيف عرفتِ ذلك؟

- من التطبيق، ما الذي سيجعلهما يذهبان إلى هناك إذا لم يكونا على علاقة فعلًا؟

- في كلتا الحالتين، يجب أن تتحدثي معها في هذا الموضوع، ليس لديكِ حل آخر.

«أعرف» تنهدت مردفة: «أتعلم، لست متفاجئة من أن يفعل جونا شيئًا كهذا، فقد عاد إلى هنا وبدأ في مواعدة خالتي جيني لأنها كانت حاملًا منه، وليس لأنهما كانا يحبان بعضهما بجنون، لكن أمي... كانت مرتبطة بأبي منذ أن كانا في المدرسة الثانوية، كأنها لم تكن تحترم أبي أبدًا».

- أنتِ لا تعرفين شيئًا، ربما هي وجونا حزينان للغاية.

- لم يبدُ ذلك حزنًا بالنسبة إليَّ.

- ربما تساعدهما مواساتهما لبعض على تجاوز الحزن.

لا أريد التفكير في ذلك حتى، تلك طريقة غريبة في الحزن.

- حسنًا، خروجي من المدرسة ساعدني على تجاوز الحزن، لذا شكرًا لك.

- على الرحب والسعة، يمكننا أن نفعل ذلك في أي وقت عدا الحصة الأخيرة، لديَّ امتحان، لذا يجب أن أعود بسرعة.

- عُد في أي وقت تشاء.

- هل ستقومين بأي شيء الليلة من أجل عيد ميلادك؟

هززت كتفي: «كنَّا معتادين على أن نقيم عشاء عيد ميلاد عائليًّا، لكن أعتقد أن ذلك التقليد انتهى، فلم يعد لدينا عائلة متبقية تقريبًا».

أحكم ميلر ذراعيه حولي، جعلني ذلك أشتاق إلى أحضان أبي، حتى عناق جونا لي اليوم جعلني أشتاق إليه.

- حسنًا، إذا سمحت لكِ والدتكِ، فسوف أصطحبكِ إلى الخارج.

- أشك تمامًا في أنها قد تسمح لي بالخروج، وليس بي طاقة لأتشاجر معها من أجل ذلك.

- يضايقني أن تقضي عيد ميلادِك وحدكِ في غرفتكِ.

- لا بأس، فهو مجرد يوم آخر من بين الأيام.

أتساءل عما الذي كان سيفكر به والدي إذا رآني حزينة جدًّا في عيد ميلادي، ربما كان سيحزنه أننا لم نواصل إقامة عشاء عيد الميلاد العائلي المعتاد، أراهن أن خالتي جيني كانت ستتضايق أيضًا بسبب ذلك، فنحن لم نفوت أبدًا واحدًا منذ أن وعيت على الحياة، يجعلني ذلك أتساءل لِمَ افترضت مسبقًا أن ذلك التقليد سيتوقف بوفاتهما، فهما لا يريدانه أن يتوقف.

حتى لو كانت والدتي فقدت اهتمامها بهذا التقليد، فهذا لا يعني بالضرورة ألا يستمر، سيمكنني ذلك على الأقل من رؤية ميلر الليلة، اعتدلت في جلستي ونظرت إليه: «أتعلم؟ أريد إقامة عشاء عيد ميلاد الليلة، وأريدك أن تأتي».

رفع حاجبه في تشكك: «لا أعرف، لا يبدو لي أن والدتكِ سترحب بوجودي مرة أخرى في منزلكِ».

- سوف أتحدث معها حين أعود إلى المنزل، إذا كان لديها مشكلة في ذلك، سوف أتصل بك.

- ليس لديكِ هاتف.

- سأتصل بك من هاتف المنزل.

- ألا يزال هناك من يمتلك هاتفًا منزليًّا؟

ضحكت قائلة: «هي في الرابعة والثلاثين فقط، لكنها في الواقع عجوزٌ في عمر الرابعة والثلاثين».

أرجعت ظهري إلى الخلف وسندت إلى صدره، كنت أفكر في عيد ميلادي، من الظلم حقًّا أن تحاول منعي من الخروج، إذا فعلت ذلك، فقد ألقي بأمر «لانجفورد» في وجهها، أخذت شهيقًا ببطء، كلما فكرت في الأمر، زاد غضبي، ففكرة لقائهما في فندق بعد أسبوع واحد فقط من الحادث تثير بداخلي رغبة في الانتقام.

حاولت ألا أفكر في ذلك، استدرت وجلست فوق ميلر منفرجة الساقين، ثم أخذت أقبِّله لدقائق عدة، هذا إلهاء جيد، لكن يجب أن نعود إلى المدرسة في النهاية.

بقيت جالسة في سيارتي في انتظار انتهاء الحصة الأخيرة قبل أن أعود إلى المنزل، كان ذلك فكرة سيئة، لأنني ظللت أفكر طوال جلوسي في السيارة في كل الطرق التي يمكنني أن أنفذ بها الانتقام الذي يستحقه أبي وجيني.

قدت السيارة عائدة إلى المنزل، صرت أكثر غضبًا حتى مما كنت عليه حين غادرت المنزل في الصباح.

الفصل السابع والعشرون
مورجان

حين عادت كلارا إلى المنزل، كنت في غرفتها أعلق الثياب في خزانتها، شغلت نفسي طوال اليوم بالتنظيف وغسل الملابس، والترتيب الذي لا يحتاج إلى التفكير، لم يغِب عني أني لم أغادر المنزل اليوم نهائيًّا، وبالتالي لم يكن عليَّ إلغاء موعد فني الكابلات، الآن من الممكن أن أنضم إلى صف ربات البيوت الحقيقيات.

سمعت وقع خطوات كلارا في الردهة، لذا هيَّأت نفسي للقادم، توقعت أن تصرخ بي أو تعاقبني بالصمت، ستقوم بهذا أو ذاك، كنت أعلق آخر قميص حين دخلت غرفتها وألقت حقيبة ظهرها على الفراش.

- ماذا سنأكل في عشاء عيد ميلادي الليلة؟ أنا جائعة.

نظرتُ إليها بارتيابٍ، لأني شعرت أن بالأمر حيلة ما، ألا تزال تريد إقامة عشاء عيد الميلاد؟ أدهشني ذلك، لكني سايرتها في الأمر، عسى أن تكون صادقة، أتمنى أن تكون صادقة فعلًا: «كنت أفكر في إعداد لازانيا» قلت مردفة: «أعرف أنها طعامكِ المفضل».

أومأت قائلة: «ممتاز».

ربما أحتاج إلى أن أهرع إلى متجر البقالة الآن، لكني سأفعل أي شيء حاليًّا لأحظى بفرصة لفتح حديث معها، وهذا العشاء سيكون فرصة رائعة.

ربما تدرك أيضًا أنه من دون وجود جيني وكريس، لن يأتي جونا إلى العشاء، سنكون نحن الاثنين فقط، تأخرنا كثيرًا عن إجراء محادثة جادة ومن القلب مع بعض.

***

رنَّ جرس الباب وأنا أقطع الطماطم لإعداد السلطة، مسحتُ يدي بمنشفة الأطباق، ثم اتجهت نحو الباب الأمامي، سبقتني كلارا وفتحت الباب، تفاجأت حين رأيت جونا وإيليا، ما الذي يفعله هنا؟ هل يظن حقًّا أن العشاء سيُقام بعد ما حدث الليلة الماضية؟

توقعت أن تُصفق كلارا الباب في وجهه، لكنها لم تفعل ذلك، أعطاها صندوقًا، ورغم أني كنت أقف على أطراف أصابعي عند مدخل المطبخ، وأحاول أن أرى ما بالصندوق، فإنني لم أعرف ماذا أعطاها.

«فعلًا؟» بدت سعيدة، شعرت أني لا أفهم شيئًا.

«كان لديَّ هاتفٌ قديمٌ في درج في المنزل» قال جونا.

- لكن هذا أحدث طراز.

- أخذت القديم.

سمحت له كلارا بالدخول، فانسللت عائدة إلى المطبخ، لِمَ اشترى لها هاتفًا؟ هل هذه طريقته لكسب ودها؟ هذه ليست طريقة تربية يا جونا.

- أدخلت بالفعل بطاقة هاتفكِ القديمة به، لذا من المفترض أن يُفتح على الفور.

- شكرًا لك.

من الجيد أن أسمع نبرة فرحة في صوتها، لكن من الصعب أن أشعر بالراحة بينما جونا يسير في المطبخ خلفي.

«هل اشتريت لها هاتفًا جديدًا؟» سألته من دون أن أستدير.

- رمت بهاتفها في الفصل اليوم، وانكسر، لذلك أعطيتها أحد هواتفي.

تنهدت قبل أن أستدير لأكون في مواجهته، أكره ما أشعر به في وجوده بعد الليلة الماضية، بقدر ما كانت تلك القبلة قصيرة، إلا أن أثرها لا يزال باقيًا، ما زلت أشعر بملمس شفتيه على شفتيَّ.

- ماذا تفعل هنا؟

- اتصلت بي كلارا منذ ساعة، أخبرتني أن عشاء عيد ميلادها سيُقام كالمعتاد.

ضيَّقتُ عيني وأنا أنظر نحو غرفة كلارا قائلة: «ما الذي تنتويه؟».

هزَّ جونا كتفيه، عدّل وضع إيليا بين ذراعيه: «ربما لا يكون لديها مشكلة في ذلك».

- في ماذا؟

- معنا.

«هي ليست بخير، وليس هناك «شيء» بيننا»، استدرت حينها وأكملت إعداد السلطة.

جلس جونا إلى الطاولة، وأخذ يلعب مع إيليا ويقوم بحركات بوجهه، كان ذلك لطيفًا ومذهلًا، لم أستطع التوقف عن اختلاس النظرات إليه، لأن لعبه معه كان رائعًا، ربما لأني أعرف أن إيليا ليس ابنه البيولوجي حتى، ورغم ذلك يحبه جونا كما لو كان ابنه فعلًا، أكره كون إيليا ثمرة خيانة كريس وجيني، لكني أحب أن ذلك لا يفرق مع جونا.

رؤيته مع إيليا جعلتني أفكر في الكثير من الأشياء الجميلة به، لذا أخذت إيليا منه، كي أتمكن فقط من كبح سيل المشاعر التي

اختلجتني، جلست إلى الطاولة، وأدرت إيليا نحوي، ابتسم لي، صار يفرح برؤيتي الآن، وهذا يذيب قلبي كل مرة.

«هل تحتاجين إلى المساعدة في أي شيء؟» سألني.

«يمكنك أن تضع عجينة السكر على الكعكة» قلت أي شيء لأُبعده عن ناظري.

بمجرد أن انتهى من تزيين الكعكة حتى رنَّ جرس الباب ثانية، نظرنا إلى بعضنا بحيرة.

- هل تنتظرين أحدًا آخر؟

هززت رأسي، وأعطيته إيليا قبل أن أتجه نحو الباب الأمامي، لكن كلارا هرعت ثانية عبر غرفة المعيشة، وسبقتني إلى الباب، تجمدت في مكاني حين فتحته.

كان ميلر آدامز يقف عند المدخل، بدا متوترًا، لم تمنحني كلارا وقتًا لأستوعب مجيئه أو أصرخ به حتى، لأنها أمسكت يده وجذبته إلى داخل المنزل.

وقف جونا بجواري، لوَّح ميلر إلينا بينما كلارا تشده نحو الردهة.

«مرحبًا سيد سوليفان» ابتلع ريقه، وخفت صوته حين وجه الكلام إليَّ: «سيدة جرانت».

لم يكن لدينا الفرصة حتى لنرد عليه، لأن كلارا أخذته خارج غرفة المعيشة.

همست قائلة: «لا أعرف ماذا أفعل».

«بخصوص ماذا؟» سألني جونا.

نظرت إليه بدهشة، لكني أدركت بعدها أنه ليس لديه أدنى فكرة عما فعلته كلارا الليلة الماضية، ضغطت كتفه، لأدفعه إلى العودة إلى

المطبخ، استدار ليقف في مواجهتي، حاولت أن أُبقي صوتي منخفضًا رغم غضبي: «ضبطهما معًا في الفراش هذا الصباح»، همست مردفة: «كانت هناك أوقية ذكرية على الطاولة، كانت كلارا عارية تقريبًا، وكان نائمًا في غرفتها طوال الليل!».

اتسعت عينا جونا: « أووه، واو».

عقدت ذراعيَّ، وارتميت على أحد مقاعد طاولة المطبخ: «هي تختبرني»، نظرت إلى جونا طلبًا لنصيحته: «هل أجعله يرحل؟».

هزَّ جونا كتفيه: «هذا مجرد عشاء، لن يجعلها تحمل على الطاولة».

- أنت متساهلٌ جدًّا.

- اليوم عيد ميلادها، كانت مستاءة منا الليلة الماضية، لذا ربما قد تكون دعته نكاية بنا، على الأقل هو هنا، ولديكِ فرصة لتتعرَّفي عليه بشكلٍ أفضل.

أدرتُ عينيَّ في ضيق، ونهضت: «العشاء جاهز، أذهب وأخبرهما قبل أن يجعلها حاملًا».

كان الموقف محرجًا جدًّا، ليس فقط لأني أعرف أن ميلر أفقد ابنتي عذريتها على الأرجح الليلة الماضية، لكن لأنني أنا وجونا كنَّا بالكاد نتحدث مع بعضنا، لم نناقش ما حدث بيننا، وهذا جعل الأجواء ثقيلة.

لم تعطني كلارا سوى إجاباتٍ مقتضبة حين حاولت التحدث معها، لذا توقفت في النهاية عن طرحٍ الأسئلة عليها لأن ذلك كان

محرجًا، حتى ميلر وكلارا لم يتحدثا معًا، لأنها كانت تزدرد اللازانيا بسرعة كما لو أننا في مسابقة طعام.

كان جونا يحمل إيليا ويطعمه بـ»البرونة» وهو يأكل، كان منظرهما لطيفًا، لذا حدقت إلى صحني حتى أتجنَّب النظر إليهما.

«كيف يسير مشروع الفيلم؟» سأل جونا.

هزَّ ميلر كتفيه: «ببطء، لم نتوصل إلى فكرة قوية حتى الآن، لكننا سنجدها».

أجل، لأنكما مشغولان جدًّا بفعل أشياء أخرى، وددت أن أقول ذلك، أشارت كلارا بشوكتها نحو طبق ميلر: «تناول الطعام بسرعة».

بدا الارتباك على وجهه، لكنه التقط الشوكة وأخذ قضمة أخرى، أعرف تمامًا ما تفعله، تتلاعب على نحوٍ جيدٍ، على أمل أن يسامح بعضنا بعضًا إذا قضت عشاء عيد الميلادٍ معي، تصورت أنها إذا لم تتشاجر معي، فلن أتشاجر معها حينما ينتهي العشاء، تريد أن تغادر مع ميلر، لكنها لن تغادر معه، على جثتي.

أنهت كلارا طعامها ووقفت، أدخلت صحنها إلى المطبخ، حين عادت نظرت إلى ميلر قائلة: «هل أنهيت طعامك؟» شدت الطبق من أمامه رغم أنه كان لا يزال يتناول طعامه.

«لا تزال هناك كعكة» قلت مشيرة إلى كعكة الشوكولاتة المكونة من ثلاث طبقات في وسط الطاولة، نظرت كلارا إليَّ بحدة، أخذت شوكة ميلر من يده من دون أن تبعد بصرها عني، غرزت الشوكة في منتصف الكعكة، ثم دفست قطعة في فمها.

«لذيذة» قالت بتهكمٍ، ثم ألقت الشوكة وأمسكت يد ميلر: «هل أنت مستعد؟»».

- أين تظنين نفسك ذاهبة؟

«سنحضر مباراة بيسبول» قالت كلارا.

- الليلة ليست مناسبة للمباريات.

أمالت كلارا رأسها: «هل أنتِ متأكدة من ذلك يا ماما؟ أقصد أنكِ لم تتذكري هذا الصباح أن اليوم عيد ميلادي».

- كنت أعلم أنه عيد ميلادكِ، لكني كنت مصدومة من أن صديقكِ نام في فراشكِ الليلة الماضية.

ابتسمت كلارا ابتسامة صفراء: «أوه، لم ننم».

تمتم ميلر من خلفها: «بلى نمنا».

نظرت إلى ميلر: «يمكنك الذهاب الآن، قل لكلارا تصبحين على خيرٍ».

نظرت كلارا إلى ميلر: «لا تغادر الآن، سآتي معك».

نظر ميلر إليَّ ثم إلى كلارا، كأنه حائر بيننا، كنت سأشعر بالأسى لأجله لو أنني لم أكن غاضبة جدًّا منه.

قال جونا: «ميلر، ربما من الأفضل أن تذهب الآن».

أدارت كلارا عينيها بغضب، قبل أن توجه نظراتها نحو جونا: «إذا كان سيغادر، فعليك أن تغادر أيضًا، أنت لا تعيش هنا».

بدا جونا كأنه فاض به الكيل من سلوكها مثلي: «كلارا، توقفي عن ذلك».

- لا تُملي عليَّ ما أفعل، أنت لست أبي.

- لا أحاول حتى أن أحل محله.

كنت أقف وأراقب ما يحدث، تخطى ذلك الحدود كثيرًا، استدار ميلر واتجه نحو الباب، كأنه شعر بأن هناك قنبلة على وشك الانفجار، ولا يريد أن تصيبه شظاياها.

سارت كلارا نحو الباب الأمامي: «هذا عيد ميلادي، أعترض على منعي من الخروج من المنزل، لأن ما فعلتِه هو الذي اضطرني إلى أن أكسر القواعد الليلة الماضية»، فتحت الباب قائلة: «سأعود إلى المنزل في موعد عودتي».

مشيت حول الطاولة بسرعة متجهة نحو الباب، لكن جونا أمسك معصمي: «دعيها تذهب».

نظرت إلى يده المطبقة بقوة على معصمي: «لا أصدقك».

وقف جونا، فرفعت بصري إلى أعلى لأنه يفوقني طولًا: «يجب أن تخبريها بالحقيقة يا مورجان».

- لا.

- أنتِ تفقدين سيطرتكِ عليها، صارت تكرهكِ وتلومك على كل شيء.

- هي في السادسة عشرة، سوف تتجاوز الأمر.

- هي في السابعة عشرة، ماذا لو لم تتجاوز ذلك؟

لا يمكنني مواصلة هذه المحادثة الآن، قلت له: «هي محقة، يجب أن تغادر أيضًا».

لم يعترض جونا، حمل أشياء إيليا ثم رحلا، لم يقل وداعًا حتى، حدقت إلى طاولة المطبخ، في كل هذا الطعام الذي لم يؤكل، والكعكة التي لم تُمس تقريبًا، استرخيت في المقعد، أمسكت بشوكة، وأخذت قضمة منها.

الفصل الثامن والعشرون
كلارا

كنا نستند أنا وميلر إلى شاحنته حين رأيت جونا يخرج ومعه إيليا، استدرت وحدقت إلى الطريق حتى أتجنب النظر إليه، فقد اتضح لي في الفصل اليوم أن غضبي يزداد كلما التقت أعيننا، فرغم أنه كان لطيفًا معي ولم يعاقبني، ثم أعطاني هاتفه لاحقًا، فإنني أدرك أنه فعل كلا الأمرين بدافع الشعور بالذنب، لأنه يعرف تمامًا ما فعله، وها هو هنا الآن يتناول العشاء العائلي معنا، كأن والدي لم يكن موجودًا أبدًا.

سمعت جونا وهو يضع إيليا في المقعد الخلفي ويربط له حزام الأمان، ثم سمعت الباب يُغلق، تنهدت بطمأنينة، شعرت بالراحة لأنه غادر، لكني أخذت دفعة أخرى من الهواء بعدها حين أدركت أنه لم يفتح باب سيارته، اختلست النظر نحو مقدمة شاحنة ميلر، فرأيت جونا يسير نحونا، ارتسم على وجهي الضيق حين وقف أمامي على بعد قدمين.

وضع كلتا يديه بقوة على كتفيا، ثم مال نحوي وقبَّلني أعلى رأسي: «أنتِ أفضل من ذلك يا كلارا، نحن جميعًا أفضل من ذلك»، ثم تراجع إلى الخلف: «عيد ميلاد سعيد».

حين خرج جونا أخيرًا من الممر، أدرت عيني بارتياح، وسندت إلى شاحنة ميلر، وضعت رأسي على صدره، حتى أشعر فقط بنبضات قلبه المُطَمئِنة على خدي.

وضع ذقنه فوق رأسي، ولف ذراعيه حولي، سألني: «هل هذا هو الحال دائمًا؟».

- أجل، مؤخرًا.

تنهد بعمقٍ: «لا أعرف ما إذا في إمكاني القيام بذلك».

رجعت إلى الخلف ونظرت إليه: «ليس عليكَ أن تأتي إلى هنا بعد الآن، لن ألومك حتى».

نظر إليَّ ميلر بأسفٍ: «لا أقصد تناول العشاء مع عائلتكِ».

حدقت إليه للحظة كانت كافية لأرى الضيق الذي يعلو وجهه، أخذت خطوة إلى الخلف، تهاوى كتفاه إلى جانبيه.

- هذا عيد ميلادي.

- أعرف ذلك.

- هل ستتركني يوم عيد ميلادي؟

وضع يده على وجهه: «لا، أنا فقط...» لم يستطع حتى إكمال ما كان على وشك أن يقوله، ربما لأنه يدرك كم هو حقير الآن، تراجعت خطوة أخرى إلى الخلف: «نمت معي بالأمس، وتتركني الآن؟ حقًّا؟».

استدرت عائدة إلى المنزل وأنا أقول: «أعتقد أني كنت مخطئة بشأنكِ أيضًا».

سمعت وقع خطواته وهو يركض خلفي، اعترض طريقي قبل أن أصل إلى الفناء الأمامي، أمسك وجهي بكلتا يديه، لكن لم يكن ذلك بلطفٍ، ولا بقسوة حتى، لكنها- بحسب الغضب الذي ارتسم على وجههٍ- لم تكن اللمسة التي أريدها حقًّا الآن.

«لا يمكنكِ أن تقولي ذلك لي يا كلارا، أنا من تم استغلالي بالأمس، وليس أنتِ» قال ذلك، ثم أبعد يديه عني، ومضى نحو شاحنته، جفلت حين سمعته يفتح الباب.

«أنا آسفة»، نظرت إليه: «ما قلته كان سيئًا حقًّا، وما فعلته كان بشعًا»، مشيت نحو شاحنته: «لكن لِمَ تفعل ذلك؟، في الصباح ونحن في سيارتي، تعاملت كأنك سامحتني على ما حدث الليلة الماضية».

انتابني الذعر، بدت الحيرة على وجه ميلر وهو ينقر بقبضة يده إطار بابه، ثم صفقه وجذبني نحوه ليعانقني بضيقٍ.

«أعرف أنكِ ووالدتكِ لستما على وفاقٍ مع بعضكما حاليًّا» خفض بصره نحوي، ورفع وجهي إلى أعلى بيديه: «لكني أشعر أنكِ تستخدمينني كسلاح في كل هذه المعارك معها، وهذا ظلم لي».

- لم أكن أعرف أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه.

- هذا خطؤك يا كلارا، لم تكوني الضحية فيما حدث الليلة، بل أنتِ من أثار كل ذلك.

أفلتُّ نفسي من بين يديه: «إن كنت تعتقد أن ما حدث الليلة كان خطئي فذاكرتك سيئة، في حالة ما إذا كنت نسيت، فقد اكتشفت أن والدتي كانت على علاقة بجونا».

فتح ميلر الباب وركب شاحنته، وقفت بينه وبين بابه حتى لا يغلقه، أسند رأسه إلى ظهر مقعده: «أريد العودة للمنزل».

- سآتي معك.

أدار رأسه ونظر إليَّ: «أريد الذهاب وحدي».

لن أتوسل إليه، توسلت بما يكفي الليلة الماضية: «هذا سيئ»، ابتعدت حتى يتمكن من إغلاق بابه، أدار شاحنته، لكنه أنزل زجاج

النافذة وقال: «أراكِ في المدرسة غدًا» لم تعد في نبرته حدة، لكن ذلك لم يُريحني، فقد تركني وحدي يوم عيد ميلادي، أعرف أن العشاء كان سيئًا، لكن حياتي كلها سيئة، فما الجديد؟ استدرت ومشيت مبتعدة عن شاحنته.

- كلارا.

يا إلهي، هو مترددٌ جدًّا، ولا يستقر على شيء، استدرت ومشيت عائدة إلى نافذته: «أتعرف، لا أريد ذلك، لا أريد حبيبًا يجعل حالتي النفسية أسوأ حين أكون محبطة بالفعل، لا أريد أن أواعدك بعد الآن، انتهت علاقتنا».

ابتعدت، لكني أدركت أنني لم أنهِ كلامي، لذا رجعت خطوة إلى الوراء نحو شاحنته: «لقد أهانا أهم شخصين في حياتي، وأهاناني، هل من المفترض أن أتظاهر أنني ليس لديَّ مشكلة في ذلك؟ هل هذه هي نوع الحبيبة التي تريدها، حبيبة تستسلم فقط وتسمح للآخرين بالانتصار عليها دائمًا».

أسند ميلر ذراعيه إلى عجلة القيادة، وقال بصوتٍ هادئ: « أحيانًا عليكِ الانسحاب من المعركة حتى تنتصري بها».

أثار قوله ذلك غضبي، خبطت بقدمي على الأرض: «لا يمكنك أن تنفصل عني، ثم تقتبس مقولة خالتي الميتة».

- لم أنفصل عنكِ، ولم أقتبس منكِ شيئًا.

- حسنًا، توقف عن ذلك، لا تقتبس مقولات من أي أحد... هذا سيئ!

بدا ميلر مبتهجًا نوعًا ما: «سأعود للمنزل الآن».

- حسنًا!

نظر خلفه وبدأ يخرج من الممر، ظللت واقفة في مكاني، حائرة بشأن شجارنا، لا أعرف حتى ماذا حدث للتو.

- -هل انفصلنا عن بعضنا؟ لا أعرف حتى!

ضغط ميلر المكابح، وأخرج رأسه من النافذة: «لا، كنَّا نتشاجر فقط».

- حسنًا.

بدا مبتهجًا ثانية وهو يرجع إلى الخلف متجهًا نحو الشارع، أردت محو هذه الابتسامة الماكرة من على وجهه، لكنه كان قد غادر بالفعل، حين انطلق بسيارته، عدت إلى المنزل، كانت والدتي واقفة في غرفة المعيشة، تحدق إلى هاتفها، كان مكبر الصوت مفتوحًا، كانت تسمع البريد الصوتي، دخلت المنزل في الجزء الأخير من البريد.

«...لم تسجل خروجها من المدرسة، لذا نتصل بكِ لإخبارك أنها تحتاج إلى إحضار عذرٍ لغيابها عن حصص ما بعد الظهيرة اليوم...».

أنهت والدتي المكالمة قبل نهاية البريد الصوتي: «هل تغيبتِ عن المدرسة اليوم؟».

أدرت عيني في ضيقٍ وأنا أمضي متجاوزة إياها: «كانت ثلاث حصص فقط، اضطررت إلى الخروج من المدرسة، لم أكن أستطيع التنفس، وما زلت لا أستطيع التنفس» صفقت بابي، انهمرت الدموع على وجنتيَّ قبل حتى أن أرتمي على الفراش.

أمسكت هاتفي الجديد، واتصلت بـ ليكسي، تجيبني من أول رنين، يمكن الاعتماد عليها دومًا، هي الشيء الوحيد في حياتي الذي يمكنني الاعتماد عليه الآن.

«ذلك...» كنت ألهث وأنا أحاول حبس دموعي: «ذلك أسوأ عيد ميلاد، الأسوأ على الإطلاق، هل يمكنكِ...» حاولت استنشاق المزيد من الهواء: «أن تأتي».

- سآتي إليكِ حالًا.

الفصل التاسع والعشرون
مورجان

أخرجت بعض قمصان كريس من الخزانة، ونزعت المشاجب منهم، وضعتهم في كيس قمامة، سأتبرع بهم إلى الكنيسة.

جاءت ليكسي بعد نصف ساعة، تشاجرت مع كلارا سابقًا وطلبت منها ألا تستضيفها، لكني أفضِّل أن تأتي ليكسي هنا بدلًا من أن تكون كلارا وحدها الآن، أحسست بالارتياح حين رأيتها عندما فتحت الباب الأمامي منذ قليل، لأني سمعت كلارا تبكي من غرفة نومي، وهي ترفض التحدث معًا، أو ربما لا أريد أنا التحدث معها، أعتقد أن من الأفضل ألا نتحدث معًا حتى الغد.

الآن ليكسي هنا، وكلارا لم تعد تبكي، وهذا جيد، ورغم أني لا أستطيع سماع ما تقولانه، فإنني أسمعهما تتحدثان، فأنا أعرف على الأقل أنها في المنزل وبخيرٍ، حتى لو كانت تكرهني الآن.

أخرجت قميصين آخرين من قمصان كريس من خزانتي، فقد بدأت أتخلَّص تدريجيًا من أغراضه منذ الأسبوع الذي تلا وفاته، كنت أتخلَّص من أشياء قليلة كل مرة، حتى لا تلاحظ كلارا ذلك، لا أريدها أن تظن أنني أحاول محو ذكراه من المنزل، فهو والدها، وليس هدفي أن أمحو ذكراه، بل أن أمحوه من حياتي أنا.

رميت وسادته الأسبوع الماضي، ورميت فرشاة أسنانه هذا الصباح، وانتهيت للتوِ من حزم آخر ملابس له في خزانته، توقعت

أن أجد في أثناء ذلك شيئًا قد يكون غفل عنه، إيصال فندق، أحمر شفاه على الياقة، شيئًا يبيِّن قلة حذره في هذه العلاقة، لكن باستثناء الجوابات التي أخفاها في صندوق أدواته، لم أجد شيئًا، أخفى الأمر جيدًا، كلاهما أخفياه جيدًا.

ربما يجب أن أُخرج الجوابات من خزانة ملابسي، وأخفيها قبل أن تجدها كلارا بالصدفة، أنزلت صندوقًا من بين أغراضه من الرف العلوي بالخزانة.

بعد أن حملت بكلارا، انتقلنا أنا وكريس للعيش معًا، لم نكن نملك الكثير من الأغراض لأننا كنا لا نزال مراهقين، لكن هذا الصندوق أحد الأشياء القليلة التي اشتراها معي، كان بداخله حينها بضع تذكارات مثل الصور والجوائز التي حصل عليها، لكنني أضفت إلى الصندوق المزيد من الأشياء بمرور السنوات، وأعتبره الآن صندوقنا.

جلست على الفراش وأخذت أتأمَّل الصور به، صورًا لكلارا منذ أن كانت طفلة، صورًا لنا أنا وكريس، صورًا لنا نحن الثلاثة ومعنا جيني، فحصت كل صورة، على أمل أن أجد أي إشارة تُبيِّن لي متى بدأ ذلك، لكن كل الصور كانت تُظهر زوجين سعيدين.

أعتقد أننا كنَّا سعيدين فعلًا لبعض الوقت، لست متأكدة متى بدأ الحال يتغير بالنسبة إليه، لكنني كنت أتمنى لو أنه اختار أي امرأة في العالم غير جيني، هذا أقل شيء كان من الممكن أن يفعله، أو ربما تكون جيني هي التي اختارته.

أخرجت ظرفًا من الصندوق، كان مليئًا بالصور التي تم التقاطها بإحدى كاميراتنا القديمة، لم تظهر جيني في الكثير من الصور لأنها هي من التقطت معظمهم، لكن كانت هناك الكثير من الصور لي

ولكريس، ظهر جونا في بعض الصور، حدقت بشدة إلى صور جونا، محاولة العثور على سعادة حقيقية في وجهه، لكنني لم أجد أي لمحة سعادة، كان يبتسم بصعوبة.

هو حتى الآن نادرًا ما يبتسم، لا يعني ذلك أنه لم يكن سعيدًا، فقد بدا سعيدًا حينذاك، لكن لم يكن سعيدًا مثلنا، بدت جيني مشرقة معه، وبدا كريس مشرقًا معي، لكن ما من أحدٍ جعل جونا مشرق الوجه، كأنه عالقٌ في حالة حزن دائمة، مشغول الذهن بشيء لم يكن أحدٌ منّا على دراية به.

كنت أقلب بين الصور الثلاث الأخيرة، رأيت شيئًا جعلني أتوقف، أخرجت الصور الثلاث، رتّبتهما بالتسلسل، وبدأت أفحصهما، في الصورة الأولى كنت أقف في المنتصف، وأبتسم للكاميرا، وكريس ينظر إليّ مبتسمًا، وجونا يقف بجانبي من الناحية الأخرى، ينظر إلى كريس ونظرة حزن تخيم على وجهه.

في الصورة التالية، كان كريس يبتسم إلى الكاميرا، وكنت أنظر إلى جونا، وهو ينظر إليّ، أتذكر تلك اللحظة، أتذكر تلك النظرة.

في الصورة الثالثة، خرج جونا من الكادر، قطع نظراتنا، ومشى بعيدًا، حاولت ألا أفكر في ذلك اليوم، أو في الدقائق العشر التي سبقت التقاط تلك الصورة، لكني لم أستطع، أجبرتني الصور على تذكر ذلك اليوم بالتفصيل.

ذهبنا إلى منزل جونا لأنه كان الوحيد بيننا الذي لديه حمام سباحة، كانت جيني تستلقي على منشفة على الأرض الأسمنتية بالقرب من جانب حمام السباحة الضحل، حتى تسمِّر بشرتها، كان كريس قد خرج للتوِّ من المياه، واتجه نحو المنزل، لأنه كان جائعًا، بينما كان

جونا يمسك بعوامة في المياه على بُعد أقدام قليلة مني، كان جسده مغمورًا أسفل المياه، وذراعاه مفرودان على العوامة.

لم أكن ألمس أرضية حمام السباحة، وكانت ساقاي متعبتين، لذا سبحت نحوه، وأمسكت بالعوامة، كانت منفوخة بشكل سيئ، وربما مضى عليها بضعة أصياف، لذا لم تكن موثوقة تمامًا، خاصة وأن كلينا يتكئ عليها، بدأت أنزلق إلى أسفل، فأمسك جونا ذراعيَّ، ثم لفَّ ساقه حول ركبتي حتى يثبتني في مكاني.

لا أعتقد أن أيًا منًا كان يتوقع أن يجفل من هذا التلامس، لكنني أحسست أنه شعر بذلك أيضًا، أحسست بذلك لأن لون عينيه تغيَّر، وأصبح أكثر قتامة في اللحظة نفسها التي ارتجفت بها.

وقتها كنت أواعد كريس منذ فترة، ولا مرة من المرات التي لمسني فيها حين كنًا نتواعد شعرت فيها بتيارٍ كهربائي مماثلٍ يسري في جسدي، ذلك التيار الذي لا يجعلك عاجزًا عن التنفس فقط، لكنه يجعلك أيضًا خائفًا من أن تموت بسبب نقص الأكسجين إذا لم تتراجع، أردت النزول مع جونا تحت الماء، وأخذ الهواء من فمه.

أرعبتني هذه الفكرة، حاولت الابتعاد، لكن جونا ظل ممسكًا بذراعيَّ، نظر إليَّ بعينين متوسلتين، كأنه يعرف أنه في اللحظة التي سأبتعد بها، لن يتمكن من لمسي بهذه الطريقة ثانية أبدًا، لذا بقيت في مكاني، يحدق أحدنا إلى الآخر، هذا كل ما حدث.

لم نقل شيئًا، لا يسعني أن أقول حتى إننا كنا نتلامس بطريقة غير لائقة، باستثناء الطريقة التي كان يمسكني بها ليبقيني طافية على سطح الماء عبر لف ساقه حول ساقي أسفل الماء، لو كان كريس رآنا، ما كان سيفكر في شيء حيال ذلك، ولو كانت جيني رأتنا، لم تكن ستغضب

حتى، لأنهما لم يشعرا بما كان يحدث بيننا، لم يتمكّنا من سماع كل ما لم يُقَل.

بعد ثوانٍ، عاد كريس وغطس في حمام السباحة، أبعد جونا ساقه عن ساقي، لكنه لم يترك ذراعيَّ، الأمواج التي أحدثها كريس حين غطس جعلت العوامة تهتز، لكن أعيننا لم ترمش لحظة، ولا حتى حين طفا كريس على سطح المياه بجواري ورش الماء علينا.

لفَّ كريس ذراعيه حول خصري، وجذبني بعيدًا عن العوامة، بدأ ذراعاي ينسلان من بين ذراعيه، رأيت جونا يجفل حين لامست أصابعي أصابعه، ثم باتت يده فارغة.

لم نعد نلمس بعضنا، رفعني كريس، وألصق شفتيه بشفتي، كنت أعرف أن جونا كان يراقبنا ونحن نتبادل القبلات.

غمرني الشعور بالذنب في هذه اللحظة، لكن ليس بسبب اللحظة التي تشاركتها مع جونا، بل شعرت بشكلٍ ما أن جونا هو الشخص الذي خنته، كان شعورًا غير منطقي على الإطلاق.

خرجت من المسبح بعد ذلك مباشرة، وبعدها بلحظة، جلبت جيني كاميرتها، وطلبت منَّا أن نقف لتلتقط صورة لنا، أتذكر أني نظرت إلى جونا بعد الصورة الأولى، كان ينظر إليَّ بنظرة شقَّت صدري، لم أفهم ذلك حينها، في ذلك الوقت ظننتُ الأمر مجرد إعجاب، مراهق يتمنى أن يتبادل القبل مع مراهقة، لكن بعد أن التقطت جيني الصورة الثانية، غادر جونا غاضبًا، ودخل منزله.

حيَّرتني تصرفاته، أردت أن أسأله عن ذلك، لكني لم أسأله أبدًا، وبعد بضعة أسابيع اكتشفت أني حامل، ثم ترك جونا سوليفان المدينة.

حدقت إلى الصورة، تلك التي كان ينظر فيها جونا إليَّ، فهمت أخيرًا معنى تلك النظرة في عينيه، لم تكن نظرة إعجاب أو احتقار، بل نظرة حزن.

لو كان قد بقي، هل كان سينتهي بنا الحال مثل جيني وكريس؟ لا أريد التفكير أن الحال كان سينتهي بنا على هذا النحو، التسلل خفية، وخيانة أكثر أشخاص نحبهم، كنت غاضبة جدًّا من جونا لأنه رحل، لكني أتفهم ذلك الآن، كان عليه أن يرحل، كان يعرف أنه لو بقي، سيتأذى شخصٌ آخر غيره في النهاية.

كنت أتجنَّبه منذ عودته لأنه كان من المفترض أن تكون مشاعري تجاهه قد همدت، كان من المفترض أن يكون ذلك مجرد انجذابٍ بين مراهقين، انتهى بعد أن انتقلت إلى العيش مع كريس.

كنت أكذب على نفسي، فعلت كل ما في وسعي لأقنع نفسي أن المشاعر التي يثيرها جونا بداخلي ليست أكثر من غضبٍ، لكني كاذبة سيئة، كنت دومًا كاذبة سيئة.

حين وصلت إلى بابه الأمامي، طرقته برفقٍ، لم أرد إيقاظ إيليا لو كان نائمًا، تراجعت خطوة إلى الخلف، وعانقت نفسي، هبَّت نسمة قوية، لكني لم أعرف ما إذا كانت القشعريرة التي سرت في ذراعيَّ سببها الرياح أم بسبب رؤية جونا واقفًا عند مدخل الباب المفتوح، كان يرتدي فقط سروال جينز أزرق، ولا شيء غيره، كان شعره مبللًا وأشعث، جذبتني عيناه مثلما كانتا تجذباني دومًا، لكني لم أجبر نفسي هذه المرة على أن أبعد نظري عنهما.

«نعم» قلت.

نظر إليَّ في حيرة: «هل سألتكِ سؤالًا؟».

أومأت برأسي: «سألتني إذا كنت سأترك كريس لو لم أكن حملت بكلارا، جوابي هو نعم».

حدق إليَّ بحدة، كأن الجدار غير المرئي الذي كان يحجبه عني دائمًا قد اختفى فجأة، أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا بعدها، بدا على وجهه الهدوء، استرخت كتفاه، فغرت شفتاه، بدأ صدره يعلو ويهبط وهو يتنفس بهدوء.

- هل هذا هو السبب الوحيد لقدومكِ؟

هززت رأسي، وتقدمت خطوة نحوه، كان قلبي ينبض بقوة لدرجة أني أردت أن أستدير وأركض، لكني كنت أعرف أن الشيء الوحيد القادر على تخفيف الوجع الذي أشعر به هو جونا، أريد أن أعرف كيف سيكون إحساسي حين يعانقني، حين أكون معه، طوال كل هذا الوقت لم أسمح لنفسي بتخيل ذلك، لكني الآن أريد أن أجربه.

كانت يداي بجانبي، رفع جونا إصبعه ولفَّها حول إحدى أصابعي، سرت كهرباء في صدري، ثم سرت قشعريرة في ذراعيَّ، سرت القشعريرة في ذراعي جونا أيضًا، شبكت يدي كلها في يده، فأمسك بها واعتصرها.

«ربما سأندم على ذلك غدًا» قلت محذرة إياه.

خطا نحو الأمام، ولفَّ يده الأخرى حول رقبتي، وجذبني نحو فمه، قال قبل أن يلمس شفتيَّ وهو ينظر في عيني: «لن تندمي».

جذبني من يدي إلى داخل المنزل، أغلق الباب خلفنا، وألصق ظهري بباب غرفة المعيشة، حين لمست شفتاه شفتيَّ أخيرًا شعرت كأني ابتلعت نارًا، كانت تلك القبلة بمنزلة كل شيء حرمت نفسي من

الشعور به، كانت قبلتنا بالأمس رائعة، لكنها تبدو مقارنة بتلك القبلة كأنها مجرد دعابة.

ألصق جونا جسده كله بجسدي، أحسست كأن أوجاع حياتي كلها تسكن مع كل لمسة من أطراف أصابعه على جلدي، كل لمسة من لسانه، كل صوت يهرب من حناجرنا. انتهى بنا الحال على الأريكة، ينام فوقي، وأمرّر يداي على ظهره، فأحس بعضلاته المشدودة، وتماوجها أسفل أطراف أصابعي.

كأننا كنَّا نعوض كل السنوات التي حُرمنا فيها من هذا الشعور، تبادلنا القبل مثل المراهقين لعشر دقائق، كان أحدنا يستكشف الآخر، نتذوق بعضنا، نحرك جسدينا قبالة بعضنا.

اضطررت في النهاية إلى أن أدير وجهي بعيدًا عن وجهه، كي أتمكَّن فقط من التقاط أنفاسي، أحسستُ بالدوار، وضع جبينه على خدي، وسحب كل الهواء الذي سرقته للتوِّ منه.

«شكرًا لكِ» همس لاهثًا.

أغلق عينيه مقربًا فمه من أذني، لفحت أنفاسه الدافئة عنقي: «كنت في حاجة إلى أن أعرف أنني لم أكن مجنونًا، وأن هذا الشعور لم يكن وهمًا في رأسي فحسب».

أعدت شفتيه إلى شفتيَّ ثانية، قبَّلته بلطفٍ، دفن رأسه في عنقي وتنهد، همست: «ذلك اليوم في مسبحك» ثم استدركت قائلة: «هل تتذكره؟».

أحسست بضحكته الهادئة على جلدي، قال: «ظللت أبحث عن هذا الشعور منذ اللحظة التي جذبكِ فيها كريس بعيدًا عني».

أردت أن أقول: «وأنا أيضًا»، لكن ذلك سيكون كذبًا، لم أبحث عن هذا الشعور أبدًا، بل قضيت كل سنوات زواجي محاولة نسيانه، محاولة التظاهر بأن هذه المشاعر لم تكن موجودة أصلًا، وكلما ضبطت نفسي أفكر في ذلك اليوم، وجدت أشياءً أخرى أعزو سبب ذلك إليها، الحرارة، الشمس، الكلور في المسبح، المشروبات الكحولية التي كنَّا نختلسها من خزانة جونا.

ابتعد جونا عني وأمسك يدي، قادني بهدوء إلى غرفة نومه، كنَّا نتبادل القبل بينما يضعني في فراشه، أحببت أنه يأخذ وقته من دون تعجل، لم ينزع قطعة واحدة من ملابسي، بل أخذ يقبّلني فقط في كل الأوضاع، وهو فوقي، وأنا فوقه، ونحن نستلقي على جانبنا، كنَّا نتبادل القبل، كل شيء كان مثلما تمنيته تمامًا.

مال فوقي، مرر شفتيه على عنقي، كانت أنفاسه الدافئة تلفح عنقي حين قال: «أنا خائف».

جملته جعلت القشعريرة تسري في جسدي، توقف عن تقبيلي، وضع خده على صدري، مررت أصابعي في شعره: «مِمَ أنت خائف؟».

«رغبتكِ في حماية كلارا» رفع وجهه مستطردًا: «ورغبتي في أن أكون صادقًا مع إيليا، نفكر بطريقة مختلفة يا مورجان، انتظرت مدة طويلة جدًّا ليحدث ذلك، لكني لست متأكدًا من أنكِ تريدين ما أريد».

مرَّر يده تحت قميصي، ووضع راحة يده على بطني، كنت أحدق إلى السقف، أحسست كأن السقف يخفق على وقع نبضات قلبي: «لا أعرف ما أريد»، تلاقت أعيننا، أعرف ما أريد، كنت أكذب، أعرف بالضبط ما أريد، لكني لا أعرف فقط ما إذا كان ذلك ممكنًا: «لن تفهم كلارا ذلك أبدًا، ثم ما الذي سنقوله لـ إيليا؟».

- سنخبره بالحقيقة، هل تظنين حقًّا أن من الأفضل بالنسبة إلى كلارا أن تعتقد أننا الأشخاص السيئون في هذا الحكاية؟.

- أنت رأيت كيف انهارت بسبب قبلة، تخيل لو عرفت بشأن إيليا، لو اكتشفت ما فعلته جيني وكريس، لن تقدر أن تغفر ذلك أبدًا.

بدت لمحة من التفهم على وجه جونا، لكنه هزَّ رأسه قائلًا: «إذن...»، استلقى على ظهره: «أفلت كريس وجيني بعلاقتهما، أفلتا بكذبتهما عليَّ بخصوص إنجاب طفل، أفلتا باعتبارهما أبطالًا إلى الأبد في عين كلارا، وفي الوقت نفسه أنا وأنتِ مضطران إلى أن نُبقي أفواهنا مغلقة، ونعيش بعيدًا عن بعضنا في تعاسة بسبب أفعالهما التي لسنا مسؤولين عنها حتى؟».

«أدرك أن هذا ظلم»، اعتدلتِ في جلستي، واستندت إلى مرفقي، نظرت إليه، وضعت يدي على فكِّه المتشنج، وأرغمته على أن ينظر في عيني: «كان كريس زوجًا حقيرًا، وكان صديقًا حقيرًا لك، لكنه كان أبًا رائعًا»، مررت إبهامي على شفتيه، متوسلة إليه بعينين دامعتين: «إذا عرفت يومًا أن إيليا ليس ابنك، فسوف يحطمها ذلك، أرجوك لا تخبره، هو لا يعرف سواك على أي حال، الأمر مختلف عما إذا اكتشفت كلارا أمر كريس، سآخذ سرهما معي إلى قبري إذا كان ذلك سيحمي كلارا من مثل ذلك الألم».

أدار جونا رأسه الناحية الأخرى مبعدًا إياها عن يدي، جرحني الرفض: «أنا لست مثلكِ، لا أريد أن أكذب على طفلي».

استلقيت على ظهري، انهمرت المزيد من الدموع على وجنتيَّ، ما كان يجب أن آتي إلى هنا، كانت فكرة سيئة، عشت معاناة طويلة وأنا أخفي بداخلي ذلك الشوق الرهيب تجاه جونا، ماذا سيحدث إذا أُضيف إليها خمسون سنة أخرى؟

«يجب أن نحل هذا الأمر، ونتوصل إلى اتفاق» قال مستدركًا: «أريد أن أكون معكِ».

- لهذا أنا هنا، حتى تكون معي.
- أريد أكثر من ذلك منكِ.

أغمضت عيني للحظة لأفكر فيما يحدث، فرغم خيانة كريس، فإنني ما زلت أشعر بالذنب لوجودي هنا، في فراش جونا، كان تقبيله رائعًا حين لم أكن أفكر كثيرًا في الأمر، هذا أجمل شعور شعرت به منذ وقتٍ طويلٍ جدًّا، لكنه يضطرني الآن إلى التفكير فيما سيقودنا إليه ذلك، عاودني الشعور بالتعاسة ثانية، نظرت في عينيه مباشرة: «تقول لي إنك تنوي تدمير كل ذكريات ابنتي مع والدها، وفي الوقت نفسه تريد مني ما هو أكثر من ذلك؟ أن أقع في حبك؟».

«لا» قال مستطردًا: «لا أطلب منكِ أن تحبيني يا مورجان، أنتِ تحبينني بالفعل، أنا فقط أطلب منكِ أن تمنحينا فرصة».

«أنا لا أحبك» قلت ذلك وتقلبت على الجانب الآخر من الفراش بعيدًا عنه، وددت الرحيل، هممت بالوقوف، لكنه أمسك ذراعي وجذبني نحو الفراش ثانية، وضعت يدي على صدره وأنا نائمة على ظهري لأدفعه بعيدًا عني، لكنه نام فوقي ونظر إليَّ تلك النظرة المعتادة، فهدأت على الفور، كنت ضعيفة أمام تلك النظرة، كان ينظر إليَّ النظرة نفسها التي كانت في تلك الصورة، نظرة مليئة بالحزن، أو ربما يبدو جونا هكذا حين يحب شيئًا كثيرًا.

فجأة لم أعد أشعر بالرغبة الملحة في الرحيل، كنت مرتاحة أسفله، بداخله، بجواره، تنهدت حين قرب فمه من خدي ثم مرَّر شفتيه ببطء إلى أعلى حتى بلغت أذني، حينها قال: «أنتِ تحبيني».

هززت رأسي: «لا أحبك، ليس هذا سبب وجودي هنا».

قبَّلني، أسفل أذني مباشرة: «كنتِ بارعة في إخفاء مشاعركِ، لكنكِ قلتِ ذلك في كل محادثة صامتة دارت بيننا».

- لا يوجد شيء اسمه محادثة صامتة.

نظر في عيني بطريقة لم ينظر إليَّ بها رجل من قبل، ثم خفض رأسه ووضع شفتيه على شفتيَّ: «لا بأس، لستِ مضطرة إلى قولها، أحبكِ أيضًا، حين أطبق شفتيه على شفتي، قبَّلني بشدة قبلة جعلتني في عالم آخر.

أن أكون الخيار الأول لجونا، وربما خياره الوحيد، يجعل كل نظرة، كل لمسة منه، كل كلمة يقولها، تلمس جزءًا داخليًّا لم يستطع كريس بلوغه، جزءًا في أعماق روحي يؤلمني رغم كل السعادة التي أشعر بها حين يقبِّلني.

حين أصبح بين ساقيَّ تأوَّهت داخل فمه، جذبته نحوي أكثر، نسيت كل شيء، كل ما كنت أفكر به حينها هو تلك اللحظة، يداه وهي تخلع عني قميصي بقوة، نعومة شفتيه حين لامست صدري، خلعه لسرواله الجينز بسلاسة في لحظة، تزامن تأوهاتنا معًا حين لامس جسده جسدي أخيرًا، قوة نظراته حين بدأ يلجني، لم أشعر بهذا الاكتمال من قبل.

كأنه يعرف بالضبط أين يلمسني، كيف يلمسني بلطفٍ، كيف يلمسني بقوة، أين أريده أن يضع شفتيه، شعرت كأنه أستاذ في جسدي، وأني طالبة عديمة الخبرة، ألمسه بحذرٍ، وأنا غير واثقة بما إذا كان يمكن لأصابعي أو شفتيَّ أن تُشعراه بشعورٍ مقاربٍ حتى لما يُشعرني به.

وضعت فمي على كتفه هامسة: «كنت أعيش مع كريس فقط»، كان جونا يلجني بعمقٍ في تلك اللحظة، لكنه توقف فجأة ورجع إلى الخلف، تلاقت أعيننا، فابتسم لي، استطردت قائلة: «لكني لم أرغب سوى أن أكون معك».

قبَّلني بحنان، وواصلنا الأمر على هذا النحو، يقبِّلني، يلجني بلطفٍ وعلى مهلٍ، حتى لم أعد قادرة على كتم تأوهاتي، جذبته نحوي حتى أدفن وجهي في عنقه بينما يحدث ذلك.

بلغت الذروة قبله، في تلك اللحظة تفجرت بداخلي مشاعر ولذة، أحاسيس ظلَّت مكبوتة لسنوات تحررت أخيرًا، ارتعش جسدي تحته، وأظافري تحك ظهره.

حين تأوَّه وشفتاه تلامس خدي، وبلغ النشوة، توقعت أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، أن يلتقط أنفاسه ويتقلب من فوقي وهو يتنهد، هكذا كانت تنتهي دومًا لحظات ممارسة الجنس مع كريس آخر سبعة عشر عامًا.

احتضن جونا رأسي بحنانٍ، واصلنا تبادل القبل، لا يبدو أن هذا الشيء الذي بيني وبين جونا قد انتهى بعد، لا أعرف كيف يمكنني بعد أن جربت هذا الجانب منه الآن أن أعيش من دونه، هذا يخيفني، لكني كنت سعيدة جدًّا ولا أرغب في قطع لحظات مرور شفتيه على فمي، ثم على ذقني، حتى استقرت أخيرًا على صدري، حينها أراح رأسه على صدري بهدوء، وقضينا الدقائق القليلة التالية في انتظار أن تهدأ فورة المشاعر بيننا.

وضع يده على بطني، وبدأ يمرر إصبعه ببطء على جلدي: «سأفعل ذلك».

التقطت أنفاسي أخيرًا، استند جونا إلى مرفقه معتدلًا في جلسته: «لن أخبر إيليا، إذا وعدتني أنكِ لن تضعي حدًّا لذلك، وأنكِ ستخبرين كلارا في النهاية أنك تريدين أن تكوني معي، فلن أخبر إيليا».

أرجع شعري إلى الخلف، ونظر إليَّ بعينين تفيضان بالصدق: «أنتِ محقة، كلارا تستحق كل ذكرى رائعة لديها عن كريس، ولا أريد أن آخذ تلك الذكريات منها».

أحسست بدمعة تنزلق داخل شعري وأنا أنظر إليه: «أنت محق أيضًا»، همست قائلة: «أحبك».

ابتسم جونا قائلًا: «أعرف أنكِ تحبينني، لهذا نحن عاريان».

ضحكت، أجلسني فوقه، أدركت وأنا أنظر إليه في تلك اللحظة أنني لم أشعر أبدًا بالانتماء إلى شخص مثلما أشعر مع جونا سوليفان.

الفصل الثلاثون
كلارا

«أحاول أن أستوعب الأمر» قالت ليكسي وهي ترفع قدميها على طاولة القهوة، كادت أن تصطدم بإحدى زجاجات النبيذ، استطردت قائلة: «والدتكِ تنام مع عمو المعلم؟».

شهقت، قبل أن أومأ برأسي.

- خطيب خالتكِ المتوفاة؟

أومأت ثانية، «رائع»، مالت إلى الأمام، وأمسكت بزجاجة النبيذ وهي تقول: «لم أسكر بما يكفي لاستيعاب ذلك»، تناولت جرعة كبيرة من الزجاجة مباشرة، أخذت الزجاجة منها، ليس لأني شعرت أنها أفرطت في الشرب، ولكن لأني لا أعرف ما إذا كنت أيضًا في حالة سكر كافية لاستيعاب ذلك، أخذت رشفة، ثم وضعت الزجاجة بين ساقي، ممسكة بجزئها العلوي.

- منذ متى وهذا يحدث بينهما في ظنكِ؟

هززت كتفي: «لا أعرف، هي هناك الآن، بحسب التطبيق هي الآن هناك، معه».

«حقيران»، بعد أن تفوهت بتلك المسبة، قفزت فجأة من فوق الأريكة، كادت أن تتعثر لكنها تمالكت نفسها: «ماذا لو كانت والدتكِ وجونا هما من تسبَّبا في الحادث ليكونا معًا؟».

- هذا كلام سخيف.

- أتكلم بجدية يا كلارا، ألا تشاهدين «Dateline»؟

أشرت نحو التلفاز: «ليس لدينا كابل بعد».

أخذت ليكسي تجول في غرفة المعيشة بخطى غير ثابتة قليلًا: «ماذا لو كانت هذه مؤامرة؟ أقصد، فكري في ذلك، كان والدكِ وجيني معًا حين ماتا، فلِمَ كانا معًا؟».

«كان إطار سيارة والدي مثقوبًا، كما أنهما كانا يعملان في المكان ذاته، كانت جيني توصله» هما ماتا بسبب رسائلي إلى خالتي جيني، لكني احتفظت بهذه الفكرة لنفسي.

ضيَّقت ليكسي عينيها طقطقت أصابعها كأنها توصلت إلى حل القضية: «الإطارات المثقوبة يمكن أن تكون مدبرة».

أدرت عيني في ضيق، أمسكت بالشوكة وأخذت قضمة أخرى من الكعكة الموضوعة على طاولة القهوة، هذه أتعس كعكة عيد ميلاد رأيتها في حياتي، لم يقطع أحدٌ منها شريحة حتى، مجرد قطع كبيرة مقضومة من أعلاها وجوانبها، قلت بفمٍ مملوءٍ: «والدتي شخص بشع، لكنها ليست قاتلة».

رفعت ليكسي حاجبها: «وماذا عن عمو المعلم؟ لم يكن هنا لفترة طويلة، هل نعرف حتى أين كان؟ من الممكن أن يكون قد خلف وراءه الكثير من الجثث».

- تشاهدين التلفزيون كثيرًا.

وقفت أمامي ومالت نحوي حتى صرنا متواجهتين: «بل أشاهد تلفزيون الواقع! أشاهد الجرائم التي حدثت بالفعل، هذه الأشياء تحدث يا كلارا، أكثر بكثير مما تظنين».

ألقيت قطعة كعك في فمها حتى أسكتها، لكن لم يكن ذلك ضروريًّا، فبمجرد أن فُتح الباب الأمامي حتى أغلقنا أنا وليكسي فمنا بسبب مجيء أمي المفاجئ.

جلست ليكسي ببطء على طاولة القهوة قائلة: «مرحبًا يا مورجان»، حاولت فعل ما بوسعها لتبدو غير ثملة، كان من الممكن أن ينجح ذلك لو أنها لم ترفع ساقيها وتفرد ظهرها جالسة في وضعية بلهاء على طاولة القهوة، محاولة إخفاء زجاجات النبيذ عن والدتي، حتى أصبح جسدها كله متيبسًا وملتويًا، أقدِّر جهودها، لكنها تبالغ في تقدير غباء والدتي.

أغلقت والدتي الباب، وحملقت إلينا في خيبة أمل، كان في إمكانها رؤية الزجاجات الفارغة على الطاولة، رغم محاولات ليكسي إخفائها بجسدها، نست ليكسي أيضًا أن هناك زجاجة في حجري، ولا أستطيع إخفاءها الآن.

حملقت والدتي إليَّ قائلة: «حقًّا يا كلارا؟».

كان صوتها هادئًا وغير متفاجئ، كأن لا شيء أفعله يمكن أن يزعجها حاليًّا.

«كنت سأغادر للتوِّ» قالت ليكسي وهي تنهض من على الطاولة، بدأت تسير نحو الباب، لكن والدتي أمسكت بيدها: «أعطني مفاتيحك».

أدارت ليكسي رأسها متأوهة، أخرجت مفاتيحها من جيبها ووضعتها في يد أمي قائلة: «هل هذا يعني أنه يمكنني البقاء هنا الليلة؟».

«لا، اتصلي بوالدتك لتأتي وتصحبكِ» قالت ثم نظرت نحوي: «نظفي هذه الفوضى»، أخذت مفاتيح ليكسي وسارت نحو المطبخ، أخرجت ليكسي هاتفها من جيبها.

همست قائلة «حقًّا؟ هل ستتركينني هنا معها، يمكن أن تكون قاتلة».

لا أظن ذلك فعلًا، لكني لم أرغب أيضًا أن أكون بمفردي مع والدتي هكذا، لا أخاف حين تكون غاضبة، لكنها الآن تبدو متضايقة، وهذا يرعبني نوعًا ما، فهي لا تتصرف بطريقتها المعتادة، وبالتالي فأنا لا أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك.

«سيكون أوبر هنا خلال دقيقتين» قالت ليكسي، ثم أرجعت هاتفها إلى جيبها، مشت نحوي وعانقتني: «آسفة، لكني لا أريد البقاء لهذا السبب، اتصلي بي إذا قتلتكِ، حسنًا؟».

«حسنًا» قلتُ بتجهم.

خرجت ليكسي، نظرًت إلى طاولة القهوة، أمسكت زجاجة النبيذ التي لم تفرغ كلها بعد، وشربتها كلها، انتُزعت الزجاجة من يدي وأنا آخذ آخر رشفة بها، نظرت إلى والدتي، ربما يكون ما أشعر به من تأثير الكحول، لكني أكرهها جدًّا ولا أعرف ما إذا كنت سأحزن إذا ماتت، كلما نظرت إليها حاليًّا، أتساءل عن علاقتهما، هل بدأت قبل حمل أختها؟ هل ظلَّت تنام مع جونا بينما ترافق خالتي جيني في كل مرات إجراء فحص «السونوجرام»؟

كنت أظن دومًا أن والدتي كاذبة سيئة، لكنها أفضل من أي شخص آخر في الكذب، هي أفضل مني، رغم أنني الممثلة في هذه العائلة.

«إذن» قلت بلامبالاة شديدة: «منذ متى وأنتِ وجونا تتضاجعان».

شهقت والدتي، وزمَّت شفتيها بغضب، لا أعرف ما إذا كنت شعرت من قبل بالخوف من أن تصفعني، لكني تراجعت خطوة إلى الوراء، لأنها بدت غاضبة كفاية لتصفعني حالًا.

«فاض بيَ الكيل من طريقتكِ يا كلارا»، التقطت زجاجة النبيذ الأخرى، والكؤوس الحمراء التي كنَّا نشرب فيها أنا وليكسي في البداية، نظرت إليَّ في عيني مرة أخرى واعتدلت في وقفتها قائلة: «لم أكن لأفعل ذلك أبدًا بجيني، أو بوالدكِ، لا تهينيني بهذه الطريقة».

أردت أن أصدقها، كنت أصدقها نوعًا ما، لكني كنت ثملة، لذا فإن حكمي على الأمور مشوش، مشت نحو المطبخ، فتبعتها: «هل هذا هو المكان الذي كنتِ به؟».

تجاهلتني والدتي بينما تسكب النبيذ القليل المتبقي في البالوعة.

«ماذا كنت تفعلين عند جونا في...» طقطقت أصابعي، محاولة التفكير في الكَلمة التي تعبر عن الأشياء التي يعيش فيها الناس، الكلمات تائهة من ذهني الآن، «منزله!» أخيرًا قلتها مستطردة: «لِمَ كنتِ في منزله الآن؟».

- كنَّا في حاجة إلى التحدث.

- لم تتحدثا، بل كنتما تمارسان الجنس، أعرف ذلك، أنا خبيرة الآن.

لم تنكر والدتي اتهامي، ألقت زجاجة النبيذ الفارغة في سلة القمامة، ثم أمسكت آخر زجاجة نبيذ في المطبخ، وفتحتها، ثم سكبتها في الحوض.

رفعت يدي نحوها مصفقة: «تفكرين في المستقبل، أحسنتِ، أنتِ أم جيدة».

- لا يمكنني حقًّا الوثوق بكِ في أي شيء حاليًا، سأفعل أي شيء مهما كلفني الأمر.

حين فرغت الزجاجة، ألقت بها في سلة القمامة، ثم عادت إلى غرفة المعيشة، أخذت هاتفي من فوق الطاولة، تبعتها إلى الردهة، لكني كنت أتخبط بكتفي في الجدار، كان الكلام صعبًا عليَّ، لكن المشي كان أصعب، وضعت يدي في النهاية على الحائط وحاولت الاتزان حتى وصلت إلى غرفتي، كانت أمي داخلها، كانت تلملم أشياء، تلفزيوني، جهاز الآيباد، كتبي.

- هل ستحرمينني من الكتب؟

- الكتب استثناء، يمكنكِ استعادتها.

يا إلهي، كانت تجمع كل ما يجلب لي أي بصيص سعادة، مشيت نحو الركن حيث ألقيت وسادتي هذا الصباح، كانت مطرزة باللونين الأرجواني والأسود، أحب رسم الأشكال عليها بأصابعي، في بعض الأحيان أرسم الشتائم، هذا ممتع.

«إليكِ» قلت وأنا أعطيها الوسادة مستطردة: «هذه الوسادة تجلب لي الكثير من الفرحة أيضًا، من الأفضل أن تأخذيها».انتزعتها من يدي، رحت أبحث عن شيء آخر أحبه، شعرت كأننا داخل إحدى حلقات «ماري كوندو»[1]، هل يثير ذلك البهجة؟ تخلصي منه!

كانت سماعات الأذن على الكومود، فالتقطتها: «أحب هذه، لكن لا يمكنني استخدامها حتى لأنكِ أخذتِ هاتفي والآيباد، لكن لا تزال لديَّ رغبة لأضعها في أذني، لَذا من الأفضل أن تأخذيها!»، ألقيت بها في الردهة حيث وضعت كل الأشياء الأخرى.

شددت البطانية من فوق فراشي: «بطانيتي تدفئني، وهي رائعة جدًّا، ولا تزال رائحة ميلر بها، لذا من الأفضل أن تأخذيها».

رميت بها أمامها، فتكومت فوق أغراضي الأخرى.

وقفت أمي عند مدخل باب غرفة نومي تراقبني، مشيت نحو خزانة ملابسي، وجدت حذائي المفضل، كان «بوت»: «اشتريتِ لي ذلك في عيد الميلاد، ومن حينها لم يعد هناك شتاء في تكساس، بالكاد

---

(1) ماري كوندو هي مقدمة برامج وكاتبة واستشارية يابانية في شؤون الترتيب والتنظيم، لها عدة مؤلفات من بينها «سحر الترتيب»، وقد أطلقت شركة «نتفليكس» عام 2019 حلقات بعنوان «Tidying Up with Marie Kondo»، تقوم كوندو خلالها بزيارة العديد من بيوت الأسر الأمريكية المليئة بالفوضى والكراكيب، وتساعدهم في ترتيب منازلهم.

أرتديه، لكن حين أرتديه يبدو شكله جميلًا جدًّا، لذا من الأفضل أن تأخذيه قبل أن يأتي الشتاء، ألقيت بفردتي الحذاء واحدة تلو الأخرى في الردهة».

- توقفي عن استفزازي يا كلارا.

سمعت صوت مجيء رسالة على هاتفي، أخرجته والدتي من جيبها، وقرأتها، أدارت عينيها في ضيق ثم أرجعته إلى جيبها ثانية.

- من كان هذا؟

- لا تشغلي بالكِ بذلك؟

- ماذا كان بالرسالة؟

- كنتِ ستعرفين لو أنكِ لم تثملي.

أوف، سرت نحو خزانة ملابسي، ونزعت أحد قمصاني المفضلة من الشماعة، ثم نزعت آخر: «من الأفضل أن تأخذي هذه القمصان، خذيها جميعًا، لا أحتاج إليهم في الحقيقة، فلا أستطيع مغادرة المنزل على أي حال، وحتى لو كان في إمكاني الخروج، ليس لديَّ مكان أذهب إليه، لأن حبيبي انفصل عني يوم عيد ميلادي، ربما لأن والدتي مجنونة!» ألقيت كومة من الملابس على أرضية الردهة.

«توقفي عن تلك الدرامية، لم ينفصل عنكِ، اخلدي إلى فراشكِ يا كلارا»، أغلقت باب غرفتي، ففتحته: «نحن انفصلنا! كيف تعرفين ما إذا كنَّا انفصلنا أم لا؟».

«لأن» استدارت لتواجهني والضجر على وجهها: «هذه الرسالة كانت منه، يقول لكِ بها: «أتمنى أن تنامي جيدًا، أراكِ في المدرسة غدًا»، الأشخاص المنفصلون لا يرسلون رسائل كهذه، ولا يرسلون «إيموجي قلوب».

مشت في الردهة، تبعتها لأني أردت أن أعرف أكثر بشأن ما قالته: «هل أرسل «إيموجي» قلب؟».

لم تجبني، واصلت المشي.

- ماذا كان لونه؟

واصلت تجاهلي.

- ماما، هل كان أحمر؟هل كان قلب لونه أحمر؟

أصبحنا في المطبخ الآن، مِلت على المنضدة لأنني شعرت بشيء يتدافع في رأسي، أمسكت بالمنضدة حتى أتوازن، ثم تجشأت، غطيت فمي بيدي.

هزَّت والدتي رأسها، كانت خيبة الأمل تغمر عينيها: «كأنكِ طبعتِ قائمة لطرق التمرد، وتضعين العلامات أمامها واحدة تلو الأخرى».

- ليس لديَّ قائمة، لكن لو عندي واحدة فربما كنتِ ستأخذينها مني أيضًا، لأني أحب القوائم، والقوائم تجعلني سعيدة.

تنهدت والدتي، عقدت ذراعيها على صدرها: «كلارا» قالت بصوتٍ لطيفٍ: «حبيبتي، برأيكِ كيف كان سيشعر والدكِ إذا كان يستطيع رؤيتكِ الآن؟».

«لو كان والدي على قيد الحياة ما كنت ثملت»، استطردت قائلة: «كنت أحترمه كثيرًا ولا أستطيع أن أفعل ذلك».

- ليس عليكِ أن تكفي عن احترامه لمجرد أنه مات.

- أجل، فعلًا، ولا أنتِ أيضًا يا أمي.

الفصل الحادي والثلاثون
مورجان

تركت كلمات كلارا جُرحًا عميقًا داخلي، أعرف أنها شربت وحدها زجاجة نبيذ كاملة، كانت هناك زجاجتان فارغتين تمامًا، لكن الخدر أحيانًا ما يجعل الثملين أكثر صدقًا مما يكونون عليه في حالتهم العادية، مما يعني أنها تعتقد حقًّا أنني لا أحترم والدها، يؤلمني أنها تعتقد أنني المخطئة.

أتمنى أن يمرَّ كل هذا، غضبها، تمردها، كراهيتها لي، أعرف أنها لن تتجاوز ذلك تمامًا، لكني أتمنى أن ترأف بي وتسامحني خلال الأيام المقبلة، أنا متأكدة من أنها ستسامحني إذا ما جلسنا وتحدثنا معًا، لكنها لا تزال مصدومة من معرفة أن بيني وبين جونا علاقة حميمية، ولأكون صادقة، ما زلت أنا أيضًا مصدومة من ذلك.

فتحت باب غرفتها ثانية لأطمئن عليها قبل أن أذهب إلى غرفتي، كانت نائمة، أنا متأكدة أنها ستستيقظ وهي تعاني من صداع حادّ، لكنها تبدو هادئة الآن، أتمنى أن تُصاب بصداع، وهل هناكَ طريقًة تضمن بها أن ابنك لن يشرب مرة أخرى أفضل من أن تكون تجربته الأولى في الشرب مريعة.

سمعت رنين هاتفي، تركتُ باب كلارا مفتوحًا قليلًا، وذهبت إلى غرفة نومي، من بين كل المرات التي اتصل جونا بي فيها، كانت تلك أول مرة أسمح فيها لنفسي بالفرحة لسماع صوته، جلست مسندة ظهري إلى ظهر الفراش، وأجبته: «أهلًا».

«أهلًا» قال بصوتٍ مُبتهج، صمت لبرهة، أدركت أنه ربما لم يكن لديه سبب ملحٌّ للاتصال بي سوى أنه يريد التحدث معي فقط، أول مرة يحدث ذلك، هذا مفرح، أشعر أني مرغوبة، استلقيت على ظهري: «ماذا تفعل؟».

«أحملق إلى إيليا» قال مستطردًا: «كم من الغريب أن يكون مجرد مشاهدة طفل وهو نائم بمثل هذه الروعة».

- هذا شعور لا ينتهي، كنت أحملق إلى كلارا للتوِّ حين اتصلت.

- هذا كلام مُطمئن، إذن كان الوضع أفضل حين عدتِ للمنزل؟

ضحكت قائلة: «آه يا جونا»، وضعت يدي على جبيني: «كانت ثملة، شربت هي وليكسي زجاجتين ونصفًا من النبيذ حين كنت في منزلك».

- لا.

- بلى، ستندم على ذلك في الصباح.

تنهد قائلًا: «أتمنى لو كنت أعرف بما أنصحكِ، لكني حائر».

- أنا أيضًا حائرة، اتصلت بالمعالج النفسي للأسرة في الصباح، كان يجب أن أفعل ذلك من قبل، لكن أن تصل متأخرًا خير من أن لا تصل أبدًا.

- هل ستأتي المدرسة غدًا؟

- لا أعرف ما إذا ستكون قادرة على النهوض من الفراش.

ضحك، لكنها كانت ضحكة متعاطفة: «أتمنى أن تمر السنوات ببطء شديدٍ قبل أن يبلغ إيليا هذا العمر».

- لن تمر ببطء، بل ستمضي في غمضة عين.

ساد الصمت بيننا للحظة، أحب سماع صوت أنفاسه، تمنيت لو أني معه الآن، تدثرت بالبطانية، وتقلبت على جانبي، واضعة هاتفي على أذني.

«أتريدين أن تعرفي إحدى ذكرياتي المفضلة لكِ؟» سألني جونا.

ابتسمت: «يبدو ذلك ممتعًا».

- كان حفل تخرجي من الثانوية، وحفل تخرجكِ من المدرسة المتوسطة، أتتذكرين ذلك اليوم؟

- أجل، ذهبت إلى الحفل مع تيفاني بروكتور، قضيت الليلة كلها أحاول ألا أنظر إليكما وأنتما ترقصان معًا، يمكنني أن أعترف الآن أنني كنت غيرانة جدًّا.

«كلانا كان غيورًا» قال جونا مستطردًا: «على أي حال كان كريس متحمسًا قبل حفل التخرج لأنه حجز غرفة في فندق لكما، حاولت ألا أفكر في ذلك طوال الليل، لكن حين حان وقت رحيله كان ثملًا».

قلت ضاحكة: «ثملًا جدًّا».

- أجل، اضطررت إلى أن أوصلكما إلى الفندق، أوصلت تيفاني أولًا، مما أغضبها، وحين وصلنا إلى الفندق كان علينا أنا وأنتِ أن نجرَّ كريس على السلم حرفيًّا، وحين وصلنا إلى الفراش أخيرًا، نام في منتصف الفراش.

أتذكر ذلك اليوم، لكني لم أفهم لِمَ كان الذكرى المفضلة لجونا عني، قبل أن أسأله عن المميز في تلك الذكرى، أكمل القصة.

- كنتِ جائعة، لذا طلبنا بيتزا، جلست بجانب كريس، وجلستِ أنتِ على الجانب الآخر، شاهدنا فيلم مشروع الساحرة بلير حتى وصلت البيتزا، لكننا لم نجد مكانًا نضع البيتزا فوقه حتى تكون قريبة منا نحن الاثنين.

ابتسمت حين تذكرت ذلك: «استخدمنا كريس كطاولة».

«وضعنا علبة البيتزا على ظهره» ضحك وهو يقول ذلك، ثم استطرد قائلًا: «لا أعرف لِمَ استمتعت كثيرًا ليلتها، أقصد... كان يوم حفل التخرج، ولم أُقبِّل حتى، لكنني قضيت الليل كله معكِ، رغم أن كريس كان نائمًا بيننا».

«كانت ليلة جميلة» قلت، كنت مبتسمة، محاولة التفكير في إحدى ذكرياتي المفضلة مع جونا: «يا إلهي، أتتذكر تلك الليلة التي أوقفتك الشرطة فيها؟».

- أي مرة، أوقفتني الشرطة كثيرًا.

- لا أتذكر أين كنا ذاهبين، أو ما إذا كنا عائدين من مكان ما، لكن كان الوقت متأخرًا، وكان الطريق السريع فارغًا، كانت سيارتك عبارة عن قطعة خردة، فأرادك كريس أن تختبر أقصى سرعة يمكن أن تبلغها، كانت سرعتها تسعين ميلًا حين أوقفتك الشرطة، وعندما وقف الشرطي بجوار نافذتك قال: «هل تعرف مدى السرعة التي كنت تقود بها؟»، قلت له: «أجل يا سيدي، تسعين»، وحينها سألك الشرطي: «هل هناك سبب لتجاوزك الحد الأقصى للسرعة بخمسة وعشرين ميلًا؟»، صمت للحظة ثم قلت: «لا أحب إهدار الأشياء»، نظر إليك الشرطي حينها، فأشرت إلى لوحة العداد قائلًا: «لديّ عداد سرعة كامل، ولا أستخدم نصفه حتى معظم الوقت».

ضحك جونا بشدة: «لا أصدق أنكِ تتذكرين ذلك».

- كيف يمكن أن أنسى ذلك، لقد أغضبت الشرطي جدًّا لدرجة أنه أخرجك من السيارة، وقام بتفتيشك.

- أخذت مخالفة حينها، وكان عليَّ أن أمضي ساعات في خدمة المجتمع، ظللت أجمع القمامة من الطريق السريع كل سبت لمدة ثلاثة أشهر.

- أجل، لكنك بدوت لطيفًا في سترتك الصفراء.

- كنتِ أنتِ وكريس تمرَّان بجواري وتلقيان علب الصودا الفارغة عليَّ معتبرين أن ذلك مضحك جدًّا.

قلت مدافعة: «كانت هذه فكرته».

«أشك في ذلك» قال جونا.

تنهدت مفكرةً في كل الأوقات الجميلة، ليس فقط مع جونا، لكن مع كريس أيضًا، وجيني، الكثير من الذكريات الجميلة مع جيني، همست قائلة: «أفتقدهما».

- أجل، أنا أيضًا أفتقدهما.

قلت بصوت خافت: «أشتاق إليك».

- أنا أيضًا أشتاق إليكِ.

استمتعنا بهذا الشعور الجميل للحظة، قبل أن أسمع صوت بكاء إيليا، اللحظات الجميلة لا تدوم طويلًا، نوَّمه جونا مرة أخرى.

«هل فكرت في إجراء اختبار أبوة؟» سألته، كنت أعرف أن إيليا يشبه كريس تمامًا، لكنها قد تكون مصادفة، تساءلت ما إذا كان جونا يريد دليلًا موثوقًا.

- فكرت في الأمر، لكن بصراحة سيكون ذلك إهدارًا لمئات الدولارات، هو ابني بغض النظر عن أي شيء.

شعرت كأن قلبي تحرك من مكانه في صدري بسبب ما قاله: «يا إلهي، أحبك يا جونا»، فاجأني ما قلته، أعرف أننا قلنا ذلك من قبل اليوم، لكني لم أقصد قول هذه الكلمات بصوتٍ عالٍ الآن، كنت أشعر بها فقط، ثم خرجت مني.

تنهد جونا: «ليس لديكِ أدنى فكرة عن مدى روعة أن أسمعكِ وأنتِ تقولين ذلك».

«ارتحت بعد أن قلتها لك أخيرًا، أحبك» همست ثانية.

- هل يمكنكِ أن تقوليها خمسة عشر ألف مرة أخرى قبل أن ننهي المكالمة.

- لا، لكني سأقولها لك مرة أخرى، أنا أحبك يا جونا سوليفان.

تأوَّه قائلًا: «هذا تعذيب، أتمنى لو كنتِ هنا معي».

- أتمنى لو كنت معك أيضًا.

بدأ إيليا يبكي ثانية، لم يكف عن البكاء هذه المرة: «يجب أن أذهب لأعد له الرضعة».

- حسنًا، أمنحه قبلة مني.

- هل سأراكِ غدًا؟

«لا أعرف»، استدركت: «لنترك ذلك حسب الظروف».

- حسنًا، تصبحين على خير يا مورجان.

- تصبح على خير.

تفاجأت من الألم الذي شعرت به في صدري حين أنهينا المكالمة، نجحت في مقاومة هذه المشاعر لفترة طويلة، لكن بعد أن فتحت قلبي له الآن، أريد أن أكون قريبة منه، أريد أن أكون بين أحضانه في فراشه، أريد أن أنام بجواره، أخذت أستعيد حديثنا كله في رأسي بينما أحاول النوم، لكن ضوضاءً أفزعتني، كان الصوت قادمًا من غرفة كلارا، قفزت من الفراش، وركضت في الردهة، لم تكن في فراشها، ففتحت باب حمامها، وجدتها جاثية على ركبتيها، تمسك بالمرحاض، مثلما توقعت.

أخرجت منشفة من الخزانة وبلَّلتها، ثم جثوت بجوارها وأمسكت شعرها بينما تتقيأ، بقدر ما ضايقني أنها تكابد هذا، بقدر ما أسعدني ذلك، أريدها أن تتألم، أريدها أن تتذكر كل ثانية رهيبة عاشتها خلال صداع الكحول.

بعد ذلك بدقيقتين ارتمت على الأرض بجواري قائلة: «أعتقد أن الأمر انتهى»، أردت أن أضحك لأني كنت أعرف أنه لم ينتهِ، ساعدتها في العودة إلى فراشها لأنها كانت لا تزال ثملة للغاية، حين استلقت على الفراش، لاحظت أنها تتغطى بملاءة فقط، فذهبت إلى غرفة النوم الأخرى التي أضع بها كل الأشياء التي صادرتها، التقطت بطانيتها ووسادتها المطرزة، وسلة مهملات، وحملتهم جميعًا إليها.

تمتمت قائلة بينما أغطيها: «أعتقد أن هناك قيئًا في أنفي».

ضحكت وناولتها منديلًا، تمخطت وألقت المنديل في سلة المهملات، أخذت أمسد شعرها، قالت وعيناها مغمضتان: «لا أريد أن أشرب مرة أخرى أبدًا»، ثم تمتمت قائلة: «وأكره الحشيش أيضًا، رائحته سيئة جدًّا، لا أريد قيئًا في منخاري ثانية، هذا أسوأ شيء».

«أنا سعيدة لأنكِ كرهتِ ذلك» قلت.

- أكره ممارسة الجنس أيضًا، لا أريد أن أفعل ذلك ثانية لفترة طويلة جدًّا، لم نكن مستعدين حتى، حاول أن يثنيني عن ذلك، لكني لم أصغ إليه.

كنَت أعرف أنها ثملة، لكن فاجأني كلامها، ماذا قصدت بقولها إنه حاول أن يثنيها عن ذلك، هل كانت هذه فكرتها؟

كنت أمسد شعرها حين انخرطت في البكاء، دفنت وجهها في وسادتها، أكره أن يُشعرها أيًّا كان ما حدث بينهما بالذنب إلى هذه الدرجة: «يبدو أنه يحبك يا كلارا، لا تبكي».

هزَّت رأسها قائلة: «ليس هذا ما يُبكيني»، رفعت رأسها من فوق الوسادة ونظرت إليَّ: «أبكي لأن ذلك كان خطئي، ماتا بسببي، أحاول ألا أفكر في ذلك، لكن هذا هو الشيء الوحيد الذي أفكر به حين أضع رأسي على هذه الوسادة كل ليلة، فيما عدا مرة واحدة غفوت وأنا أتساءل لِمَ يصنعون دمى الدببة بشكل يجعلها محبوبة جدًّا، في حين

أن الدببة الحقيقية وغدة جدًّا، وباستثناء تلك الليلة الوحيدة، كل ما أفكر به هو أنني السبب في وقوع هذا الحادث لهما».

- عمَ تتحدثين؟

دفنت وجهها في الوسادة ثانية: «اذهبي يا أمي»، قبل أن أتحرك من مكاني، رفعت رأسها مرة أخرى قائلة: «لا، انتظري، أريدكِ أن تبقي».

تنَّحت جانبًا مفسحة مكانًا لي، ربتت على جانب الفراش بجوارها: «غني لي الأغنية التي كنتِ تغنينها لي حين كنت صغيرة».

كنت لا أزال أحاول استيعاب ما قالته عن أن الحادث خطأها، لِمَ تعتقد ذلك؟ أردت أن أسألها عن الأمر، لكنها كانت ثملة جدًّا لدرجة لا تستطيع معها إجراء محادثة جدية الآن، لذا استلقيت على الفراش بجوارها لأهدئها: «أي أغنية؟».

- أنتِ تعرفينها، تلك الأغنية التي كنتِ تغنينها لي وأنا صغيرة.

- غنيت لكِ الكثير من الأغاني، لا أعتقد أن لدينا أغنية معينة.

- غني شيئًا آخر إذن، هل تعرفين أيًّا من أغاني « Twenty One Pilots»، نحن الاثنان نحب هذه الفرقة.

ضحكت وضممتها إلى صدري، قالت لي: «غني الأغنية التي تتحدث عن البيت الذهبي».

مررتُ يدي على رأسها بلطف، وبدأت أغني بهدوء، أومأت برأسها بينما أغني، فعرفت أنها الأغنية الصحيحة، واصلت غناءها، وأنا أمسد شعرها، حتى انتهت الأغنية، ونامت أخيرًا، تسللت خارج فراشها برفق، وحملقت إليها، كلارا الثملة مُضحكة، كنت أفضّل أن يحدث ذلكَ لأول مرة وهي في الحادية والعشرين من عمرها، لكَن على الأقل حدث هذا هنا، حتى أكون أنا من يعتني بها.

دثَّرتها بالبطانية، وقبَّلتها: «تقودينني إلى الجنون يا كلارا، لكن يا إلهي أحبك جدًّا...».

الفصل الثاني والثلاثون
كلارا

لم أشعر في حياتي بمثل هذه الحالة السيئة من قبل، ربما ما كان يجب أن أقود السيارة إلى المدرسة، لأن رأسي تؤلمني بشدة لدرجة أنني أستطيع بالكاد أن أبقي عينيَّ مفتوحتين، لكن والدتي أخذت هاتفي بالأمس، وأنا أريد التحدث مع ميلر، أنا في حاجة إلى أن أتحدث معه، لا أتذكر حقًّا الكثير مما حدث بعدما جاءت ليكسي، لكني أتذكر بالتأكيد كل شيء حدث مع ميلر قبل أن يرحل، وينتابني الندم على كل ذلك.

حين رأيت سيارته تدخل موقف السيارات، خرجت من سيارتي واتجهت نحوها، أوقف سيارته، وفتح باب مقعد الراكب المجاور له، لا أعرف ما إذا كان لا يزال غاضبًا مني، لذا فإن أول شيء فعلته حين ركبت شاحنته هو أنني اقتربت منه، ولففت ذراعي حوله: «أنا آسفة، أنا مجنونة».

عانقني ميلر: «أنتِ لستِ مجنونة».

أبعدني عنه حتى يتمكَّن فقط من تعديل جلستنا، تحرك إلى منتصف المقعد، وأجلسني فوق حجره، فجلست فوقه منفرجة الساقين، صار في إمكاني أن أنظر في عينيه: «شعرت بالذنب بعدما غادرت منزلكِ، لكني كنت مستاءً، أردت أن أكون معكِ منذ فترة،

لكني أريد أن يكون الوقت الذي نقضيه معًا وقتًا خاصًا بنا نحن، من دون أن يكون متعلقًا بأي شخص آخر».

- أعرف، أنا آسفة، أشعر شعورًا بشعًا.

ضمني ميلر إلى صدره، وربت على ظهري بيد مُطمئِنة: «لا أريدك أن تشعري بذلك، أتفهَّم الأمر، مررتِ بالكثير من الأشياء يا كلارا، ولا أريدكِ أن تكابدي أكثر بسببي أو بسببنا، أريد أن أكون جزءًا من كل شيء يجعل حياتكِ أفضل».

يا إلهي، شعرت أنني حمقاء للغاية، أحسست بالارتياح وبأني محظوظة بشخص متفهم مثله، قبَّلته على خده ونظرت إليه: «أهذا يعني أنك لا تريدً الانفصال عني الآن؟».

ابتسم قائلًا: «لم أرغب في الانفصال عنكِ أبدًا، كنت مستاءً فقط».

«جيد» قبَّلت راحة يده مستدركة: «لأن هذا سيؤلمني جدًّا حين يحدث يومًا ما، مجرد التفكير لثانيتين في أنك انفصلت عني آلمني كثيرًا.

«ربما لن ننفصل أبدًا» قال بنبرة متفائلة.

- للأسف، الظروف ليست في صالحنا.

مرَّر إبهامه على شفتي السفلية: «هذا مؤسف، متأكد أنني سأفتقد تقبيلكِ».

أومأت برأسي: «أجل، أنا مقبِّلة رائعة، أفضل مقبِّلة ستقابلها في حياتك».

ضحك، أسندت رأسي إلى كتفه: «ماذا برأيك سيكون سبب انفصالنا في المستقبل؟».

«لا أعرف» قال، بدا مستمتعًا بأفكاري الملهية، استطرد قائلًا: «لكن يجب أن يكون سببًا أكثر درامية مما حدث بالأمس، لأننا وصلنا إلى القاع».

«سيكون كذلك» قلت مستدركة: «سيكون سببًا دراميًّا للغاية، ربما تصبح موسيقيًّا مشهورًا، وتغريك الشهرة، وتتركني وترحل».

- أنا لا أعزف على آلة موسيقية حتى، كما أني مغنٍ سيئ جدًّا.

- ربما حينها سأكون ممثلة مشهورة، وأعرفك على إحدى الممثلات المشاركات لي في البطولة، والتي ستكون أكثر شهرة مني، فتجدها أكثر جاذبية مني، وستريد أن تلمس كل جوائز الأوسكار التي حازت عليها.

- مستحيل، هذا النوع من الأشخاص غير موجود.

اعتدلت في جلستي حتى أتمكن من رؤية وجهه: «ربما يستعمرون المريخ، وسأريد العيش هناك، بينما لا ترغب أنت في ذلك».

هزَّ رأسه قائلًا: «سأظل أحبكِ من كوكب آخر».

صمت، فقال: «سأظل أحبكِ»، أعلم أنه لم يقصد قول ذلك بهذا المعنى، لكني ابتسمت مغيظة له: «هل اعترفت للتوِّ أنك مغرمٌ بي؟».

هزَّ كتفه، ثم انفرَجَت شفتاه بابتسامة خجولة: «أشعر أحيانًا أني كذلك، أنا متأكد أن شعوري تجاهكِ ليس بهذا العمق بعد، لسنا معًا منذ فترة طويلة، كما أننا نتشاجر كثيرًا، لكني أشعر بذلك، تنتابني مشاعر قوية[1] تُبقيني مستيقظًا في الليل.

(1) * جاءت الكلمة في النص الأصلي TINGLE، وهي تحمل معنى الوخز، لكن على مستوى المشاعر تعني الإحساس بمشاعر قوية، لذا ردَّت كلارا بهذا الشكل بناءً على معنى الكلمة الأول.

- قد تكون تعاني فقط من متلازمة تململ الساقين.

ابتسم وهو يهز رأسه ببطء: «لا».

- ربما يكون هذا هو سبب انفصالنا، أن تخبرني أنك تحبني مبكرًا جدًّا.

- هل تعتقدين أن الوقت مبكرٌ جدًّا؟ اعتقدت نوعًا ما أنها اللحظة المثالية.

مال إلى الأمام وقبَّلني برقّة على خدي: «انتظرت ثلاث سنوات لأكون معكِ، فإذا كان الوقوع في حبكِ بسرعة سيفسد الأمر، فأنا لا أحبك، في الحقيقة أنا أكرهكِ».

ابتسمت: «أنا أيضًا أكرهك».

شبَّك أصابعه في أصابعي وقال مبتسمًا: «بجِدٍ، ربما لن نفترق أبدًا».

- لكن وجع القلب يبني الشخصية، أتتذكر؟

«الحب أيضًا يبني الشخصية» قال.

يا لها من جملة رائعة، جملة رائعة تستحق أن أقبّله لأجلها، لكني قبَّلته قبلة خفيفة، لأني لا أظن أنه يرغب أن يُدخل لسانه في فمي بعد الليلة الماضية.

- أنا وليكسي ثملنا بعد أن غادرت، أشعر بصداع شديدٍ ناجم عن الشرب، لذا أعتقد أنني سأعود إلى المنزل، لديَّ صداع بحجمٍ جزيرة رود.

- جزيرة رود صغيرة جدًّا في الحقيقة.

- بحجم نبراسكا إذن.

- أوه، حسنًا، في هذه الحالة ربما يجب أن تعودي إلى المنزل، وتأوين إلى الفراش.

قبَّلته مرة أخرى على خده: «سأمنحك قبلة أفضل حين أراك في المرة القادمة، لكني كنت أتقيأ طوال الليل».

- متى سأراكِ؟

هزت كتفي: «سآتي المدرسة غدًا، لكن من المحتمل أن أُمنع من الخروج من البيت لفترة طويلة جدًّا».

أرجع ميلر شعري خلف أذني، وعانقني ثم قال: «شكرًا لأنكِ جئتِ لتريني».

- شكرًا على تحمُّلك لي.

حين خرجنا من شاحنته، عانقني مرة أخيرة، كان حضنه مريحًا، ظللت طوال الطريق إلى المنزل أفكر في حضنه، في حضن أبي، في حضن جونا، عناقاتهم جميعًا رائعة، لكن لو سأكون صريحة، فلا شيء يُقارن حقًّا بأحضان أمي أو قبلاتها، لا أتذكر الكثير مما حدث بالأمس، لكني أتذكرها وهي تساعدني في الحمام، ولسببٍ غريبٍ أتذكر أنها كانت مستلقية بجواري في الفراش، وتغني لي إحدى أغاني «Twenty One Pilots»، أتذكر أنها قبَّلتني على جبيني، قبل أن تخبرني أنها تحبني، حتى وأنا في السابعة عشرة من عمري ما زلت أشعر بسعادة طفولية حين أكون مريضة وتعتني بي والدتي.

حين استيقظت وجدت نفسي مُغطاة ببطانيتي، ونائمة على وسادتي المطرزة، فابتسمت رغم الصداع الذي كان لديَّ، ورغم شعوري بالغضب، تساءلت عما إذا كان في إمكاني أن أفصل الشعور بالغضب عن الشعور بالحب، لا أريد أن تؤثِّر تصرفاتها مع جونا

على مشاعري تجاهها، فهي أمي، ولا أريد أن أكرهها، لكن ماذا لو لم أستطع مسامحتها؟ كيف لي أن أعرف حتى أن جيني وأبي ليسا سعيدين لأجل أمي وجونا؟ ماذا لو كانا يحركان الأمر أينما كانوا؟ ماذا لو كان غضبي يمنع حدوث ذلك؟ كان لديَّ الكثير من الأسئلة، وأعرف أنه لا يمكن الإجابة عن معظمها، مما جعل رأسي تؤلمني أكثر.

كانت والدتي مستيقظة حين دخلت المنزل أخيرًا، كانت جالسة على الأريكة أمام جهازها اللابتوب، ربما ما زالت تُقدم على وظائف، رفعت بصرها ناظرة إليَّ وأنا أغلق الباب: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت برأسي قائلة: «ظننت أن في إمكاني الذهاب إلى المدرسة، لكني كنت مخطئة، لديَّ صداع نبراسكا»، أشرت نحو غرفتي: «سأعود إلى الفراش».

الفصل الثالث والثلاثون
مورجان

قمت بالبحث على «جوجل» عن «صداع نبراسكا» حين عادت كلارا إلى المنزل في الصباح، لكني لم أستطع معرفة ما يعنيه ذلك، ظننت أنها لهجة عامية، لكنها لو كانت كذلك، فلا بد أنها عامية جديدة تمامًا.

أشعر اليوم أنني مُنتجة إلى حدٍّ ما، لديَّ مقابلة عمل لوظيفة سكرتيرة في شركة عقارات الأسبوع المقبل، ليست وظيفة مثالية لأن الراتب منخفض، لكنها مجرد بداية، أرى فكرة بيع العقارات جذابة، لذا فكرت أنني إذا استطعت الحصول على تلك الوظيفة، فربما أحبها وحينها سأفكر ما إذا كان ذلك هو ما أريد دراسته، كنت أبحث عن طرق تُمكنني من العمل والالتحاق بالكلية في الوقت نفسه.

باتت هناك العديد من الخيارات أكثر من تلك الخيارات التي كانت متاحة حين كنت في الثامنة عشرة، لو كانت الفرصة متاحة لي لآخذ دروسًا ليلية وحصصًا عبر الإنترنت حين كانت كلارا أصغر عمرًا، فلربما كنت أنهيت دراستي الجامعية.

أشعر بالأسى على نفسي، لكن في الحقيقة لم يكن هذا خطأ كريس، كنت أعلم أنه لن يعيش لنا مدى الحياة، كان من الممكن أن ألتحق بالكلية وأدرس بدوامٍ جزئي، لأعد نفسي إذا ما حدث له أي

مكتبة
t.me/soramnqraa

شيء، وبصراحة أنا محظوظة لأن لديه بوليصة تأمين على الحياة، فهذا سيمنحني وقتًا لحل الأمور.

بينما كنت أفتش في الأوراق في غرفة نومي،

بالصدفة لوح عيد ميلادي، الذي أعددناه أنا وكلارا في الليلة التي سبقت وفاة كريس، لم أعِده أبدًا إلى المكان الذي أحتفظ فيه عادة بألواح عيد الميلاد، لأنٍ كل شيء تغيَّر في اليومِ التالي، فانتهى الحال باللوح أسفل فراشي، ذكَّرني ذلك أننا يجب أن نُعد اللوح الخاص بعيد ميلاد كلارا، أعرف أنها ربما لا تشعر بالرغبة في القيام بذلك، لكن هذا تقليدٌ اعتدناه، لذا حين شعرت أنها استيقظت ودخلت لتستحم، أخرجت أدوات صنع اللوح، ووضعتها على الطاولة.

أعددتُ مجموعة من المُقبلات، ووضعتها على الطاولة بجوار لوح عيد ميلادها، لأني لم أكن واثقة بأنها ستشعر بالرغبة في تناول الكثير من الطعام، لكنها تحتاج إلى أن تأكل أي شيء.

كنت أجلس إلى الطاولة أمام اللابتوب، حين خرجت من غرفتها أخيرًا، حملقت إلى لوح عيد ميلادها، أغلقت اللابتوب، تفاجأت بأنها مشت نحو الطاولة وجلست من دون جلبة، دفعت حبة عنب إلى فمها، التقت أعيننا، لكننا لم نقل شيئًا، أمسكت بقلم تحديد أزرق، بينما أخذت قلمًا أرجوانيًّا.

حدقت إلى لوح عيد ميلادها، في كل الأشياء التي وضعناها به على مرِّ السنوات، تغيَّر خطها على مر السنين، كان هدفها الأول

مكتوبًا بقلم شمع لونه أخضر، بتهجئة خاطئة «دمية فتاة أمريكية»[1]، كانت رغبة وليست هدفًا، لكنها كانت صغيرة، تعلمت الفرق بينهما في النهاية بمرور الوقت.

بدأت كلارا تكتب شيئًا ما، ليس شيئًا واحدًا، بل عدة أشياء، حين انتهت، ملت إلى الأمام وقرأت القائمة:

1- أريد أن ترى أمي حبيبي على حقيقته.

2- أريد أن تكون أمي صادقة معي، وأريد أن أكون صادقة معها.

3- أريد أن أكون ممثلة، وأريد أن تدعم أمي هذا الحلم.

أغلقت كلارا قلمها بغطائه، ودفعت حبة عنب ثانية داخل فمها، ودخلت المطبخ لتشرب.

قراءة أهدافها جعلتني أتنهد، يمكنني تقبل الأول، ويمكنني التظاهر بتقبُّل الثاني، لكن الهدف الثالث صعب عليَّ، ربما أنا واقعية للغاية، وعملية جدًّا.

تبعتها إلى المطبخ، كانت تصب لنفسها كوبًا من الماء المثلج، ابتلعت حبتين أسبرين: «أعرف أنكِ تريدينني أن أتخصص في شيء أكثر عملية، لكني لن أهرب إلى لوس أنجلوس من دون أن أحصل على شهادة أولًا على الأقل» قالت مستدركة: «يجب أن أبدأ في البحث عن كليات قريبة، أريد أن أعرف الكليات التي يمكننا تحمل مصروفاتها الآن بعد رحيل أبي».

(1) * كُتبت في النص الأصلي بهذا الشكل «Americun Gurl dol»

- هل يمكن أن نتوصل إلى حلّ وسط؟ ما رأيكِ إذا حصلتِ على شهادة في شيء أكثر عملية، مثلً علم النفس أو المحاسبة، وبعد التخرج تنتقلين إلى لوس أنجلوس، وتقومين بتجارب أداء بينما تشغلين وظيفة حقيقية.

«التمثيل عمل حقيقي» قالت وهي تعود إلى الطاولة، جلست والتقطت قطعة جبن، قالت وهي تمضغها: «حسبما أفكر، ستسير حياتي في مسارٍ من بين ثلاثة».

- ما هي؟

رفعت إصبعها قائلة: «أحصل على بكالوريوس فنون جميلة في التمثيل من جامعة تكساس، وأحاول أن أصبح ممثلة، وأنجح في ذلك»، رفعت إصبعًا أخرى: «أو أن أفشل في ذلك، لكني على الأقل سأكون اتبعت أحلامي، ويمكنني حينها أن أستكشف ماذا أفعل بعدها، رفعت إصبعًا ثالثة: «أو أن أتبع أحلامكِ، وأتخصص في شيء لست مهتمة به على الإطلاق، وأقضي بقية حياتي ألومكِ لأنكِ لم تشجعيني على اتباع أحلامي».

خفّضت يدها، ورجعت إلى الخلف في مقعدها، حملقت إليها للحظة مفكرة بعمقٍ في كل ما قالته، أدركت وأنا أنظر إليها أن شيئًا ما قد حدث، لا أعرف متى، أو إذا كان حدث تدريجيًا أو بين ليلة وضحاها، لكن هناك شيئًا تغيَّر بها بشكلٍ كبير.

كانت محقة، فأحلامي لحياتها ليست بأهمية أحلامها لنفسها، أخذت قلمَ تحديدٍ وجذبت لوح عيد ميلادها تجاهي، وكتبت: «أحلامي لكلارا أحلام كلارا لنفسها».

ابتسمت كلارا حين قرأت ذلك، أخذت قطعة جبن أخرى وهمَّت بالنهوض من الطاولة، لكني لم أرغب في الانتهاء من ذلك الآن، شعرت أنه قد لا تأتيني فرصة أخرى قريبًا لأتحدث معها بهذه الطريقة: «انتظري يا كلارا، هناك شيء أريد التحدث عنه معكِ».

لم تجلس، بل أمسكت بظهر المقعد، في إشارة إلى أنها لا تريد لهذه المحادثة أن تطول.

«بالأمس قلتِ لي شيئًا، وأريد أن أعرف ما قصدتِه، ربما كان ذلك كلامًا ناجمًا عن الثمالة، لكنكِ...لمتِ نفسكِ، وقلتِ إن الحادث كان خطأكِ» هززت رأسي في حيرة مستطردة: «لِمَ تعتقدين ذلك؟».

ابتلعت ريقها: «أنا قلت هذا؟».

- قلتِ الكثير من الأشياء، لكن بدا أن هذا الأمر يضايقكِ كثيرًا.

اغرورقت عينا كلارا بالدموع في الحال، لكنها أفلتت المقعد، واستدارت، مضت مبتعدة وهي تقول: «لا أعرف لِمَ قلت ذلك، وهن صوتها وهي تسير في غرفة المعيشة متجهة نحو غرفة نومها، يمكنني لأول مرة أن أجزم أنها تكذب عليّ.

«كلارا» وقفت وتبعتها، لحقت بها قبل أن تختفي في الردهة، حين أدارت جسدها نحوي، وجدتها تبكي، أفجعني رؤيتها متضايقة إلى هذا الحد، لذا ضممتها إليّ، محاولة تهدئتها.

«كنت أرسل رسائل إلى خالتي جيني حين وقع الحادث لهما» قالت وهي متشبثة بي كأنها خائفة أن أتركها: «لم أكن أعرف أنها تقود السيارة، في ثانية كنَّا نتحدث، وفي الثانية الأخرى...لم تعد ترد عليَّ» كان كتفا كلارا يرتجفان في حضني، لا أصدق أنها تعتقد أن الحادث وقع بسببها.

تراجعت إلى الخلف، ضممت وجهها بيدي قائلة: لم تكن جيني تقود السيارة يا كلارا، لم يكن الحادث خطأكِ».

نظرت إليَّ مصدومة وغير مصدقة، ثم هزَّت رأسها قائلة: «كانت سيارتها، أخبرتِني... في المستشفى، قلتِ إنها كانت توصل أبي».

- أخبرتكِ بذلك، لكن أقسم لكِ أن والدكِ هو الذي كان يقود السيارة، كان يقود سيارة خالتكِ جيني، لم أكن لأخبركِ أبدًا بذلك إذا كنت أعرف أنكِ ستعتقدين أن هذا كان خطأكِ».

تراجعت كلارا خطوة إلى الوراء، مبتلعة ريقها في حيرة، مسحت دموعها قائلة: «لكن لِمَ أخبرتني بذلك؟ لِمَ قلتِ إنها كانت تقود السيارة إذا لم تكن كذلك؟».

أُسقط في يدي، لم أعرف كيف أبرر الكذبة التي أخبرتها بها، ليس لديَّ أي مبرر لها، كما أني كاذبة بشعة، اللعنة، هززت كتفي محاولة أن أبيِّن أن الأمر غير مهم: «أنا فقط...ربما كنت مشوشة؟ لا يمكنني التذكر» تقدمت خطوة تجاهها، وضغطت يديها: «لكني أعدكِ أني سأخبركِ بالحقيقة الآن، كانت خالتكِ جيني تجلس في مقعد الراكب، سأريكِ تقرير الحادث إذا كنتِ لا تصدقينني، لكني لا أريدكِ أن تفكري أن ذلك كان بسببكِ لثانية واحدة أخرى».

لم تعد كلارا تبكي، بل كانت تنظر إليَّ بريبة: «لِمَ كان أبي يقود سيارة خالتي جيني؟».

- كان إطار سيارته مثقوبًا.

- لا، لم يكن مثقوبًا، أنتِ تكذبين.

هززتُ رأسي، لكني شعرت باحمرار وجنتيَّ، تسارعت نبضات قلبي، دعي الماضي يا كلارا.

- لِمَ كانا معًا يا أمي؟

«كانا فقط، كان يحتاج إلى توصيلة» استدرت لأعود إلى الطاولة، ربما لو قمت بالتنظيف لن أبكي، لكن ما إن وصلت إلى الطاولة، حتى بدأت دموع الخوف تنهمر على وجهي، كان ذلك آخر شيء أريده.

«ماما، ما الذي لم تخبريني به؟» كانت تقف بجانبي، تطلب إجابات عن أسئلتها.

استدرت لأواجهها، قلتُ لها ببؤس: «كفِّي عن طرح الأسئلة يا كلارا! أرجوكِ، تقبّلي الأمر، ولا تسأليني عن ذلك مرة أخرى أبدًا».

تراجعت خطوة إلى الوراء كما لو أني صفعتها للتوِّ، وضعت يدها على فمها: «هل كانا...»، شحب وجهها وشفتاها، جلست على المقعد محدقة إلى الطاولة للحظة، ثم سألتني: «أين سيارة أبي؟ لو أن الأمر مجرد إطار مثقوب، فلِمَ لم نسترجع السيارة قط؟».

لم أعرف حتى بما أجيبها.

- لِمَ رفضتِ إقامة جنازة واحدة لهما؟ رغم أن لديهما نفس الأصدقاء والعائلة، وبالتالي كان من المنطقي أن تُقام لهما جنازة واحدة، لكنكِ بدوتِ غاضبة جدًّا، وأصررتِ على فصلهما.

غطّت كلارا وجهها بيديها مُجددًا: «يا إلهي»، نظرت إليَّ ثانية بعينين متوسلتين: «أمي؟»، كانت تنظر إليَّ بخوفٍ، مشيت نحو الطاولة، أردت أن أحميها من هذه الصدمة، لكنها هرعت إلى غرفتها، وصفقت بابها، كنت سأتبعها على الفور، لكني كنت في حاجة إلى أن أبقى وحدي للحظة، أمسكت بظهر المقعد، وملت إلى الأمام محاولة التنفس ببطء لأهدئ نفسي، كنت أعرف أن هذا سيقتلها.

فتحت باب غرفتها ثانية، رفعت بصري، فرأيتها تهرع قادمة نحوي، وهي ممتلئة بالأسئلة، كنت أعرف ما تشعر به بالضبط، لأن عقلي لا يزال مليئًا بالتساؤلات: «ماذا عنكِ أنتِ وجونا؟ منذ متى وذلك يحدث؟» كانت هناك نبرة اتهام في صوتها.

- لم نكن...أقسم لكِ أن الليلة الّتي رأيتنا فيها كانت أول مرة نقبِّل فيها بعضنا.

كانت تبكي، وتجول في المطبخ، كأنها لا تعرف ماذا تفعل بكل هذا الغضب الذي يعتريها، ولا على من تُلقي باللوم، أمسكت بطنها وتوقفت عن السير: «لا، أرجوكِ، لا» أشارت إلى الباب الأمامي مستدركة: «ألهذا ترك إيليا هنا؟ ألهذا قال إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك؟».

كانت كلارا تشهق وهي تبكي، فضممتها إلى صدري، لكن عناقي لها لم يدُم، تراجعت إلى الوراء قائلة: «هل أبي؟ أليس جونا والد إيليا؟».

شعرت أن حلقي ضيقٌ جدًّا لدرجة أن صوتي لا يستطيع المرور عبره، لم أستطع سوى أن أهمس قائلة: «كلارا، حبيبتي».

ارتمت كلارا على الأرض غارقة في دموعها، جلست قبالتها ولففتُ ذراعيَّ حولها فارتمت في حضني، وبقدر ما شعرت بالسعادة لأنها تحتاج إليَّ في تلك اللحظة، بقدر ما كنت مستعدة إلى فعل أي شيء حتى لا يحدث ذلك: «هل كنتِ تعرفين؟ قبل الحادث؟».

هززت رأسي: «لا».

- هل جونا؟

- لا.

- كيف...متى اكتشفتِ أمرهما؟
- يوم وفاتهما.

عانقتني كلارا بقوة: «ماما»، قالت اسمي بنبرة يملؤها الألم، كأنها تحتاج إلى شيء تعرف أنني لا يمكنني أن أمنحها إياه، مواساة لا أعرف حتى كيف أمنحها لها، تراجعت إلى الخلف ونهضت قائلة: «لا أستطيع أن أفعل ذلك»، ذهبت إلى غرفتها، ثم عادت ممسكة بحقيبتها ومفاتيحها.

كانت في حالة هستيرية، لم يكن من الممكن أن أدعها تقود سيارتها وهي في تلك الحالة، دنوت منها وأخذت المفاتيح من يدها، حاولت أن تنتزعها مني، لكني لم أدعها تأخذها.

- أرجوكِ يا أمي.
- لن تغادري، ليس وأنتِ في هذه الحالة.

ألقت حقيبتها باستسلام، وغطت وجهها بيديها، ظلَّت واقفة في مكانها تبكي بشدة، ثم أنزلت يديها من على وجهها، ونظرت إليَّ بعينين متوسلتين، وهي تضع ذراعيها إلى جانبيها: «أرجوكِ، أحتاج إلى ميلر».

حطمتني كلماتها والنظرة التي كانت في عينيها، أحسست كأن روحي دُهست، لكن رغم الألم الذي شعرت به، فإنني تفهَّمت أنني لست الشخص الذي تحتاج إليه الآن، لست الشخص الذي ستجد لديه المواساة والعزاء، ورغم أن هذا أشعرني بموت جانبٍ كبيرٍ في علاقتنا، فإنني كنت ممتنة لفكرة أن هناك شخصًا غيريً يمكنً أن يمنحها العزاء.

أومأت برأسي: «حسنًا، سأوصلكِ إليه».

الفصل الرابع والثلاثون
كلارا

حين دخلت السينما، كان يقف أمام ميلر طابور من الزبائن، شعرت حين نظر إليَّ أنه يود القفز من فوق المنضدة، بدا قلقًا لكنه كان عاجزًا عن فعل أي شيء، رفع أربع أصابع، فأومأت واتجهت إلى صالة أربعة، جلست في أقرب مقعد إلى الباب، كنت متعبة للغاية ولا أستطيع السير حتى المقاعد في الأعلى، حدقت إلى الشاشة الفارغة، متسائلة لِمَاذا لم تفكر جيني أبدًا في التمثيل، كانت ستبرع به هي وأبي.

هززت رأسي، رفعت قميصي لأمسح دموعي به، كان من المفترض أن أشعر بالراحة بعد أن عرفت أن رسالتي لم تكن السبب في الحادث، لأن خالتي جيني ليست مَن كان يقود السيارة، لكني لا أشعر بأي راحة قطٌ، ولا أشعر حتى بالغضب، أحسست أني صببت جام غضبي على والدتي لفترة طويلة حتى لم يعُد متبقيًا بداخلي أي غضب، أشعر في اللحظة الحالية بخيبة الأمل والانهزام.

كأن كل الروايات الرومانسية التي قرأتها في حياتي قد تحوَّلت في نظري إلى محض خيالات بائسة، ظننتُ طوال حياتي أن لديَّ نماذج رائعة حولي للحب والعائلة والإنسانية، لكن كل هذا كان هراءً، الحب الذي اعتقدت أن أبي يكنُّه لأمي كان كذبة، وأكثر ما يضايقني في ذلك أن نصفي منه.

هل هذا يعني أنني يمكن أن أصبح الشخص الذي كان عليه؟ الشخص الذي يخون زوجته وابنته بينما يرسم على وجهه ابتسامة محبَّة طوال سنوات عديدة؟ سمعت باب الصالة يُفتح، هرع ميلر نحوي ومال عليَّ ليقبِّلني، ابتعدت عنه، لم أشعر في تلك اللحظة أني أريد قبلة، أو ربما لم أشعر أني أستحق قبلة، انتابني القلق أن يكون شعوري نحوه مجرد إشارات زائفة من عقلي وستخبو في النهاية.

جلس ميلر في المقعد على يميني: «هل فعلت شيئًا خاطئًا؟».

«لا» قلت وأنا أهز رأسي: «لكنك ستفعل، وأنا سأفعل، الجميع يفعلون، كل الناس يخطئون».

«مهلًا» قال ممسكًا خدي، أدار وجهي حتى تواجهت عيناي الدامعتان مع عينيه: «ماذا حدث؟».

- والدي كان على علاقة بخالتي جيني، إيليا ابنه وليس ابن جونا.

صدمه كلامي، أنزل يده وغاص في مقعده: «اللعنة».

بدا غريبًا أن يقول ذلك بصوتٍ عالٍ.

- هل يعرف جونا ذلك؟

- لم يعرف ذلك إلا بعد الحادث.

رفع ذراعه ولفَّه حولي، رغم ترددي السابق في تركه يقبلني، أخذ يمسد ظهري برفق، ملت نحوه، رغم اقتناعي في تلك اللحظة أن الحب شيء سخيف، وأنني قد أحطم قلبه ذات يوم.

هزرت رأسي، ما زلت لا أصدق ذلك: «كنت أعشق أبي، كنت أراه مثاليًّا، وهي! كانت صديقتي المفضلة».

قبَّلني ميلر على جبيني: «كيف تحمَّلت والدتكِ ذلك؟».

لم أعرف بما أجيب عن ذلك، فحين أسترجع الأحداث لا أعرف كيف نهضت والدتي من الفراش بعد اكتشافها أمرًا كهذا، لأول مرة منذ الحادث أشعر بهذا الأسى تجاهها، لما مرَّت به، لما لا تزال تكابده: «لا أعرف كيف لا تزال على قيد الحياة».

بدا لي الآن أن من المنطقي أن تقف هي وجونا أحدهما بجانب الآخر في ذلك، كانا عليهما أن يواسيا بعضهما، فهما الوحيدان اللذان كانا يعرفان ذلك، فمن غير جونا كان يمكن أن تتحدث معه في الأمر؟

صمتنا برهة، حاولت استيعاب الأمر في أثناء ذلك، أعتقد أن ميلر كان يمنحني وقتًا لأفكر في كل شيء، لم أنتظر منه أن يعطيني نصيحة، لست هنا لأجل ذلك، أردت فقط أن أكون بجواره، أردت أن أرتمي بين ذراعيه.

ذكَّرني ذلك بكيف كان والدي يهدئ أمي دومًا، لم تكن تحتاج إلى ذلك كثيرًا، لكني أحيانًا كنت أراه يعانقها وهي غاضبة، أدرك الآن أن كل ذلك كان زائفًا، لم تكن كل نظرات الاهتمام التي كان ينظر بها إليها حقيقية، كان ينام مع أختها، كيف أمكنه أن يتظاهر بحبها بينما يفعل شيئًا شنيعًا إلى هذا الحد.

كنت أثق به أكثر من أي رجلٍ آخر في العالم، مما يجعلني الآن أشك في كل شيء، في كل شخصٍ، في نفسي، وفي ميلر، لا أعرف حتى ماذا كانت نية ميلر في البداية، نظرت إليه: «هل خنت شيلبي معي؟».

بدا متفاجئًا من سؤالي: «لا، لِمَ؟».

- حين كنَّا في الشاحنة ذلك اليوم، فكرت أنك ربما تريد ذلك.

تنهَّد ميلر بشدة بينما ارتسمت نظرة ذنب على وجهه: «كنت حائرًا يا كلارا، أردت أن أتحدث معكِ، لكن حين ركبتِ الشاحنة معي، لم أحب ما شعرت به، لم أخنها معكِ، لكن لا يمكنني أن أقول إنني لم تساورني الرغبة في ذلك».

- أما زلت تتحدث معها؟

هزَّ رأسه وأدار عينيه في ضيق، بدا كأنه بدأ يشعر بالاستياء مني، آلمني ذلك، فكلما غضبت أجد نفسي أحيل الأمر تجاهه بطريقة ما، أفضِّل أن ينفصل عني على أن يفقد احترامه لي، لكن هذا ما سيحدث في النهاية إذا واصلت التصرف بهذه الطريقة.

«أنا آسفة» قلت مستدركة: «تعبث كل هذه الأفكار برأسي، ولا أعرف على من أصب غضبي».

أمسك ميلر بيدي مقربًا إياها من فمه، قبَّل ظهرها قبلة مطمئنة.

«أتتذكر حين كنت تعتقد أنني مذهلة؟»، ضحكت وأنا أقول ذلك، كيف يمكن لأي شخص أن يظن أني كذلك.

- ما زلت أراكِ كذلك، مُذهلة مُحبطة.

- أو مُحبطة بشكل مذهل، بدأت تواعدني في أسوأ لحظة في حياتي، أشعر بالأسف تِجاهك لأنك اضطررت إلى تحمُّل كل هذا الخراء.

أحاط وجهي بيديه: «أنا آسف لأنكِ مررت بكل هذا الخراء».

أحيانًا حين يتحدث معي أشعر أن كلماته تصلني عبر قلبي وليس عبر أذني، أحب كونه متفهمًا جدًّا، وصبورًا للغاية، لا أعرف من أين أتى بهذه الصفات، لكني أعرف أنني كلما أمضيت معه وقتًا أطول أحببته أكثر.

- تخيل كم ستكون علاقتنا رائعة حين أستقر عاطفيًّا.

ضمَّني إلى صدره: «أنتِ رائعة الآن يا كلارا، قريبة جدًّا من الكمال».

- قريبة؟

- أمنحكِ تسعة من عشرة.

- ما سبب خصمك لهذه النقطة؟

تنهد قائلًا: «بسبب الأناناس على البيتزا للأسف».

ضحكت ورفعت مسند الذراع الذي يحول بيننا لأعانقه، صمتنا لبرهة بعدها، احتضنني بينما أحاول التفكير فيما حدث واستيعابه، لكني كنت أعرف أنه لا يستطيع البقاء هنا طوال الليل، فبعد بضع دقائق قبَّلني على رأسي قائلًا: «يجب أن أعود إلى العمل، فلست في موعد استراحتي الآن، والمدير موجود الليلة».

- متى ينتهي عملك؟

- في التاسعة.

- هل يمكنني البقاء هنا حتى تنهي العمل، أريدك أن توصلني إلى المنزل.

- كيف جئتِ إلى هنا؟

- أوصلتني والدتي.

- أوه، هي لا تعرف أني أعمل هنا، صح؟

أومأت: «تعرف، لهذا أوصلتني إلى هنا».

رفع ميلر حاجبه: «هل أعتبر هذا تقدمًا؟».

- أتمنى ذلك.

ابتسم وقبَّلني مرتين: «هناك فيلم كرتون سيُعرض في صالة ثلاثة بعد نحو 15 دقيقة، هل تريدين أن تشاهديه بينما تنتظرينني».

قطبت أنفي: «كرتون؟ لا أعرف».

أنهضني من فوق المقعد: «تحتاجين إلى أن تشاهدي شيئًا خفيفًا الآن، اذهبي لمشاهدته، وسأجلب لكِ طعامًا».

أمسك يدي ونحن خارجان من الصالة، واصطحبني إلى العرض في الصالة المجاورة، لكني قبل أن أدخل قبَّلته على خده: «في يوم من الأيام سأكون أفضل لأجلك» قلت له معتصرة يديه: «أعدك».

- أنتِ رائعة كما أنتِ يا كلارا.

- لا لست كذلك، منحتني تسع نقاط فقط.

ضحك وهو يبتعد عني قائلًا: «أجل، لكني حقًّا أستحق ست نقاط فقط».

***

وجدت مقعدًا في الأعلى بعيدًا عن جميع الأطفال، ميلر كان مخطئًا، لا أعتقد أن الكرتون سيساعدني لأني لا أستطيع التوقف عن التفكير فيما حدث، لم يخف عليَّ أن الغضب الذي انتابني بعد اكتشاف علاقة أبي وخالتي جيني لم يكن شديدًا بقدر الغضب الذي اعتراني حينما ظننت أن والدتي وجونا هما من كانا على علاقة ببعضهما.

فكرت في الأمر وأدركت أن الأمر يتعلق بشيء واحدٍ، وهو الإيثار، يبدو الأمر تافهًا، لكنه ليس كذلك، مرَّت والدتي بأكثر حدث جنوني ومؤلم ومأساوي في حياتها، ورغم ذلك ومثلما تفعل دائمًا فقد وضعت مصلحتي أولًا، قبل غضبها، قبل حزنها، قبل ما تعرضت له من

خيانة، فعلت كل ما بوسعها لتحميني من معرفة الحقيقة، حتى وإن كان ذلك على حساب تحملها اللوم بشكلٍ ظالم.

لا أشك في حب أبي لي، لكني لاً أعرفً ما إذا كان سيفعل الشيء نفسه إذا عُكست الأدوار، لست متأكدة ما إذا كانت جيني ستفعل ذلك أيضًا، بقدر ما تحطمت حين عرفت الحقيقة أخيرًا، لكن هذا أقل إيلامًا مما حين كنت أظن أن والدتي هي المخطئة.

منذ ولادتي وكل قرار اتخذته والدتي لنفسها كان لمصلحتي، كنت أعرف ذلك دائمًا عنها، لكني لم أقدِّر ذلك قبل اليوم.

انتهى الكرتون، وفرغت الصالة، لكني واصلت التحديق إلى الشاشة الفارغة، متسائلة كيف حال والدتي، فهي الضحية الحقيقية في كل ذلك، ويحزنني معرفة أن الشخصين اللذين كانتا تعتمد عليهما معظم حياتها هما الشخصان ذاتهما اللذان لم يكونا موجودين للإمساك بها وهي تتهاوى، اللعنة، بل هما من جعلاها تتهاوى من الأساس.

لا يمكنني تصور عدد الكدمات غير المرئية داخلها، وأكره أن يكون بعضها بسببي.

الفصل الخامس والثلاثون
مورجان

اتصلت بجونا حين عدت إلى المنزل بعد أن أوصلت كلارا إلى السينما، كان ذلك مثيرًا للسخرية، لأني كنت أحتاج إليه بقدر احتياج كلارا ذاته إلى ميلر، تحدثنا لبعض الوقت، لكن إيليا كان نائمًا، لذا لم يستطع القدوم، كنت سأذهب إليه، لكني لم أرغب أن أكون بعيدة عن المنزل في حالة ما إذا عادت كلارا.

مضت ساعتان، لم أفعل بهما شيئًا سوى التجول في المنزل، والتحديق إلى شاشة التلفزيون الفارغة، وأنا أتساءل كيف حالها، وما إذا كان ميلر يمنحها الطمأنينة والمواساة التي تحتاج إليها الآن.

حتى لو كان يمنحها ذلك فعلًا، أشعر بالخواء داخلي، خواء يدفعني إلى الذهاب إليها، التقطت مفاتيحي أخيرًا وقررت أن أقود السيارة عائدة إلى السينما، حين دخلت إليها كان ميلر يقف وراء كشك المأكولات والمشروبات، يخدم زبونين، لكني لم أرَ كلارا، وقفت في الطابور منتظرة أن ينتهي مما يقوم به.

حين منح الزبونين باقي أموالهما، ومضيا مبتعدين، رفع بصره فتجمَّد في مكانه، أحب أن أشعره بالتوتر، لكني أكره ذلك أيضًا، لا أريد أن أكون صعبة المعشر بالنسبة إلى شخص تحبه ابنتي كثيرًا.

«هل تبحثين عن كلارا؟» سألني.

أومأت: «أجل، ألا تزال هنا؟».

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط خلفه، ثم أومأ: «أجل، لا بد أنها تجلس وحدها في صالة ثلاثة، انتهى الفيلم المعروض منذ خمس عشرة دقيقة».

- هل هي...وحدها؟ هل تجلس بمفردها في الصالة؟

ابتسم ميلر وسحب كوبًا من بين عدة أكواب، ملأه بالثلج: «لا تقلقي، هي تحب ذلك»، ملأ الكوب بالـ «سبرايت»، وأعطاني إياه: «كنتُ مشغولًا، لذا لم أستطع أن أُعيد ملء مشروبها، هل تريدين أي شيء؟».

- لا، شكرًا لك.

بدأت أستدير لكني توقفت حين قال ميلر: «السيدة جرانت».

نظر إلى يساره ثم إلى يمينه ليتأكد أن ما من أحد يسمعه، مال إلى الأمام قليلًا ناظرًا في عيني، ضم شفتيه بتوترٍ قبل أن يتكلم: «أنا آسف جدًّا على تسللي إلى منزلكِ الليلة الماضية، وعلى...كل الأشياء الأخرى، أنا أحبها فعلًا».

حاولت أن أنظر إليه للمرة الأولى من دون كل الأفكار المسبقة التي كانت لدى كريس عنه، أردت أن أراه كما يراه جونا، شابًّا جيدًا، جيدًا بما يكفي لمواعدة كلارا، فما زلت غير متأكدة من ذلك بعد، لكن اعتذاره لي بصدقٍ بداية جيدة، أومأت مبتسمة له، ثم اتجهت نحو صالة ثلاثة.

حين دخلت الصالة وجدتها جالسة في الأعلى، كانت الأضواء مضاءة، وكانت تحدق إلى شاشة السينما الفارغة، بينما تسند قدميها إلى المقعد أمامها.

لم تنتبه لوجودي إلا حين بدأت أصعد السلالم المؤدية إلى الصف العلوي، حين رأتني اعتدلت في جلستها وأنزلت قدميها، ناولتها الـ «سبرايت» حين وصلت إليها، وجلست في المقعد المجاور لها: «فكر ميلر أنكِ ربما تحتاجين إلى إعادة ملء كوبكِ».

أخذت الكوب مني، أخذت رشفة منه، وضعت كوبها الفارغ الآخر على المقعد المجاور لها من الناحية الأخرى، ثم رفعت مسند ذراع المقعد الذي يفصل بيننا، ومالت على صدري، فاجأني ذلك، لم أكن متأكدة مما سيكون عليه رد فعلها، فقد مرَّت بالكثير الليلة، وبصراحة كنت أنتظر تداعيات ما بعد الصدمة، استغللت هذه اللحظة النادرة من المودة بيننا، ولففت ذراعي حولها وجذبتها نحوي.

لا أظن أن أيًّا منَّا كانت تعرف حقًّا كيف تبدأ الحديث، مضت بضع ثوانٍ طويلة قبل أن تقول كلارا: «هل خنتِ أبي قطّ؟».

لم يكن في سؤالها نبرة اتهامية، بل بدا الأمر كأنها تحاول فقط أن تتخلص من فكرة طرأت على ذهنها، لذا أجبتها بصدقٍ: «لا، فقبل جونا، كان والدكِ الرجل الوحيد الذي قبَّلته في حياتي».

- هل أنتِ غاضبة منهما؟ أبي وجيني؟

أومأت: «أجل، آلمني ذلك كثيرًا».

- هل تندمين على زواجكِ منه؟

- لا، فقد أنجبتكِ.

رفعت رأسها قائلة: «لا أقصد أنكِ نادمة على مواعدته أو حملكِ بي، لكني أقصد ندمكِ على الزواج منه؟».

مسدت شعرها المنسدل على جبينها وقلت مبتسمة: «أشعر بالأسف على اختياراته، لكني لا أشعر بالندم على اختياراتي».

أسندت رأسها إلى كتفي: «لا أريد أن أكرهه، لكني غاضبة منه لأنه فعل ذلك بنا، وغاضبة لأن خالتي جيني فعلت شيئًا كهذا بنا».

- أعرف يا كلارا، لكن يجب أن تفهمي أن علاقتهما يجب أن تؤثر فينا كثيرًا، لكنها لا يجب أن تؤثر فينا في الوقت نفسه.

- لكني أشعر أنها يجب أن تؤثر فينا تمامًا.

- لأنها يجب أن تؤثر فينا فعلًا.

- لكنكِ قلتِ للتو إنها لا يجب أن تؤثر فينا.

«لأنها كذلك فعلًا» قلت.

ضحكت كلارا ضحكة قصيرة، وقالت في استسلام: «أنتِ تحيرينني».

أبعدت رأسها عن كتفي، واستدرت في مقعدي قليلًا حتى نكون متواجهتين، أمسكت يدها بكلتا يديَّ قائلة: «والدكِ كان أبًا رائعًا لكِ، لكنه اتخذ كزوجٍ بعض القرارات السيئة، لا يمكن لأحدٍ أن يكون مثاليًّا في كل شيء».

- لكنه بدا مثاليًّا جدًّا.

أحزنتني نظرة الشعور بالخيانة التي بدت في عينيها، لا أريدها أن تعيش حياتها حاملة تلك الذكرى عن كريس، ضغطت يدها: «أعتقد أن هذه هي المشكلة، فالمراهقون يعتقدون أن آباءهم يعرفون كل شيء، لكن الحقيقة أن البالغين لا يعرفون حقًّا كيف تُعاش الحياة، وهم ليسوا في ذلك بأفضل من المراهقين، ارتكب والدكِ بعض الأخطاء الكبيرة، لكن لا يجب أن تشوِّه الأشياء الخاطئة التي فعلها في حياته كل الأشياء الصحيحة التي قام بها، وينطبق الأمر نفسه على خالتكِ جيني».

سالت دمعة من عين كلارا اليمنى، فمسحتها بسرعة وهي تقول: «معظم الأمهات سترغبن أن تكره بناتهن آباءهم إذا فعلوا مثلما فعل أبي».

- أنا لست كمعظم الأمهات.

أسندت كلارا رأسها إلى المقعد المخملي الأحمر، ونظرت إلى السقف، ضحكت والدموع لا تزال تنهمر وتنزلق داخل شعرها: «الحمد لله على ذلك».

لم تكن جملتها مدحًا مباشرًا لي، لكنها رغم ذلك أسعدتني.

«إذا أخبرتكِ بشيء، أتعدينني ألا تحكمي عليَّ؟» سألتني.

- طبعًا.

أمالت رأسها نحوي، بدا على وجهها شعورًا بالذنب: « كنت أجلس ذات يوم مع ميلر في شاحنته بعد انتهاء المدرسة، كان ذلك قبل أن ينفصل عن حبيبته، أردت بشدة أن يقبِّلني يا أمي، وكنت سأدعه يفعل ذلك لو كان قد حاول، وهذا يضايقني جدًّا، كنت أعرف أن لديه حبيبة حينها، ورغم ذلك كنت سأدعه يقبِّلني، والآن بعد أن عرفت ما فعله أبي وخالتي جيني أخشى أن يكون ذلك سمة شخصية ورثتها عن أبي، ماذا لو كان ذلك نوعًا من الضعف الأخلاقي الذي يُورث؟».

نظرت إلى السقف مجددًا واستطردت قائلة: «ماذا لو خنت ميلر يومًا ما، وحطمت فؤاده مثلما حطم أبي وخالتي جيني قلبكِ؟».

تضايقت من أنها تفكر بهذه الطريقة، وتشك في نفسها، تطرح كلارا في بعض الأحيان أسئلة أعجز عن الإجابة عنها، وأخشى أن يكون هذا أحدها، لكني بعدها فكرت في جونا وفي مشاعرنا تجاه

بعضنا حين كنا أصغر عمر، ربما يكون الحديث مع كلارا في هذا الأمر فكرة سيئة، لكن ليس هناك مرجع للتربية.

- مررت بلحظة كهذه ذات مرة، كنت حينها في مثل عمرك، كنت في المسبح مع جونا.

أدارت كلارا رأسها نحوي لتنظر إليَّ، لكني ظللت محدقة إلى السقف وأنا أتحدث: «لم نقبِّل بعضنا، لكني أردت حدوث ذلك، كنت أواعد والدكِ حينها، وكانت هناك علاقة بين جونا وجيني، لكن حينما نظرت إليه في تلك اللحظة، بدا كأن هناك جدارًا يحجب كل شيء آخر حولنا، لم يكن الأمر أنني لا يهمني جيني أو كريس، لكني كنت مشغولة فقط في تلك اللحظة بما شعرت به حين نظرت إليه، فالانجذاب الذي أحسسته تجاه جونا وضع غمامة على عيني، وأعتقد أنه أحس بالإحساس نفسه».

«ألهذا انفصل عن خالتي كلارا، ورحل؟» سألتني كلارا.

أملت رأسي ونظرت إليها قائلة بصدقٍ تامّ: «أجل».

- ألهذا كنتِ غاضبة حين عاد إلى حياة ًخالتي جيني؟

أومأت: «أجل، لكني لم أدرك ذلك وقتها، لم أعترف أبدًا أنني كنت أحس بمشاعر تجاهه إلا مؤخرًا، لم أكن لأفعل ذلك بجيني أبدًا».

وجمت كلارا، أكره رؤية تلك النظرة في وجهها، لحظة إدراك أن شخصًا مهمًا جدًّا بالنسبة إليها يمكن أن يفعل شيئًا فظيعًا جدًّا، وخوفها من أن تفعل الشيء نفسه يومًا ما.

تنهدت وعاودت النظر إلى السقف: «كان لديَّ وقتٌ أكثر منكِ لأفكر مليًّا في كل ذلك، لذا فمن الممكن أن أشاركِ بعض الحكمة

المتولدة عن غضبي، فكري في الأمر على هذا النحو، الانجذاب ليس شيئًا يحدث مرة واحدة فقط مع شخصٍ واحدٍ، بل هو جزء مما يحرّك البشر، انجذاب بعضنا إلى بعض، إلى الفن، إلى الطعام، إلى الترفيه، الانجذاب متعة، لذا فحين تقررين الالتزام في علاقة مع شخص لا تقولين: «أعدك ألا أنجذب إلى أي شخص آخر»، بل تقولين: «أعدك أن ألتزم في علاقتي بك، رغم احتمالية انجذابي إلى أشخاص آخرين في المستقبل».

نظرت إلى كلارا واستطردت: «العلاقات صعبة لهذا السبب بالذات، فجسدكِ وقلبكِ لا يكفّان عن إيجاد الجمال والجاذبية في الأشخاص الآخرين، لمجرد أنكِ صرتِ ملتزمة تجاه شخصٍ واحدٍ، إذا وجدتِ نفسكِ منجذبة إلى شخص آخر، فبيدكِ أن تنسحبي من الموقف قبل أن تصعب المقاومة».

- مثلما فعل جونا؟

أومأت: «أجل، مثل ذلك بالضبط».

حملقت كلارا إليَّ للحظة: «لم يستطع أبي أن يبتعد عن جيني، لأنها كانت موجودة دائمًا، ربما لهذا حدث ذلك».

- ربما.

- ورغم ذلك ليس هذا عذرًا.

- معكِ حق، هذا ليس عذرًا.

أسندت رأسها إلى كتفي ثانية، قبّلت رأسها، لم تر الدموع التي بدأت تنهمر على وجنتيَّ، شعرت بالسعادة لإجراء هذه المحادثة معها أخيرًا، فرحت بمعرفة أن ابنتي مستعدة عاطفيًا لمعرفة الحقيقة أكثر بكثيرٍ مما افترضت.

- كل الأشياء التي قمت بها لم تكن خطأ ميلر، حاول فقط أن يبقى بجواري، لا أريدكِ أن تكرهيه.

لم تعُد في حاجة إلى إقناعي، فحين عرفت أنه حاول إثناءها عن ممارسة الجنس معه، كففتُ عن كرهه، وحين اعتذر لي الليلة، بدأت أحبه بالفعل.

- لا أكرهه، أنا حقًّا أحبه إلى حدٍ ما، لكني سأحبه أكثر إذا لم يتسلل إلى غرفتكِ مرة أخرى، لكني أحبه.

«لن يتسلل ثانية» قالت ثم استدركت: «أقسم لكِ».

- سوف تشي بكِ السيدة نيتل على أي حالٍ.

رفعت رأسها متسائلة: «هل هكذا عرفتِ بالأمر؟».

- أحيانًا يكون من المفيد أن تسكن بجواركِ أكثر جارة فضولية في العالم.

ضحكت كلارا، لكن ابتسامتها تلاشت حين رأت دموعي، لوَّحت بيدي قائلة: «تلك دموع الفرحة».

هزَّت رأسها: «يا إلهي، كنَّا دنيئتين جدًّا مع بعضنا».

أومأت موافقة: «لم أكن أعتقد أن داخلنا تلك الدناءة».

ضحكت قائلة: «لقد منعتني من قراءة الكتب».

- لقد وصفتني بالـ «متوقعة».

- حسنًا، لكنكِ أثبتِ لي بالتأكيد أنني كنت مخطئة.

ابتسمنا، امتننت لكونها تقبَّلت ما قلته بشكل جيدٍ، كنت أعرف أن مشاعرها يمكن أن تتغير مرة أخرى غدًا، أنا متأكدة من أنها ستنتابها الكثير من المشاعر، لكني ممتنة الآن لهذه اللحظة معها، ربما يكون ذلك شيئًا أحتاج إلى تعلمه حتى أقدِّره أكثر، فعلاقتنا لن تكون دائمًا

مثل أشعة الشمس والورود، لذا يجب أن أستغل اللحظات التي تتوقف فيها العاصفة، يجب أن أستمتع بلحظات إشراق الشمس في علاقتي بكلارا، بغض النظر عن حالتي المزاجية، أو ما يحدث في حياتي.

- هل يمكن أن نبدأ صفحة جديدة؟ هل يمكن أن ننسى الحشيش والاحتجاز والكحول والتغيب عن المدرسة؟ أريد حقًا استعادة هاتفي.

«ليست هذه كل الأشياء الخاطئة التي فعلتِها» قلت لها.

- أعرف لكن تقطعت أنفاسي، والقائمة طويلة جدًّا.

رغم كل ما كابدته، فإني لا زلت مقتنعة أنها يجب أن تُعاقب، لكنها ليست وحدها من تريد بدء صفحة جديدة، فأنا أيضًا لست فخورة بتصرفاتي.

- لنعقد اتفاقًا، سأعيد لكِ هاتفكِ إذا كففتِ عن السخرية مني لأني أفضِّل التلفزيون (الكابلي) على البث التدفقي.

حملقت كلارا إليَّ بجدية شديدة: «يا للهول. لم أعرف...».

- كلارا!

ضحكت قائلة: «حسنًا، اتفقنا».

الفصل السادس والثلاثون
كلارا

خرجت أنا ووالدتي من الصالة متشابكتي الأيدي، كان ميلر واقفًا في آخر البهو يفرغ سلة مهملات، لم تره والدتي، لكني رأيته قبل أن نستدير ونتجه نحو مخرج السينما، ابتسم لي، شيء ما في نظرته أشعرني أنه ربما يكون قد وقع في حبي للتوِّ، ابتسمت له وأنا أعرف أني سأتذكر تلك الثواني الثلاث من الصمت المتبادل بيننا إلى الأبد.

الفصل السابع والثلاثون
مورجان

كان هذا الصباح أول يوم أستيقظ فيه منذ الحادث من دون أن يكون التوتر سائدًا في المنزل، جلست أذاكر المصطلحات الخاصة بالعقارات من أجل مقابلة العمل القادمة، عانقتني كلارا قبل أن تهرع خارجة من الباب ومعها «البوب تارت».

أرسلت إليَّ رسالة بعد المدرسة أخبرتني بها أنها تعمل على مشروع الفيلم مع ميلر، لا أعرف ما إذا كانت تقول الحقيقة أم لا، لكنها في السابعة عشرة، ويجب أن تعود إلى البيت في موعدٍ محددٍ، وما دامت ملتزمة بالعودة في هذا الموعد، فلن أضغط عليها لتخبرني بما تفعله هي وميلر حينما يكونان معًا، أعرف أنها تستخدم حبوبًا لمنع الحمل، كما أني متأكدة بعد اعترافها وهي ثملة أنهما لن يُمارسا الجنس.

سأتحدث معها في هذا الأمر قريبًا، لكن عندما يحين الوقت المناسب، أريد أن أتبع طريقة التعامل الجديدة التي صارت بيننا، لأنني لو ضغطت عليها كثيرًا، فربما تعود إلى ما كانت عليه مرة أخرى، وهذا آخر شيء أريده.

دعوت جونا إلى العشاء، أمضينا وقتًا لطيفًا، جلسنا إلى طاولة الإفطار وتناوبنا على إطعام إيليا، ضحكنا على الحماس الذي بدا عليه وهو يجرِّب أطعمة جديدة.

بعد ذلك جلس إيليا على حشية موضوعة على أرضية غرفة المعيشة، كان يلعب بدميتين وضعهما جونا أمامه، بينما جلسنا أنا وجونا على الأريكة، كان يجلس ساندًا ظهره إلى ذراعها، وقدماه مفرودتان ومنفرجتان تاركًا لي مساحة لأستلقي بينهما، كنت أسند ظهري إلى صدره، بينما نشاهد إيليا وهو يلعب على الأرض.

كان يلف ذراعه اليسرى حول بطني، وبين الحين والآخر يطبع قبلة علىٍ جانب رأسي بينما نتحدث، كلما فعل ذلك أكثر، اعتدت عليه وقلّ شعوري بالذنب، أريده أن يستمر في فعل ذلك حتى يرحل عني الشعور بالذنب تمامًا، لكني أعتقد أن ذلك سيستغرق بضعة أشهر.

تنهدت حين خطرت ببالي تلك الفكرة، فسألني جونا: «ما الأمر؟».

- أنا قلقة جدًّا، أخشى أن تجعلنا خيانتهما لا نثق في بعضنا البعض.

«لست قلقًا» قال بثقة.

- لِمَ؟

- لأننا لم نكن مع الشخص الذي نشعر بالانتماء إليه قبل هذه اللحظة.

أملت رأسي إلى الخلف حتى أتمكّن من رؤيته، ثم قبّلته لأجل ما قاله، مرَّر إبهامه على شفتي، ونظر إليَّ بنظرة هادئة، نظرة لم أرها من قبل في عيني جونا سوليفان، كأنه أمضى وقتًا طويلًا يحارب لأجل شيء ما، لم يعُد مضطرًّا الآن إلى القتال لأجله، وبات السلام داخله واضحًا عليه من الخارج.

- سنكون رائعين يا مورجان، بل أكثر من رائعين، أعدكِ بذلك.

انفتح الباب الأمامي، جفلنا أنا وجونا، لم يكن من المفترض أن تعود كلارا إلى المنزل قبل ساعة، اعتدلت في جلستي على الأريكة، وسحب جونا ساقيه من تحتي، وقفت كلارا عند المدخل محدقة إلينا، ثم أغلقت الباب: «لستما مضطرين إلى التظاهر بعد الآن»، ألقت حقيبتها على الأرض، وجلست بجوار إيليا.

نظر جونا إليَّ متسائلًا دون أن يتكلم عما إذا كان يجب أن يغادرا، رأت كلارا تلك النظرة في عينيه، فحملت إيليا مسندة ظهرها إلى الأريكة المقابلة لنا: «ابقَ» قالت له وهي تنظر إلى إيليا، مستطردة: «أريد أن ألعب معه قليلًا».

راقبناها في صمتٍ ونحن لا نتوقع رد فعلها القادم، فقد كانت علاقتنا جيدة الليلة الماضية وفي الصباح أيضًا، لكننا لم نتواجه حتى الآن بشأن تلك العلاقة بيني وبين جونا، ولست واثقة بأننا مستعدون لذلك، لأنني أنا وجونا لم نتواجه حتى بشأن ذلك.

كانت كلارا تحمل إيليا محاولة جعله يكرر الأصوات التي ترددها: «هل قال أي كلمة؟» سألت وهي تنظر إلى جونا.

- ليس بعد، سيستغرق الأمر بضعة أشهر أخرى حتى يستطيع ذلك.

خفضت كلارا بصرها نحو إيليا، وبدأت تتحدث معه: «هل يمكنك قول دادا؟».

كان إيليا يركل بقدميه، ويحرك جسده، مصدرًا أصواتًا غريبة، ثم أثار دهشتنا بتكرار ما قالته كلارا، نطق الكلمة بشكلٍ صحيحٍ تمامًا، حتى إننا لم نحرك ساكنًا لأننا كنَّا نشك فيما سمعناه.

قطع جونا الصمت قائلًا: «هل قال للتو...».

أومأت كلارا: «أعتقد أنه قالها».

نهض جونا من على الأريكة، وجلس على الأرض بجوار كلارا، كان أصغر عمرًا من أن يكرر الكلمات، لكني رغم ذلك جلست بجانب كلارا من الناحية الأخرى تحسبًا إن فعل ذلك ثانية.

أعادت الكلمة: «دادا؟» محاولة دفع إيليا لتقليدها ونطقها مرة أخرى، لكنه أصدر فقط الكثير من الأصوات الأخرى، كنت أعرف أن الأمر كان مجرد صدفة، لكنه قالها في التوقيت الصحيح تمامًا.

أمالت كلارا إيليا بحيث يواجه جونا وقالت: «هذا والدك».

بدأت الدموع تنهمر من عيني جونا، لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب أن كلارا أشارت إلى جونا باعتباره والد إيليا، أم لسماعه تلك الكلمة تخرج من فم إيليا، لكني بمجرد أن رأيت أول دمعة تسير على خده حتى بدأت أنا الأخرى في البكاء.

نظرت كلارا إلى جونا ثم إليَّ، ثم عاودت النظر إلى جونا قائلة: «عظيم، لقد ظننت أن دموعي نفدت»، ثم بدأت بالبكاء.

كنت أراقب كلارا، فرغم أنها كانت تبكي، فإنها كانت تلعب مع إيليا وعلى وجهها ابتسامة، ثم فعلت شيئًا غير متوقع، تنهدت وأسندت رأسها إلى كتف جونا، ربما لا يعني هذا الكثير بالنسبة إليها، لكنه يعني العالم بالنسبة إليَّ، فهذه الحركة تُغني عن أي كلام، فهي تقول له من خلالها أنها آسفة، آسفة لما فعله كريس به، وآسفة لأنها فكرت أن الأمر كان خطأنا.

جعلتني هذه الإيماءة الصغيرة أبكي أكثر، وأعتقد أنها جعلت جونا يبكي أكثر أيضًا، لأنها حين سحبت رأسها من فوق كتفه حتى

نظر الناحية الأخرى، محاولًا إخفاء دموعه، كان إيليا الوحيد بيننا الذي لا يبكي.

«واو» قال جونا متنهدًا، مسح دموعه بقميصه قائلًا: «نحن في حالة من الفوضى».

«أكثر حالات الفوضى» قالت كلارا.

جلسنا جميعًا على الأرض هكذا لفترة، نلعب مع إيليا، ونضحك على تعبيرات وجهه، نضحك كلما ضحك، ونحاول جعله يردد كلمة «دادا» مرة أخرى، لكنه لم يفعل.

«ما الذي ستقوله لإيليا عن كل هذا؟» سألت كلارا.

«سأخبره بالحقيقة» قال جونا.

أومأت كلارا قائلة: «جيد، الحقيقة هي دائمًا الخيار الأفضل»، قبّلت إيليا على خده مستطردة: «تمنيت دومًا أن يكون لديَّ أخ صغيرًا، ربما بشكلٍ طبيعي أكثر، لكن هذا سيفي بالغرض».

أحببت كونها ناضجة بما يكفي لتفصل بين الطريقة التي جاء بها إيليا إلى العالم وبين حبها له، فالاستياء عبء ثقيل لا يُحتمل.

كنت ممتلئة بالفخر طوال الأربع وعشرين ساعة الماضية، فرؤية كلارا تتعامل مع كل هذا بمثل هذا النضج جعلني فخورة بها.

تثاءب إيليا، فهمَّ جونا بحزم أغراضه ليغادرا، ساعدته في ذلك، لكن حين وقفنا عند الباب لنودع بعضنا، بدا الأمر محرجًا، أردت أن أسير معه إلى الخارج، لكني لم أعرف ما الذي قد تفكر فيه كلارا.

كنت أعرف أن جونا يريد أن يقبِّلني، لكنه لن يفعل ذلك أمام كلارا، همس قائلًا: «تصبحين على خير»، جفل كأن رحيله من دون أن يقبِّلني يؤلمه، لأنه اضطر إلى فعل ذلك مرات عديدة من قبل.

«أوه، بالله عليكما» قالت كلارا مستشعرة الحرج ثم استطردت قائلة: «هذا غريب، لكني سأعتاده على أي حالٍ».

بدا الارتياح علينا، خرجت مع جونا بعد أن حصلنا على موافقة كلارا، أغلق جونا الباب بعد أن وضع إيليا في السيارة، ولفَّ ذراعه حول خصري، لفَّ جسدي بحيث يكون ظهري مستندًا إلى باب سيارته، ثم قبَّلني على خدي.

شعرت بالارتياح وهو يضمني إليه، كان من الممكن أن تصبح الأيام الماضية أسوأ من نواح عديدة، لكن الأمور لم تسوء، ربما يرجع الفضل في ذلك إلى كلارا، أو جونا، أو جميعنا، لا أعرف.

«كلارا رائعة» قال.

- أجل، هي رائعة حقًّا، نسيت مدى صعوبة أن تكون مراهقًا، خاصة في حالتها، أشعر أني استخففت بالهرمونات والمشاعر التي تنتاب من في هذا العمر.

- كنتِ صبورة معها جدًّا طوال كل ذلك.

ثناؤه عليَّ أضحكني: «هل تعتقد ذلك؟ لأني أشعر أني جن جنوني عدة مرات».

- أتمنى فقط أن أكون كأب بنصف ما أنتِ عليه كأم يا مورجان.

- أنت تربي طفلًا ليس ابنك، هذا يجعلك أفضل مني مرتين كأم.

تراجع جونا إلى الخلف مبتسمًا لي: «يروقني حين تثنين على أبوتي، هذا مثير نوعًا ما».

- أشعر بالشيء نفسه، فأكثر شيء أجده جذابًا بك هو أنك أب جيدٌ.

«نحن غريبان جدًّا» قال.

- أعرف.

شبَّك جونا أصابعه بأصابع يدي، ولفَّ يدينا خلف ظهري، وأسندهما إلى السيارة، قبَّلني على خدي قائلًا: «هل يمكن أن أسألك سؤالًا؟».

مرَّر شفتيه على خدي حتى استقرَّتا على فمي، أومأت برأسي، تراجع إلى الخلف لمسافة تمكننا من نظر أحدنا إلى الآخر: «هل تقبلين أن تكوني حبيبتي؟».

حدقت إليه لثانيتين قبل أن أنفجر ضحكًا: «هل ما زال الرجال يفعلون ذلك؟ يطلبون من النساء أن يكنَّ حبيباتهن؟».

هزَّ كتفيه: «لا أعرف، لكني تمنيت أن أطلب منكِ ذلك لفترة طويلة، لذا سيكون لطيفًا إذا ما جاريتني فقط، وقلتِ أجل».

ملت إلى الأمام، لامست شفتيه بشفتي: «اللعنة، أجل».

أفلت يديَّ، وأحاط وجهي بكلتا يديه: «أريد أن أقبلكِ، لكني لن أقبلك بلساني لأني لو فعلت فلن أستطيع التوقف عن تقبيلكِ، ولا أريد أن تفكر كلارا أننا خرجنا إلى هنا لنتبادل القبل».

- لكننا خرجنا فعلًا من أجل ذلك.

«أجل، لكني متأكد أن الأمر لا يزال غريبًا بالنسبة إليها»، قبَّلني قبلة سريعة مستطردًا: «ادخلي، وتصرفي بشكلٍ طبيعي».

ضحكت ثم لففت يديَّ حول رأسه وقرَّبته من فمي، تأوَّه حين تلامست ألسنتنا، دفعني بقوة نحو سيارته، تبادلنا القبل لمدة دقيقة، ثم دقيقتين، حين تراجع إلى الخلف أخيرًا، هزَّ رأسه قليلًا وهو يتطلع في ملامح وجهي: «هذا لا يُصدق» قال مستطردًا: «يأست من فكرة أن نكون معًا منذ فترة طويلة».

- لم أسمح أبدًا لنفسي حتى بالتفكير في احتمالية أن نكون معًا.

ابتسم، لكن بدت ابتسامته حزينة، وضع يديه على ظهري: «كنت سأتخلى عن كل ذلك لو أن هذا سيعني ألا يموتا، فبقدر سعادتي لأني معكِ، لم أرغب أبدًا أن يحدث ذلك بهذه الطريقة، أتمنى أنكِ تعرفين ذلك».

- بالطبع أعرف، لستَ مضطرًّا حتى إلى قول ذلك.

- أعرف، أعتقد أني ما زلت أواجه صراعًا داخليًّا بسبب ذلك، فمن ناحية أنا سعيد لأني معكِ أخيرًا، لكني أشعر بالذنب من ناحية أخرى لأجل السبب الذي جعلنا معًا.

ضم رأسي إلى صدره، لففت ذراعيَّ حول خصره، تعانقنا لبرهة: «جزء مني يتساءل عما إذا كنتِ تريدين ذلك حقًّا، تريدينني، أتفهم إن لم تريدي ذلك، فهذا أكثر من أن تتحمليه، فأنا لا أملك قدر الأموال التي كانت لدى كريس، كما أني لديَّ طفل، سيكون الأمر بالنسبة إليكِ أشبه بالبدء من جديد، وربما تحتاجين إلى وقتٍ لنفسكِ الآن، لا أعرف، لكني سأتفهم الأمر، أريدكِ أن تعرفي ذلك».

وددت أن أهز رأسي على الفور بعدم الموافقة على كلامه، لكني أخذت أفكر فيما قاله، إذا فعلنا ذلك، فسوف أقوم بتربية طفل آخر، وسألتزم بحياة جديدة كليًّا، بعد أن تغيرت الحياة الوحيدة التي عرفتها بشكل جذري، معظم الأشخاص سيحتاجون إلى المزيد من الوقت ليتكيفوا، خاصة عند الانتقال من علاقة زواج طويلة إلى علاقة جديدة تمامًا لم يمر عليها سوى بضعة أشهر فقط، أتفهم لِمَ يتوقع جونا بعض التردد من جانبي.

أغلقت عيني، ووضعت رأسي على صدر جونا، كنت أشعر بتسارع نبضات قلبه، مررتُ يدي على صدره من فوق قميصه، حتى استقرت راحة يدي فوق قلبه، وضعتها عليه للحظة منتبهة إلى أقصى معدل يضخ به قلبه الدماء إلى جسمه، يمكنني القول -من سرعة وقوة نبضات قلبه- أنه يغمره الشعور بالخوف الآن.

أحزنني ذلك، لأن لو أن هناك شيئًا واحدًا يجب ألا يقلق بشأنه جونا سوليفان سيكون شعوري تجاهه، لكني لم أعبِّر له عن ذلك أبدًا.

رفعت رأسي، التقت أعيننا وأنا أخبره بكل ما يستحق سماعه: «حين كنَّا مراهقين، كنت الوحيد الذي يضحك على كل نكاتي، وكنت تخفي ذلك كأنه سيكشف شعورك تجاهي، ورغم ذلك كنت أراقب ردة فعلك دائمًا، أحيانًا كنت أنا وكريس نتشاجر، لكني لاحظت أنك لم تستغل أبدًا ذلك وتحاول أن تجعلنا ننفصل، كنت تصغى إليَّ فقط حين أنفس عن غضبي، ثم تذكِّرني بكل الأشياء الرائعة به، وحين حملت جيني العام الماضي، لم أعتقد أنك ستأتي بصراحة، لكنك جئت، وحين عدت في تلك الليلة من أجل إيليا بعد أن اكتشفت أنه ليس ابنك...أعتقد أني وقعت في حبك كلك بسبب كل هذا، لم يعد الأمر مجرد أني أحب أجزاءً بك، بل صرت أحبك كلك».

لم أرده أن يشعر أن عليه أن يعقِّب على ما قلته بأي شيء، كنت أعرف بالفعل ما يشعر به تجاهي، وأعرف ما كان يشعر به نحوي، وحان دوره ليفهم كيف يكون شعور الشخص حين يعرف أنه كان دائمًا الخيار الأول بالنسبة إلى شخصٍ ما.

رفعت يدي من فوق قميصه ووضعتها على خده: «تزوجت كريس لأنه كان والد طفلي، وأردت أن ينجح ذلك، أحببته، وسوف أظل أحب جيني دائمًا أيضًا، لكنك الشخص الأول والوحيد في العالم الذي

أحببته من دون سبب أو مبرر، أحببتك فقط لأنني لم أستطع منع نفسي من ذلك، وحبك يشعرني بالسعادة، كما أن فكرة أن أربي إيليا معك تُسعدني، أعلم أني أخبرتك قبل أن نمارس الحب لأول مرة أنني سأندم على ذلك، لكني كنت مخطئة تمامًا في هذا، لم أندم على ذلك في تلك الليلة، ولست نادمة على ذلك الآن، وأنا واثقة أنني لن أندم على علاقتي بك لثانية واحدة من عمري».

شببتُ على أطراف أصابعي وقبَّلته بلطفٍ على شفتيه: «أحبك كثيرًا يا جونا، ابتعدت عنه ومضيت نحو منزلي، نظرت إلى الخلف حين فتحت الباب الأمامي، فوجدته واقفًا في ممر السيارات ويبتسم إليَّ، أحسست بشعورٍ جميل.

أغلقت الباب، وشعرتُ لأول مرة في حياتي كلها بامتلاء كل ركن داخلي، ملأ جونا بالفعل كل أجزاء حياتي التي شعرت دائمًا بخواء شديد بها مع كريس.

كنت فخورة بكلارا أيضًا وبالمرأة التي تتحوَّل إليها، مرَّت بمرحلة صعبة حتى وصلت إلى هذه المرحلة، لكن طريقها كان أصعب من معظم الأطفال في عمرها، عاودني شعوري بالفخر لكوني والدتها.

ما زلت غير متأكدة تمامًا ماذا أريد أن أكون أو ما المهنة التي أريد العمل بها، لكن استكشاف ذلك خلال الشهرين الماضيين كان مثيرًا بالنسبة إليَّ، فقد وددتُ لوقتٍ طويلٍ أن أحصل على وظيفة وأعود إلى الكلية لكن لسببٍ ما كنت أشعر أنَّ الأوان فات، لكنه لم يفت، فأنا بمنزلة مشروع لمْ يكتمل بعد، وربما سأظل هكذا دومًا، لست واثقة أني سأشعر أبدًا أني مسودة نهائية، ولست متأكدة أني أريد ذلك، فالبحث عن ذاتي أصبح الجزء المفضل لي في رحلتي الجديدة.

تذكرت ما كتبته في لوحة عيد ميلادي «ابحثي عن شغفكِ»، ربما ليس لديَّ شغفٌ واحدٌ فقط، قد يكون لديَّ أشياء عديدة أشعر بالشغف نحوها، لكني فقط لم أجعل ذاتي ورغباتي أولوية بالنسبة إليَّ، تبدو فكرة أن لديَّ بقية حياتي لأكتشف نفسي مثيرة، هناك الكثير من الأشياء التي أريد تجربتها، سواء نجحت أم لا، أعتقد أن إيجاد شغفي هو شغفي.

بعد أن رحل جونا وخلدت كلارا إلى فراشها، ذهبت إلى غرفتي، وأخرجت كل جوابات جيني التي كان كريس يحتفظ بها في صندوق أدواته، تدور في ذهني أسئلة كثيرة منذ اليوم الذي اكتشفت الحقيقة فيه، كنت أفكر دائمًا أنني في حاجة إلى إجابات، لكني لم أعد في حاجة إلى إجابات، أعرف أنني أحببت النسخة الأفضل من جيني وكريس، لكنهما وقعا في حب أسوأ نسخة منهما، النسخ القادرة على الخيانة والكذب.

سأحتفظ دومًا بذكرياتهما لأنهما كانا جزءًا كبيرًا من حياتي، لكن هذه الجوابات ليست جزءًا من ذكرياتي عنهما، وليست الذكريات التي أريد أن أعرفها أو أحتفظ بها في أي مكان.

قمتُ بتمزيق الجوابات واحدًا تلو الآخر إلى قطع صغيرة من دون أن أقرأها، كنت سعيدة بالاتجاه الذي تمضي حياتي إليه، كنت أعرف أنني لو ظللت مشغولة البال بالماضي فسوف أظل مقيدة في المكان الذي أود الرحيل عنه.

ألقيت كل القطع الممزقة من تاريخهما معًا في سلة مهملات حمامي، حين رفعت بصري واجهت انعكاسي في مرآة الحمام، بدوت سعيدة مرة أخرى، سعيدة حقًّا، كان شعورًا جميلًا.

الفصل الثامن والثلاثون
كلارا

بعد مرور عدة أشهر...

مشيت نحو الجزء الخلفي من غرفة المعيشة، وشبكت يدي بيد ميلر، كنَّا نحن الاثنان متوترين، عملنا بجدٍّ على الفيلم، وأريد حقًّا أن يعجب جونا، أطفأت والدتي الأضواء، وجلست على الأريكة بجوار ليكسي وإيفرين، بينما جلس جونا على طرف الأريكة الصغيرة، منتظرًا رؤية الفيلم أكثر من البقية.

قررنا في النهاية أن نصنع فيلمًا وثائقيًّا ساخرًا، فحين بدأنا الفيلم كانت حياتنا مليئة بالجدية، لذا أردت حقًّا شيئًا ممتعًا كنوع من التغيير.

كانت المدة الزمنية المتاحة لنا لتنفيذ الفيلم كله بضع دقائق فقط، لذا كانت صناعة فيلم ببداية ووسط ونهاية في مثل هذا الوقت القصير أصعب مما ظننا، لكني أتمنى أن نكون نجحنا في ذلك، لا نعرف فقط ما إذا كانوا سيقدرون حس الفكاهة به أم لا.

نظر ميلر إليَّ، بدا التوتر عليه، ابتسمنا إلى بعضنا حين بدأ عرض الفيلم، كانت الشاشة سوداء قبل أن تظهر بها كلمات بأحرف برتقالية زاهية تحمل عنوان الفيلم: «كروموفوبيا» (رهاب الألوان).

فُتح المشهد على شخصية في السابعة عشرة، وبرز على الشاشة اسم «كايتلين»، كانت كايتلين (التي أؤدي دورها) تجلس على مقعدٍ في

غرفة فارغة، ينعكس عليها ضوء وهي تنظر بعيدًا عن الكاميرا، وتفرك يديها معًا بعصبية، بينما يقول شخص خلف الكاميرا: «هل يمكنكِ أن تخبرينا كيف بدأ الأمر؟».

نظرت كايتلين إلى الكاميرا وفي عينيها خوف شديد، أومأت برأسها بعصبية: «حسنًا...» من الواضح أن من الصعب عليها أن تتحدث: «أعتقد أنني كنت في الخامسة، ربما، أو السادسة؟ لا أعرف بالضبط...».

تقترب الكاميرا من وجهها: «لكني أتذكر كل كلمة من حديثهما كأنه كان هذا الصباح، كانا أبي وأمي يقفان في غرفة المعيشة، يحملقان إلى الجدار، كانت بأيديهما كل تلك...تلك...عينات الطلاء البلاستيكية، كانا يحاولان اتخاذ قرار بشأن درجة الأبيض التي يطليان الجدران بها، وحينها حدث الأمر».

تبتلع كايتلين ريقها ثم تواصل الكلام رغم ترددها: «نظرت والدتي إلى والدي.. كأنها... نظرت إليه كأن الكلمات التي كانت على وشك أن تخرج من فمها لن تتسبب في تدمير عائلتنا إلى الأبد».

بدا على كايتلين الشعور بالاشمئزاز من تلك الذكرى، مسحت دمعة انزلقت على خدها، أخذت نفسًا عميقًا، ثم واصلت الحديث وهي تزفر: «نظرت والدتي إليه وقالت «ما رأيك في البرتقالي؟»».

تسببت تلك الذكرى في ارتجاف كايتلين، عادت الشاشة إلى اللون الأسود، ثم ظهرت شخصية أخرى لرجلٍ عجوزٍ هزيلٍ وحزين، ظهر اسم بيتر على الشاشة، جرامبس هو من يلعبُ دورَ هذه الشخصية، كان بيتر يجلس على مقعدٍ أخضر عصري من منتصف القرن، كان ينتف المقعد بأصابعه الواهنة، فيزيل بعض الزغب عنه، كان الزغب

يتساقط على الأرض، جاء صوت من خلف الكاميرا ثانية: «من أين تريد أن تبدأ يا بيتر؟».

نظر بيتر إلى الكاميرا بعينيه ذات اللون اللوزي الغامق، والتي تحيط بها تجاعيد تراكمت على مر السنوات، تجاعيد بأعماق وأطوال مختلفة، بينما يسود الاحمرار في بياض عينيه: «أظن أني سأبدأ من البداية».

تنتقل الشاشة إلى الماضي...يظهر بيتر وهو في عمر أصغر، وهو في أواخر مراهقته، كان في غرفة نوم في منزل قديم، وهناك ملصق لفرقة البيتلز معلق فوق الفراش، كان بيتر المراهق يفتش في خزانة ملابسه ويبدو عليه الإحباط، بينما صوت بيتر العجوز يعلق على المشهد قائلًا: «لم أستطع إيجاد قميص حظي»، المشهد الذي يظهر على الشاشة في تلك اللحظة هو لذلك الفتي المراهق المحبط (الذي يؤدي ميلر دوره)، وهو يخرج من غرفته ثم يخرج من الباب الخلفي.

- لذا...ذهبت لأبحث عن أمي لأسألها ما إذا كانت رأت قميصي.

كانت الأم واقفة أمام حبل غسيل في الفناء الخلفي، وتنشر ملاءة، «قلت (ماما؟ هل رأيتِ قميصي الأزرق؟)»، تعود الشاشة إلى بيتر العجوز، كان محدقًا إلى يديه وهو يحرك إبهاميه، تنهد سريعًا ثم عاود النظر إلى الكاميرا قائلًا: «نظرت إليَّ وقالت (لم أغسله بعد)».

تُظهر الشاشة الفتى المراهق مرة أخرى، كان محملقًا إلى والدته في ذهول، وضع يديه على وجنتيه: «أدركت حينها...» قال بيتر العجوز مستطردًا: «أنه لم يتبقَّ أمامي سوى خيار واحد».

تتبعت الكاميرا الفتى المراهق وهو يعود إلى داخل منزله، ويمضي إلى

، عائدًا لخزانة ثيابه، باعد بيديه بين الثياب في الخزانة حتى تركز الكاميرا على قميص واحد، معلق في الخزانة ويتأرجح من الأمام إلى الخلف: «كان هذا القميص النظيف الوحيد الذي لديَّ».

تعود الكاميرا إلى بيتر العجوز، وضع كفيه المتعرقين على فخذيه، وأسند رأسه إلى ظهر المقعد الأخضر القديم، وحدق إلى السقف مفكرًا.

قال له صوتٌ من خلف الكاميرا: «بيتر؟ هل تحتاج إلى استراحة؟».

مال بيتر إلى الأمام، هزَّ رأسه قائلًا: «لا، لا، أريد فقط أن أتجاوز ذلك».

أطلق تنهيدة، وعاود النظر إلى الكاميرا، وقال وهو يهز كتفيه: «فعلت ما كان عليَّ فعله».

تتبعت الكاميرا الفتى المراهق وهو ينتزع القميص من المشجب، ثم يخلع القميص المتسخ الذي كان يرتديه، ويرتدي بغضبٍ القميص النظيف الذي أخرجه للتو من الخزانة: «كان عليّ أن أرتديه»، كان بيتر العجوز يحدق إلى الكاميرا ويبدو على وجهه الهدوء: «لم يكن في إمكاني الخروج من دون قميص، كنَّا في الخمسينيات، كرر كلامه بهمسٍ: «كان عليّ أن أرتديه».

سأله الصوت من خلف الكاميرا: «ماذا كان لون القميص يا بيتر؟».

هزَّ بيتر رأسه، بدت الذكرى صعبة جدًّا بالنسبة إليه، «بيتر» قال الصوت خلف الكاميرا ليحثه على الكلام مستطردًا: «ماذا كان لون القميص؟».

تنهد بيتر بإحباطٍ: «برتقاليًّا، كان لونه برتقاليًّا، تمام؟».

أشاح ببصره بعيدًا عن الكاميرا في خجلٍ، عادت الشاشة إلى اللون الأسود.

بدأ المشهد التالي بشخصية جديدة، ترتدي ملابس رسمية، كان شعرها أشقر طويلًا، وكانت ترتدي قميصًا أبيض، كانت تعدل قميصها حين نظرت إلى الكاميرا وسألت: «هل نحن جاهزون؟».

«حينما تكونين جاهزة» قال الصوت من خلف الكاميرا.

أومأت برأسها: «حسنًا، إذن سأبدأ حالًا».

نظرت إلى شخص آخر من أجل تلقي التوجيهات، ثم نظرت إلى الشاشة: «اسمي دكتور إستر بلومبيلينجتون، وأنا مختصة في الكروموفوبيا».

قال الصوت من خلف الكاميرا: «هل يمكنكِ تعريف هذا المصطلح؟».

أومأت د. بلومبيلينجتون: «الكروموفوبيا هو خوف دائم وغير عقلاني من الألوان».

سألها الصوت من خلف الكاميرا: «أي لون بالتحديد؟».

«يختلف رهاب الألوان من مريض إلى آخر» قالت مستطردة: «أحيانًا يخاف المرضى من اللون الأزرق، أو الأخضر، أو الأحمر، أو الوردي، أو الأصفر، أو الأسود، أو البني، أو الأرجواني، أو الأبيض حتى، لا يوجد لون مستثنى من هذا الرهاب، حتى إن بعض المرضى

يخافون من عدة ألوان معًا، وفي الحالات الشديدة...» نظرت بملامح جامدة إلى الكاميرا مستطردة: «يخاف المرضى من كل الألوان».

سأل الصوت من خلف الكاميرا سؤالًا آخر: «لكنكِ لم تأتي اليوم لتتحدثي عن أي من هذه الألوان، أليس كذلك؟».

هزَّت د. بلومبيلينجتون رأسها، وعاودت النظر إلى الكاميرا: «لا، جئت إلى هنا اليوم لسببٍ واحدٍ، لون واحد تسبَّب في نتائج متطابقة بشكلٍ ينذر بالخطر»، رفعت كتفيها وأخذت نفسًا، تهاوى كتفاها حين عاودت الحديث مرة أخرى: «نتائج هذه الدراسة مهمة، وأشعر أنه يجب مشاركتها مع العالم».

- ما الذي يجب مشاركته؟

- بناءً على النتائج التي توصلنا إليها، اكتشفنا أن اللون البرتقالي ليس فقط سبب معظم حالات رهاب الألوان، لكن بحثنا يثبت بما لا يدع مجالًا للشك أن اللون البرتقالي إلى حدٍّ كبيرٍ هو أسوأ لون على الإطلاق.

سأل الصوت من خلف الكاميرا: «وما الدليل على ذلك؟».

نظرت د. بلومبيلينجتون بجدية شديدة إلى الكاميرا: «بخلاف عشرات الإعجابات التي جاءتنا على استطلاعات الرأي البحثية التي أجريناها على تويتر، والمشاهدات القليلة جدًّا التي حظيت بها قصص إنستجرام الخاصة بنا والمتعلقة بهذا الموضوع، فلدينا أيضًا... الأشخاص، الناس وقصصهم» مالت إلى الأمام، وضيقت عينيها ببطء، بينما بدأت تعمل في الخلفية موسيقى درامية: «استمع فقط إلى قصصهم».

عادت الكاميرا إلى اللون الأسود، ثم يبدأ المشهد التالي بأول شخصية، كايتلين، كانت تمسك منديلًا وهي تتحدث: «بمجرد أن قالت والدتي هذه الكلمات لأبي...» رفعت بصرها ناظرة إلى الكاميرا: «فقد.. فقد مات»، رفعت المنديل إلى عينيها: «هو فقط... نظر إليها، وانتابته الصدمة لأنها اقترحت طلاء جدران غرفة المعيشة باللون البرتقالي، أسقط كل عينات الألوان البلاستيكية على الأرض، وأمسك بقلبه و...ومات».

بدا الارتباك على وجهها: «آخر كلمة سمعها..كانت اللون البرتقالي»، انفجرت في البكاء وهي تهز رأسها: «لن أستطيع مسامحة أمي أبدًا، من الذي يقترح اللون البرتقالي لطلاء الجدران؟ هذا آخر شيء سمعه، آخر شيء!».

أصبحت الشاشة سوداء على الفور بعد انفجارها في البكاء، ثم تلا ذلك عودة إلى الماضي، حيث ظهر في المشهد التالي بيتر المراهق، كان يقود شاحنة زرقاء قديمة، وهو يرتدي القميص البرتقالي، ويلوح الغضب على وجهه، بينما صوت بيتر العجوز في الخلفية معلقًا: «أردت ارتداء القميص الأزرق، لكن لم يكن لديَّ خيار آخر».

استطرد قائلًا: «كنت أعرف أن ماري تفضِّل اللون الأزرق، حتى إنها قالت لي ذلك في اليوم الذي طلبت منها أن نخرج معًا، أخبرتها أني أحببت فستانها الأصفر، لفَّت بفستانها أمامي قائلة: «أليس جميلًا؟» أومأت برأسي، فقالت: «يعجبني قميصك يا بيتر، اللون الأزرق جميل عليك».

تركز الكاميرا على بيتر العجوز في هذه اللحظة، كان جالسًا على المقعد الأخضر، زاد احمرار عينيه عما كانت عليه في البداية: «حين وصلت إلى السينما..كانت تقف أمامها، ركنت الشاحنة، ونظرت إليها، بدت جميلة جدًّا، وهي واقفة هناك بفستانها الأصفر».

يعود المشهد التالي إلى الماضي حيث يظهر بيتر المراهق جالسًا في شاحنته، ومرتديًا قميصه البرتقالي بينما ينظر إلى فتاة جميلة تقف منتظرة وحدها، وترتدي فستانًا أصفر، يجفل بيتر: «لم أستطع فعل ذلك، لم أستطع أن أدعها تراني بهذا الشكل»، أدار بيتر المراهق شاحنته، وبدأ في الخروج من موقف السيارات.

عادت الكاميرا إلى بيتر العجوز الجالس على مقعده الأخضر: «ماذا كان من المفترض أن أفعل؟»، كان غاضبًا جدًّا، فنهض من على المقعد، لكنه كان كبيرًا جدًّا في العمر ولا يستطيع الوقوف منتصبًا: «لم أستطع الذهاب إليها وأنا أرتدي هذا القميص! الرحيل كان خياري الوحيد».

عاد للجلوس على مقعده، وبدا نادمًا على خيار كان له تأثيرٌ كبيرٌ على بقية حياته.

- بيتر؟

رفع بيتر بصره ناظرًا إلى جهة اليمين من الكاميرا، نحو الصوت الذي يحدثه من خلف الكاميرا: «هل يمكنك أن تخبرنا بما حدث لماري؟».

جفل بيتر، ظهرت تجاعيد أكثر حول عينيه.

- ماذا حدث لماري يا بيتر؟

وقف بيتر مرة أخرى من دون أن يكون منتصبًا تمامًا، كان غاضبًا، طوَّح ذراعيه: «تزوجت دان ستانلي! هذا ما حدث»، ارتمى على مقعده ثانية والحزن يتملكه: «تقابلا تلك الليلة...في السينما، الليلة التي كان من المفترض أن أخرج معها فيها وأنا أرتدي القميص الأزرق، وقد وقعا في حب بعضهما، وانتهى الأمر بإنجابهما ثلاثة

أطفال، وامتلاك بعض الماعز، أو الخراف، أف، لا يمكنني التذكر، لكنهما كانا يمتلكان الكثير منها، كنت أقود سيارتي بجوار مزرعتهما في طريقي إلى العمل كل يوم، بدت حيواناتهما اللعينة... بصحة جيدة للغاية، كأن دان ستانلي قد اعتنى جيدًا بهم، تمامًا مثلما اعتنى بماري، رغم أنها كان من المفترض أن تكون من نصيبي».

مدَّ بيتر يده إلى نهاية الطاولة بجوار مقعده، سحب منديلًا، وتمخط به: «وها أنا هنا الآن» لوَّح بيديه مشيرًا نحو الغرفة، كأنه ليس لديه في حياته ما يستعرضه: «وحيدًا».

مسح أنفه مرة أخرى، ونظر إلى الكاميرا، اقتربت الكاميرا من وجهه، ساد صمت طويل ومربك قبل أن يقول بيتر: «لا أريد أن أتحدث عن ذلك بعد الآن، تعبت».

أصبحت الشاشة سوداء مرة أخرى، وفي المشهد التالي ظهرت د.بلومبيلينجتون مقطبة الجبين يعلو وجهها القلق.

«ما الذي تتمنين أن يستفيد منه الناس من هذا الفيلم الوثائقي؟» سألها الصوت من خلف الكاميرا.

نظرت إلى الكاميرا قائلة: «ما أتمناه...الشيء الوحيد الذي أتمناه... أن يتضافر كل من يشاهد هذا في سبيل منع هذا اللون الفظيع، ليس فقط لأن اللون البرتقالي يدمر حياة الأشخاص، ولكن لأنه ليس به سجع مع أي كلمة أخرى، يحاول الناس اختيار كلمات تتناغم مع اللون البرتقالي...لكن ليس هناك كلمة أخرى تتناغم مع تلك الكلمة»، تقترب الكاميرا من وجهها، فتقول بصوتٍ خافتٍ: «ولن تكون هناك كلمة تتوافق معها أبدًا».

اسودت الشاشة، ظهرت كلمات جديدة على الشاشة بكل الألوان عدا البرتقالي (إذا رأيت أنت أو أي شخص تعرفه اللون البرتقالي من قبل، أو نطقت كلمة برتقالي بصوتٍ عالٍ، فقد تكون مصابًا برهاب الألوان، من فضلك تواصل مع طبيب نفسي من أجل الحصول على تشخيص رسمي، وإذا كنت ترغب في التبرع أو أن تكون جزءًا من حملتنا الهادفة إلى منع هذا اللون من اللغة ومن العالم، يُرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني التالي: «حملة اللون الذي لا يجب ذكر اسمه@ جي ميل.كوم».

اسودَّت الشاشة، وبدأت أسماء المشاركين في الفيلم تظهر على الشاشة، والتي كانت ثلاثة أسماء فقط، حيث أدينا أنا وميلر وجرامبس كل الأدوار التي ظهرت في الفيلم، ظلَّ ميلر ممسكًا بيدي طوال الفيلم، تصبَّبت كفُّه عرقًا، كانت مدة الفيلم كله خمس دقائق، لكني شعرت أنه كان أطول من ذلك، استغرق صنعه بالتأكيد وقتًا أطول بكثير.

ساد الهدوء في الغرفة، لم أعرف ما إذا كان ذلك علامة جيدة أم سيئة، نظرت إلى جونا، لكنه كان لا يزال محدقًا إلى التلفزيون، بينما كانت ليكسي وإيفرين محدقين إلى الأرض.

كانت والدتي أول من تحدث من بينهم: «كان ذلك...» نظرت إلى جونا ليساعدها، لكنه كان لا يزال محدقًا إلى شاشة التلفزيون، فواصلت حديثها: «كان ذلك...غير متوقع، الجودة كانت رائعة، والتمثيل أيضًا، أقصد...لا أعرف، لكنكما طلبتما أن نقول رأينا بصراحة، لذا...لم أفهم الفيلم، ربما أنا كبيرة جدًّا في العمر».

هزَّت ليكسي رأسها: «لا، الأمر ليس له علاقة بالعمر، لأني لم أفهمه أيضًا».

«هذا فيلم وثائقي ساخر» قال ميلر مدافعًا مضيفًا: «من المفترض أن يسخر هذا النوع من الأفلام من الأفلام الوثائقية، هذه أفلام مضحكة».

أومأ إيفرين: «أنا ضحكت».

«لا، لم تضحك» قال ميلر، ثم مشى نحو مقبس الإضاءة وأضاء النور، كنت أنتظر جونا ليقول شيئًا، أشاح ببصره بعيدًا عن التلفزيون أخيرًا ونظر إلينا نحن الاثنين، ظل محدقًا إلينا من دون كلام لبرهة، ثم بدأ في التصفيق.

صفق ببطء في البداية، ثم أسرع حين نهض واقفًا، بدأ يضحك، شعرت أن ميلر بدأ يرتاح أخيرًا بعد رد فعل جونا: «كان ذلك رائعًا!» قال جونا، وضع يديه على فخذيه وحدق إلى التلفزيون ثانية: «أعني... الجودة، والتمثيل» عاود النظر إلينا: «من أدَّى دور بيتر؟».

«هذا جدي» قال ميلر.

«جيد جدًا» قال جونا مضيفًا: «أرى أنه كان رائعًا، أعتقد أن كليكما لديه فرصة للفوز بهذا الفيلم».

«هل تحاول فقط أن تكون لطيفًا» سألت والدتي جونا مضيفة: «لا أفهمك».

«لا، أقصد أني أعتقد أننا جميعًا ظننا في البداية أن الفيلم سيكون أكثر جدية، أو ربما سيكون شيئًا شخصيًا أكثر، لكن عندما أدركت أنه فيلم وثائقي ساخر، كنت مذهولًا من مدى براعتكما في إنجاز الفيلم، لقد أتقن كلاكما تنفيذه».

تنفَّسنا أنا وميلر الصعداء، لقد عملنا بجدٍ على الفيلم، أعرف أنه سخيفٌ، لكننا قصدنا ذلك، لا يضايقني أنه لم يفهم أحد الفيلم،

كان رأي جونا هو حقًّا ما يهمنا فقط، لأن اسمه سيكون على الفيلم باعتباره المعلم المشرف عليه.

عانقني ميلر، أحسست أنه يشعر بالارتياح وهو يتنهد قائلًا: «أنا سعيدٌ جدًّا لأن ذلك انتهى»، ثم استطرد: «ظننت أنه سيكرهه».

كنت أشعر بالارتياح أيضًا، كان إحساسًا رائعًا، مشى ميلر نحو اللابتوب المتصل بشاشة التلفزيون: «حسنًا، لديَّ فيديو آخر».

أملت رأسي في حيرة: «لكننا صورنا واحدًا فقط...».

نظر ميلر إليَّ مبتسمًا: «هذه مفاجأة».

شغل ميلر فيديو آخر، وهرع ليطفئ الأضواء، لم أكن أعلم ما الذي سيعرضه، كنت أقف في الجزء الخلفي من غرفة المعيشة حين لفَّ ميلر ذراعيه حولي من الخلف، سند ذقنه إلى كتفي: «ما هذا؟».

«شش» قال مضيفًا: «شاهدي فقط».

بدأ الفيلم بميلر وهو يحدق إلى الكاميرا، كان يحملها بيديه، ويوجهها نحو وجهه، ثم لوَّح قائلًا: «هاي كلارا»، ثم وضع الكاميرا جانبًا، كان في غرفة نومه، جلس على فراشه وقال: «حسنًا، أعرف أنكِ قلتِ إنكِ لا تحبين أي شيء مُخطط له، لكني...بدأت ذلك قبل أن تخبريني بذلك، لذا...أتمنى أن يعجبكِ».

اسودَّت الشاشة، ثم ظهرت لقطات لنا نحن الاثنين، كانت عبارة عن كل اللقطات الإضافية التي التقطها ميلر خلال الأشهر العديدة الماضية، مقاطع لنا ونحن جالسان بجوار الشجرة في الحديقة، وأخرى ونحن نعمل على فيديو التقديم لمشروع الفيلم، لقطات لنا في المدرسة، في منزله، في منزلي.

بعد أن انتهت لقطات الصور، ظهرت في المشهد التالي مقاطع فيديو، كان ميلر يعبث بالكاميرا في شاحنته، قبل أن يخرج ويغلق الباب، ويوجِّه الكاميرا ناحيته: «هاي كلارا، أعتقد أن عليكِ أن تأتي معي إلى حفل التخرج» خفَّض صوته حين قال ذلك، ثم أسند الكاميرا إلى الحامل، ووجَّهها نحوي.

كان ذلك أول يوم يصور به، حين كنا في شاحنة الطعام، ذهب ليطلب شطائرنا حينها، وتظهر اللقطات أنني كنت أقوم بتعبيرات سخيفة بوجهي أمام الكاميرا، ويظهر المشهد التالي اليوم الذي تغيبنا فيه عن المدرسة، فتح الكاميرا ووجهها نحو الشجرة، كنت أسند ظهري إلى الشجرة، محدقة إلى الماء، لم يكن ميلر في المشهد في البداية، لكنه ألصق وجهه أمام الكاميرا بعدها وقال: «هاي كلارا» واستطرد قائلًا بسرعة: «يجب أن تذهبي معي إلى حفل التخرج».

ابتعد بعدها عن الكاميرا، وأتى ليجلس بيني وبين الشجرة، كأنه لم يفعل شيئًا.

لم أعرف أنه كان يفعل أيًّا من هذا، استدرت لأنظر إليه، لكنه حثَّني على مواصلة مشاهدة التلفزيون، كانت الثلاثة مشاهد التالية بينما كنَّا نتواعد، ظهر بها وهو يطلب فيها مني أمام الكاميرا مرافقته إلى حفل التخرج ونحن معًا، دون أن أراه وهو يفعل ذلك، ثم جاء مشهدًا وهو يقف في طابور في ستاربكس، وجَّه الكاميرا نحوي، كنت أجلس وحدي في الزاوية أقرأ كتابًا، يا إلهي، هذا أول يوم قبَّلنا بعضنا به.

وجَّه ميلر الكاميرا إلى نفسه ثانية وهو يقف في طابور ستاربكس: «تبدين لطيفة جدًّا وأنتِ جالسة هناك تقرئين كتابكِ» قال بصوتٍ خافتٍ مستطردًا: «أعتقد أنكِ يجب أن تذهبي معي إلى حفل التخرج».

همست قائلة «ميلر»، حاولت أن أستدير وأنظر إليه ثانية، لكنه لم يردني أن أبعد عيني عن شاشة التلفزيون، كنت مصدومة، لم أتوقع أن تكون هناك لقطات من قبل أن نتواعد.

في المشهد التالي، كان ميلر في الخارج، مستندًا إلى عمودٍ، لم أعرف ذلك المكان في البداية، لكن حين مسح قطرات العرق من جبينه، وأخرج المصاصة من فمه، أدركت أنه كان واقفًا أمام لافتة حدود المدينة، كان ينظر إلى كاميرته ويقول: «حسنًا يا كلارا جرانت، مررتِ من أمامي للتوِ، وأعرف أنكِ رأيتِني وأنا أقف هنا على جانب الطريق، إليكِ الاتفاق، لديَّ حبيبة لكني توقفت عن التفكير بها ليلًا حين أخلد إلى الفراش، ويقول جرامبس إن هذه علامة سيئة وإن عليَّ أن أنفصل عنها، أقصد أني أشعر تجاهك بشيء منذ فترة طويلة، وأشعر أن الفرص تضيع مني، لذا سأعقد معكِ اتفاقًا، إذا استدرتِ بسيارتكِ أسفل التل وعدتِ، فسأعتبر ذلك إشارة، سأنصت أخيرًا إلى حدسي، وأنفصل عن حبيبتي، وأطلب منكِ أخيرًا أن تخرجي معي، وربما أطلب منكِ أن تأتي معي إلى حفل التخرج هذا العام، لكن إذا لم تستديري بسيارتكِ، فسأفترض حينها أنني أنا وأنتِ غير مقدر لنا أن نكون معًا».

لمعت عيناه حينها، وهو ينظر نحو شيء ما، ثم ابتسم ونظر إلى الكاميرا ثانية: «انظري إلى هذا، لقد عدتِ»، بكيت حين انتهى هذا المقطع من الفيديو.

حين بدأ المشهد التالي، لم أتعرَّف على المكان، كانت الكاميرا موجهة نحو الأرض ثم إلى جرامبس، لكنه بدا أصغر بضع سنوات وبصحة أفضل في هذا الفيديو مما يبدو عليه الآن، قال في المقطع: «ابعد هذا الشيء عني».

وجَّه ميلر الكاميرا نحوي، بدا أصغر سنًّا أيضًا، كان نحيفًا، وربما كان يبلغ نحو خمسة عشر عامًا: «جرامبس متحمس للعرض» قال ميلر بسخرية، ثم وجَّه الكاميرا نحو خشبة المسرح، ارتعد قلبي في صدري حين تعرفت على المكان.

بدأت الذكريات تتداعى في ذهني، فقد حاول جد ميلر مرتين أن يخبرني بشيء حدث عندما كانا في المدرسة حين كان ميلر في الخامسة عشرة، وفي المرتين كان ميلر محرجًا جدًّا وطلب منه أن يسكت.

قبَّل ميلر جانب رأسي لأنه كان يعلم أني أردت أن أعرف هذه القصة منذ اليوم الأول الذي قابلت جرامبس به، حين انتهى هذا المشهد، كان المشهد التالي في اليوم نفسه، لكن في نهاية العرض المسرحي، كانت الكاميرا موجهة نحوي الآن، كنت في الرابعة عشرة، أقف على خشبة المسرح وحدي، وألقي مونولوجًا.

ابتعدت الكاميرا عني ببطء ثم تركزت على ميلر، يبدو أن جرامبس هو من كان يمسك بالكاميرا حينها، كان ميلر محدقًا إلى خشبة المسرح، كان مائلًا إلى الأمام، وشابكًا يديه معًا تحت ذقنه، اقتربت الكاميرا منه وهو يشاهدني بينما أمثِّل على المسرح، ظلَّت الكاميرا على هذا الوضع لمدة دقيقة، كان ميلر مصغيًا لكل كلمة أقولها، ومنتبهًا تمامًا، لم يبعد جرامبس الكاميرا عنه للحظة، ولم يكن ميلر يعرف أن جرامبس يصوره.

كان المونولوج هو نهاية العرض المسرحي، لذا حين قلتُ السطر الأخير به، بدأ الحضور بالتصفيق، لكن ميلر لم يصفق، ظلَّ بلا حراكٍ، همس قائلًا: «واو» ثم استطرد قائلًا: «إنها رائعة، إنها مذهلة».

حينها فقط نظر إلى جده فرأى الكاميرا موجهة نحوه، حاول أن ينتزع الكاميرا من يد جرامبس، لكنه أبعدها عنه، ثم وجَّه الكاميرا بحيث تظهرهما معًا، أدار ميلر عينيه في ضيقٍ حين قال جده: «أعتقد أنك وقعت في الحب للتو».

ضحك ميلر قائلًا: «اسكت».

«وقعت في الحب، وسجلت ذلك على الكاميرا» قال جرامبس موجهًا الكاميرا نحو ميلر ثانية: «ما اسمها؟».

هزَّ ميلر كتفيه: «لست متأكدًا، كلارا على ما أعتقد!»، فتح برنامج الإعلان عن العروض المسرحية وقلَّب به، ثم توقف عند اسمي: «كلارا جرانت، لعبت دور نورا».

كان جد ميلر لا يزال يصوِّره، لم ينكر ميلر حتى ما قاله جده، في هذه اللحظة كان الحضور يصفقون للممثلين حين عاودوا الخروج إلى خشبة المسرح، بينما ميلر كان محدقًا إلى الكاميرا: «هل يمكن أن تتوقف عن التصوير الآن؟».

ضحك جده قائلًا: «كم أن هذا لطيف، ربما يجب أن تطلب منها الخروج معك».

ضحك ميلر: «أجل، صحيح، هي تأخذ عشرة من عشرة، بينما أنا آخذ أربعة من عشرة، وربما خمسة».

وجَّه جرامبس الكاميرا نحوه: «أعطيه ستة من عشرة».

«أغلق الكاميرا» قال ميلر ثانية.

ابتسم جرامبس للكاميرا، ثم وجَّهها نحو ميلر مرة أخرى عندما نادوا اسمي، وحان دوري لأنحني وأحيي الجمهور على خشبة المسرح، عض ميلر شفته، محاولًا إخفاء ابتسامته.

«تبدو متيَّمًا بها» قال جرامبس مضيفًا: «اللعنة، لأنها ليست في مستواك».

نظر ميلر إلى الكاميرا، ضحك ولم يحاول حتى إخفاء حقيقة كونه متيَّمًا بي، مال إلى الأمام، مقتربًا من الكاميرا، نظر في عدستها مباشرة: «ذات يوم، ستلاحظ هذه الفتاة وجودي، انتظر فحسب».

«أنا لَست خالدًا» قال جرامبس مستدركًا: «ولا أنت».

عاود ميلر النظر إلى المسرح وضحك قائلًا: «أنت أسوأ جدودي».

- أنا جدك الوحيد أصلًا.

ضحك ميلر قائلًا: «الحمد لله».

انتهى مقطع الفيديو، انهمرت الدموع على خدي، هززت رأسي مصدومة تمامًا، كان ميلر لا يزال يلف ذراعيه حولي، قرَّب فمه من أذني قائلًا: «قلتِ لي إن دعوات الخروج بطريقة رومانسية في حفل التخرج سخيفة».

ضحكت وأنا أبكي، ثم استدرت وقبَّلته: «من الواضح أني كنت مخطئة جدًّا».

ألصق جبينه بجبيني وابتسم، أضاء أحدهم الأضواء، ابتعدنا عن بعضنا، كانت أمي تمسح دموعها وهي تقول: «هذا ما يجب أن تقدموه في مشروع الفيلم».

أومأت ليكسي برأسها متفقة مع ما قالته والدتي.

«هذا لا يفي بالمعايير المطلوبة» قال جونا مستطردًا: «لم يتم تصويره كله هذا العام»، نظر إلى ميلر وغمز له: «لكن ذلك كان رائعًا».

حدقت إلى الشاشة الفارغة غير مصدقة، خطر بذهني شيء في تلك اللحظة فقلت لميلر: «ثانية، قلت إنك أسميت شاحنتك على اسم أغنية

لفرقة البيتلز، لكن في الحقيقة كان ذلك اسم الشخصية التي لعبتها في المسرحية».

ابتسم ميلر، فسألته: «هل لدى البيتلز أصلًا أغنية اسمها نورا؟».

هزَّ رأسه نفيًا، أذهلني فعلًا، لن يستطيع أن يأتي بكذبة تفوق تلك.

بعد مرور ساعة، كنت منتشية، ليس انتشاءً من خدر، وإنما انتشاء بسبب ميلر، فقد وعدني أن نذهب لنأكل لأنني كنت أتضور جوعًا، لكنه مشى في الاتجاه العكسي للمدينة.

- ظننت أننا سنذهب لنتناول الطعام.

- أريد أن أريكِ شيئًا في المنزل أولًا.

كنت أجلس في منتصف مقعد شاحنته، وأسند رأسي إلى كتفه، كنت أنظر إلى هاتفي حين شعرت أن الشاحنة بدأت تبطئ، لكننا تجاوزنا ممر منزل ميلر، أوقف الشاحنة على جانب الطريق في الظلام، فسألته: «ماذا تفعل؟».

فتح باب الشاحنة وأمسك يدي وأنزلني منها، مشينا بضعة أقدام قبل أن يشير إلى شيء ما، نظرت إلى أعلى حيث لافتة حدود المدينة.

- هل لاحظتِ أي شيء؟

نظرت إلى أسفل، كانت اللافتة مثبتة في الأرض، ضحكت: «واو، فعلت ذلك، نقلت حدود المدينة بأكملها».

- فكرت أن نقضي الوقت الليلة في منزلي مع جرامبس، ونطلب بيتزا.

- بيبروني وأناناس؟

هزَّ ميلر رأسه، وأفلت يدي، ومضى عائدًا إلى شاحنته قائلًا: «كنتِ قريبة جدًّا من العشرة يا كلارا، قريبة جدًّا».

بعدها بخمس دقائق كنا أنا وجرامبس نجلس متحمسين بينما يطلب ميلر البيتزا، كنَّا نحن الاثنان جالسين على طرف مقعدينا، كان ميلر قد فتح مكبر الصوت، لذا ساد التوتر في الغرفة حين قال عامل مطعم البيتزا: «لا نوصل البيتزا لذاك المكان، نوصل فقط داخل حدود المدينة».

«أعيش داخل حدود المدينة، على بُعد نحو عشرين قدمًا» قال ميلر بثقة.

صمت العامل قليلًا ثم قال: «حسنًا، سأضيف موقعك إلى مناطق التوصيل، سيصل طلبك في غضون خمسة وأربعين دقيقة».

بعد أن أنهى ميلر المكالمة، قفزنا معًا وضربنا كفينا ببعضهما، لم يستطع جرامبس أن يقفز، فضربت كفي بكفِّه وهو جالس.

قال ميلر: «أنا عبقري، خمسة أشهر من العمل الشاق وغير القانوني أتت بثمارها أخيرًا».

«أنا فخور بك» قال جرامبس مستدركًا: «رغم أني لا أوافق على أي شيء غير قانوني، لكن هذه بيتزا، لذا...».

ضحك ميلر، رن المنبه الخاص بموعد أدوية جرامبس، فذهبت إلى المطبخ لأحضر له الأدوية التي يتناولها، كنت أساعد ميلر في الاعتناء بجرامبس حين يكون في عمله، فرغم أن هناك مساعدًا بدوام كاملٍ يأتي إليه خلال النهار، لكنه يحتاج إلى من يعتني به خلال باقيً اليوم.

أحب قضاء الوقت مع جرامبس، يحكي لي الكثير من القصص الرائعة عن ميلر، وعن حياته، ورغم أنه لا يزال يمزح ويقول إن زوجته تركت المدينة، فإني أحب أن أسمعه وهو يتحدث عنها، فقد ظلا متزوجين لخمسة وأربعين عام حتى وافتها المنية، سماع حكاياتهما يعيد إليَّ إيماني بالحب.

علاقة جونا ووالدتي تساعدني في ذلك أيضًا، ورغم أن رؤيتهما معًا كان غريبًا بالنسبة إليَّ لبعض الوقت، لكني أراهما مناسبين جدًّا لبعض، كما أنهما يأخذان الأمور ببطء، وقررا الانتظار قبل اتخاذ أي خطوات كبيرة مثل أن يعيشا معًا، لكننا نتناول العشاء مع جونا وإيليا الآن كل يوم تقريبًا.

جونا الذي أراه مع والدتي شخصٌ مختلفٌ تمامًا عن جونا الذي كان مع خالتي جيني، لا أقصد أنه لم يكن سعيدًا وهو يعيش مع جيني وإيليا، لكني أقصد أن والدتي تجعله مشرقًا بشكل لم أره عليه من قبل، فهو ينظر إليها كلما تكون بجواره كأنها أعظم ما رآه في حياته.

ألمح ميلر أحيانًا وهو ينظر إليَّ بهذه الطريقة، مثلما ينظر إليَّ الآن وأنا أقف في المطبخ أحضر الأدوية لجده، حملت الأدوية واتجهت إلى غرفة المعيشة، وجلست بجوار ميلر على الأريكة.

تناول ميلر الأدوية، ثم وضع كوب الماء على الطاولة المجاورة لمقعده: «إذن، أعتقد أنكِ رأيتِ أخيرًا مقطع الفيديو الذي يُظهر ميلر حين وقع في حبكِ؟».

ضحكت وملت على ميلر: «حفيدك رومانسي».

ضحك جرامبس قائلًا: «لا، حفيدي أحمق، استغرق الأمر منه ثلاث سنوات قبل أن يطلب منكِ الخروج معه أخيرًا».

رد عليه ميلر قائلًا: «الصبر فضيلة».

«ليس حين تكون مصابًا بالسرطان» وقف ميلر مستطردًا: «أنتظر الموت منذ سبعة أشهر، لكن يبدو أنه لن يأتي قطّ، أعتقد أن عليَّ الانتهاء من ذلك أيضًا».

أمسك جرامبس «المشّاية»، ومضى ببطء نحو المطبخ.

سأله ميلر: «تنتهي من ماذا؟».

فتح جرامبس درجًا يحتفظ فيه بأوراقٍ كثيرة، فتش به حتى أخرج ملفًّا، عاد إلى غرفة المعيشة وألقاه على الطاولة أمام ميلر: «أردت أن أنتظر وأتركِ المحامي يخبرك بالأمر بعد وفاتي، فكرت أن الأمر سيكون مضحكًا أكثر هكذا، لكني أفكر أحيانًا أنني قد لا أموت أبدًا، وليس لديك وقتٌ كثيرٌ لتقدم طلب الالتحاق بالجامعة».

سحب ميلر الملف نحوه، فتحه وبدأ يقرأ أول صفحة، بدت وصية، ضحك ميلر وهو يقرأها ثم رفع بصره عن الأوراق قائلًا: «تركت لي حقوق الهواء في وصيتك؟».مكتبة .. سُر مَن قرأ

أدار جرامبس عينيه شذرًا: «أخبرك بذلك طوال عشر سنوات، لكنك كنت تسخر مني».

هزَّ ميلر كتفيه: «لا أفهم المزحة؟ كيف يمكنك أن تورث أحدًا الهواء؟».

«هناك حقوق للهواء يا غبي» عاد جرامبس إلى الخلف في مقعده، واستطرد قائلًا: «اشتريتها حين كنت في الثلاثين، حين كنت أعيش مع جدتك في نيويورك، حاول الأوغاد إقناعي طوال سنوات لأبيعها لهم، لكني كنت أخبرتك بالفعل أنني سأعطيها لك، وأنا لا أخلف وعدًا».

كنت حائرة مثل ميلر، فسألته: «ما هي حقوق الهواء؟».

أدار جرامبس رأسه: «لا يعلمونكم أي شيء في المدارس، حقوق الهواء مثل امتلاك الأرض، لكن في المدن الكبرى، يمكنكِ حقًّا أن تشتري أجزاءً من الهواء حتى لا يتمكّن الأشخاص من البناء أمام بنايتك أو فوقها، أمتلك قطعة صغيرة من هذا الهواء في ميدان الاتحاد، آخر مرة سألت فيها عن قيمته كانت نحو ربع مليون دولار».

عجز ميلر عن التنفس، كان يحاول التقاط أنفاسه، ربت على ظهره، نهض واقفًا وهو يشير إلى الملف: «هل تمزح معي؟».

هزَّ جرامبس رأسه: «أعرف كم تريد أن تذهب إلى تلك الكلية في أوستن، قال لي المحامي إن الحصول على شهادة منها سيكلفك نحو مائة وخمسين ألف دولار، بالإضافة إلى أنك ستدفع ضرائب حين تبيع الحقوق، أعتقد أنه سيتبقى لك مبلغٌ كافٍ لتسدد دفعة أولى لشراء منزلٍ يومًا ما أو لتسافر، أو لتشتري بعض معدات الأفلام، لا أعرف، لا أترك لك مالًا كافيًا لتكون ثريًا، لكن ذلك أفضل من لا شيء».

كاد ميلر أن يبكي، جال في الغرفة متجنبًا النظر إلى جده، حين نظر أخيرًا إليه كانت عيناه حمراوين لكنه كان يضحك: «طوال كل هذا الوقت كنت تخبرني أنني سأرث الهواء، لكني ظننت أنك تمزح كعادتك»، مشى نحو جرامبس وعانقه ثم تراجع إلى الخلف متسائلًا: «لكن ماذا كنت تقصد حين قلت إنك كنت تنتظر حتى تموت أولًا حتى تخبرني بذلك؟ لِمَ؟»

هزَّ جرامبس كتفيه قائلًا: «فكرت أن ذلك سيكون مضحكًا، أن أمزح معك مزحة أخيرة بعد وفاتي، حين لا تتوقع ذلك».

أدار ميلر عينيه، ثم نظر إليَّ مبتسمًا، كنت أعرف أننا نفكر في الأمر نفسه، لا شيء يسعدني أكثر من معرفة أننا سنكون في المدينة نفسها بعدما أتخرج العام المقبل، وفي الكلية نفسها، وقد نحضر حتى بعض المحاضرات معًا.

«تعرف ما يعنيه هذا؟ أليس كذلك؟» سألته.

هزَّ ميلر كتفيه:

- «جامعة تكساس ؟ سيكون لون كليتك برتقاليًّا يا ميلر»، ضحك ميلر وجرامبس، لكن ميلر لم يعرف أن المزاح لم ينتهِ بعد، لديَّ مزحة أخرى سأؤجلها إلى يوم حفل التخرج، اشتريت الفستان المثالي لمناسبتنا الخاصة، أبشع درجة برتقالي وجدتها.

شكر وتقدير

أود أولًا وقبل أي شيء أن أشكركم على قراءة هذا الكتاب، فعلى ما يبدو أنني لا أستطيع الالتزام بنوع كتابة واحدٍ، لذا فإن دعمكم لي في أي ما أتوق إلى كتابته أكثر شيء أعتز به في مجال الكتابة.

أميل دومًا إلى شكر قائمة كبيرة من الأشخاص في كل كتابٍ، لكنني أعتقد أنني شكرت كل شخص أعرفه تقريبًا في روايتي «الحقيقة»، ورغم أن في إمكاني تكرار ذلك، إلا أني سأوجز في الشكر هذه المرة لأركز الضوء على عددٍ قليلٍ من الأشخاص الذين لم يكن لهم علاقة مطلقًا بكتابة هذه الرواية، كِيمبرلي باركر وتايلر إيستون.

أود أن أشكركما لأنكما كنتما نموذجين رائعين لكل الآباء، طريقة تربيتكما ملهمة ومبشّرة، وأشعر أنه يجب شكركما على ذلك، أود أيضًا شكر مورفي فينيل ونيك هوبكنز ولأنهما أفضل والدين يمكن أن تحظى بهما ابنة أخي.

شكرًا لمن قرأ هذا الكتاب في أثناء كتابته، بروك، مورفي، أمبر، جوليب، تاسارا، ماريا، وأنجانيت، فانوي، لين، أقدِّر صراحتكم ورأيكم، كلكم تجعلونني أرغب في الاستمرار في النمو في هذه المهنة، ولهذا سأمطركم دومًا بالمسودات الأولى.

شكرًا كبيرًا لوكيلتي جين ديستل، ولكل الفريق، كم تبهرونني يا شباب دومًا بدعمكم وتفهمكم وتشجيعكم.

أشكر آنه شلويب وكل شخص في دار نشر «Montlake Romance»، فهذا أول كتاب لنا معًا، وقد استمتعت جدًّا بالعمل

مع كل فريق الدار، أنا متحمسة جدًّا لنشر المزيد من الروايات معكم، أشكر أيضًا ليندسي فابر، فالعمل معكِ ممتع للغاية، آمل أن تستمر علاقتنا إلى الأبد.

شكرًا لكل أصدقائي من الكُتَّاب، والقراء، والمدونين، ومراجعي الكتب على إنستجرام، ومراجعي الكتب على يوتيوب، والمختصين في صناعة النشر، وكل من يمت بصلة إلى هذا المجال، شكرًا لأنكم جزءٌ من عالم الكتب الرائع، فالإبداع الكامن بداخلكم مصدر إلهام لي.

مكتبة
t.me/soramnqraa

عن الكاتبة

تصدرت العديد من روايات كولين هوفر قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا، من بينها رواية الخيال النسائية الأكثر مبيعًا «كل شيء ينتهي بنا»، ورواية الإثارة النفسية «الحقيقة».

كما فازت هوفر بجائزة اختيارات قراء موقع «جودريدز» لأفضل رواية رومانسية لثلاث سنوات على التوالي، عن روايات «اعتراف» 2015، «كل شيء ينتهي بنا» 2016، و«دون استحقاق» 2017، وقد تم تحويل «اعتراف» إلى مسلسل من سبع حلقات على الإنترنت.

في عام 2015 أسست هوفر وعائلتها «Bookworm Box»، وهو متجر للكتب، وخدمة اشتراك شهري، يتيح كتبًا موقَّعة من قبل مؤلفين تبرعوا بها، وتذهب كل أرباحه شهريًّا إلى عدة جمعيات خيرية من أجل مساعدة المحتاجين.

تعيش هوفر في تكساس مع زوجها وثلاثة أولاد، ويمكنك زيارة موقعها الإلكتروني www.colleenhoover.com

كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290/ 01000405450

وللاطلاع علي كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعى التالية:

KayanPublishing

نادِمَة عليك

telegram
@soramnqraa

كيف تلملم القطع المتناثرة من دون غراء يلصقها معًا؟!

مورجان جرانت وابنتها كلارا البالغة ستة عشر عامًا لا تريدان شيئًا أكثر من ألا تكونا متشابهتين، فمورجان تفعل كل ما في وسعها لتمنع ابنتها من الوقوع في نفس الأخطاء التي ارتكبتها، فحملها ثم زواجها في عمر مبكر جدًا جعلها تتخلى عن أحلامها، وكلارا على الجانب الآخر لا تريد أن تتبع خطى والدتها، والدتها التي يمكن توقع كل تصرفاتها، وليس لديها أي ذرة عفوية.

الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يحل السلام في المنزل هو كريس زوج مورجان ووالد كلارا، ولكن هذا السلام يتلاشى حين يرحل كريس في حادث مأساوي مثير للشكوك، حادث لن تؤثر عواقبه المفجعة في حياة مورجان وكلارا وحدهما.

وبينما تكافح مورجان لإعادة بناء كل شيء تحطم حولهما، تجد العزاء في آخر شخص تفضل أن تجد العزاء لديه! وتلجأ كلارا إلى الشاب الذي كانت ممنوعة من رؤيته، ثم تزداد صعوبة التعايش بين مورجان وكلارا، حيث تكشف الأيام المزيد من الأسرار ويزيد الاستياء وسوء الفهم الفجوة بين مورجان وابنتها، وربما يصبح من المستحيل أن تعود المياه إلى مجاريها بينهما مرة أخرى.

تعتبر كولين هوفر أكثر الكتاب مبيعًا وفقًا لجريدة النيويورك تايمز، وهي كاتبة لعدة سلاسل منها: صدمات، وميؤوس منه، وربما.
ولديها عدد كبير من روايات منفردة أيضا مثل: الحب القبيح، اعتراف، والتاسع من نوفمبر، واختفاء ميريت.
كما أنها أيضا مؤسسة The Bookworm Box، وهو متجر لبيع الكتب، وخدمة اشتراك شهرية لتقديم الروايات الموقعة التي يتبرع بها المؤلفون لدعم المؤسسات الخيرية كل شهر.
تعيش كولين في تكساس مع زوجها وأولادهما الثلاثة.
الموقع الإلكتروني للكاتبة: ColleenHoover.com

9 789778 201369
KAYAN PUBLISHING